

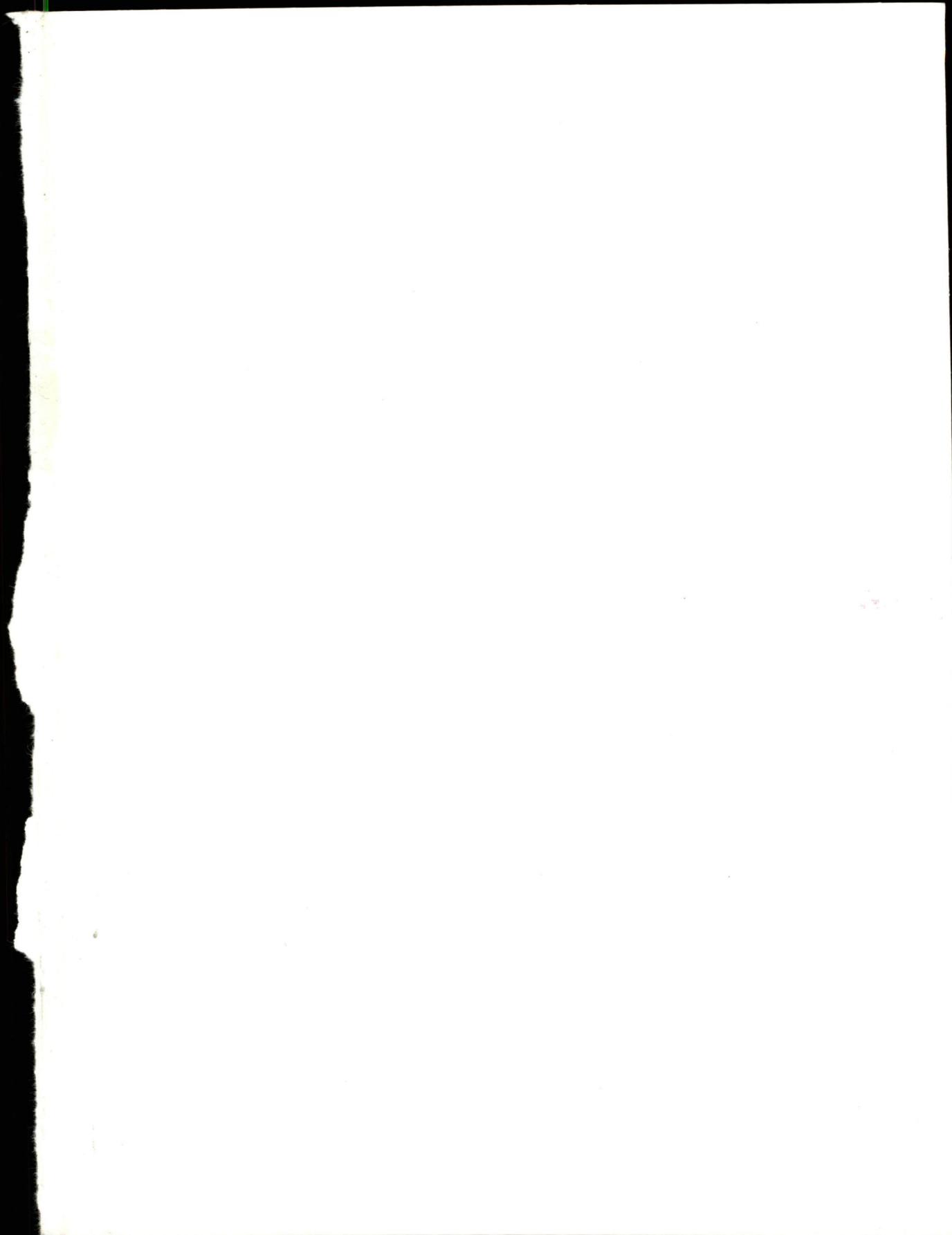
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية العلوم السياسية

تاريخ العلاقات الدولية



الدكتور
سعد حقي توفيق
أستاذ العلاقات الدولية

2009



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية العلوم السياسية

تاريخ العلاقات الدولية

الدكتور
سعد حقي توفيق
أستاذ العلاقات الدولية

٢٠٠٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

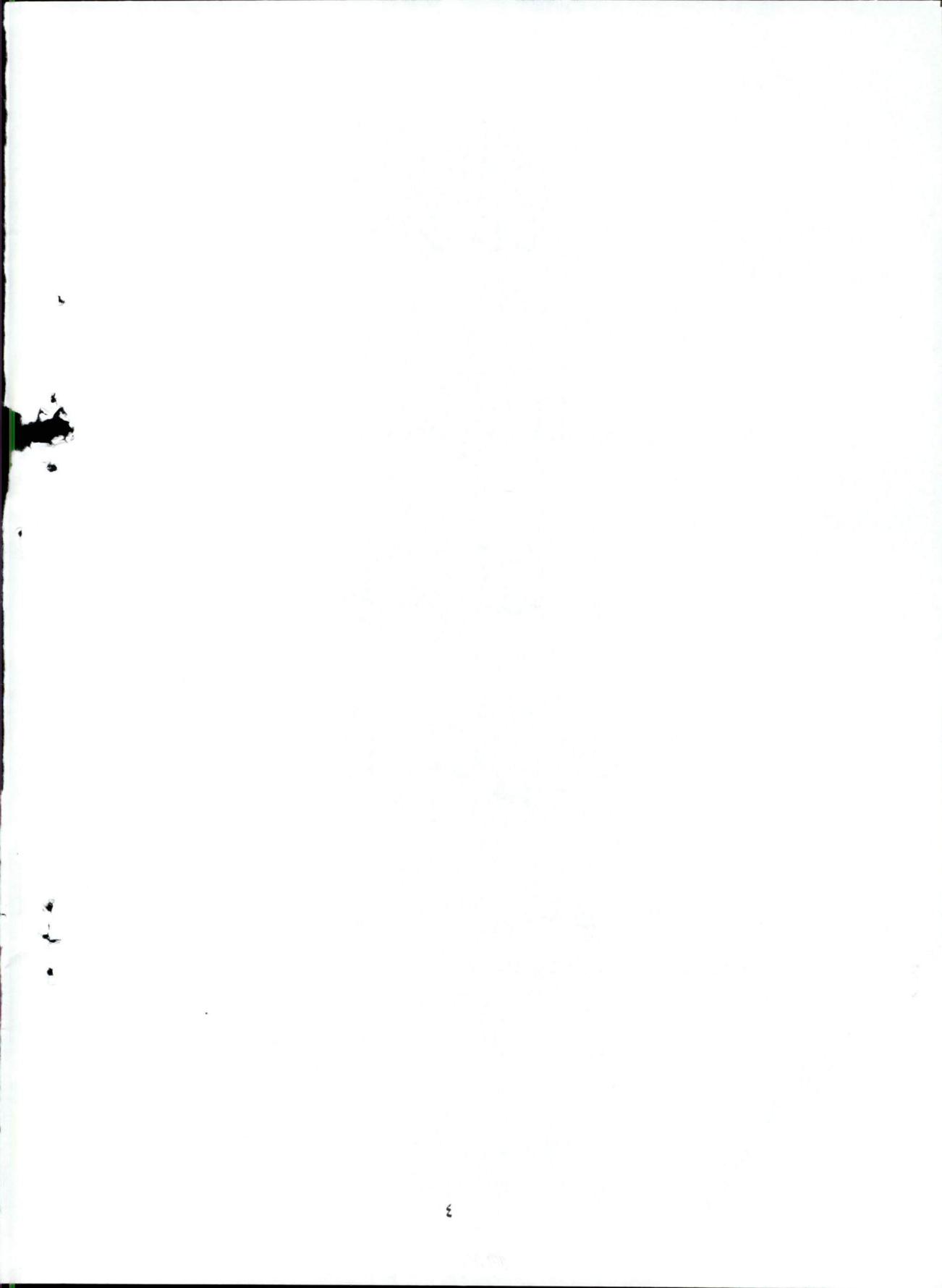
" وَإِنْ جَنَحُوا لِلسلْمِ

فَاجْنَحْ لَهَا

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ "

صدق الله العظيم

سورة الأنفال / الآية ٦٢



شكراً وتقدير:

الحمد لله رب العالمين، والشكر لجلاله سبحانه وتعالى الذي قدرنا وأعانتنا على إتمام هذا الجهد العلمي، والصلة والتسليم على أفضل خلقه رسولنا الكريم المصطفى المختار محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى الله وصحبه الكرام أجمعين.

وبعد ...

لمن دواعي سروري، واعترافاً بالجميل ما يدعوني إلى أن أسجل شكري وتقديري إلى كل الذين أسهموا في أغناء هذا الجهد العلمي، وقدموا يد العون في إتمام هذا الجهد، وأخص بالذكر :

- زميلي وأخي الأستاذ الدكتور أحمد نوري التعميمي على ملاحظاته العلمية الرصينة، وتجيئاته التي ترسم خطها الجادة في طريق العلم، فضلاً عن مصادره التي أغنى بها هذا الجهد، فجزاه الله خيراً.
- وإلى الدكتور قحطان أحمد سليمان، والدكتور عبد الحميد العيد الموساوي لما قدماه من جهد تمثل في توفير المصادر العلمية الحديثة التي أسهمت في ترسيخ هذا الجهد، وتوفير المعلومة الحديثة، فوفقهما الله.
- وإلى الدكتور لؤي شهاب محمود لتجشمه عناء المراجعة اللغوية وتقويمه، فله مني جزيل الشكر .



اداع

إلى:

زوجتی

ولدی

أَبْنَتِي

A

ظهرت الحاجة إلى تدريس مادة (تاريخ العلاقات الدولية) في الصف الأول من أجل إيجاد إطار تطبيقي، ومدخل تمهيدي لمادة (العلاقات الدولية) التي تدرس في الصف الثاني، إذ أن التركيز في الجانب التطبيقي يسهم، بل يساعد الطلبة على استيعاب الإطار المفاهيمي والنظري ليس لمادة العلاقات الدولية فقط، بل ل مختلف مواد الدراسات الدولية أيضاً، وهكذا تكون مادة تاريخ العلاقات الدولية بمثابة الدور المكمل لتدريس هذه المواد.

إن أهمية هذه المادة تدرج في دراسة الأحداث الدولية، والتركيز في أهم مفاصلها، وتحديد التواريХ المهمة فيها، ولم يفوتنا الإشارة إلى المعاهدات الدولية، والأحداث التاريخية المهمة التي كانت أساساً تطور هذه العلاقات، فضلاً عن التعرف إلى أسباب تطورها، والتوصل إلى النتائج التي تمخضت عنها، ولاسيما عند دراستنا للحربين العالميتين الأولى والثانية.

لقد انطوت بداية هذه المادة على دراسة العلاقات الدولية في الإسلام مفهوماً وتطوراً، وخلال مختلف مراحل تطور الدولة الإسلامية. وعلى الرغم من أن (تاريخ العلاقات الدولية) يعود إلى المراحل المبكرة لنشأة الدول، إلا أنها ارتأينا دراسة بداية تطوهاً من نشوء الدولة القومية، إذ يعد ذلك بمثابة التاريخ الرسمي لنشوء العلاقات الدولية الحديثة، وبما أن محمل العلاقات الدولية في تلك المرحلة وما بعدها أنصب على دراسة التفاعلات السياسية الدولية بين الدول الأوروبية، فقد تم التركيز في العلاقات بين الدول الأوروبية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فضلاً عن المراحل التي سبقتها من تاريخ نشوء الدولة القومية.

وبدون شك عاشت العلاقات الدولية تطورات حادة وحاسمة في النصف الثاني من القرن العشرين، كان أبرزها انقسام العالم إلى معتنقيين متصارعين، المعسكر الشرقي أو الاشتراكي بزعامة (الاتحاد السوفيتي) سابقاً، والمعسكر الغربي أو الرأسمالي بزعامة (الولايات المتحدة الأمريكية).

إن اندلاع الحرب الباردة بين هذين المعسكرين كان يُعد من أبرز سمات مرحلة النصف الثاني من القرن العشرين، وهي مرحلة حافلة بالأحداث الدولية، وذلك لبروز تطورات سياسية دولية انطوت على حدوث أزمات خطيرة كادت أن تؤدي بالعالم إلى اندلاع حرب عالمية ثالثة، وابرز ما حدث بشكل لاحق هو قيام الوفاق الدولي بين المعسكرين، إذ أتسمت سياساتها بالتعاون رغم حالة الصراع التي كانت تكتنفها مدة لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما تعرض إلى انتكasse، ثم جاءت مرحلة التعاون الأمريكي - السوفيتي في عهد الرئيس السوفيتي (غورباتشوف) بعد بروز مفهوم "البيريسترويكا" ، على الرغم، إن هذا التعاون يرجع أساساً إلى (الوفاق الدولي) بعد العام ١٩٦٤ ، وكان رائد هذا الوفاق تقرير هرمل الذي تقدم به إلى الأمانة العامة لحلف شمال الأطلسي والتي كانت مليئة بالأحداث والمفاجئات التي أدت بال نهاية إلى انهيار الاتحاد السوفيتي.

كما انطوت دراستنا على دراسة العلاقات الدولية للعالم الثالث، وموافق الدول الكبرى منها، إذ تم التركيز في دراسة العلاقات الدولية في إفريقيا وآسيا، والوطن العربي، لما أصبح لهذه الدول النامية والناشرة حديثاً من دور وآثار في العلاقات الدولية في مدة ما بعد الاستقلال، والتي أتسمت بالبناء، وما تبنته من سياسيات خارجية كان لها تأثير في النظام الدولي ثنائي القطبية، ومن ذلك نشأة وتطور حركة (عدم الانحياز). نرجو أن تسهم هذه الدراسة في تشكيل إضافة، وتطوير لدراسات قام بها أساتذة عرب في هذا المضمار.

ومن الله التوفيق

الفهرس

<p><u>٥٠-١٣</u></p> <p>٢١-١٥</p> <p>٢٧-٢٢</p> <p>٣٢-٢٨</p> <p>٣٦-٣٣</p> <p>٤٣-٣٧</p> <p><u>٥٠-٤٤</u></p> <p>٧٤-٥١</p> <p><u>٥٨-٥٣</u></p> <p>٦٣-٥٩</p> <p>٦٨-٦٤</p> <p>٧٤-٦٩</p> <p><u>٩٨-٧٥</u></p> <p>٨٣-٧٧</p> <p>٩٠-٨٤</p> <p>٩٨-٩١</p> <p><u>١١٤-٩٩</u></p> <p>١٠٤-١٠١</p> <p>١١٠-١٠٥</p> <p>١١٤-١١١</p> <p><u>١٥٢-١١٥</u></p> <p>١٢٢-١١٧</p> <p>١٢٨-١٢٣</p> <p>١٣٤-١٢٩</p> <p>١٤٠-١٣٥</p> <p>١٥٢-١٤١</p>	<p><u>الفصل الأول:</u></p> <ul style="list-style-type: none"> • المبحث الأول: • المبحث الثاني: • المبحث الثالث: • المبحث الرابع: • المبحث الخامس: • المبحث السادس: <p><u>الفصل الثاني:</u></p> <ul style="list-style-type: none"> • المبحث الأول: • المبحث الثاني: • المبحث الثالث: • المبحث الرابع: <p><u>الفصل الثالث:</u></p> <ul style="list-style-type: none"> • المبحث الأول: • المبحث الثاني: • المبحث الثالث: <p><u>الفصل الرابع:</u></p> <ul style="list-style-type: none"> • المبحث الأول: • المبحث الثاني: • المبحث الثالث: <p><u>الفصل الخامس:</u></p> <ul style="list-style-type: none"> • المبحث الأول: • المبحث الثاني: • المبحث الثالث: • المبحث الرابع: • المبحث الخامس:
----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

الفصل السادس:

- المبحث الأول:
- المبحث الثاني:
- المبحث الثالث:

الفصل السابع:

- المبحث الأول:
- المبحث الثاني:
- المبحث الثالث:

الفصل الثامن:

- المبحث الأول:
- المبحث الثاني:
- المبحث الثالث:
- المبحث الرابع:

الفصل التاسع:

- المبحث الأول:
- المبحث الثاني:
- المبحث الثالث:

الفصل العاشر:

- المبحث الأول:
- المبحث الثاني:
- المبحث الثالث:
- المبحث الرابع:
- المبحث الخامس:

الفصل الحادي عشر:

- المبحث الأول:
- المبحث الثاني:
- المبحث الثالث:
- المبحث الرابع:

المصادر:

الفصل الأول: العلاقات الدولية في الإسلام.

المبحث الأول:

أسس العلاقات الدولية في الإسلام.

المبحث الثاني:

العلاقات الدولية في عهد الرسول. (صلى الله عليه وسلم)

المبحث الثالث:

العلاقات الدولية في عهد الخلفاء الراشدين.

المبحث الرابع:

العلاقات الدولية في عهد الدولة الأموية.

المبحث الخامس:

العلاقات الدولية في عهد الدولة العباسية

المبحث السادس:

العلاقات الدولية في عهد الدولة الإسلامية في الأندلس.

الفصل الأول

العلاقات الدولية في الإسلام

المبحث الأول

أسس العلاقات الدولية في الإسلام:

الأصل في العلاقات الدولية في الإسلام هو (السلم)، ودلالة ذلك في قوله تعالى "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلِيمِ فَأْجِنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ" ^١، ومعنى الآية (الميل نحو المصالحة، وهي طلب السلام من الحرب فسالم لهم، وأقبل ذلك منهم). إن هذه الآية تدل على مشروعية المعاهدة كلما أقتضى الموقف عقدها. فقد هادن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يهود المدينة حينما أقتضى الموقف السياسي ذلك، ثم عقد (ص) صلح الحديبية حينما أقتضى الموقف عقده ^٢.

فالأصل في العلاقات الدولية في الإسلام هو السلم حتى يكون الاعتداء على الدولة الإسلامية فعلاً، أو بفتنة المسلمين عن دينهم، فالحرب حينئذ تكون ضرورة أوجها قانون الدفاع عن النفس، والعقيدة، والحرية الدينية^٣، ولكن الأصل في العلاقات الدولية هو السلم، دعا القرآن الكريم إلى السلم عامة بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَمِ كَافَةً وَلَا تَتَّبِعُوا خَطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُّبِينٌ"^٤، وقوله تعالى "فَإِنِ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ الْسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا"^٥.

وَإِنَّ النَّبِيَّ (ص) يَدْعُوا الْمُشْرِكِينَ بِدُعَائِهِ اللَّهُ تَعَالَى، وَيُبَثِّهُمْ بِرِسَالَتِهِ الَّتِي نَزَّلَتْ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، فَكَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ فِي الْعِبَادَةِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْفَضَّالَاتِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الرِّذَالِ، وَعَدَ (السَّلَامُ) شَعَارَهُ اسْتِنَادًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ الْسَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا بِتَبَغْنَ أَعْرَاضَ الْحَيَاةِ الْأَلْدَيَا فَعَنْدَ اللَّهِ مَعَانِمُ كَثِيرَةٌ" ٦ .

٦٢ - سورة الأنفال، الآية ١

- د. خالد رشيد الجميلي، "أحكام الأخلاق والمعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون"، الجزء الأول من التشريع السياسي الإسلامي، المقارن، بغداد، ٢٠١٣.

- د. محمد أبو زهرة، "العلاقات الدولية في الإسلام، دار الكتاب الحبيب للطباعة والتوزيع، بيلا، ص ٨٤، ١٩٨٧، ص ٩٠.

- سورة النور، الآية ٢٨ .

- سورة النساء، الآية ٩٠

٩٤ - سورة النساء، الآية

إنَّ (الإِسْلَام)، وَانْ حَضَّ عَلَى (الْجَهَاد)، فَقَدْ دَعَا كَذَلِكَ إِلَى نُشُرِّ عِقِيدَتِهِ بِالطَّرِيقِ الْوَدِيَّةِ السُّلْمَيَّةِ اِنْطَلَاقَ: مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى "أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَخْسَنُ" ^١، وَلَمْ يَكُنْ (الْجَهَاد) أَوِ الْحَرْبُ الدَّائِمَةُ بِمَثَابَةِ الْعَلَاقَةِ الطَّبِيعِيَّةِ أَوِ الْوَحِيدِيَّةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا فَضْلًا عَنْ أَنَّ (الْجَهَاد) مُشْرُوطٌ بِقَصْدِ حِمَايَةِ الدِّعَوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَالْدِفَاعِ عَنِ النَّفْسِ، وَفِيمَا عَدَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ هَنَاكَ مُفْرَّ منْ أَنْ تَسْعَى الدُّولَةُ الإِسْلَامِيَّةُ لِإِقَامَةِ عَلَاقَاتٍ وَدِيَّةً بِالْوَسَائِلِ الدِّبلُومَاسِيَّةِ مَعَ الْأَمْمِ وَالشَّعُوبِ الْمُخِيطَةِ بِهَا.

إِنَّ فَرِيْضَةَ (الْجَهَاد)، وَالْحَضُّ عَلَى الْقَتَالِ قَدْ شَرَعَتْ لِلْحَرْبِ الْمُشْرُوْعَةِ الَّتِي حَدَّدَتْ مَقَاصِدَهَا بِدُفْعِ الظُّلْمِ، وَمَنْعِ الْفَتْنَةِ فِي الدِّينِ، وَكَفَالَةِ حُرْيَةِ الْعِقِيدَةِ وَالْمُوْطَنِ لِلنَّاسِ، وَقَدْ احْتَاجَتِ الدُّولَةُ الإِسْلَامِيَّةُ إِلَى السَّيفِ فِي مَقَارِعَةِ الْأَمْمِ الْمُخِيطَةِ بِهَا كَلَمَا اقْتَضَتْ ذَلِكَ أَحْوَالُ الدِّعَوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَإِذَا مَا احْتَاجَتِ الدُّولَةُ الإِسْلَامِيَّةُ إِلَى الْاِسْتِقْرَارِ أَوْ شَيْءٍ مِّنْ الْهَدْوَةِ لِتَوَاجِهِ أَحْوَالًا دَاخِلِيَّةً أَوْ حَرَوْبًا أَهْلِيَّةً، رَغْبَتْ فِي إِقَامَةِ عَلَاقَاتٍ وَدِيَّةً مَعَ أَعْدَائِهَا، أَوْ اتَّصَّلَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمُ السُّفَارَاتُ الدِّبلُومَاسِيَّةُ، وَدَخَلَتْ مَعَهُمُ فِي عَلَاقَاتٍ عَهْدِيهِ ^٢.

لَقَدْ قَسَمَ الْفَقَهَاءُ أَسَاسَ (الْعَلَاقَاتِ الدُّولَيَّةِ) فِي الْإِسْلَامِ إِلَى (دارِ الْإِسْلَامِ، وَدارِ الْحَرْبِ)، وَسَنَفْصُلُ الْحَدِيثَ عَنْهُمَا:

١. دَارُ الْإِسْلَامِ: هِيَ الدُّولَةُ الَّتِي تَحْكُمُ بِسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَكُونُ الْمُنْعَةُ وَالْقُوَّةُ فِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَهَذِهِ الدَّارُ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَامُ بِالْذِنْوَدِ عَنْهَا، وَالْجَهَادُ فَرْضٌ كَفَائِيَّةٌ إِذَا لَمْ يَدْخُلِ الْعَدُوُّ الْدِيَارَ، فَإِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ الْدِيَارَ كَانَ (الْجَهَادُ فَرْضٌ عَيْنٌ)، فَعَلَيْهِمْ جَمِيعًا مَقَارِعَتَهُ مَا أَمْكَنُتُهُمُ الْفَرْصَةُ، وَاسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ^٣، وَدارُ الْإِسْلَامِ: هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي تَظَهُرُ فِيهَا إِحْكَامُ الْإِسْلَامِ ^٤، وَهِيَ الدُّولَةُ الَّتِي يَعْبُرُ عَنْهَا الْفَقَهَاءُ بِـ (دارِ الْإِسْلَامِ)، وَالَّتِي تَضُمُّ جَمِيعَ الْبَلَادِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ جَمِيعُ الْبَلَادِ الَّتِي يَحْكُمُهَا مُسْلِمُونَ، وَيَطْبَقُونَ فِيهَا الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَلَمْ يَشْتَرِطُ الْفَقَهَاءُ لِعَدَّ دَارَ أَسْلَامٍ، إِلَّا أَنْ يَتَمَّ حَكْمُهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَطْبِيقُ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ فِيهَا، فَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ (دارِ الْإِسْلَامِ) أَنْ

^١ - سُورَةُ النَّحْلِ، الآيَةُ ١٢٥.

² - دِبْرَعُ الدِّينِ فَوْدَهُ، "النَّظَمُ الدِّبلُومَاسِيَّةُ" ، ط٢، الْقَاهِرَةُ، مَكْتَبَةُ الْآدَابِ، ١٩٨٩، ص١١٨.

³ - دِمَحْمُودُ أَبْوَ زَهْرَةَ، مَصْدَرُ سَبِيلِ ذِكْرِهِ، ص٥٣.

⁴ - دِخَالُدُ رَشِيدُ الْجَمِيلِيِّ، مَصْدَرُ سَبِيلِ ذِكْرِهِ، ص٢٢.

يكون أهلها أو أكثرهم مسلمين، ويجوز أن تكون (دار إسلام) حق ولم يكن فيها مواطن مسلم ما دام حاكمها مسلم، ويطبق أحكام الإسلام^١. إن الأرض التي يطبق سكانها الشّرع الإسلامي تُعد أرضاً إسلامية أو (دار إسلام)، ويرى البعض بأن أي إقليم يرضى سكانه (بالإسلام) دون قيود تسود السلطة الإسلامية الذميين فيه، فهو (دار إسلام)، ويشترط آخرون لـإدخال الإقليم الإسلامي في (دار الإسلام): أن يكون في وسع المؤمن تأدية فروضه الدينية بحرية، ومن الشواهد على ذلك: (إقامة صلاة الجمعة، وصلوة العيدين في الإقليم)^٢.

٢. دار الحرب: هي الدار التي لا يكون فيها السلطان والمنعه للحاكم المسلم، ولا يكون عهد بينهم وبين المسلمين يرتبط به المسلمين ويقيدهم، فالعبرة عند أصحاب هذا الرأي إلى المنعه والسلطان، فما دامت الدار خارجة عن منعه المسلمين من غير عهد، فهي (دار حرب) يتوقع الاعتداء منها دائماً، والله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بأن يأخذوا الحذر دائماً، ويكونوا على أهبة الاستعداد للقتال لدفع الاعتداء، وهناك رأي آخر لبعض الفقهاء، وهو: أن كون السلطان والمنعه لغير المسلمين لا يجعل الدار (دار حرب)، بل لابد من تحقق شروط ثلاثة لتصبح الدار (دار حرب)، وهي:

الشرط الأول: ألا تكون المنعه والسلطان للحاكم المسلم.

الشرط الثاني: أن يكون الإقليم متاخماً للديار الإسلامية بحيث يتوقع منه الاعتداء على (دار الإسلام)، ويترتب على هذا الشرط أن تكون الصحراء المتاخمة للبلاد الإسلامية ليست (دار حرب) ما لم تكن ممتدة على المسلمين بقوة أخرى لا يمكن للحاكم المسلم أن يفرض سلطان الإسلام عليها، وكذلك البحار الخجالة التي تتصل بـ(الدار الإسلامية) لا تُعد في قبضة غير المسلمين ما لم تكن ممتدة للحاكم المسلم.

الشرط الثالث: ألا يبقى المسلم أو الذمي، أي غير المسلم الذي يُعد من الدعوية الإسلامية) مقيماً في هذه الديار بالأمان الإسلامي الأول الذي مكن رعاية المسلمين في الإقامة فيها، وبتطبيق هذا الشرط تكون البلاد التي استولى عليها المسلمين، وأمنوا أهلها، ثم اضطروا إلى الجلاء عنها تحت تأثير حرب أو عامل آخر ليست (دار حرب).

^١ - د. عبد الكريم زيدان، "الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الثالث، ١٩٧٠، دار النشر بغداد، ص ١٠٩.

^٢ - د. مجید خدوری، "العرب والسلم في شرعة الإسلام"، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٣، ص ٢١٠.

إذ كان الذين سيطروا عليها ابقو المسلمين، ورعايا الدولة الإسلامية مقيمين فيها بمقتضى الأمان الأول، وذلك بلا ريب لا يكون إلا إذا سالت هذه الدولة المسلمين، وكان معهم سلام لا تعكره حرب، وإذا ما نقضوا الأمان، وحاربوا المسلمين، فإن الدار (دار الحرب) ولو أعطوا أولئك أماناً جديداً^١.

ولا شك أن هذا الرأي هو الذي يتفق أن الأصل في العلاقات الدولية في الإسلام هو (السلم)، لأنه لم يُعد الدار (دار حرب)، إلا إذا كان الاعتداء بالفعل، بزوال أمان المسلمين أو بتوقع الاعتداء المتاحمة، إذ إن المتاحمة من غير عهد ملزم أو من غير ميثاق يحرم اعتداء - يجعل الحرب متوقعة في كل وقت . ولكن اشتراط المتاحمة لتوقع الاعتداء أصبح غير ذي موضوع، لأن ابن الأرض أخذ يتحكم في الأجواء، بل يتحكم في الفضاء، ولم يُعد القتال يحتاج إلى المتاحمة، بل أن القنابل الفتاكية تصل من أقصى الأرض إلى أقصاها، ولذلك فإن هذا الشرط لا موضع له الآن^٢.

٣. دار العهد: إن (دار العهد) حقيقة اقتضاها الغرض العلمي، وحقها الواقع، فقد كان هناك قبائل ودول لا تخضع خضوعاً تاماً للمسلمين، وليس للمسلمين فيها حكم، ولكن لها عهد محترم، وسيادة في أرضها، ولم تكن تامة في بعض الأحوال، فأهل هذه البلاد يعقدون صلحًا مع الحاكم الإسلامي على شروط تشرط من الفريقين، ومن الشروط تختلف قوتها وضعفها، وعلى مقدار حاجتها إلى مناصرة الدولة الإسلامية، ومن هذه القبائل ما كان الصلح فيها على أساس جعل من المال يدفعه أهلها نظير حماية المسلمين لهم، والذود عنهم، كما حصل في صلح النبي (صلى الله عليه وسلم) مع نصارى (نجران)، فقد أمنهم النبي (صلى الله عليه وسلم) على أنفسهم وأحوالهم من أي اعتداء عليهم، سواء أكان من المسلمين أم من غيرهم، وكذلك فعل الصحابي (أبو عبيدة عامر بن الجراح) مع أهالي (حصن)، فقد أمنهم، وتعهد بأن يدفع عنهم (الروماني) في نظير مال دفعوه إليه، وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، عقد (عبد الله بن سعد بن أبي السرح) صلحًا مع أهل (النوبة) كان أساسه تأمينهم على أنفسهم، ورعاية استقلالهم، ومبادلة التجارة معهم، ولم يأخذ فريضة مالية يؤدونها، ونرى من هذا إن هذا النوع من العهد مع القبائل أو الدول لا يمكن أن يُعد (دار حرب)، ولا (دار إسلام)، ولكن يُعد (دار موادعة) أو (دار

¹ - د. محمد أبو زهرة، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤.

² - المصدر نفسه، ص ٥٥-٥٤.

عهد)، وقد قال بعض الفقهاء أن هذه الديار تدخل في عموم (دار الإسلام)، لأن المسلمين لم يعقدوا هذه العهود، إلاً وهم أهل المتعة والقوة^١.

وكان من نتائج تغدر إنشاء دولة إسلامية في العالم كله، إن انقسم العالم إلى عالم الإسلام، وعالم الحرب، وهذا الانقسام في رأي الشرع الإسلامي، كما ذكر آنفاً، ليس سوى انقسام مؤقت، إلا أنه في الواقع أستمر طوال التاريخ الإسلامي، ولم تكن العلاقات بين هذين العالمين علاقات سلم، بل كان كل منها في حرب مع الآخر، غير أن حالة الحرب لم تكن تعني اقتتالاً حقاً، بل كانت مرادفة للمصطلح الغربي القانوني (عدم اعتراف)، أي عجز عالم الحرب عن الاحتفاظ بكيان شرعي على وفق الشريعة الإسلامية، لأنَّه عالم يفتقر إلى الشرط العقدي الجوهرى، أي الإيمان الصحيح، وعدم الاعتراف لا يعني، كما هو الحال في قانون الدول الحديث استحالة الدخول في مفاوضات، وعقد المعاهدات، ولا يتحتم عليها أن تكون لها صفة الديومة، وإن قانون (السلام)، شأنه شأن (الجهاد)، لم يكن نظرياً، سوى أنه جهاز مؤقت ينظم علاقات المسلمين بالعالم الخارجي خلال مراحل توقف القتال، أي عندما يكون (الجهاد) معلقاً إلى أن تشمل (دار الإسلام) العالم كله، كما أن علاقات السلام بين (دار الإسلام) و(دار الحرب)، والتي كانت ترتكز في الغالب على أساس من الاحترام المتبادل، والمصالح المتبادلة، لم تكن تتطوّي على فكرة المساواة بين الدارين، ذلك لأنَّ (دار الحرب) لا تستطيع أن يكون لها وضع طبيعي أو دائم ما لم يعتنق سكانها الإسلام أو يقبلوا بوضع أهل الديانات المعترف بها^٢.

على أن هناك وجهة نظر ترى بأن العلاقة بين (دار الإسلام) و(دار الحرب)، تقوم على (الحرب)، انطلاقاً من أن الدولة الإسلامية تعترف اعترافاً واقعياً لا شرعاً بـ(الدولة غير الإسلامية)، على أساس وجودها المادي المحسوس، لأنَّ ما هو محسوس لا يمكن إنكاره، ويتحقق هذا الوجود المادي بالقوة والمعنة، أي بالقدرة الفعلية للدولة على بسط سلطتها على إقليمها، ورعاياها، وعلى أساس هذا الاعتراف الواقعي تعقد الدولة الإسلامية معها المعاهدات، وما يتربّع عليها من التزامات أو حل مشكلات معلقة أو تنظيم أمور تجارية فيما بينها، وعلى أساس هذا الاعتراف تسمح لرعاياها بالدخول إلى إقليم الدولة الإسلامية بالأمان، وما يتربّع عليه من أحکام، وحقوق، وواجبات بالنسبة

¹ - د.مجيد خدورى، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٦-١٩٧.

² - المصدر نفسه، ص ١٩٦-١٩٧.

للمستأمن، و(دار الإسلام)، وعلى أساس هذا الاعتراف الواقعي تعترف (الدولة الإسلامية) بسلطانها على إفرادها داخل إقليمها، وبتمثيلها لهم .

أما من ناحية (الاعتراف الشرعي)، فإن! الدولة الإسلامية لا تعترف اعترافاً شرعياً بوجود الدول غير الإسلامية، ويرجع ذلك إلى إن الدولة غير الإسلامية لا تقوم على أساس (الإسلام)، ولا تتحذ أهدافه أهدافاً لها، ولا شريعته قانوناً لها، ومن ثم، فهي في نظر الشريعة الإسلامية كيان باطل، ولا يمكن الاعتراف بها من الناحية الشرعية، لأن شرعية الشيء وأحقيته تستمدان من مفاهيم الشريعة وأحكامها، إذ أن الشريعة الإسلامية تُعد ما لا يقوم على أساس معانيها باطلًا قطعاً. وتأسيساً على هذا، فإن هذه الكيانات - الدول غير الإسلامية - التي تقوم على غير الإسلام، وترفض أحكامه تعدّها الدولة الإسلامية كيانات باطلة، ولا تستحق البقاء، ويجب بناء الدولة من جديد على الإسلام لأن يكون حكامها مسلمين، ويكون قانونها هو القانون الإسلامي، أي الشريعة الإسلامية، ويتم ذلك عن اختيار بأن تعتنق الإسلام وتطبق قانونه الإسلامي، فضلاً عن التزامها بدفع الجزية^١ .

ولكن علاقات الدول الإسلامية اليوم تقوم مع الدول غير الإسلامية على أساس الاعتراف الواقعي، إذ تقرن الدول مع بعضها البعض، ويتم التبادل الدبلوماسي، والعلاقات السياسية، والاقتصادية، والثقافية، إذ أن الأصل في العلاقات (السلم)، كما في قوله تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"٢، وقوله تعالى في بيان العلاقة بين الدولة الإسلامية، وبين المعاهددين الذين لم يقاتلوا المسلمين، ولم يحتلوا جزءاً من دارهم: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيْرِكُمْ إِنْ تَبْرُوْهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قُتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيْرِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلُّهُمْ وَمَنْ يَتَوَلُهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"٣، وقد ظهر ذلك بشكل واضح من إقرار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سوابق لا تخصى في دفع الجزية، ومنح الأمان، مثل عهده إلى أهل (نجران)، وفيه (نجران) وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد رسول الله على أمواهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثيرٍ٤، وكذلك من علاقات للدولة العباسية، والدولة الأموية بالأندلس بـ (الدولة المسيحية) كما سنرى فيما بعد .

^١ - د. عبد الكريم زيدان، مصدر سبق ذكره، ص ١١١-١١٣ .

² - سورة البقرة، الآية ٢٥٦ .

³ - سورة الممتحنة، الآياتان / ٨-٩ .

⁴ - د. عبد الكريم زيدان، مصدر سبق ذكره، ص ١١٥ .

ومن العدل الذي أمر به الإسلام أيضا العدل لأهل النعمة، إذ إن كفالتهم واجبة على الدولة، مثل المسلمين سواء بسواء، ثم أفهم متساولون مع المسيحيين في الحقوق، وان تحمل الأولون أكثر منهم في الواجبات، وحرrietهم في العبادة مكفولة، وكذلك العقيدة، فلا أكره في الدين، ولم يكن قبل الإسلام دين، ولا قانون أقر مبدأ تسامح كهذا، إلى هذا الحد، ولم تعترف أوروبا بالتسامح الديني إلا قبل قرن ونصف من الزمن . وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " من ظلم معاهاً أو كلفه فوق طاقته، أو أنتقص، أو أخذ منه شيئاً، بغير طيب نفسه، فأنا حجيجه يوم القيمة "، و(الإمام) في الإسلام لا يكون عادلاً حتى يكون عماله ونوابه عادلين، لأنه مسئول عنهم، فلا يجوز لهم، ولا له أن يعتدوا على حريات الناس أو يؤذوهم ^١.

وكذلك أوصى الإسلام بمعاملة الأسرى بالحسنى، فقد كان للمسلمين موقفاً إنسانياً مشروفاً بفضل تعليمات الإسلام السمحنة التي حفظت الكراهة الإنسانية في الإسلام فقد حفظتها وحافظت عليها في زمن الحرب أيضا، فلم تقدر في ظلها آدميتهم كما أهدرت في ظل الدول الأخرى، بل لم يعرف التاريخ محارباً كان رفيقاً بالأسرى غير الإسلام ^٢، إذ وضعت قواعد إنسانية في معاملتهم، قال الله تعالى: " فإذا لقيتمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرِبُ الرِّقَابَ حَتَّى إِذَا اثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَا بَعْدُ وَإِمَّا فَدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا" ^٣، فقد نص في هذه الآية على أمررين لا ثالث لهما، هما أمن، بأن يطلق سراحهم دون مقابل، والفاء بأن يعطوا عوضاً عن ذلك مالاً كان أو غيره، ولم يذكر في القرآن الكريم غيرهما كالقتل أو الاسترقاق، هذا إلى جانب حد القرآن الكريم المؤمنين على إكرام الأسير، إذ جعل من أخص صفات المؤمن، وواكب القراءات التي يتقرب بها إلى الله تعالى، إطعام الأسير ويتجلّ ذلك في قوله تعالى: " وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا " ^٤.

^١ - د.محمد ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، ط ٦ ، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٣٢-٣٣١، وكذلك انظر القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم، كتاب الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، ص ١٢٤-١٢٥.

^٢ - د.محى هلال السرحان، الأسير في التاريخ، وكذلك رشدي عليان، اسرى الحرب في الإسلام، انظر مجلة الرسالة الإسلامية، (اسرى الحرب في الإسلام والقانون الدولي)، ندوة خاصة في كتاب أصدرته وزارة الاوقاف والشئون الدينية، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٢-١٣ وص ٤١-٤٢.

^٣ - سورة حمد، الآية (٤).
^٤ - سورة الإنسان، الآية (٨).

المبحث الثاني

العلاقات الدولية في عهد الرسول (ص)

إن أهم ما يُشار إلى العلاقات بين المسلمين والمشركين في خلال هذه المرحلة هو عقد الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (صلح الحديبية) في السنة السادسة للهجرة، حينما عزم على الخروج إلى مكة لغرض الطواف بالبيت العتيق. فقد خرج المسلمين بسلاح المسافر، أي السيوف في الأغماد لا يقصدون حرباً، فلما سمعت قريش ثارت ثائرتها، وقررت فيما بينها أن لا يدخلها عليهم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عنوة أبداً، وكان الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قد أوفد رسلاً إلى القبائل من غير المسلمين يدعوهم للاشتراك في الخروج إلى الكعبة لزيارتها وتعظيمها، ولا للقتال حتى تعلم العرب أنه خرج في الشهر الحرام زائراً، لا غازياً، فلما أصرت قريش على مقاتلته في الشهور الحرام، ومنعه من أداء ما يؤمّن به العرب جيئاً لم يكن هناك من يؤيدوها في موقفها هذا، ولا من يعينها على قتال المسلمين، فتبقي وحدها ما لم يعاونها حلفاؤها من القبائل الأخرى، وبعد أن أيقنت قريش بعد عدة رسائل أنَّ مُحَمَّداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ينوي زيارة البيت الحرام، وبعد إرسال عدة وفود من قبل الطرفين أقسمت قريش ألا يدخل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مكة هذا العام، وإنما في العام المُقبل، وقد تم عقد معاهدة بين المسلمين والمشركين سُمي (بصلح الحديبية)، وأهم بنود الصلح :-

١. اعتراف قريش بال المسلمين طرفاً متساوياً.
٢. فتح المجال للرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لعقد تحالفات مع القبائل التي لم تكن تطمئن خالفة قوّة قريش لوجود الكعبة بمكة، وخير دلالة على ذلك إعلان (خزاعة) حلفها للرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعد هذا الصلح مباشرة.
٣. تيسير الوقت للMuslimين لنشر دعوّتهم بأمان.
٤. السماح للMuslimين بزيارة البيت بعد عام، والبقاء بمكة ثلاثة أيام.
٥. تكون مدة الصلح عشرة أعوام^٢.
- لقد انطوى (صلح الحديبية) على دلالة دبلوماسية واضحة، فقد حَمَلَ في طياته اعتراضاً ضمنياً من المشركين بالدولة الناشئة للإسلام، وهو اعتراف غير مسبوق به من

^١ - حسن خطاب الوكيل، المعاهدات والمحالفات على عهد محمد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٩٣٠، ص ١٥-١٦.

^٢ - محمود شيت خطاب، "الرسول القائد"، منشورات مكتبة الحياة والنهضة، بغداد، ١٩٦٠، ص ١٧٧-١٨٥.

قريش بأنَّ مُحَمَّداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لم يكن ثائراً أو متمراً على حكمها، لأنَّ الصَّلح المُهادن لا يعقد بين الدولة والثائرين عليها، وإنما يُعقد بين هيتين لهما شخصية قائمة، وهذا أول نصر للدولة الإسلام من حيث كيافها السياسي، وقوامها الدولي^١.

وما كاد عهد الحديبية يرمي حتى حالفت (خزاعة) مُحَمَّداً، وحالفت بنو بكر قريشاً فربَّ المسلمون حليفاً قويَاً له أهمية خاصة لقرب دياره من قريش. لقد كانت (خزاعة) قليل قليلاً إلى المسلمين قبل ذلك اليوم، وكان الإسلام قد انتشر بين أفرادها، ولكنها لم تستطع أن تحالف المسلمين قبل هذه الهدنة، لأنَّ ذلك يهدد مصالحها الدينية لوجود (البيت الحرام) بمكة التي تسيطر عليها قريش، هذا فضلاً عن تهديد مصالحها الأخرى، والهدنة حرمت يهود (خيبر) من الأمل في معاونة قريش ضد أعداء المسلمين حين يأتي موعد حساب هؤلاء اليهود، والهدنة جعلت المنطقة الجنوبية (جنوب المدينة) أمينة بالنسبة للمسلمين، وكانت هذه المنطقة أخطر ما يهدد الدعوة، لأنَّ فيها قبائل قوية ذات حضارة وعقيدة، في حين كانت قبائل الشمال على حدود العراق والشام بدوية معنة في البداوة، فإذاً أمنت هذه الهدنة الاستقرار الذي جعل الإسلام ينتشر بسرعة فائقة وأمنت القوة والمنعة للمسلمين^٢.

وقد وفر (صلح الحديبية) للمسلمين فرصاً ثمينة، فعندما حصل الاتفاق اختلط أهل مكة بال المسلمين، وجاءوا إلى المدينة، وجاء المسلمين إلى مكة، واتصلوا بأهلهم، وأصدقائهم، وغيرهم، وشاهدوا وسمعوا بصورة مباشرة عن النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ومعجزاته وإعلام نبوته، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وشاهدوا كثيراً من ذلك، فمالت أنفسهم إلى الإيمان حتى بادر البعض منهم إلى اعتناق الإسلام قبل فتح مكة، مثل خالد بن الوليد، وأزاد المشركون بالتوجه نحو الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم مما ساعد المسلمين عن نشر الإسلام في جزيرة العرب^٣.

والحق لم تتمكن اليهودية من اقتحام الوثنية في شبه جزيرة العرب، بل أنها ساعدت على بقائها، وعندما هاجر النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى المدينة كان عليه أن يجسم أمر العلاقة مع اليهود، فوادعهم على دينهم من أجل أن يتفرغ إلى ترتيب أوضاع المسلمين. وقد أثار النجاح الذي حققه الإسلام في المدينة حفيظة اليهود و كانوا أول من

^١ - محمد عبد القوي حسن، المعاهدات والمهادن في تاريخ العرب، القاهرة، الدار المصرية للتتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ص ٨-٧.

^٢ - محمود شيت خطاب، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٩-١٩٠.

^٣ - د. سهيل حسين الفتلاوي، دبلوماسية النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٤، ص ٢٦٢.

اصطدموا مع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، لأنهم أول من أغروا المنافقين بالتفاق، وبثوا الريبة والشكوك، وأيقظوا روح التمرد والكيد، وغذوا كل ما يعكر تقدم الإسلام وانتشاره، وكان لليهود الدور الكبير في غمَّةِ المنافقين، وقوفهم، والأذى البالغ، والكيد الشديد، وتخلفهم مع قريش. وقد كان ظن اليهود أن يجعلهم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) خارج نطاق دعوته معتبرين أنفسهم أهدي من أن تشملهم دعوة الإسلام وأمنع من أن يأمل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) دخولهم في دينه وانضوائهم تحت رايته، بل كانوا يرون إن من حقهم أن يتظروا انضمامه إليهم لا سيما عندما رأوه يعلن إيمانه بأنبيائهم وكتبهم بلسان القرآن، ويجعل ذلك جزأً لا يتجزأ من دعوته.

غير أن ظنهم خاب عندما رأوا أن النبي محمد (ص) يدعوهم بلسان القرآن الكريم بالدعوة الإسلامية، ويندد بهم بعدم إسراعهم إلى الاستجابة للدعوة لوقفهم منها موقف الانقضاض ثم موقف التعطيل والتناقض، فشعروا بالخطر الذي يحدق بمركزهم، وامتيازاتهم، ومصالحهم.^١

وكان يهود خير، وماجاورها يعملون على تحريض القبائل، وجمع الأحلاف ضد المسلمين، وقذف الإسلام بهم، وإيواء أعداء المسلمين، والغدر بهم كلما رأوا إلى ذلك سبيلاً. لقد كان اليهود موطن خطر يهدد المسلمين في الشمال، والهدنة حرمتهم من معاونة قريش، فاستمالوا (غطفان) لمعاونتهم عندما يتهددهم الخطر، ومن الأسباب غير المباشرة للقضاء على اليهود ^{هائياً} هو للتخلص من أعداء المدينة في المنطقة الشمالية، لتكون المنطقة أمينة عندما يحين موعد محااسبة قريش، وأستطيع المسلمون أن يفتحوا حصون البدو الواحد بعد الآخر حتى تم القضاء على اليهود عسكرياً في الجزيرة العربية. أما حصنا (الوضيحة، والسلام)، فكان آخر حصينتين منيعين لليهود، فطلبووا الصلح من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على أن يحقن المسلمين دمائهم، وقبلَ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بشرطهم، وأبقاهم على إن يكون لهم نصف ثرثراً مقابل عملهم في أرضهم، لأن موقف المسلمين لم يكن يساعد على الاستغناء عن بعض قواهم للقيام بزراعة الأرض.^٢

^١ - المصدر نفسه، ص ١٩٦ .
^٢ - المصدر نفسه، ص ١٩٨-٢٠٢.

وإذا كان صلح (خين) كسباً للدولة الإسلامية الجديدة من ناحية الحرب والسياسة، إلا أنه كان كسباً آخر لها من الناحية الاقتصادية، وهو صلح تدل مواجهه القليلة على فهم النبي (صلى الله عليه وسلم) لأحوال الزراعة والاقتصاد في عهده، وأموال الأيدي العاملة، وتوزيع العمل بينها، فقد أبقى لأهل خير أرضهم التي صارت إليه بحكم الفتح، على أن يعاملهم في الأحوال على النصف، أي أنهم يعملون في الأرض لما لهم من الخبرة بشئون الزراعة على أن يؤدوا للمسلمين نصف ثمارها، ويقيى النصف الآخر جزاء قيامهم بالعمل^١.

وكان نصارى نجران قد وفدو على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فحصل الوفد على أمان لهم على أن يبقوا على دينهم شرط أن يدفعوا ثانية ألف درهم جزية عنهم، وبعثت القبائل العربية من شرق الجزيرة العربية بوفودها، فجاء (الجارود بن بشر المعلى) في وفد عبد القيس، وخشي (الجارود) أن يكون الدين الجديد دون ما يدين به، فضمن الرسول له ذلك، وأخبره بأنَّ الإسلام خير ما يدين به، فأسلم (الجارود)، وأسلم من معه، وقال الرسول فيهم : "أتوني لا يسألون ما لا، وهم خير أهل المشرق "^٢.

وبعد أن استقر الوضع للمسلمين بعد صلح الحديبية أرسل رسول الله (ص) عدة سفارات إلى الملوك والحكام يدعوههم إلى الإسلام، إذ أن الله تعالى قد أرسله إلى الناس جميعاً، وكذلك دفع الكفر عن الأرض، فالمطلوب من المسلم دعوة أهل الشرك والكفر إلى الله تعالى، ودفع الهالك والعداب عن المسلمين، فأرسل رسلاً إلى (النجاشي)، ملك الحبشة، وقيسار ملك الروم، وكسرى ملك الفرس، والمقوقس عظيم مصر، وأمير بصرى، وأمير دمشق، وغيرهم^٣، وكانت غاية الرسول (صلى الله عليه وسلم) أشعار الملوك بأنَّ (الإسلام) هو دين رسالة، وليس هدفه تهديد الملك، وأزالته، بقدر ما يُمثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد أشعرت المذكرات الدبلوماسية الملوك بأهم باقون على ملتهم إذا ما اسلموا، وحكموا بحكم الإسلام، وكذلك أشعرت الدولة الإسلامية بأنَّ (الإسلام) دين حضارة ومعاصرة، ويستخدم (الوسائل الدبلوماسية)

¹ - محمد عبد الغني عبد الحسن، مصدر سبق ذكره، ص ٩-٨.

² - د. محمد ضيف الله البطاينة، بحوث في التاريخ الإسلامي، عمان، دار مجداوي، ١٩٨٣، ص ٦٩.

³ - محمود شيت خطاب، الرسول القائد، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٩-٢١٦، وكذلك انظر محمود شيت خطاب، السفارات النبوية، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٩، ص ٤٧-٤٦، ٧٧-٦٤، ص ٩٣-٩٠، ص ٣٢٣-٣٢٢، وكذلك انظر محمد حميد الله الحيدر أبيادي، "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة" ، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٦٥.

لمعالجة الأمور بين الدول . وقد تمكّن رسول الله (ص) بواسطة مبعوثيه استطلاع أحوال الدول التي أرسل إليها (المذكرات الدبلوماسية) ، وأصبح لديه العلم حول ما يحيط به . كما حققت (المذكرات الدبلوماسية) انتشار الدين الإسلامي بصورة واسعة ، ونقله إلى إرجاء متعددة وبعيدة عن مراكز الدولة الإسلامية في المدينة ، وهذا الانتشار لم تتحققه وسيلة أخرى ، وكان من نتائج نجاح (المذكرات الدبلوماسية) في مخاطبة الملوك والأمراء أن استمر تبادل (المذكرات الدبلوماسية) حتى بعد دخولهم الإسلام ، فأصبحت المذكرات الدبلوماسية الوسيلة المهمة في التوجيه ، ومعالجة الأمور ، وإن استخدام (المذكرات الدبلوماسية) لنشر الإسلام خارج المدينة أخذ يعني عالمية الإسلام ، إذ ليس (الإسلام) ديناً للعرب فقط وإنما للناس جيئاً^١ .

وكان النبي (ص) يستخدم الكلام الذين في التفاوض ، ويبتعد عن الغضب ، وعن العنف ، والتشدد قوله تعالى : "وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيلَ الْقَلْبَ لَأَنْفَضْتَهُ مِنْ حَوْلَكَ" ^٢ ، أي لو كنت سيء الخلق جافياً قاسياً لتفرقوا عنك ، ولم يسكنوا إليك ، وإن يبتعد المفاوض عن الغضب فقد يواجه المفاوض حالات صعبة تثير غضبه مما قد تدفعه إلى الخروج عن الهدف الذي يفاوض من أجله ، ويصبح حاد المزاج لا يستطيع السيطرة على نفسه ، فلابد من كتم الغيظ والتصرف بحكمة^٣ ، فقد روي عن النبي (ص) قوله "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملأ نفسه عند الغضب" ^٤ .

وفي عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) كانت العلاقات الدولية قائمة على أساس وجود دولتين كبيرتين ، هما دولة فارس ، ودولة الروم (بيزنطة) ، فاما (الفرس) ، فأخذوا يتوجّلون في الشرق الأدنى منذ سنة ٦١٠ م، فاستولوا على (أنطاكيه) التي تبعد أكبر المدن في الأقاليم الشرقية للدولة البيزنطية ، ولم يلبثوا أن استولوا على (دمشق) ، وشقوا طريقهم شمالاً ، فاستولوا على حصن (طرسوس) ، وطردوا الروم (البيزنطيين) من (أرمينيا) ، وجزعت نفوس المسيحيين ، وأهارات معنوياً لهم حتى استولى (الفرس) على بيت المقدس ودمروا مدينة (القدس) ، وكان لهذا العمل ، رد فعل خطير في دولة الروم (بيزنطة) ، ولاسيما أن (الصلب المقدس) الذي يعدهُ المسيحيون أثمن المقدسات الدينية

^١ - د. سهيل الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٩-٢٣٠.

^٢ - سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

^٣ - د. سهيل الفتاوى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٢.

^٤ - صحيح مسلم والبخاري، انظر المنشري زكي الدين عبد العظيم، الترغيب والترهيب، الجزء الثامن، القاهرة، دار الحديث، بلا تاريخ، ص ٢٧٨.

قد استولى عليه الفرس، ونقلوه إلى عاصمتهم (المدائن)، ولم تقتصر غارة الفرس على الشام وفلسطين، بل امتدت سنة ٦١٢ م، إلى آسيا الصغرى حتى بلغت مضيق (البوسفور) وعسكر الفرس تجاه القسطنطينية، وبذلك تعرضت عاصمة بيزنطة لزحف العدو من جهتين، إذ زحف الفرس عليها من الشرق، وزحف الصقالبة من الشمال، وكان الصقالبة الذين هم السلاف قد استولوا على معظم الإمبراطورية في أوروبا، فأصبح الجزء الأكبر من شبه جزيرة (البلقان) ولاسيما، داخلها إقليمياً (صقلينا)، وشرع (الفرس) بغزو (مصر)، فسقطت بأيديهم (الإسكندرية) سنة ٦١٩، ولم تلبث (مصر) بأسرها أن أصبحت بأيدي الفرس، أما في إمبراطورية (الروم) بدأ (هرقل)، بأجراء إصلاحات عسكرية شاملة أهملها إعادة تنظيم الجيش، وقدر (هرقل) أن يقود الحرب بنفسه ضد الفرس. وفي نيسان من العام ٦٢٢ م، غادر (هرقل) العاصمة، وعبر آسيا الصغرى، وفي خريف العام ٦٢٢ م، شق طريقه إلى (أرمينيا)، وتقابل الجيشان البيزنطي والفارسي على أرضها، فانتصر البيزنطيون (الروم) على الفرس انتصاراً حاسماً، وبذلك تحقق أول هدف من أهداف (هرقل)، وهو تخليص آسيا الصغرى من الفرس، واستطاع (الروم) من الانتصار على الفرس في معارك طاحنة في (أرمينيا) خلال سنتي ٦٢٤ - ٦٢٥ م، وفي سنة ٦٢٧ م، شرع (هرقل) بزحفه نحو الجنوب، واستولى على (مصر) سنة ٦٢٨ م، ثم عقد الصلح بين الطرفين، واستطاع (هرقل) تدريجياً من تحرير الأقاليم البيزنطية من الفرس، ودخل (هرقل) (القدس) بعد أن أعاد صليبيها من الفرس^١.

وأراد (الروم) غزو حدود العرب الشمالية، فتهيأ لهم رسول الله (ص)، وأرسل جيشاً قوامه ثلاثون ألف جندي، وسار بهم نحو (تبوك)، وكان (الروم) قد بلغها أمر هذا الجيش، وقوته، فآثرت الانسحاب بجيشها ليحتمي داخل بلاد الشام ولما انتهى المسلمين إلى (تبوك)، وعرف محمد (ص) أمر انسحاب الروم، وعرفَ ما أصابهم من خوف فآثر أن يتبعهم داخل بلادهم، وأقام عند الحدود يناجز من شاء إن ينازله ويقاومه، فأقبل (يوحنا بن رؤبة) صاحب آيلة أحد الأمراء المسيحيين الموحودين في الحدود، وصالح رسول الله (ص)، وأعطاه الجزية، وأرسل الرسول (ص) خالد بن الوليد إلى (دومة)، وعرض على أميرها الإسلام، فأسلم، وأصبح حليفاً، وبذلك استطاع رسول الله (ص)، تأمين حدود الجزيرة الشمالية^٢.

¹ - محمود شيت خطاب، السفارات النبوية، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣-٦٠.

² - محمد حسين هيكل، حياة محمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٤٥٧-٤٦١.

المبحث الثالث

العلاقات الدولية في عهد

الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)

كان عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لعهد النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فالدولة الإسلامية كانت منصرفة إلى توطيد أركانها في أرجاء الأرض، فهي تخرج من فتح إلى فتح، وبالقوة نفسها التي دعا إليها (الإسلام) نحو (الجهاد) لخارة الشرك والكفر، وكان العمل الدبلوماسي وسيلة أيضاً لتوطيد أركان الدولة الإسلامية بالإفادة من الأسلوب الودي كبديل للحرب أو مساعد لها في تنفيذ الخطط السياسية الأمر الذي كان ينبع من طبيعة العقيدة الإسلامية^١.

ولقد كانت العلاقات الدولية في عصر الخلفاء الراشدين تقوم على أن العراق كان في ذلك الوقت تحت السيطرة المباشرة لبلاد فارس بما فيه الدولة الحاجزة بزعامة المناذرة اللخمينيين في الحيرة، وعلى الرغم من التبعية التقليدية التي أتسمت بها هذه الدولة للساسانيين، إلا أنها استطاعت عبر حقبات تاريخها المديدة تكوين شخصية حضارية شبه مستقلة، وكان للتأثير اليونياني - البيزنطي الأكثر بروزاً فيها. وقد حدث في مطلع القرن السابع للميلاد مما جعل من العراق - مقر المناذرة - الأرض المهددة والمهدأة للعمليات العسكرية في أعقاب أفيار العلاقات بين الفرس الساسانيين، وبين عدد من القبائل العربية في العراق، في حين كان الغساسنة يسكنون شمال الجزيرة العربية من جهة بلاد الشام، وهي القبائل الخليفة للبيزنطيين^٢.

إن تسامح الخلفاء الراشدين مع أهل الذمة في ممارسة شعائرهم الدينية، والرجوع إلى رؤسائهم الروحانيين كان لهذه السياسة أثر كبير في حمل الكثير من أهل الذمة في عهد الراشدين على الدخول في الإسلام لما لمسوا فيه من العدالة، والحرية، وكان أسرع الناس لقبول الإسلام الطبقة العامة من أصحاب الحرف، والصناع، وال فلاحين، الذين اعتنقوا بمحاسة^٣.

^١ - حسن فتح الباب، مقومات السفراء في الإسلام، دراسات في الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد (١١٤)، ١٦ أكتوبر ١٩٧٠، القاهرة، ص ٢٦.

^٢ - د. إبراهيم بيضون، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، دراسة في تكوين الاتجاهات السياسية في القرن الأول الهجري، (قم - إيران)، الناشر شهاب الدين، ٢٠٠١، ص ٤٥، ص ٦١.

^٣ - د. توفيق سلطان اليوزبيكي، دراسات في النظم العربية والإسلامية، جامعة الموصل، ١٩٧٧، ص ١٨٦.

أن ما كتبه الكثيرون من المستشرقين ليعطي الدلالة الناصعة على تسامح الإسلام، وعلى حسن معاملة الحكام المسلمين لأهل الذمة، يقول المستشرق الفرنسي (غاستاف لوبيون): "الحق إن الأمم لم تعرف فاتحين راهين مسلمين، مثل العرب، ولا ديناً سحاً، مثل دينهم"، ويقول المستشرق الفرنسي (آرنولد)، عن الإسلام: "إنه الدين الوحيد الذي لم يفرض بالقوة، بل أقبل الناس على اعتقاده بإرادتهم، و اختيارهم"، ويوضح المستشرق (دوزي) مواقف الحكام المسلمين من أهل الذمة، فيقول: "إن تسامح ومعاملة المسلمين لأهل الذمة أدى إلى إقبالهم على الإسلام، وأنهم رأوا فيه اليسر والبساطة ما لم يألفوه في دياناتهم السابقة" ^١.

أما بالنسبة للضرائب التي فرضها المسلمون على أهل الذمة فقد قال المستشرق (فان فلونتن): "أن الضرائب ليست فادحة بالنسبة لما كانت تقوم به الحكومات العربية من بناء الطرق، وحفر الترع، وتوطيد الأمن، وما إلى ذلك من ضرورة الإصلاح، والحقيقة أن الجزية لم تكن عقاباً لأهل الذمة، فهي نظير إعفائهم من الجنديمة، ومقابل حماية المسلمين لهم، وقد فرض الإسلام على المسلم (الزكاة) حتى يتكافأ (الذمي والمسلم) في الواجبات وكان نظام (الجزية) عادلاً بحسب مقدرة الفرد المالية، فهناك فرق بين الغني والفقير، والمتوسط الحال. كما ألغى النساء، والصبيان، وذوي العاهات، والرهبان، وكان لأهل الذمة نصيب من العطاء" ^٢.

وفي عهد الخليفة (أبو بكر الصديق) (رضي الله عنه) أعيد فتح الجزيرة العربية بعد أن ارتدت في الكثير من أجزائها أثر وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مباشرة، وأعيدت إلى حظيرة الإسلام، وبعد أن استقرت الجزيرة العربية بدأ الفتح خارجها، وببدأت الحرب على بلاد فارس عن طريق العراق، حيث وجه الخليفة الصديق (رضي الله عنه) خالد بن الوليد من أسفلها من جهة العراق، وعياض بن غنم من أعلىها.

إن إعلان الحرب جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، وذلك لأن الدعوة الإسلامية أنها هي دعوة إلى الناس كافة لا للعرب فحسب، وما يؤيد صحة ذلك، توجه عدد من الجيوش الإسلامية إلى خارج الجزيرة العربية في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لدعوة الناس إلى الإسلام، وحدثت بسبب ذلك عدد من الغزوات، منها (مؤتة، وتبوك، وآيلة، وغيرها)، ولذلك كان مد معركة الفتح خارج

¹ - المصدر السابق نفسه، ص ١٨٦-١٨٧.

² - المصدر نفسه، ص ١٨٧.

الجزيرة العربية القاعدة الأساسية التي كانت تقوم عليها السياسة الخارجية للدولة الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ويبدو مدى تنبه الصديق (رضي الله عنه) لهذه الحقيقة، ووعيه إليها، وإخلاصه لحركة الفتح الذي بدأ في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إنه أبي إلا إنفاذ جيش (أسامي بن زيد) الذي عقد لواءه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كما إن أحداث الردة كشفت إن الخطر الخارجي الذي يتهدد الدعوة الإسلامية لا يقتصر على الجبهة الرومية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الجبهة الفارسية، ولقد كان التعاون بين المرتدين، في البقاع الشرقية من الجزيرة العربية، ورعايا الدولة الفارسية دلالة ملموسة على خطر الجبهة الفارسية، وذلك الخطر الذي كان يهدد الدولة الإسلامية ومستقبلها، ولذلك فقد وجه أبياً بكر الصديق (رض) خالد بن الوليد والشفي بن حارثة الشيباني إلى العراق^١.

لقد كانت حركة الفتح في سبيل الله لنشر الإسلام، وتحويل دار الشرك إلى دار الإسلام هو السبب الوحيد الذي يفسر الاندفاع الإسلامي في شبه الجزيرة العربية، وبقوة وجراة نادرة، وفتح جبهة القتال مع فارس والروم، وهو السبب نفسه الذي يفسر لنا نجاح العرب في تحويل البلاد من (دار كفر) إلى (دار إسلام)^٢.

وما توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان قد عاهد نصارى (نجران)، خشي أهل (نجران)، وهم من نصارى العرب في شبه الجزيرة العربية أن يكون تغيير الموقف في خلافة الرسول يقتضي تغييراً في موقف المسلمين من الهدنة معهم، فأراد أبو بكر الصديق خليفة رسول الله أن يؤكّد لهم العهد بالهدنة، وان يجدد لهم العهد بالهدنة التي كان منحها الرسول إليهم، فكتب لهم يجدد العهد وفاءً لهم لكل ما كتب لهم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)^٣.

لقد أرسل الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) الجيش الإسلامي ليفتح بلاد الشام، وعين عليها أبو عبيدة الجراح، وقد لقيت هذه الجيوش مقاومة عنيفة من الروم، وما صاق أبو بكر الصديق (رض) ذرعاً بجmod جيوشه أرسل خالد بن الوليد على رأس جيش، وما توفي أبو بكر الصديق (رض)، تولى عمر بن الخطاب (رض) الخلافة، والموقف لا يزال على جموده، وأستطيع المسلمون أن يفتحوا بلاد الشام

^١ - محمد ضيف الله البطاينة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠-٣٩.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٤٥.

^٣ - محمد عبد الغني حسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩-١١٠.

و دمشق، وقد أخذ المسلمين الجزية من أهل (دمشق) لقاء تأمينهم أهل المدينة على أنفسهم، وأموالهم، ودورهم، وكنائسهم، وسور مدینتهم ، وفي عهده تم فتح (بيت المقدس)، حيث تم أعطاء الأمان لأهل المدينة على أموالهم، وأنفسهم، وعلى عقائدهم، لا يضار أحد منهم، بسبب دينه، ولا يكره على شيء من أمره، وقد أباح هذا العهد من شاء من أهل المدينة أن يرحل عنها مع الروم، وأباح لمن شاء من الروم من الأجانب المقيمين في المدينة إن يظلو آمنين ثم لم يفرض عليهم غير الجزية يؤدونها لقاء كفالة أمنهم، والأمر نفسه كان بالنسبة لأهل الرملة، وفي عهده أيضا تم فتح العراق، وببلاد فارس، ومصر، وتم وضع العهود وفرض الجزية عليها^١.

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض) حينما نقضت دولة الروم عهودها السابقة، وكذلك نقضت بعض المقاطعات الفارسية، وأغار الروم بأسطولهم على الإسكندرية، فتم إرسال جيش للقضاء على القوة المتمردة التي حلت السلاح ضد الإسلام في (أذربيجان، وأرمانيا)، اللتين نقضتا العهد الذي كانت قد أبرمتاه من قبل، فسير إليها جيشاً بقيادة (الوليد بن عقبة) فقضى عليهم، ووقع معهم معاهدة بالشروط نفسها التي كان قد أنزلهم عليها، (حذيفة بن اليمان)، وتم القضاء كذلك على تحركات دولة الروم ببلاد الشام، وكذلك القضاء على قرد مقاطعة الري التي نقضت عهدها، فرحتت عليها قوة بقيادة (أبي موسى الأشعري)، وأنزلت المتمردين مرة أخرى على العهد القديم الذي كان قد وثاقهم عليه (حذيفة بن اليمان)، وفي عهده أغارت الروم على الإسكندرية بواسطة أسطولهم البحري، فأرسل إليهم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) جيشاً قضى عليهم وقد تدارس الخليفة مع بعض أصحابه ومشيريه مسألة بناء البحرينة الإسلامية فتم ذلك في عهده، ثم جاءت غزوة (ذات الصواري) لتأكد صلابة الدولة الإسلامية ضد البيزنطيين بزعامة قسطنطين، وتم الانتصار عليهم بجريأة^٢.

أما الخليفة علي بن أبي طالب (رض)، فكان في شبابه يسلك مسلك القدوة، وتحمل مسئوليات الرجال مبكراً، إذ عُرف عنه رجاحة العقل، والعلفة، والبلاغة، والشجاعة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص)، وابرز ما فيها حمله الراية يوم

¹ - المصدر نفسه، ص ٢٥٦، وكذلك انظر، المصدر السابق نفسه، الجزء الثاني، ص ٢-١، ص ٥٨-٥٩، ص ١٦٤-١٦٧.

² - خالد محمد خالد، خلفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم)، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٤٩٤-٤٩٨.

(خبير)، وقول الرسول (ص) له (خذ هذه الراية حتى يفتح الله عليك)^١، وهذا ما تحقق، وكذلك يوم (الخندق) عندما استطاع إن يصرع أحد المشركين، وينبع عبورهم الخندق، وفي رسالة كتبها الخليفة علي بن أبي طالب (رض) إلى (مالك بن الأشتر) حينما وله (مصر) بعض النصائح والإرشادات تدل على جوهر العلاقات الدولية في الإسلام، ويقول فيها: "ولا تدفعن صلحًا دعاك إليه عدوك لله فيه رضي، فإن في الصلح دعاءً لجنودك، وراحة من همومك، وأمنا لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، وأقم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدو لك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهده بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل في نفسك جنة، دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله (عز وجل) شيء على الناس اشد عليه اجتماعاً، مع تفريق أهوائهم، وتشتيت آرائهم، ومع تعظيم الوفاء بالعقود"^٢.

يستشف من هذا النص بأن على الوالي تقع مسئولية القيام بما يلي:

١. عقد معاهدة الصلح مع الدول والأمم المجاورة.

٢.أخذ الاستعداد للحرب، وأخذ الحيطة عند الضرورة، وبين هذين الأمرين تجري مفردات كثيرة مثل تبادل الرسائل، وتبادل الوفود وتبادل الزيارات، وعقد الحوارات.

٣. الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أساسية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم إن يلتزم بها، كما أن الوفاء بالعقود والمواثيق لم يكن عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) مجرد نظرية مكتوبة على الورق، ولكنه كان سلوكاً عملياً في حياته بالوفاء بالعقود^٣

^١ - المصدر السابق نفسه، ص ٢٨١-٢٨٣.

^٢ - الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، جمعة الشري夫 الرضي، تقديم وشرح الشيخ محمد عبدة، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص ٤٣٣.

^٣ - علي محمد الصلايبي، سيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) شخصيته وعصره، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ط ٢، ٢٠٠٥، ص ٣٦٨.

المبحث الرابع

العلاقات الدولية في عهد الدولة الأموية

بدأت الفتوحات في عهد الخليفة الأول (معاوية ابن أبي سفيان)، إذ باشر في تطوير الأسطول البحري ليكون قادرًا على دك معاقل (القسطنطينية) عاصمة البيزنطيين، ومبعث الخطر على المسلمين، فبعد أن قضى على الحركات التي استخدمها الروم كوسيلة لرصد تحركات الدولة الإسلامية، ونقاط ضعفها، وإبلاغ الروم عنها متخدzin من مرتفعات (طوروس) مقرًا لها، وبدأ (معاوية ابن أبي سفيان) بإرسال جملات استطلاعية وقد وضع هدفًا واضحًا وهو محاولة الضغط على الدولة البيزنطية، وسعى إلى القضاء عليها، وحاول أن يكون زمام المبادرة دائمًا في يده، لأنها هي التي تقد جزر شرق البحر المتوسط بالقوات والعتاد، ولذلك اهتمت الدولة الأموية بصناعة السفن في مصر، والشام، وعملت على تطوير القوة البحرية فيها. كما تم الاستيلاء على الجزر الواقعة شرقي البحر المتوسط، مثل جزيرة قبرص، وروودس، ومحاولات غلق بحر إيجة، وسد المنافذ الرئيسية في وجه السفن البيزنطية، وأراد الأمويون الاستيلاء على جزيرة (كريت) التي تسيطر على بحر (إيجة)، ولكنه لم يتمكنوا من ذلك، إذ نافست بحرية المسلمين بحرية البيزنطيين على السيادة في البحر المتوسط، كما عملت الدولة الأموية على تحصين إطراف الشام الشمالية التي تشكل الحدود بينها وبين الدولة البيزنطية، وسعى (معاوية) إلى محاصرة (القسطنطينية) كأول حصار إسلامي لها، وكذلك الحصار الثاني بين سنتي ٥٤٠-٥٦٠ هـ، ولكنه لم يتمكن من ذلك، ولما أدرك إن مدة الحصار قد استغرقت وقتاً طويلاً فقد تراجع عن الحصار، وأرسلت الدولة البيزنطية في طلب الصلح^١.

ورغم الطابع الذي ميز العلاقات بين الدولة الإسلامية والبيزنطية في عصر الخلافة الراشدة، والعصر الأموي، إلا أن هذا لا يعني إن الطابع الإسلامي التمثيل فيما جرى من مفاوضات ومداولات كان مفقوداً، فقد اتخذت العلاقات الإسلامية بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية في العهد الأموي أشكالاً مختلفة، ومنها (المراسلات، وتبادل الخبرات، والمناظرات، والجادلات الثقافية، وتبادل الأسرى، والسفراء). وقد تم مراسلة ملك الروم من قبل (معاوية) في مرحلة الفتنة، وتواصل معه إلى عقد صلح على

^١ - د. علي محمد الصالبي، الدولة الأموية: عوامل الأزدهار، وتداعيات الانهيار، المجلد الأول، بيروت، دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٣٤٤-٣٥٤.

إن يؤدي (معاوية) له مالاً، وأن يأخذ كل طرف رهناً من الآخر. وقد برر ذلك بأنه في حالة الضعف، فإن الدولة الأموية احتاجت إلى دفع ضرر عليها بمال أو نحوه، فذلك يدخل من باب الضرورات، وليس حكماً عاماً، وما أبى للضرورة يقدر بقدرها، كما قرر الفقهاء، فلا ينبغي عقد صالح دائم مع العدو بدفع المال إليه، بل يجب إن يكون الصلح والدفع لمدة ضعف المسلمين أو حالة الضرورة، مع العمل الجاد على رفع حالة الضعف، وبناء قوة الأمة وقدرها المطلوبة بكل جزم وعزم، فإذا زالت يجب على المسلمين أن يتبعوا من عقد أي معاهدة فيها ذلة أو مفسدة

وألحق، لم يحدث في عهد الأمويين تطور كبير في السفارات الدبلوماسية، وإنما كان التطور قاصراً على التقدم الفني متمنلاً في أسلوب تلك السفارات، وطابعها، وتنظيمها، وتشعب مبادئها العكasa لقوة الدولة الأموية، وكان استمرار الحروب بين الدولة الأموية ودولة الروم لا يسمح بأكثر من زياد السفارات لعقد معاهدات الهدنة أو تنظيم مراحل السلام، ودفع الجزية، ومن ثم لم يدخل الخلفاء الأمويون في علاقات وطيدة مع الروم، ولم يسعوا بطبيعة الحال إلى عقد أو اصر الصداقة والتعاون معهم، إلا حينما كانت تضطرهم الأوضاع الداخلية إلى ذلك، فكانت العلاقات السياسية الودية بين الدولتين قاصرة على المراحل التي شعر فيها الأمويون بالرغبة في إقامة هذه العلاقات لاحتياجهم إلى الاستقرار أو إلى قدر من الهدوء الخارجي لواجهة الثورات العادية لهم في الداخل، وقد عمد خلفاء بني أمية إلى عقد معاهدات الصلح والسلام مع الدولة البيزنطية في أواخر القرن السابع الميلادي حتى يؤمّنوا الجبهة الخارجية، ويترفّعوا للقضاء على المشكلات التي نشبت في البلاد على أثر الانقسام والفرقة التي دبت في صفوف المسلمين. أما في غير هذه المرحلة وهي قليلة نسبياً، فقد كانت المعارك الغربية مستمرة بين الجانين، وإزاء هذه الأوضاع السياسية والعسكرية ظلت السفارات الودية محدودة في العصر الأموي حتى المراحل التي ساد فيها (السلام) بين الدولة الإسلامية، ودولة الروم، فقد كانت تلك المراحل فضلاً عن قلتها - لا تقتل سلاماً دائماً يسمح بقيام تلك السفارات، وإنما مراحل سلام مسلح أو صلح مؤقت

وكذلك ثمت فتوحات شمال إفريقيا، وجاء الاهتمام بها، لأنها تتاخم حدود مصر الغربية من ناحية أخرى، فهي تخضع لنفوذ الدولة البيزنطية، وتم إرسال حملة إلى طرابلس الغرب، وتونس، حيث تم فتحهما، ودخل المسلمين، وقام (عقبة بن نافع) بالفتحات في أفريقيا، وأسلم على يديه الكثير من البربر، وقصد كذلك

^١ - حسن فتح الباب، مقومات السفراء في الإسلام، مصدر سابق ذكره، ص ٤٧-٢٦.

المناطق الداخلية يفتحها بيلداً بيلداً، وقام بإنشاء مدينة (القيروان) لعكون موطناً جمال المسلمين، ومنها ينطلق جيوشهم، وبنى فيها جامعاً (القيروان)^١، وتنفسوا، وأدرك المسلمين أن الذين يحركون البربر في شمال أفريقيا ضد المسلمين هم (الروم)، الذين أخذوا يتربون من البربر، ولذلك تم انتهاج سياسة تقوم على كشف حقيقة الروم، وعلى أقنان البربر أن المسلمين ملّاجعوا إلى هذه البلاد ليستعمرُوهم، ويستغلوا بلادهم، كما يحاول الروم أن يفهمُوهُم، وإنما جاءوا بهدايتهم، وخيرهم، ودعوكُم إلى الإسلام، وكان (الروم) رغم المزاعم التي حلّت بهم في وسط إقليم أفريقيا وجنوبه، ما زالت عاصمتهم (قرطاجنة) لم يقصدها أحدٌ من الفاتحين، فقام (أبو المهاجر) بضرب (الروم) ضربة قوية ليضعف نفوذهم في تلك التوالي، ويكسر الحلف الذي عقدوه مع (البربر)، فسار إلى (قرطاجنة)، ونازلاها، فتحصّن الروم بالأسوار العالية، ولما شدد (أبي المهاجر) الحصار عليها، علم (الروم) أنه لا قبل لهم بالجيش الإسلامي، فطلبوا الصلح من المسلمين، ودخلت قوات المسلمين جميع مناطق (شمال أفريقيا)^٢.

وفي أواخر العام ٧٣ هجري^٣، شعر (عبد الملك بن مروان) إن الدولة استعادت قوهاً، وأنها تستطيع إن تستأنف فتوحاتها، وكانت العلاقات قد ساءت مع الروم الذين أخلدوهُم تأهليون للانقضاض على الدولة الإسلامية، فتهيأ إليهم، ومنع (عبد الملك) إرسال النقود التي كان يدفعها وقت الضرورة، فأثار هذا حنق الإمبراطور الروماني، فأعلن الحرب، وقدم بجيشه كبير ليغزوا المسلمين من ناحية (أرمينيا)، فلاقاه الجيش الإسلامي فدارت موقعة عنيفة هزم فيها (الروم) على الرغم من كثرة عددهم، واستمروا بجيشه الإسلامي في جهادها طوال مدة حكم (الوليد)، ثم (سليمان بن عبد الملك)، وأسْتَطاعَ المسلمين فتح البلدان، والحطون العظيمة التي أقامها الروم لتأمين سلامتهم بلادهم، والمحافظة عليها من غارات الأعداء، مثل حصن (عمورية)، وهرقلية، وغيرها^٤.

وفي عهد (سليمان بن عبد الملك) تم حصار القدسية، بعملية لم تنجح، فأنسحب الجيش الإسلامي، حيث تأكد المسلمين أنهم لا يستطيعون فتح (القدسية) دون فتح المناطق المجاورة لها، وتشبت أقدامهم فيها حتى تكون عوناً لهم لا عليهم في حالة حصار (القدسية)، وفي حين تخلى أباطرة البيزنطيين عن فكرة استعادة شمال أفريقيا،

^١ - د. علي محمد الصابري، الدولة الأموية، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٣.

^٢ - د. علي محمد الصابري، الدولة الأموية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٢-٣٧٣.

^٣ - المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ٥-٦.

وعدوا الدفاع عن هذه المنطقة في المرتبة الثانية بعد الدفاع عن عاصمتهم^١، وكان (عبد الملك بن مروان) قد أستكملا فتح شمال أفريقيا، ولا سيما المناطق التي استعادها الروم، ثم جاءت فتوحات (موسى بن نصیر) ليستكملا فتوحات شمال أفريقيا، وقام بفتح المغرب، وأخذ البربر يعتنقون الإسلام، وأستطاع (موسى بن نصیر) إن يجند أعداداً كبيرة منهم، وكان يختار عمالاً يحسنون السيرة مع أهالي المناطق المفتوحة، وسعى المسلمين إلى تفيد خطتهم في أثناء فتوحاتهم، وهي تأمين حدودهم، ونشر دعوهم، وذلك بالمضي في جهادهم إلى ما وراء تلك الحدود لنشر العقيدة الإسلامية حتى أستطاع المسلمين فتح بلاد الأندلس في رجب من العام ٩٢ هـ، فقتل (طارق ابن زياد) بجبل (كالبي)، الذي سُمي (بجبل طارق) ثم جاء مدد (موسى بن نصیر)، وتساقطت المدن الأسبانية قبالة جيوش الفاتحين الواحدة بعد الأخرى، وضربت العملة الإسلامية لأول مرة بالأندلس^٢.

وفي المشرق قام الجيش الإسلامي بقيادة (المهلب ابن أبي صفرة) بفتحات كبيرة في بلاد التركمان عبر نهر سيرخون ثم فتوحات القائد (قتيبة بن مسلم الباهلي) لـ (بخارى، وسمرقند)، الذين كانوا قد نقضوا وارتدوا، ففتح (خرغانة، وبلاط الترك) سنة ٩٥ هـ، ثم استعادة (الطالقان، والصفانيا، وطخارستان) سنة ٩٥ هـ، ووصل المسلمين إلى (كاشغر)، وعبروا نهر (جيحون)، وأرسل (قتيبة بن مسلم) سفاره إلى ملك الصين يحذرها من غزوها، فقبل ملك الصين أن يقدم الجزية على ألا يغزوهم (قييبة بن مسلم)، وكان قتيبة ومن معه، من الفاتحين يحرصون على دعوة الناس للإسلام، وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، فكان (قتيبة بن مسلم) يهتم ببناء المساجد في المدن، والقرى، والأرياف، ويضع فيها العلماء والفقهاء ل التربية الناس، وتعليم سكان المناطق العربية، فأظهر الإسلام بهذه الطريقة، وأزال آثار الكفر والمجوسية، وقام القائد (محمد بن القاسم الشفقي) بفتح بلاد السندي خلال مدة امتدت من ٨٩ إلى ٩٤ هـ، وما ساعد على دخول هذه البلاد الإسلام المعاملة السمحنة التي أتصف بها المسلمين، وأشرك البلاد المفتوحة في إدارة شئون بلادهم، فضلاً عن فساد الأديان في هذه البلاد، وانحلالها، وفساد رجاتها^٣.

^١ - المصدر نفسه، ص ١١-١٢.

^٢ - د. علي محمد الصلايبي، الدولة الاموية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

^٣ - المصدر السابق نفسه، ص ٤٧-٤٢، كذلك انظر ص ٥١-٥٩.

المبحث الخامس

العلاقات الدولية في عهد

الدولة العباسية

في العصر العباسي كانت هناك دولتين كبريتين مسيحيتين أدita دوراً مهماً، في العلاقات الدولية. فقد تختضت إحداث القرنين الرابع والخامس الميلادي عن قيام روما جديدة هي (القسطنطينية)، وُقسمت الإمبراطورية الرومانية بذلك إلى قسمين:-

١. الدولة الرومانية الغربية، وعاصمتها (ميلانو) أو (ميلان) كما أسمتها (العرب)، ولم تلب هذه الدولة أن وقعت في أيدي قبائل (الجرمان)، الذين غدوا سادة المنطقة حتى إسبانيا وبريطانيا، وذهبت عن روما هيبتها القديمة، ولم تُعد سوى قصرًا للبابوية، حتى قامت دولة (الفرنجة) في بلاد (أغال) (فرنسا)، وسخر إمبراطورها (شارلمان) سنة ٨٠٠ م، سيفه في سبيل حماية كنيسة روما، وإعزاز شأن (البابوية)، فأعاد لروما مجدها الروحي القديم، ونافست بيزنطة على زعامتها للعالم المسيحي، بل أخذ يتطلع إلى غزو بلاد أوروبا الشرقية، واستعادة كنيسة روما عليها دون كنيسة (القسطنطينية)^١.

٢. الدولة الرومانية الشرقية، التي تأسست في بيزنطة لمواجهة الإخطار التي بدأت تتجمع على الحدود الشرقية للإمبراطورية، ونقلت من ثم مركز الإشعاع الروماني المسيحي إلى عاصمتها (القسطنطينية) التي أصبحت كنيستها منافساً خطراً لكنيسة روما، وظهر نفوذها على كنيسة الإسكندرية، وأنطاكيا، وغيرهما من كنائس البحر الأبيض المتوسط، حتى كان عصر الإمبراطور (شارلمان) الذي أصبح أعظم، قوة في أوروبا الغربية، وأدى تحالفه مع البابوية إلى الحد من نفوذ إمبراطورية الروم الشرقية على العالم المسيحي^٢.

وفي هذه الأوضاع لم يعُد لإمبراطورية الروم الشرقية (أو دولة البيزنطيين)، إلا أن تلجا إلى التفاهم والتحالف مع جيراهما، وقديئة الخواطر بين أتباعها، حتى تؤمن جهتها الداخلية، فضلاً عن أن دولتي (الروم، والفرنجة) لم تكونا وحدتهما أكبر قوتين على مسرح الحياة الدولية في ذلك العصر بل ظهرت الدولة الإسلامية في جزيرة العرب، وغدا العرب من (أمويين، وعباسيين) في المشرق، ودولة (عبد الرحمن الداخل) الأموية

¹ - د. عزالدين فودة، النظم الدبلوماسية، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨ .

² - المصدر نفسه، ص ١٠٩ - ١٠٨ .

في الأندلس منافسين أقوىاء لدولتي **المسيحية** هذه، فضلاً عن ظهور غير العرب من الأمم البربرية المستقلة على حدود الرومان، مما أهل روح المذهبية محل السلام الروماني القديم^١.

إذ كان البابا راغباً في قيام دولة قوية في الغرب يعتمد عليها في مقاومة (القسطنطينية) التي كانت خارجة عن كنيسة روما فقد سبق (شارلمان) العرش في دولة الفرنجة (بيين)، وكان لوجود البيتين (العباسي، والفرنجي) في الحكم أثر خطير في تطور العلاقات الدولية في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، فالعداء القديم المستحكم بين (الفرس، والبيزنطيين) على الحدود ورثه الدولة العباسية، وظهر نزاعاً شديداً بين الخلافة العباسية، والإمبراطورية البيزنطية، كما أن العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية، ودولة الفرنجة في الغرب لم تكن ودية، وكان (البابا) دوماً يسعى لمنع التقارب بينهما، فكما حاول (بيين)، والإمبراطور (قسطنطين) الخامس تسوية الاختلافات بينهما سنة ٧٦٥ م، أرسل (البابا بولس الأول) كتاباً إلى (بيين) يسأله أن يشترط في مفاوضاته مع (قسطنطين) أن تعترف (القسطنطينية) بأفضلية الكنيسة البابوية. وقد أدى تدخل (البابا) إلى فشل المفاوضات، وبقاء العداء بين (بيزنطة، والفرنجة)^٢.

وفي البداية أتسمت العلاقات الدولية للدولة العباسية بالهدوء في مناطق التخوم، إذ انشغلت الدولة العباسية في بداية عهدها بشئت السلطة السياسية، وشهدت بعض المناطق التي تم فتحها في التباق بعض الاضطرابات في (خراسان، وأرغستان، وشمال إفريقيا)، مما أضطر العباسيين في هذه الأوضاع الحرجة إلى إرسال جيوش كبيرة إلى هذه المناطق لغرض استباب النظام والاستقرار فيها، وفي أواخر مرحلة تأسيس الدولة كانت الأوضاع على العموم تسير نحو استقرار نسبي بفضل الجهود الهائلة التي بذلها الخليفة (أبو جعفر المنصور)، وكانت العلاقات العباسية - البيزنطية قد تراوحت بين التصعيد والفتور، وإن التشتت الع Abbasي تجاه البيزنطيين كان يمثل دوماً إلى التصعيد حتى في مراحل الاضطراب الداخلي، مما يغير عن مئنة الدولة، وقوتها، وقدرتها، على مواجهة خطرين في آن واحد - الخطرين الداخلي، والخطر الخارجي وفي نفس الوقت فإن نشاط

^١ - المصدر نفسه، ص ١٠٩.

^٢ - د. مجید خدوری، **الصلات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان**، مطبعة التفليس الاهلية، بغداد، ١٩٣٩، ص ١٢.

الدولة العباسية قد بلغ ذروته في هذه المرحلة، حيث انتقالت الإمبراطورية البيزنطية من هدوءً نسبيًّا في نشاطها العسكري في مناطق (التخوم) إلى تصعيد، وكمان الوجود الإمبراطوري (نقوض) في هذه المدة دورًا أساسياً في هذا التصعيد، إذ مكنت مراحله الصراع الدامي بين الأمين والمؤمن، وفي ترتيب عليه من نتائج، تزامن معه تصعيده جحاد للفتن الداخلية، مما جعل الدولة العباسية مشكلة، وغير قادرة على القيام بنشاط عسكري تجاه أعداء ما حصل في أواخر هذه المرحلة، إذ قاد المؤمن بنفسه العمليات العسكرية في الأرضي البيزنطية. أما الإمبراطورية البيزنطية، فإنها لم تتمكن من استئثار الأوضاع المصطربة في الدولة العباسية ببطاقٍ واسع، بل أكفت بتقديم العون لحركة (بايسكي الخرمي)، وعلى العموم، فإن الإمبراطورية البيزنطية لم تقم بنشاط عسكري تجاه في مناطق (التخوم)، وبسبب التأزم الحاد في علاقة الإمبراطورية مع مملكة (البلغار). أما بخصوص الحقيقة الأخيرة من العصر العابسي الأول التي شهدت هدوءًا نسبيًّا في الأوضاع الداخلية قياساً إلى المراحل السابقة فقد أسفرت عن تصعيد عسكري في مناطق (التخوم)، إذ شهدت هذه المرحلة سقوط (عموريا) على يد (المعتصم)، وأعقبه حلات متالية من قبل ولادة مناطق (التخوم)، لم يكن للسلطة المركزية دور كبير. إما الجانب البيزنطي فقد نشط في عملياته العسكرية في مناطق (الشغور) بعد تحسن علاقاته مع (البلغار) في هذه المرحلة¹ وفي مرحلة الازدهار الاقتصادي الذي تلا الاستقرار في الدولة العباسية كان هناك عمليات عسكرية من جانب الدولة العباسية، ويعود سبب الاستقرار إلى السياسة التوفيقية التي سار عليها الخليفة (المهدي)، والتي جاعت في أعقاب سياسة والده (النصرور) المتشددة والصارمة، وجاءت مرحلة حكم (الرشيد) لتشهد الخلافة في النشاط العسكري للدولة في مناطق (التخوم)، وكان للازدهار الاقتصادي الذي شهدته البلاد أثر في ذلك. إما في الجانب البيزنطي، فإن هذه المرحلة شهدت حكم (ليو الرابع) وقسطنطين السادس، وامعه أمم أيريني وقضية على العرش، ثم انفرادها بالحكم، ثم حكم الإمبراطور (نقوض) وشهدت مرحلة حكم (ليو الرابع)، هي الأخرى أبعاد سياسة

¹ - ١٨٤-١٨٥

- موفق سالم نوري، العلاقات العباسية - البيزنطية ٢٤٧-٢٥٠/٦٢-٨٦، دراسة سياسية
حضارية ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص ٤٥-٣٥ .

توفيقية بالداخل، ونجم عن ذلك استقرار نسي في الأوضاع الداخلية للإمبراطورية، وكذا الحال في العلاقات مع دولة (البلغار)، إذ أن ضربات (قسطنطين الخامس) القوية، جعلت (البلغار) يرکتون إلى السكون مدة تزيدها قليلاً على عشر سنوات.^١

ولكن العلاقات الحربية بين العباسين والبيزنطيين لم تخallo من رسائل ومفاوضات، ففي إعقاب فتح (عمورية) أرسل الإمبراطور (ثيوفيل) إلى (المعتصم) سفارة استغرقت مفاوضاتها مع الوزير العباسي ستة أشهر، وكان السفير البيزنطي في الدولة العباسية يقدم هداياه لكل من يتصل به مظهراً الشراء، والبذخ، والسخاء، وهو ما فعله (يوحنا النحوي) في سفارته إلى (بغداد) حين أرسله (ثيوفيل) لإعلام الخلافة العباسية باعتلائه العرض، وكانت أهداف السفارات إنهاء حال الحرب، وعقد الصلح بين الدولتين، وفداء الأسرى، وهناك سفارات مهمتها الإبلاغ بنقض الصلح أو إنهاء اتفاق جرى بين الطرفين، وهو أمر أقدم عليه البيزنطيون أكثر من مرة، وكذلك من أهداف السفارات ترويج وتسهيل العلاقات التجارية بين الطرفين، وكانت هناك سفارات علمية وثقافية. كما كانت هناك سفارات أرسلها بعض الخلفاء تضمنت دعوة الإمبراطور البيزنطي إلى (الإسلام) أو أداء الجزية أرسلت بعد نقض الصلح البيزنطي الأول المعقود بين (الرشيد، وابريني)، وكانت هناك سفارات التي حلت الجزية البيزنطية إلى بغداد، إذ فرضت أكثر من مرة على بيزنطة.^٢ أما بخصوص الجزية التي أدهما بيزنطة للعباسين، فإنها لم تمثل كسباً للعباسين، بل إن غايتها كانت أساساً سياسية خالصة، وإن كان هذا لا يعني من الناحية العملية خضوع الإمبراطورية البيزنطية لسيطرة، وإدارة، وأشراف، الدولة العباسية، بل بقيت مستقلة في شؤونها الداخلية والخارجية، بل أكدت هذه الجزية حالة التفوق العباسي على بيزنطة، مذكرة العدو بضعفه على الدوام مما يحول دون عدوانه.^٣

وكذلك شهدت العلاقات العباسية - البيزنطية اتصالات ثقافية، فأراد بعض الخلفاء العباسين في استخدام علماء القسطنطينية إلى بغداد، مثل (يوحنا النحوي)، كذلك سعى الإمبراطور البيزنطي (ثيوفيل) إلى تقليد ومحاكاة (هارون الرشيد) في سيرته، ومن الأمور التي عبرت عن اهتمام الخلفاء بالاتصال الثقافي بين الدولتين تلك السفارة

^١ - المصدر نفسه، ص ١٨١-١٨٢.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٣١١-٣١٦.

^٣ - المصدر نفسه ص ٣١٦.

التي أرسلها (الواثق) إلى بيزنطة طالباً السماح للسفارة بالاطلاع على أصحاب الرقيم^١.

كما شهدت العلاقات بين الدولتين العباسية والبيزنطية على تبادل تجاري، والذي تم عبر عدد من السبل منها ما هو مباشر ومنها ما هو غير مباشر، ومن هذه السبل ما كان يجري عبر مناطق (التخوم) بين الدولتين، إذ وضعت كتب الفقه صيغ التعامل مع هؤلاء التجار القادمين من بيزنطة، ومنحهم الأمان لهذا الغرض، وفرض على التجار البيزنطيين العشر، وكان ذلك جواباً على ما أتخذه البيزنطيين تجاه التجار المسلمين، إما أهم السلع التي جرى تبادلها بين الدولتين، فهي ما كان ينتقل من الدولة العباسية إلى الأراضي البيزنطية مثل، الحرير، الديياج، والأحجار الكريمة، والمؤلئ، والعاج، والتوابيل، والعطور، والطيب، والإبانوس. أما السلع التي انتقلت بالعكس، فهي أنواع معينة من الأقمشة الرقيقة التي احتفظ بها البيزنطيين بأسرار صناعتها، والتي تعطي ألواناً عدّة بانعكاس الضوء عليها، وكذلك أقمشة الكتان ثم المواشي التي استوردت من (أرمينيا) البيزنطية إلى شمال سوريا وكذلك المفروشات^٢.

يتضح مما تقدم أن الحرب لم تكن هي العلاقة الوحيدة بين العباسيين والبيزنطيين، بل نشأت بينهما في كثير من الأوقات علاقات مودة وسلام وفقاً لصالحهما التجارية، ولتضيّعات التوازن الدولي، ويرجع ذلك إلى إن سياسة الفتوحات في عصر العباسيين لم تستمر كما كانت عليه الحال في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين، فلم تزد رقعة الدولة الإسلامية، بل بدأت الحركات الانفصالية تتعريها في أواخر هذا العهد، فكانت في حاجة إلى الحفاظ على سلامه أرجائها أكثر منها إلى الاستمرار في الفتح. لقد أهتم العباسيون أكثر من الأمويين بتوسيع دائرة علاقتهم الخارجية السلمية، فسارت السفارات بينهم وبين القسطنطينية، وروما، وملكة البلغار، ودولة الفرنجة، والهند، والصين^٣.

لقد عمل البيزنطيون على أضعاف القبائل والشعوب المجاورة لهم بنشر الفرقة بينهم، وإيقاع الخصومات الداخلية، ولعل من الأمثلة الشهيرة، ما كان يرى بين البيزنطيين في علاقتهم بالقبائل العربية في شمال شبه الجزيرة العربية، فقد كانوا يلجأون

^١ - المصدر نفسه، ص ٣٤٠-٣٤١.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٣٦٠-٣٦٥.

^٣ - حسن فتح الباب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

بين الحين والآخر إلى مخاربة تلك القبائل وتطبيق سياسة (رومما) القدية عليهما، كما ظلت أنها قادرة على الوقوف بوجه الرومان، فإذا ما أحسن (الرومان) الحاجة إلى تلك القبائل في حزوهم الطويلة مع الفرس، وأوقعوا بينها واستغلوها بعنصريتهم ليضطلع بعدهم القتال ضد الفرس وخلفائهم من القبائل العربية الأخرى، من ذلك ما أضطلع به (المغاسنة) من عبء القتال خدمة (الروم) ضد (الفرس) وخلفائهم من (اللخميين) بالخيرية، إذ كان زعيمهم (المندى الثالث)، المعروف (بابن ماع العسماء) شوكه في جنوب الروم ببلاد الشام، حيث نسبوا له ولد سعيد شلّة ربيع ديشعا بن سعيد، حيث انتصروا في معركة نهر العنكبوت، فقادوا سمعة دولة الفرنجة، فقد اسْعَى إلى إيجاد تقارب مع العباسيين، وذلك بسبب الحالة العداء بينهما، وبين الدولة البيزنطية، وخاصة العداء بين الدولة العباسية، والدولة البيزنطية، وهي كذا كان هنالك مصالح مشتركة بين دولة الفرنجة والدولة العباسية، فقد قام الإمبراطور (بيزن) بارسل لوفد إلى بلاط الخليفة (المصوّر) سنة ٧٦٥ م، وكانت الغاية من ذلك هو معاوغ (بيزن)، محاولة الخليفة (المصوّر) من سلطانه إلى إسبانيا، ولما خاب (المصوّر) في مساعيه حاول أن يقرب منه، لأن (بيزن) كان هو الآخر يسعى إلى مدة سلطانه إلى إسبانيا، و Ashton the الطرفين في هدف واحد هو الذي دفعه إلى إيفاد وفده إلى بغداد، إذ سعى (بيزن) إلى إقامة سلسلة من التحالفات السياسية لمع الخليفة (المصوّر)، وامع (البابوية)، أما (البابا) فقد أطلق يده (بيزن) في مقاومة البيزنطيين مما شجع الخليفة (المصوّر) على فتح إسبانيا، حيث تنازل له بحسب ما ذكره لبعض المؤرخين والمأمور شارلمان للسلطنة في البلاط الفرنجي، أخذ يعمل على توثيق صلاتاته بالخليفة العباسى، فصلة (شارلمان) بالبابوية وبإسبانيا، وتوترة العلاقات بيته وبين القسطنطينية، دفعه إلى ذلك، أما صلات (شارلمان) بالبابوية، فقد قادت إلى تجديد توفر العلاقات بيته وبين القسطنطينية، وذلك إن (البابا) كان يوماً حينيل إلى توثيق صلاتاته بطارقة القدس، وأنطاكية، والإسكندرية، وكان عداء (البابا) للإمبراطورية البيزنطية أشد آهاب (البابا) إلى مناصرة الإفرنج، وادعم سيادتهم في الغرب، وهذا ما دفع (البابا) إلى توسيع (شارلمان) في روما، قيادة باسمه، أميراطروه للدولة الرومانية المقدسة إحياء للدولة الرومانية في الغرب، حيث رأى من البيه الإفرنجي طموحاً كافياً إلى إعادة مجد

١١- مقالة فردية بعد دراسة نظرية مصطلحات

¹- د. عز الدين فوده، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٠.

۲- د. مجید حدوري، العروض الدبلوماسيه بين جرسي و بولندا، دبلوماً في فلسنه نسبه -

الإمبراطورية الرومانية، ومقاومة الإمبراطورية البيزنطية، إلا أن هذا العمل أثار سخط البيزنطيين في الشرق، لأنهم كانوا يُعدون أنفسهم أحق في وراثة مجد الإمبراطورية الرومانية من ملوك الفرنجة، وهكذا بعث التزاع السياسي مرة أخرى بين الفرنجة والبيزنطيين في عهد الإمبراطور (شارلمان)^١.

وفي أواخر القرن الثامن الميلادي كان غمّة عوامل أدت إلى قيام المراسلات الدبلوماسية بين (شارلمان وهارون الرشيد)، ففي سنة ٧٩٧ م، كان واي برشلونة قد اتفق مع (شارلمان) على تسليميه المدينة، وقد تكون هذه الحادثة قد دفعت (شارلمان) بخيبة مساعيه سنة ٧٧٨ م، في الاستحواذ على (الأندلس)، فرأى ضرورة السير على طريق سالمة للنجدة إلى إسبانيا، وذلك بين رضي خليفة بغداد، وكان العداء كما ذكرنا مستحکماً بين بيزنطة (شارلمان)، وكان البيزنطيون ينصبون المكائد لـ (شارلمان) في جنوب إسبانيا، وربما كانت هذه الحادثة أنسأت لدى (شارلمان) فكرة التعاون مع (هارون الرشيد) على مقاومة البيزنطيين، وكان الخليفة (الرشيد) في تزاع مع (أميريبي) إمبراطورة البيزنطيين، حيث فهراهما (هارون الرشيد)، وارغمهما على دفع الجزية، فضلاً عن ذلك إن بعض حوادث إسبانيا وبعدها كانت قد أثارت خواطر الخليفة في بغداد، وبدأت المراسلات الدبلوماسية بين أعين عاصمة (شارلمان)، وبين بغداد عاصمة (الرشيد)، ففي سنة ٧٩٧ م، أوفد (شارلمان) وفداً مؤلفاً من ثلاثة رجال إلى بغداد، ومكث الوفد في الشرق ثلاث سنوات، كما أرسل الرشيد سفارة إلى شارلمان، وهذا أيام سنة ٨٠١ م، ورأى البعض إن الغرض من الرحلة هو الاتفاق مع (شارلمان) على غزو إسبانيا، والقضاء على السلطة الأموية في الأندلس ثم مقاومة ما تحوي البلاد من ثروات، وإن (الرشيد) عين (شارلمان) أمير فتح على إسبانيا لإنجاز هذه المهمة، وكان للمفاوضات بين (شارلمان) والرشيد، غرض آخر، وهو الاتفاق على البيزنطيين، وتسهيل طريق الحج للافرجن إلى الأرض المقدسة، وأرسى (شارلمان) سفارته الثانية سنة ٨٠٢ م، بهقصد الحصول على مفاتيح (بيت المقدس) للإمبراطور رغبة منه في أظهار حياته للأماكن المقدسة دون البيزنطيين، فانتهز (الرشيد) هذه المناسبة بعد سفارة إسلامية ثانية إلى (شارلمان) سنة ٨٠٧ م، تسعى إلى إقام التحالف مع الفرنجة، وتحقيق سياسة العباسيين إزاء الأمويين.

^١ - مجید خوري، المصدر السالق نفسه، ص ٢١

^٢ - المصدر نفسه، ص ٣٦

^٣ - د. عزالدين فودة، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥

المبحث السادس

العلاقات الدولية في عهد الدولة

الإسلامية في الأندلس

عملت الدولة الإسلامية بالأندلس منذ قيامها على التعامل مع السكان الأصليين الأسبان على أساس (الشريعة الإسلامية)، التي أعطت أهل الكتاب عامة ضمادات واسعة لاحترام دينهم، ومعتقداتهم، ومقدساتهم، وأموالهم، وأشخاصهم، وعلى هذا الأساس أبقى حكام الولايات لنصارى الأندلس، وكذلك ليهودها وهم عامة السكان في شبه الجزيرة البرية حرية تامة في دينهم، وأحولهم الشخصية، وعلاقتهم بكهنتهم وبكتيستهم ما داموا يدينون بالطاعة والولاء للدولة، ويدفعون ما تفرضه عليهم القوانين من ضرائب، واحترام المسلمين لعوائد النصارى، عموماً جعلهم ينجحون وبسرعة كبيرة في القضاء على ما كان قائماً قبلهم من خلافات بين الفرق النصرانية، وكذلك أفاد يهود الأندلس من أهل الذمة من سياسة الحكام المسلمين المتسامحة في مجال الدين والعقيدة، فتخلصوا مما تعرضوا له في أواخر القرن السابع للميلاد من عنت، وظلم، وتشريد على يد (القوط) الغربيين، وربما لهذا السبب، وآل اليهود الحكام المسلمين، وخلصوا في خدمتهم، والتعاون معهم، فأعاد عليهم هؤلاء بالمنافع، والامتيازات، وعهد إليهم بمناصب رفيعة، ومهامات أدارية، ومالية، ودبلوماسية، لقد أقبل الأسبان ومنذ سنوات الفتح الأولى، ودون أن تحكمهم عقدة الخوف والتهويل على تقبل عقيدة الإسلام، والتحول إليه، بعضهم عن إيمان وقناعة، وربما بالنسبة لآخرين عن رغبة في التقرب من السادة الحاكمين، وأيضاً اسلم كثيرون بسبب التزاوج والاحتكاك بين صاروا يتزلون بين الأسبان من المسلمين العرب والبربر^١.

وعلى صعيد (الإدارة) أبقى الولاية في البداية في الأقل، على ما لقوه في الأندلس من مؤسسات مالية، ومن نظم قضائية ومن تشريعات عامة إلا ما كان يتعارض منها مع مصالحهم أو مع قواعد الإسلام، وشجعهم على ذلك كون أكثر هذه القوانين

^١ - د. عبد المجيد نعنى، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس: التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦ ، ص ٩٣-٩٢.

والمؤسسات كانت على درجة كبيرة من التقدم باعتبارها من مخلفات الحضارة الرومانية وكذلك أبقوا على النظم الإدارية المعهود بها من (القوط)، كما تركوا الوظائف العليا بيد الأسبان لكونهم أدرى، وأكثر خبرة بشئون بلادهم^١.

وفي عهد الأمويين بالأندلس كانت هناك أربع قوى سياسية كبرى: الدولة العباسية في المشرق، ودولة الروم في القسطنطينية (بيزنطة)، والدولة الأموية في الأندلس، ودولة الفرنجة في بلاد (ألفال) فرنسا، وقد قامت في زمن معاصر لقيام دولة الأمويين بالأندلس، وحاول الإمبراطور (شارلمان) كما ذكرنا سنة ٨٠٠ م، أن يعيد مجد روما القديم، وينافس الدولة الرومانية الشرقية التي تأسست في بيزنطة، وترعمت العالم المسيحي، وأصبحت دولة الفرنجة في عصر هذا الإمبراطور أعظم قوة في أوروبا الغربية، واستطاعت بتحالفها مع البابوية في روما أن تحد من نفوذ الدولة البيزنطية، وتطلعت إلى مد سلطتها إلى شرق أوروبا، وبسط حمايتها على المسيحيين هناك، وفي ظل هذه الأوضاع أدت سياسة توازن القوى دورها في العلاقات الدولية بين هذه الدول الأربع المتنافسة، إذ كان ثمة تنافس بين العباسيين والروم والشريقيين (البيزنطيين)، ثم كان هنا لك تنافس آخر بين الدولة العباسية في المشرق، والدولة الأموية في الأندلس، من جانب، وبين البيزنطيين من جانب آخر^٢.

وقد توقفت الفتوحات الإسلامية في الأندلس عند جبال (البيرينيه) أو (البرانس) في شمال إسبانيا، وعلى الرغم من محاولات المسلمين الاندفاع في فتوحاتهم شمال هذه الجبال إلى بلاد (ألفال)، إلا أنها لم يكتب لها النجاح، وتشهد على ذلك معركة (بلاط الشهداء)، عندماً إن بلاد (ألفال) لم تكن موحدة تحت راية دولة واحدة، فضلاً إن دولة الفرنجة كانت هناك دواليات صغيرة يحكمها أمراء مستقلون بأمرهم متصارعون في أكثر الحالات مع بعضهم البعض في المنطقة المتدة بين نهر الوار، وجبال البيرينيه، والبحر المتوسط^٣.

ولما تولى (عبد الرحمن الداخل) الإمارة في الأندلس أعطى أهمية لتحقيق الأمن والاستقرار في الداخل، والقضاء على خصومه ومعارضيه لتحقيق وحدة الأندلسيين حول الإمارة، وما حاول القيام بالفتورات والغزوات في إسبانيا أو في بلاد (ألفال)، بل

^١ - المصدر نفسه، ص ٩٥.

^٢ - حسن فتح الباب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

^٣ - د. عبد المجيد نعنى، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩.

رغم كون موقفه تجاه هؤلاء يتمسّم في أكثر الحالات بالصفة المدعاوية أو السلبية، وقد أغادر أسبانيا الشمال أكثر من مرة في أوائل عصر الإمارة على حدوتها الشمالية، وتوسعت في عمق الأرضي التي خلت من المسلمين بعد ثورات البربر، الواقع إن هذه الغارات لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما أستطاع الأمير الأموي التوصل إلى اتفاق سلمي معهم أشاع الهدوء على طول حدود الأندلس مع أراضي إسبانيا المسيحية في الشمال طيلة السنوات

العشرين الأخيرة من حكمه ^١ (الحادي عشر - السادس عشر) في قبليها تماهياً مع دعائهما ^٢
أما توسيع (الإسلام) في بلاد (ألفال)، فإنه كان توقف فعلاً بعد خسارة معركة (بلاط الشهداء)، وبصورة خاصة منذ منتصف القرن الثامن للميلاد، وكان الفرنج قد أقصوا المسلمين من أراضيهم، وبدأوا مرحلة استرداد أراضيهم التي أخذوها منهم المسلمين، وذلك باستعادة (ناربونة) سنة ٧٧٦ م، وحصر وجود (الإسلام) في الأراضي الساحلية من مقاطعة (سيتمانيا)، هذه التطورات السلبية لم يستطع (عبد الرحمن الداخل) إن يهتم بها إلا بصورة هامشية، إذ أن أوضاع بلاده الداخلية ما تركته يفعل أكثر مما

فعل ^٣ (عبد الله السادس) (بن لفيفا) في شان ويعان نجاحها ^٤ في مطلع القرن السادس عشر،
إن سياسة (عبد الرحمن الداخل) المتبعة بالسلبية في حيال (الفرنج) شجعت شارلمان بعد كل ما حققه في أول حكمه من انتصارات في أوروبا، خاصة ضد القبائل (السكسون، والآفار) في بلاد (الجرمان) للقيام بحملات وراء جبال (البيرينيه) تعيد (للنصرانية) أراضي (القوط) في شبه الجزيرة الإيبيرية أو ربما تجد حدود الفرنج من جهة الجنوب حق (جبل طارق)، وفي وقت من الأوقات تلاقت هذه السياسة والرغبة في تحرير كاتب بعض عمال الأندلس مما دفع (شارلمان) نحو مغامرة كبيرة ضد المسلمين ^٥ إذ كان من المتأوين للأمير الأموي، ومن خصوه (عبد الرحمن بن حبيب الفهري)، وكان والياً على إفريقيا، ويرفع ولو شكلياً لواء الدولة العباسية، وأيضاً من الكارهين لهذا الحكم، وأتفق مع (سليمان بن يقظان) الإعرابي الشائر في أحواز (سوغوسة)، والمتمرد على الأمير الأموي، لأنه كان يرى أنها تقوم على الحكم المركزي على حساب مراكز المقاطعات في الأندلس، على الاتصال به (شارلمان)، ووعده بتقدم العون والمساعدة، إذا قدم إلى إسبانيا، علمًا أنه كانت هناك علاقة وثيقة تربط (شارلمان) بال الخليفة العباسي (الرشيد) كما ذكرنا، وفي ربيع سنة ٧٧٨ م (١٤١)، كان

^١ - المصدر السابق نفسه، ص ١٥٩.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(شارلمان) قد انتهت من إنجاز واحداً من أكبر انتصاراته العديدة على قبائل (السكسون) المعروفين بشدهم وميلهم للمشاكسة، وفرض على كثريين منهم قبول النصرانية دينهم، فخرج على رأس جيوشه الكبيرة إلى مقاطعة (أكيتين)، وحاصر (شارلمان) المدينة، ولما جاءته أنباء لم يلقها وعدة حلفاء من عون ومساعدة، وحاصر (شارلمان) المدينة، ولما جاءته أنباء على قيام العصيان والتمرد عن الشعب السكسون، وطود من أراضيه الوهيان، والقسن، وغادر عن النصرانية مما أدى إلى تراجع (شارلمان) عن غزوه، وفي طريق عودته فُتنى (شارلمان) بهزيمة أنه أذهبت كلها ما كان، وإنما قد مرت في خاطره من رغبة وتصميم على القضاء على الدولة الأموية في الأندلس، هنا مع العلم أنه مهما كانت أوضاع ونصول اتفاق (شارلمان) مع العصابة الأندلسيين قبل حصار (ستراغوسة)، فإن الإحداث أثبتت إن هذا التحرك كان على الأرجح وليد رغبات آنية وليس في إطار خطة ثابتة لاحتلال أسبانيا، وذلك أنه بعد هذه الهزيمة سلم (شارلمان) بالدولة الإسلامية المخواورة على أنها واقع سياسي لا يمكن تغييره أو تجاوزه، وعلى هذا عذر جبال (الميرنيه) تحدوا ثابتة بين بلاده، وببلاد الأندلس، ولضمان حذوده مع المسلمين أقام في أراضي أكيتين دولة أعطى عرشها لابنه لويس مع السهر على الحدود مع المسلمين، وتشكل قاعدة دفاعية أمامية للفرنجية، وإلى جانب ذلك ما تردد في إن يتصل بالأمير الأموي، ويتبدل معه الرسل والبعثات، وإنما الفدایا، ويقيم مع دولته شكلاً من إشكال الهدنة استمرت حتى أوائل القرن الثامن الميلادي ¹، هل يتحقق ما يكتبه تقي الدين بن شعبان (قينيلينتسقا) لهذه الهدنة بأمان العلاقات بين الدولة الأموية في الأندلس، والدولة العباسية فقد امتازت بالتدور والعداء، فلما فرغ (أبو جعفر المنصور) ثاني حلفاء العباسيين ميلن دور بناء وتأسيس الدولة رأى أن كل الأقاليم قد خضعت له، وقدمت له الطاعة عدا (الأندلس)، فأولاً لها اهتمامه، وكان (المنصور) يرى إن (عبد الرحمن الداخل) خارج عن الطاعة، ويجب محاربته، وانتزاع الأندلس من سيطرته، وإعادتها لسلطة الخلافة، ورأى ² (عبد الرحمن الداخل) مقدار الخطط الجسيم الذي يهدده بوجوده من يعمل لخسايب العباسيين ضد الأمويين في الأندلس، إذ ثابت في اعتقاد الناس أنه يجب أن تكون السلطة والحكم في المسلمين من يحمي الحرمين، ولا تجوز لثائر أو مفترض للسلطة، وكان (المنصور) شديد النكمة على (الداخل)، ولا يتوانى عن استخدام أية وسيلة في سبيل القضاء عليه،

¹ Anti-Habibis say they beat the last anti-Habibis (Muhammad Ali) Habib to death in 1981.

^١ د. عبد المجيد نعفي، المصدر السابق نفسه، ص ١٦٤.

^١ د. عبد المجيد نعفي، المصدر السابق نفسه، ص ١٦٤.

ويتلمس في الأشخاص من ينهض بمقاومته، وقد أتاحت له الفرصة في قيام أحد أعوانه بالثورة على (الداخل)، ولكن محاولته لم تنجح.

إن فشل العباسين في استعادة الأندلس لم يعن أنهم قطعوا الأمل نهائياً في استعادة هذا الإقليم بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، ففي زمن الخليفة (المهدي بن المنصور) الذي كان لا يقل عن أبيه كرهاً (عبد الرحمن الداخل)، ورغبته في استرداد الأندلس، ولكنه لم يقدم في يوم من الأيام على تجهيز الجيوش لبعد المسافة، ولذلك اعتمد على المحاولات الشخصية، والثورات الداخلية مغذيًا إياها، ومعطياً لها تأييد الروحي، ولا سيما حركة الفهري، وسليمان الإعرابي التي لم تنجح.

أن بعد المسافة بين الدولة العباسية والأندلس، وشدة (الداخل)، والحالة التي كانت سائدة في أفريقيا حل دون تنفيذ رغبة العباسين باستعادة الأندلس.¹

وازدادت الأمور تعقيداً في زمن (الرشيد)، فقد ظهرت ظاهرة خطيرة هي محاولة الولايات الاستقلال عن مركز الخلافة ونفوذها، مثل ظهور أمارة (الأغالبة) شبه المستقلة لحماية ما تبقى من المغرب، ولتكون حاجزاً قبالة الإدارسة والمذاهب الأخرى إلى مصر، ولتكون حاجزاً بينه وبين الأمويين في الأندلس.²

وفي عهد الخلافة العباسية كانت زعامة العالم المسيحي - كما ذكرنا - يتقاسمها إمبراطوران، هما: إمبراطور الفرنجة، وإمبراطور بيزنطة، ومن أجزائها آسيا الصغرى، وعاصمتها (القسطنطينية)، ولم تكن علاقات هذين الإمبراطورين على وئام لتنافسهما على زعامة العالم المسيحي، ولذلك كانت أخبار الحروب بين العباسين والبيزنطيين تلقي ترحيباً لدى أباطرة الفرنجة الغربيين، لأنها على اعتقادهم تشغل منافسيهم حكام القسطنطينية عن توسيع حدودهم في أوروبا الشرقية، ومنافستهم على زعامة العالم المسيحي، وما لاشك فيه إن الحروب بين الأندلس والفرنجة، والصراع العنيف بينهما، سواء عن طريق التحالف أو الاتفاق بين بيزنطة وحكامها الذين سرهم أن تحول الدولة الإسلامية في الأندلس ضد أعدائهم، وتسهم في أشغالهم وإضعافهم.

أن التفاهم الودي بين العاهلين الفرنجي وال Abbasiy طبقاً للرؤيا الغربية كان يعود إلى عدة عوامل، منها رغبة (شارلمان) في فتح الأندلس، وحاجته إلى كسب تأييد الخليفة

¹ - عبد الجليل عبد الرضا الراشد، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس في القرنين الثاني والثالث الهجري، مطبوعات مكتبة النهضة، الرياض، ١٩٦٩، ص ١١٢-١٢١.

² - المصدر نفسه، ص ١٢١.

العباسي المعنوي في هذه القضية، وكذلك مسألة الخلاف بين الفرنجة والبيزنطيين حول وراثة التاج الروماني، ومن العوامل المقربة بينهما هي قضية التجارة في البحر المتوسط الذي كان يسيطر عليها العباسيون وإتباعهم (الاغالية) في شمال أفريقيا، والدولة الأموية في الأندلس على أكثر شواطئه^١.

وفي عهد الأمير (عبد الرحمن الناصر) في مطلع القرن الثالث الهجري حاول إقامة توازنات في منطقة المغرب الأقصى عن طريق أحيا تحالف مع قبائل المغرب الأوسط، وذلك لموازنة ومواجهة تحالف الفاطميين مع قبائل (كتامة)، وقبائل (مكناسة) القوية في الوقت الذي شعر فيه الفاطميين بصعوبة التوسيع شرقاً تجاه مصر، ومع نجاح الفاطميين في إزاحة (الأدارسة) مع أنهم كانوا متعاطفين معهم بعض الشيء، وإقامة حاكم في (فاس) أكثر ارتباطاً بـ (المهدية)، وأشد ولاءً لها تجاوز هؤلاء نهر (الملوية) وهو الأمر الذي عده (الناصر) غير مقبول، وغير مسموح به لدولة الأندلس، وهذا ما أقتضى منه القيام بمبادرات أكبر مما فعل حتى ذلك الوقت في المغرب الأقصى، وبالفعل كان هذا ضرورياً ليجعل نفوذه في هذه المناطق أقوى وأفضل، وليجعل حلفاءه هناك أشد صلة به، وأكثر ثقة بسياسته، وبحماية لهم، إذ أقدم (الناصر) في سنة ٩٢٧ م /٣١٤ هـ، على احتلال مرفأ (مليلة) المهم، وأقام عليه من قبله حاكماً بربرياً من قبائل (مكناسة)، وكان معروفاً بصلته بالأمويين، وولائه لأمرائهم، وجعل قطعاً من أسطوله البحري ترابط قبالة شواطئه رافعة علم الأمويين لأول مرة على شواطئ المغرب العربي، ثم عاد سنة ٩٣٣ م /٣١٩ هـ، فأرسل أسطولاً كبيراً رابط قبالة سواحل مدينة (سبتة) المغربية^٢.

إن وجود الأمويين في (سبتة) يؤمن لهم سيطرة مباشرة على ضفتى (جبل طارق)، وجعل هذا الممر المائي المهم تحت السيطرة التامة للأندلسيين، ثم فوق هذا وذاك، فإن وجود عمال الناصر، وموظفيه، وجنوده في (سبتة)، وجوارها يجعله أقدر على الاتصال بالقبائل البربرية، من مؤيدة له، ومن ساع للحصول على تأييدها

¹ - عبد الجليل عبد الرضا الراشد، المصدر السابق نفسه، ص ١٣٣-١٣٥.

² - د. عبد المجيد نعنى، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٧.

ومعارضته، كما يسمح له بمراقبة كل ما يجري في تلك الأرض بما فيها تحركات الفاطميين الكثيرة، وليكمل سيطرته على شواطئ المطلة على منطقة (جبل طارق) أقدم على احتلال مدينة (طنجة)، وأحسن تحصينها، وأقام فيها قوة عسكرية^١. وبذلك يكون (الناصر) قد أقام قواعد مهمة في مناطق عدة في المغرب الأقصى، وأقام صلات وثيقة مع عدد من القبائل البربرية المهمة، على الرغم من جهوده العسكرية في منطقة سواحل المغرب العربي، وإقامة أسطول أندلسي لم يستطع أن يقضي أو يحد من تسلط الأسطول الفاطمي الذي صار في منتصف القرن العاشر للميلاد سيد القسم الغربي في البحر الأبيض المتوسط^٢.

ولما نافست دولة الأندلس سلطان الخلفاء العباسيين في بغداد، اتجهت الخلافة العباسية إلى دولة الفرنجة القائمة على حدود دولة الأندلس تنشد محالفتها ضد الأمويين، وأستعانت في سبيل دعم أواصر المودة والصداقه بينهما بالتبادل дипломاسي، فسیرت السفارات فيما بين بغداد، وعاصمة الفرنجة، ولم تتحقق الدولة البيزنطية مآربها في محالفه العباسيين ضد الفرنجة، إذ كان هؤلاء – كما أسلفنا – يسعون إلى التحالف مع دولة الفرنجة ضد الأمويين في الأندلس، ولما لم ينجح (شارلمان) في مهاجمة دولة الأندلس، فكان من الطبيعي أن يقيم البيزنطيين علاقات دبلوماسية مع دولة الأندلس، وبلغت تلك العلاقات أوجها، في عهد الإمبراطور قسطنطين الرابع، وال الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، وسارت السفارات بين القسطنطينية وقرطبة، وكان للسفراء المسلمين في القسطنطينية مكان الصدارة بين الممثلين الدبلوماسيين ولسفراء العباسيين الأسبقية في الترتيب على سفراء الأمويين^٣.

^١ - المصدر نفسه، ص ٣٦٨.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٣٦٩.

^٣ - حسن فتح الباب، مصدر سابق ذكره، ص ٣٤-٣٣.

الفصل الثاني:

تطور العلاقات الدولية منذ نشوء الدولة القومية.

• المبحث الأول:

حرب الثلاثين عاماً.

• المبحث الثاني:

معاهدة ويستفاليا ١٦٤٨.

• المبحث الثالث:

صلح أوترخت ١٧١٣.

• المبحث الرابع:

الحروب والمنافسات الأوروبية.

الفصل الثاني

تطور العلاقات الدولية منذ نشوء الدولة القومية

المبحث الأول

حرب الثلاثين عاماً

ترجع حرب الثلاثين عاماً إلى حركة الإصلاح الديني في أوروبا، وما شجع على هذه الحركة هي مساوى الكنيسة الكاثوليكية، ومارسات رجالها، حيث سيطرت الكنيسة الكاثوليكية على عقول الناس لمدة طويلة من الزمن، ومارست سياسة القمع تجاه أيه فكرة لا تنسجم وطروحاتها، فحاربت الكنيسة آراء المفكرين الأحرار الذين وصمتهم بالإلحاد، وقضت على العديد منهم عن طريق محاكم التفتيش، وفي الوقت نفسه كان العديد من رجالات الكنيسة يحيون حياة بعيدة عن المسيحية، وتحولوا إلى إقطاعيين يمتلكون مساحات شاسعة من الأراضي، ويبعدون المناصب الدينية، ويتجرون بصفتهم الغران، وتحولت الكنيسة الكاثوليكية في بداية القرن السادس عشر إلى قوى سياسية عالمية مع تنظيم واسع معقد، فقد كان البابا يُعد زعيم العالم المسيحي الروحي، وكانت الكنيسة تمتلك مؤسساتها الإدارية، والمادية، والقضائية، والعسكرية الخاصة بها، ولم تعد الموارد التي تدخل إلى روما تكفي لإشباع الحاجات البابوية المتزايدة، ولذلك بدأت البابوية تبحث عن أساليب جديدة تؤمن لها موارد مالية إضافية، فأخذت تدخل الحروب، وتفرض ضرائب جديدة، وتبيع المناصب الدينية، وصكوك الغران، لقد عاش كبار رجال الدين حياة الترف، والأبهة، واستخدمت الكنيسة محاكم التفتيش للتخلص من معارضيها، وقد أتبعت هذه المحاكم أساليب بشعة على هذا الطريق. ومن الجدير بالذكر أن البابوية فقدت هيبتها وقدسيتها في نظر الكثيرين في أثناء انقسامها على نفسها، ولذلك كله وجهت الانتقادات إلى الكنيسة، وازداد عدد المطالبين بضرورة إصلاحها، وتنقيتها من كل الشوائب والمظاهر السلبية التي علقت بها¹.

وكانت الكنيسة الكاثوليكية تمارس سلطة سياسية واسعة خلال العصور الوسطى، فضلاً عن سلطتها الدينية. كما أن موظفي الكنيسة من البابا إلى الأساقفة والقسس كانوا يديرون منظمة دينية متقنة انتشرت فروعها في جميع أنحاء أوروبا الوسطى والغربية، مستقلة عن الدولة، وادعت أنها أرفع شأناً منها، وكانت الكنيسة تملك مساحات واسعة من الأرضي تستغل مواردها، وغير خاضعة لضرائب الدولة، وقد فرضت الكنيسة ضرائبها الخاصة على أعضائها، وحاكمت رجال الدين، وأحياناً المدنيين

¹ - د. خليل علي مراد، ود. جاسم محمد حسن، ود. عبد الجبار قادر غفور، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، جامعة الموصل، كلية التربية، ١٩٨٨، ص ٤٦.

في محاكمها الخاصة دون تدخل المحاكم المدنية، كما كانت الكنيسة الكاثوليكية تملك أراضي واسعة في أوروبا، والتي كانت خارجة عن نطاق ضرائب الدولة، وكان لرجال الدين دخل سنوي من الأراضي العائدة للكنيسة^١.

وقد نظرت الطبقة الوسطى بغير من اللهفة إلى ثروة الكنيسة، والموارد الضخمة التي يتمتع بها رجال الدين الكبار، والمساحات الواسعة من الأراضي التي تملكها الكنيسة، ولم يكن الملوك والأمراء أقل حماساً من رجال الطبقة الوسطى في وضع حد لسلطة الكنيسة السياسية والاقتصادية لأجل تثبيت الحكم الملكي المطلق، وتتدخل الدولة في شئون الكنيسة، ومصادر ثروتها الهائلة^٢.

ومن أهم العوامل وأشدّها خطراً على الكنيسة الكاثوليكية هو انتقادات المفكرين، والإنسانيين، وشكاوي الفلاحين، والحرفيين التي كانت تهدى بالشورة ضدّها، وبحلول القرن السادس عشر بلغ الصراع السياسي ذروته، فكان الملوك الذين قضوا على الإقطاع، وأسسوا حكومات قومية، وشجعوا على انتشار الوعي القومي، وحب الوطن، وابتغوا ازدياد سلطتهم المطلقة، وثروا هم القومية لم يتوانوا في إخضاع الكنيسة، ومصادر أموالها وأراضيها، وتوزيعها على أتباعهم، وإضافة سلطة الكنيسة إلى سلطاتهم^٣.

وببدأ الصراع الديني في القرن السادس عشر بعد ظهور حركة الإصلاح الديني بين الكاثوليكية والبروتستانية، ولما انقسمت البروتستانية إلى مذاهب زادت حدة الصراع بينها وبين الكاثوليكية، وما أن انتهى القرن السادس عشر حتى كان كل مذهب قد أستقر فيما أنتشر فيه من ساحة أوروبا، وببدأ القرن السابع عشر، وفي طياته نظرة كان من شأنها إنهاء هذا الصراع، وإنهاء عدّ الدين عاملاً ذا أهمية في تشكيل أو توجيه سياسة الدول الخارجية بفضل عودة الاستقرار والتوازن إلى داخل الدولة ذاتها عندما اختفت الانقسامات الدينية الداخلية، حتى أصبح في استطاعتها العمل على تحقيق أغراضها من غير أن يتيتها على دعوة العقيدة والمذاهب. لقد أفلت هذا الصراع من حرب دينية إلى حرب سياسية لخدمة المصالح القومية، ومن ثم قضى نهائياً على هذا اللون من الصراع، ولقد أخذت أصول الصراع الديني تنمو و تستشرى بعد عقد صلح أو كسبيرغ سنة ١٥٥٥، والذي حاول التوفيق بين مطالب الكاثوليكي والبروتستانت

^١ - د.محمد محمد صالح، تاريخ أوروبا في عصر النهضة، وحتى الثورة الفرنسية ١٧٨٩-١٨٠٠، كلية الآداب، جامعة بغداد، دار الجاحظ للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ص ١٧٦-١٧٨.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٧٨.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٧٩.

على السواء، ولكن صلح أو كسرغ لم يكن من القدرة على حسم التراعي بين المذاهب الجديدة من ناحية، وبين الكاثوليكية من ناحية أخرى، وكان من أهم أسباب إخفاق صلح أو كسرغ ما جاء فيه بشأن المحافظة على أملاك الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا، ومنع السلطة الزمنية والعلمانية من الاستيلاء عليها، وحرمان الكنيسة منها، ذلك أن أملاك الكنيسة الكاثوليكية سرعان ما أصبحت بعد هذا الصلح موضع أطماع البروتستانتية المنتصرة، وكان هذا الأعتداء من جانب البروتستانتية على أملاك الكنيسة الكاثوليكية من أسباب التذمر، وغضب أتباع البابوية المستمر في ألمانيا، فضلاً عن ذلك لم يتح صلح أو كسرغ الفرصة للكالفانية التي انتشرت في أوروبا، وفي ألمانيا، فلم يعرف بهذه العقيدة الجديدة، أو بمبدأ (التسامح الديني) عموماً، وعلى ذلك استمرت الكالفانية في ألمانيا تفتقر إلى سند قوي تستند إليه، ومن ثم أصبحت معرضة للأخطار التي هددها في وجودها نفسها^١.

لقد منح صلح أو كسرغ كل ملك الحق في أن يختار الدين الذي يريد له رعيته، وكان رئيس الدير أو رئيس الأساقفة أو الأسقف في عدد من الدول يسن لنفسه القوانين للحكومة، لقد انتشرت الكالفانية في ألمانيا، ولم يكن لمعتنقيها حقوق على وفق صلح أو كسرغ، وقد أصبح عدد من الدول يعتقد الكالفانية، وكانت أحدي هذه الدول دولة (البلاتين) التي تُعد مهمتها لوقوعها في وسط وادي نهر الراين، ولأن حاكمها كان منتخب، وهو أحد الأشخاص السبعة الذين انتخبوا الامباطور الروماني المقدس، ففي سنة ١٦٠٨، أرادت الدول البروتستانتية بإلحاح من منتخب البلاتينات تشكيل إتحاد بروتستانتي للدفاع عما حصل من مكاسب، ولكي تناول التأييد، فإنهما فاوضت الهولنديين، والإنكلiz، وهنري الرابع ملك فرنسا، وتشكلت سنة ١٦١٩، عصبة الدول الألمانية الكاثوليكية بتدبير من (بافاريا)، وانتظرت المساعدة من إسبانيا، وهكذا فإن الألمان انشقوا على أنفسهم، أو بالأحرى انقسموا إلى حزبين تطاحنا في حرب دينية، واستعن كل منها بمساعدة أجنبية على الآخر. وقد تولدت نتائج أخرى، منها أن الهدنة التي وقعت لمدة اثنى عشرة سنة بين الأسبان والهولنديين سنة ١٦٠٩، قد حان انتهاءها في سنة ١٦٢١، وأسعد الأسبان (الذين لم تتأثر قوتهم العسكرية بالاهيار الداخلي) لسحق الجمهورية الهولندية أو في أقل تقدير الاستيلاء على مصب نهر (شيلت) بغية إخراج التجار الهولنديين من جزر(الهند الشرقية)، وبالنظر إلى أن الهولنديين كانوا مصممين على الاستقلال، وعازمين على البقاء في جزر(الهند الشرقية) على أية حال،

^١- د. عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر ، ١٩٨٩ ، ص .٢٤٠ - ٢٤١.

وعدم إزالة تحصيناً لهم من ميناء (أنتورب)، فقد بدأ الأسبان دعم مركز أسرة (هابسبورغ) في وسط أوروبا، وعزموا على إقامة أقاليم لعملية تهم الحربية إبتداءً من مدينة (ميلانو) في شمالي إيطاليا بحيث يمتد أحد أسنانها خلال الأقاليم الشرقية السويسرية، وكان المخطط الأسپاني قد أثار حفيظة فرنسا، وكان فرع أسرة (هابسبورغ) النمساوية قد بدأ، فضلاً عن ذلك، يتحفز لاستئصال البروتستانتية من الأقاليم الخاضعة له، وتحويل الإمبراطورية الرومانية المقدسة إلى طراز حكومة وطنية أكثر عصرية وحداثة من ذي قبل، بحيث أن فكرة خلق قوة قوية في ألمانيا كان يفرغ فرنسا ويقللها، فأنها نصبت من جديد، وبسبب معارضتها لآل هابسبورغ حامية رئيسة للمذهب البروتستانتي، وكانت فرنسا عملاق أوروبا، وكان عدد سكانها خمسة أمثال سكان إنكلترا، وعشرة أضعاف سكان السويد أو الجمهورية الهولندية، ولا تضاهيها في نفوس أية ولاية ألمانية.^١

لقد كانت حرب الثلاثين عاماً الناجمة عن هذه الضغوط تزداد بسبب ذلك تعقيداً، فكانت هناك حرب أهلية ألمانية نشب من جراء المسألة الكاثوليكية - البروتستانتية، وكانت هناك أيضاً حرب أهلية ألمانية نشب بسبب تشريعات دستورية بين الإمبراطور الذي سعى إلى بناء سلطة مركبة للإمبراطورية، وبين الأعضاء الذين كافحوا من أجل الحفاظ على استقلالها.

إن هاتين الحربين كانتا متباينتين من حيث المبدأ، فالولايات الكاثوليكية كانت كالولايات البروتستانتية تعارض سيطرة الإمبراطور، وكذلك كانت هذه الحرب حرباً دولية بين فرنسا، وآل هابسبورغ في النمسا - وبين أسبانيا وهولندا، وبين ملكي الدنمارك والسويد، وقد تورط فيها أمير (ترانسلفانيا)، ورأى جميع هؤلاء الأجانب بالنسبة لألمانيا حلفاء في الولايات الألمانية المتحاربة، كما جرت معظم المعارك في ألمانيا نفسها. كما أن جميع القادة كانوا يحاربون من أجل منفعتهم الخاصة، لأن كل واحد منهم كان يطمح في إقامة إمارة له، وكان يحارب أو يرفض القتال على وفق ما ت عليه عليه مصلحته، أصبح الحلفاء يخشون انتصار أي فريق منهم، فكانوا يغيرون أهدافهم، وينقلبون على المنتصر في ميدان المعركة^٢.

وفي (بوهيميا) بدأت حرب الثلاثين عاماً، وكانت امتداداً للثورة التي قامت في (بوهيميا) ضد الإمبراطور (رودolf الثاني) عندما أراد تأسيس حكومة مركبة قوية في ألمانيا، وكانت وسليته هي القضاء على الانقسام الديني حتى يمكن القضاء على الانقسام

¹ - روبرت ر. بالمر، تاريخ العالم الحديث، الجزء الأول، أوروبا من القرون الأولى حتى سنة ١٧٤٠

ترجمة د. محمود حسين الأمين، مكتبة الوفاء، الموصل، ١٩٦٤، ص ٢٢٣-٢٢٢.

² - المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

السياسي، وإنهاء الخلافات الدينية. وقد حاول (رودولف) أن يفعل ذلك في بوهيميا التي كانت من أملاك الهاسبورغ، فأدى ذلك إلى الاصطدام مع العناصر الدينية، ومن ثم أبعت النذير الأول للحرب الأوروبية الشاملة، وكان أهل بوهيميا من السلف، والجيك، والجرمان، وكانت البروتستانية الموثورة قد انتشرت فيها، وقد قام البروتستان بالثورة في العام ١٦١٨، والتي سرعان ما تطورت إلى حرب أوروبية، إذ أمتد نطاقها من بوهيميا إلى ألمانيا الجنوبية ثم إلى ألمانيا الشمالية، فجذبت إليها أيضا الدول المجاورة البروتستانتية، ثم أخذت دولة بعد أخرى تخوض غمار الحرب، حتى غدت هذه الحرب في النهاية حرباً غير ألمانية، وهذا أخذ الأمر في بادئه مظهراً نزاع بين البروتستانتية والكاثوليكية ثم انتهى أخيراً إلى نزاع بين الأسرتين الكبيرتين الهاسبورغ الألمانية والبر بون الفرنسية من أجل السيطرة الأوروبية.^١

وقاد (البوهيميون) الحرب، وأحرزوا في البداية بعض الانتصارات، وبعد انتخاب (فرديناند الثاني) إمبراطوراً في العام ١٦١٩، وكان كاثوليكيًّا متعصباً عمل على إخضاع (بوهيميا)، وأهزم البروتستان في موقعة (التل الأبيض) العام ١٦٣٠، قبلة قائد المعسكر الكاثوليكي، وأضطر (فريديريك) ملك (بوهيميا) إلى الهرب، وأضطهدَ أهل (بوهيميا) التي تحولت إلى منطقة نفوذ كاثوليكية بعد أن كانت بروتستانتية، ولكن انكلترا البروتستانتية لم تتدخل لنجدتها حليفها (فريديريك الخامس)، وذلك من أجل عدم إغضاب إسبانيا الكاثوليكية، إذ أن الملك (جيمس الأول)، ملك انكلترا كان حريصاً على إقامة تفاهم بين أكبر دولة بروتستانتية، وهي (انكلترا)، وأكبر دولة كاثوليكية، هي (إسبانيا) من أجل تحقيق السلام في أوروبا، إذ فضل حل المسألة سلبياً، وبالفاوضات، وأخذ يرجوا إسبانيا بالتدخل لإنهاء هذا النزاع لمصلحة (فريديريك)، ولكن لم تنجح هذه المساعي، ومن ناحية أخرى أدى الخطر الحدقي (بالبروتستان)، واقتراب الجيوش الكاثوليكية من الشمال البروتستانتي إلى انضمamation ملك الداغارك (كريستيان الرابع)، الذي رأى نفسه مهتماً أكثر من غيره بهذه الأحداث من وجهة النظر الدينية والسياسية معاً، وفضلاً عن كونه ملك الداغارك فقد كان دوقاً لـ (هولشتاين)، أيضاً، وهذا يعني إنه كان أميراً من أمراء الإمبراطورية، وانتصار الكاثوليكية كان تهديداً لصالح عائلته، وقد تقابل جيش الإمبراطورية الكاثوليكي بقيادة (والشتاين)، وجيش الداغارك، إذ انتصر فيها الكاثوليكي على البروتستان في موقعتين الأولى موقعة (لوتر آب) في العام (١٦٢٦)، والموقعة الأخرى (توزل)، واحتلت على أثرها (مكلنبرج)، وخررت إقليمي (شنزويفيك، وهولشتاين)، وأضطر فيها (كريستيان الرابع) إلى عقد (صلح لوبيك)

^١ - د. عمر عبد العزيز عمر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤، ٢٤٤

في العام ١٦٢٩، وفيه أسترجع (كريستيان) أراضيه المحتلة، وفي مقابل ذلك تخلى عن أطماعه، ووعد بأن يكف يده عن التدخل في الشؤون الألمانية^١.

أما ملك السويد (غوستاف أدولف)، فكان متھمًا للبروتستانتية، واستجاب لدعوة البروتستانتية الألمانية عندما دعته، ولكن كان هناك أسباب أخرى سياسية مهمة جدًا، فقد كانت السويد ترمي إلى السيطرة على (بحر البلطيق)، وكذلك المسألة الاقتصادية كان لها اعتبار في سياسة (غوستاف)، والسويد كانت دولة صغيرة، وكان جيرانها، مثل (روسيا، النرويج، وبولندا) أعداء لها، ومواردها محدودة، ولكن في عهد (غوستاف) وصلت إلى مصاف الدول القوية، وأصبح لها جيش منظم قوي، ومع ذلك، فسوف لا يكون لهذه الدولة قيمة إذا نجح الكاثوليك في استرجاع سيطرتهم على كل ألمانيا، وعبروا البلطيق، وغزو السويد، ولذلك أسرع بغزو (ألمانيا) قبل أن تقوم هي بغزو (السويد). وقد حققت السويد في البداية انتصارات في معركة (ليزج) في أيلول من العام ١٦٣١، وأكتسح وسط أوروبا حتى (الدانوب، والراين)، وأنسحب الجيش الألماني في معركة (لوتن)، وقتل ملك السويد مما أدى إلى ضعف قوهَا، وحققت ألمانيا نصرها على القوات البروتستانتية المتمثلة بالقوات السويدية، والقوات المتحالفه معها في (نوردلجن) في أيلول من العام ١٦٣٤^٢.

ولكن انتصار الكاثوليك في ألمانيا لم يكن في مصلحة فرنسا التي أيقنت أن التدخل الحربي هو الوسيلة الوحيدة للقضاء على الكاثوليك، ومن ثم على أسرة (هابسبورغ)، فأعانت الحرب على إسبانيا في العام ١٦٣٥، حليف الإمبراطور، وبذلك دخلت فرنسا الحرب ضد الإمبراطور، وعندئذ، لم تعد الحرب مشكلة ألمانية، بل أصبحت مجرد نزاع بين فرنسا والسويد من جانب ضد النمسا وإسبانيا من جانب آخر، ولكن على أرض ألمانية، والمسألة هو أن كل من فرنسا والسويد قد اتخذ من المسألة الدينية ستاراً لتحقيق أطماعها السياسية والاقتصادية على حساب ألمانيا، وفي أول الأمر لم تكن الحرب في مصلحة الفرنسيين، واضطربت قواها إلى الانسحاب داخل الأرضي الفرنسي قبالة ضغوط قوات الإمبراطور، ولكنها ما لبثت أن حققت بعض الانتصارات، ولكن مفاوضات الصلح كانت مستمرة في أثناء الحرب. فقد كان الإمبراطور يتفاوض مع السويد، ومع الأمارات البروتستانتية، في حين يتفاوض من جانب آخر في مونستر مع الفرنسيين والكاثوليك من أجل الوصول إلى الصلح، وفي النهاية تم التوقيع على صلح ويستفاليا في ٢٤/تشرين الأول/من العام ١٦٤٨^٣.

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٤٦-٢٤٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٤٨-٢٤٩.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٢٥٠-٢٥٢.

المبحث الثاني

معاهدة ويستفاليا ١٦٤٨

ابتدأت محادثات الصلح في (ويستفاليا) سنة ١٦٤٨، في المدينتين (مونستر، وأوسنابروك)، وكانت الولايات الألمانية تسعى وطالب بالصلح ، وإيجاد تسوية دينية نهائية، وإصلاح الإمبراطورية الرومانية المقدسة أصرت فرنسا، والسويد على أن تشرك الولايات الألمانية في المفاوضات على إنفراد لتفتيت القوى، وهو مبدأ رُحب به النساء الألمان بحماس، ولكن الإمبراطور قاومه من غير جدوى، وقد تدفق بسبب ذلك مئات الدبلوماسيين والمفاوضين على (ويستفاليا) ممثلين عن أنحاء الإمبراطورية، وقد حضره ممثلون عن إسبانيا، وفرنسا، والسويد، وهو لندة، وسويسرا، والبرتغال، والبنديقة، وحضره ممثلون عن إيطاليا، وحضره كذلك مثل عن البابا، ولم يسبق أن انعقد مؤتمر أوربي كهذا منذ مجلس (كونستانس) الاستشاري الذي كان في الحقيقة اجتماعاً أوربياً انعقد في العام ١٤١٥ ، لبحث شؤون الكنيسة. وقد أصفعى مثل البابا إلى مقررات (ويستفاليا)، وأستمع لها بوضوح، ولكن البابا لم يوقع المعاهدات أبداً، وتعثرت المفاوضات، لأن الجيوش كانت ما تزال تحارب، وكان بعد كل معركة يعلن هذا الفريق أو ذاك شروطه، ورفضت فرنسا واسبانيا أن تصالحاً مع بعضهما وبقيتا في الحقيقة تتحاربان حتى سنة ١٦٥٩ ، ولكنها اتفقتا على تسوية بالنسبة إلى مصلحة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وأدرجت معاني صلح (مونستر، وأوسنابروك) التي عقدت في العام ١٦٤٨ ، وعرفت بمعاهدة (ويستفاليا).^١

وأهم ما جاء فيها :
أولاً: التسوية الدينية :

١. اعترف صلح (ويستفاليا) بما جاء من قبل في صلح بساو سنة ١٥٥٢، وصلح او كسيرغ سنة ١٥٥٥ ، بشأن منح كل أمير الحق في اختيار المذهب الديني الذي يريد، أي أن حرية الاعتقاد قد منحت للأمير، وليس للأفراد.
٢. اعترف رسمياً بمذهب كالفن، وبذلك تمنع أنصار كالفن بالتسامح الديني الذي منح لأنصار مارتن لوثر من قبل، وبذلك تساوى البروتستانت مع اللوثريين الكالفانيين من التمتع بمبدأ (التسامح الديني).
٣. إنهاء التراع بشأن استرجاع أملاك الكنيسة الكاثوليكية، فأتفق الطرفان الكاثوليكي والبروتستانتي على تحديد يوم أول كانون الثاني من العام ١٦٤٢ ،

^١ - روبرت بالمر، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٠.

كأساس للفصل في الأموال التي تؤول إلى كل من البروتستانت والكاثوليك، والأموال الموجودة بين يدي كل من الطرفين في صلح (براغ) في أيار من العام ١٦٣٥، وترتب على التسوية الجديدة أن ترکزت الأموال البروتستانتية في الشمال، والأموال الكاثوليكية في الجنوب.

٤. صارت الولايات البروتستانتية على قدم المساواة مع الولايات الكاثوليكية في كل شئون الإمبراطورية، وأصبح المجلس الإمبراطوري الذي أستمر ليكون بمثابة مجلس لفض المنازعات، ويكون من أعضاء من الكاثوليك، وآخرين مساوين لهم من البروتستانت^١.

ثانياً: التسوية السياسية :

تحكمت السويد في أجزاء واسعة من شمال ألمانيا، ولاسيما مصبات أنهار الأودر، والألب، والوزر، وحصلت على الأسقفيات البروتستانتية في (برلين، وفردان)، واحتفظت بالجزء الأكبر من (بوميرانيا) الغربية، وبذلك حققت السويد السيادة على (بحر البلطيق)، وهو الهدف الذي كان يسعى إليه الملك (غustaf)، وفضلاً عن ذلك، أصبحت السويد عضواً في (الدایت) الألماني، ولها ثلاثة أصوات، وبذلك أصبحت السويد من الدول الأوروبية الكبرى، ولكن لفقر مواردها لم تتمكن من الاحتفاظ طويلاً بذلك المركز، أما عن فرنسا فقد استولت على (الألزاس) النمساوية ما عدرا سترايسبورغ) الحرة عاصمة (الألزاس)، كما ضمت بعض المناطق الألمانية، فامتلكت أسقفيات (متنز) عاصمة (اللورين)، وتول، وفردان، وفي إيطاليا فقد استولت فرنسا على قلعة (بنير لو) في مملكة (بيد مونت)^٢.

ثالثاً: التعديلات السياسية في ألمانيا :

أضعف (صلح ويستفاليا) سلطة الإمبراطور هنائيًا، وأصبح الأمراء الألمان عموماً على قدر كبير من القوة والاستقلال، واستقلت الإمارates البروتستانتية استقلالاً تاماً، وأن ظلت هناك بعض الصلات الرسمية والشكلية بالإمبراطورية، وهكذا قضي على أمل الإمبراطور في إيجاد إتحاد ألماني، وفي الوقت نفسه نرى أن التعويضات التي منحت لناخب (براندنبورج) قد جعلت منه أقوى الأمراء على الإطلاق في ألمانيا، فاستيلائه على (مجير برج) كتعويض عن (بوميرانيا) الغربية التي أخذها السويد، وكذلك (مندن، وهيلبرشتات) فضلاً عن تبعه بوراثة حكم (بوميرانيا) الشرقية جعله يسيطر على أجزاء واسعة من ألمانيا مما جعله دون شك الرجل الثاني في ألمانيا بعد الإمبراطور، ويمهد

¹ - د. عبد العزيز عمر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٢-٢٥٣.

² - المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

هذا لـ (براندنبيرج) إلى أن تصبح أقوى الملكيات في ألمانيا تحت اسم (ملكة بروسيا) التي ستأخذ على عاتقها أيجاد الوحدة الألمانية التي عجز عن تحقيقها الإمبراطور، وكذلك اعترف هذا الصلح بانفصال سويسرا عن الإمبراطورية كما اعترفت إسبانيا باستقلال هولندا^١.

إن الخلل الإمبراطورية الرومانية المقدسة الذي أزداد برسم الحدود الدينية داخلها أيام (لوثر) أصبحت الآن ثابتة سياسياً، ومعترف بها من ناحية القانون الدولي، وانسلخت عنها الولايات التي تشكل حدودها، فلم تعد هولندا وسويسرا تابعتين لها، وأعترف بكل من المقاطعات المتحدة (الهولندية، والولايات السويسرية الكانتونات أو الكيان (اهيليفيني) حكومة ذات سيادة مستقلة، فضلاً عن هذا الاعتراف للهولنديين باحتلالهم لضفي (هير شيلت الأسفل)، وبحقهم في غلقه بوجه السفن النازلة إلى المحيط^٢.

وعلى هذا يمكن القول أن (صلح ويستفاليا) وضع حدًّا للأمال التي راودت (مكسيميليان الأول، وشارل الخامس، وفرديناند الثاني) بخصوص أصلاح وتوحيد الإمبراطورية اتحاداً مفككاً من ولايات كثيرة العدد، ولم تعد الإمبراطورية حتى أوائل القرن التاسع عشر زعيمة العالم المسيحي، ولو أسمياً، وعلى العموم فقد أنهى (صلح ويستفاليا)، إحدى المراحل الخامسة في التاريخ الأوروبي الحديث، وهي مرحلة (الإصلاح الديني، والإصلاح المضاد)، ورغم أن الأحداث الدينية استمرت تؤدي دوراً مهماً في تاريخ أوروبا كثيراً، مثل (فرنسا، وبريطانيا)، فإن الدول الأوروبية والإمارات احتفظت بعقيدتها كما أصبحت عليه في العام ١٦٤٨، وهكذا انتشرت فكرة التسامح الديني، وعمت أوروبا، فبعد أن كان هذا المبدأ قاصراً على الأماء، والطبقات العليا، بدأ يأخذ طريقه إلى الطبقة الوسطى، والطبقة الدنيا، وانقسمت أوروبا أذًّا إلى معسكرين رئيسيين معسكر البروتستانتية، ومعسكر الكاثوليكية. وقد أثرت تعاليم المعسكرين في نظم الحكم لدول أوروبا، فالكاثوليكية عملت على إقامة الملكية المطلقة، والكافيينية ساعدت على إقامة الدول الديقراطية بحكم احترامها حرية الفرد، واللوثرية

وقفت من الجانبيين موقف الوسط، وإن كانت أكثر ميلاً إلى معسكر الملكية المطلقة منها إلى معسكر الدول الديقراطية، وبطبيعة الحال كانت فرنسا الكاثوليكية مثال الملكية الاستبدادية، وانكلترا وهولندا مثاليين للنظام الدستوري البارلياني^٣.

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

^٢ - روبرت بالمر، الجزء الأول، مصدر سابق ذكره، ص ٢٣١-٢٣٠.

^٣ - د. عمر عبد العزيز عمر، مصدر سابق ذكره، ص ٢٥٤-٢٥٥.

وإذا كانت المسائل الدينية قد أدت إلى حرب عنيفة عمت أوربا، وأصابتها بخسائر فادحة، فإن التمسك بهذه المسائل لم يعده له ما يبرره بل أن المصالح التجارية والقومية أصبح لها الأولوية على ما عدتها من المسائل ومن ثم ضعفت سيطرة الكنيسة على دول أوربا، وأصبحت سلطة الملكية تفوق ما عدتها من سلطات، بما في ذلك سلطة الكنيسة، وأدى هذا إلى غزو الدول في العصر الحديث^١.

نتائج معاهدة (ويستفاليا) في العلاقات الدولية:

١. ظهور مبدأ التمثيل дипломатический:

فقد أصبح (التمثيل дипломатический)، وتبادل السفراء عرفاً شائعاً بين الدول الأوروبية بعد حرب الشلايين عاماً، وقد ظهر العرف дипломатический بين المدن الإيطالية في القرن الخامس عشر، وأنشر في القرن التالي بين إسبانيا، وفرنسا، وبريطانيا، ولكن الإمبراطورية الرومانية المقدسة لم تكن ضمن نطاق العرف дипломатический، لأنها كانت أكثر سطوة، وأعظم نفوذاً من هذه الدول، وما حقيقته حرب الشلايين عاماً، جعل الإمبراطورية الرومانية المقدسة في مستوى الدول الأوروبية الأخرى. كما أصبحت الدول الأوروبية تعامل مع بعضها البعض على أساس المساواة بين الدول المستقلة ذات السيادة، وكان للتبدل дипломатический تأثير كبير في توطيد العلاقات الدولية وخاصة في وقت السلم، إذ أصبحت المعاهدات التجارية، والمخالفات الدافعية أساساً لهذا النوع من العلاقات بعد أن كانت (المعاهدات) أساس الروابط بين الدول، وكان مؤتمر (ويستفاليا) أول مؤتمر دولي بعثت إليه الدول ممثلتها لإعادة السلم في أوروبا.

٢. ظهور القانون الدولي:

نتيجة للحروب والخسائر البشرية رأت الدول ضرورة وضع بعض القواعد القانونية لحماية الدول الحليفة، ومعالجة المرضى والجرحى، ومنع إراقة الدماء، والتدمير، وأشهر من كتب في هذا الموضوع هو (غروشيوس) الذي كتب كتابه الشهير "مقال عن قانون الحرب والسلم"، ونشره في سنة ١٦٢٥، والذي دعا فيه إلى (التسامح الديني)، وأكد (غروشيوس)، أن الحرب لا مفر منها بين الدول، لأنها تعتمد على العاطفة، وهو في النفس، وهذا من الصعب أن تتفق الدول على أساس المحافظة على السلام أو منع الحروب، وعليه إذا كانت الحروب لابد منها، فيجب حصرها في نطاق ضيق لا تتعذر الدول التي تشتراك فيها، ومحاولة تجنب أعمال السلب، والنهب، وإراقة دماء الأبرياء.

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

٣- ظهور مبدأ توازن القوى:

لقد أسلهم مبدأ (توازن القوى) الذي ظهر أثر ظهور عدد كبير من الدول في أوروبا في منع الحرب والتوسيع، وكان يعني منع فسح المجال لدولة أو مجموعة من الدول المتحالفة بأن تطغى على غيرها، وتقوم بتهديدها، وذلك عن طريق تشكيل كتلة مضادة تستطيع إعادة التوازن بين الدول الأوروبية، وكانت المدن الإيطالية تطبق هذا المبدأ على نطاق ضيق في القرن الخامس عشر، وكان (صلح ويستفاليا) عبارة عن محاولة لتقليل سيطرة (آل هابسبورغ) على أوروبا بأخذ بعض أجزائها على حساب الدول الأخرى. لقد صار مبدأ (التوازن الدولي) أساساً تسير عليه الدول بعد حرب الثلاثين عاماً، وكان وسيلة للحفاظ على السلام، ومجاهدة العدوان من قبل مجموعة من الدول، وفي كثير من الأحيان كانت الكتل المتنازعة على الغنائم تجبر بوجب هذا المبدأ أن تتنازل عن بعض مطامعها إلى أن يتعادل الميزان.

٤- تخلص الإمبراطورية الرومانية المقدسة:

وتدحرجها، وتأجيل الوحدة الألمانية بسبب أذانية أمراء الولايات، وتدخل الأجانب في شؤون ألمانيا الداخلية كفرنسا، والسويد، والدانمارك.^١

إن أعظم انتصار حققه فرنسا، وحليفها السويد، وهولندا، كان في الدستور الجديد للإمبراطورية ذاتها، وليس في التغييرات الإقليمية. فقد أصبحت الولايات الجديدة التي يربو عددها على ثلاثة ولاية، حكومات ذات سيادة، ومنحت كل واحدة منها الحق في إقامة العلاقات السياسية مع الحكومات الأجنبية، وعقد المعاهدات معها، وذهب (صلح ويستفاليا) إلى أبعد من ذلك كثيراً، فأشترط الإمبراطور بأن لا يحق له سن القوانين، وجباية الضرائب، ودعوة الجنوب لحمل السلاح، وإعلان الحرب، وتعديل بنود معاهدة صلح ما، إلا بموافقة مجلس الإمبراطورية المؤلف من ثلاثة أمير، وذلك في اجتماع يعقدونه في (الرايخشتاغ)، واختيرت كل من (فرنسا، والسويد) لتكونا ضامنين لـ (صلح ويستفاليا). على أن السويد، وأن كانت قد بلغت من الضعف درجة لا تستطيع معها تنفيذ تعهداتها فعلاً، فإن فرنسا بقيت تستفيد من هذه القاعدة القانونية للتدخل في شئون أوروبا الوسطى قرن ونصف من الزمن^٢. إن معاهدة ويستفاليا تُعد بحق ميلاد الدولة القومية في العلاقات الدولية، فأصبح للدولة حدود قومية، وجيش قومي، واقتصاد قومي، وملك لا يخضع لسلطة الكنيسة، ولا لسلطة الإمبراطور.

^١- د. محمد محمد صالح، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٥-٣٠١.

²- روبرت بالمر، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٤.

المبحث الثالث

صلح أوترخت ١٦١٣

أتبع ملك فرنسا (لويس الرابع عشر) منذ بداية حكمه سياسة حازمة، فلقد دام التراع بين ملوك فرنسا من (آل بوربون)، و(آل هابسبورغ) ملوك النمسا مدة تزيد على قرن. وقد غالب على أمره فرع (آل هابسبورغ) النمساوي في (صلح ويستفاليا)، وبقيت فرنسا في حرب لعقد آخر من السنين مع فرع (آل هابسبورغ) الإسباني إلى أن تم (صلح البيرنيز) سنة ١٦٥٩. وكانت المقاطعات الإسبانية تواجه فرنسا من ثلاثة جهات في الوقت الذي لم تنقض ستة عقود على تسلم (لويس الرابع عشر) الحكم، وذلك من الشمال الشرقي، والشرق والجنوب، غير أن إسبانيا كانت منهوبة القوى بحيث لم تعد تشكل مهدداً لفرنسا مثلما كانت في السابق، وبقدر ما أصبحت الآن سبيلاً مغرياً لها في التوسيع، وأستطيع (لويس الرابع عشر) ملك فرنسا أن يعتمد على الشعور الوطني الذي ساد فرنسا لمساندته في تحقيق أطماعه بعد حدود فرنسا إلى (الراين)، وجبال الألب، وبدأ هجومه في سنة ١٦٦٧، إلا أن تحالف الهولنديين مع الإنكليز، بمساندة السويدي تمكنوا من إيقافه، فقد أنسحب جيش (لويس الرابع عشر) من الأرضي المخضبة الإسبانية، وتصالح مع الهولنديين. وعلى أثر تحالفه مع (شارل الثاني) ملك إنكلترا قام بحرب ضد هولندا، سنة ١٦٧٢، وغزا المقاطعات الهولندية على (نهر الراين) الأسفل، فأثار هذه المرة عدوه (وليام الثالث) ملك أورانج، وقد أستطيع (وليام الثالث) أن يجعل (آل هابسبورغ) النمساوي، والإسباني، ودوقيية برانденبورغ، والدانة غارك، يتحالفون مع الجمهورية الهولندية، فأكره (لويس الرابع عشر) على توقيع معاهدة (غافكين) سنة ١٦٧٨، وتخلى على أثرها الفرنسيون عن أطماعهم إزاء (هولندا)، ولكنهم حصلوا من إسبانيا على مقاطعة (فرانشي كونتي) الغنية التي تحيط بـ (الألزاس) من الجنوب، وتمد سلطان فرنسا إلى الحدود السويسرية. وفي السنة التي أعقبت الصلح مباشرة، أي سنة ١٦٧٩، تغلغل (لويس الرابع عشر) في حدود الإمبراطورية الرومانية المقدسة المتفككة، وكان تغلقه هذه المرة في منطقتي (الألزاس، واللورين)، فأصبح ملك فرنسا على وفق (صلح ويستفاليا) حقوق في هاتين المنطقتين، ولكن شروط المعاهدة كانت غير واضحة، وقد أنشأ (لويس الرابع عشر) في هاتين المقاطعتين المحاكم الائتلافية، وهي التسمية التي أطلقها عليها، وكانت محاكماً مدنية يقوم

فيها الحكام بفحص الشكاوى المذكورة من الأقسام المختلفة في (الأ LZAS، واللورين)، يصدرون فيها أحكامهم في مصلحة ملك فرنسا، وعلى اثر ذلك دخلت القوات الفرنسية هذا الإقليم، واحتلت في سنة ١٦٨١، مدينة (ستراسبورغ) التي كانت تُعد نفسها جمهورية صغيرة مستقلة بصفتها مدينة حرة في الإمبراطورية الرومانية المقدسة في أوربا، واحتجت البلاد الألمانية بأسرها على هذا الغزو المفاجئ الذي لم يعلن عنه، ولكن ألمانيا لم تكن يومذاك وحدة سياسية، فمنذ سنة ١٦٤٨، كانت كل حكومة في ألمانيا تدير سياستها الخارجية بنفسها ولقد جمع الإمبراطور (ليوبولد) قوى الكاثوليك في إتحاد لجاءه فرنسا، وأجتمع الكاثوليك والبروتستانت أعداء (لويس الرابع عشر) سنة ١٦٨٦، في عصبة (أوكسبرغ) التي ضمت إليها الإمبراطور الروماني المقدس، وملكي إسبانيا والسويد، وناحبي بافاريا، وسكسونيا، والبلاطين، والجمهورية الهولندية، وفي سنة ١٦٨٦، كان ملك انكلترا ما يزال في حماية فرنسا، ولكن بعد ثلاث سنوات حينما أصبح (وليم) ملكاً على انكلترا انضم انكلترا إلى العصبة أيضاً، وانفجرت حرب (عصبة أوكسبرغ) سنة ١٦٨٨، وانتصرت الجيوش الفرنسية في المعركة، ولكنها لم تستطع سوق أعداء بهذه الكثرة خارج ميدان المعركة، ولم يستطع الأسطول الفرنسي التغلب على الأسطول الموحدة من سفن الهولنديين، والإنكليز، ورأى (لويس الرابع عشر) نفسه في مأزق حرج، وانتهى به الأمر إلى عقد (صلح ريزويك) في هولندا سنة ١٦٩٧، وقد وضع (صلح ريزويك) حلّ حرب (عصبة أوكسبرغ) الطويلة تاركاً القضايا التي كانت حيث بدأت الحرب على حالها^١.

ثم جاءت حرب (الوراثة الأسبانية) التي استغرقت أحدي عشرة سنة من ١٧٠٢، حتى سنة ١٧١٣، وكانت أقل تدميراً من حروب الثلاثين عاماً، وكانت هذه الحرب من بين الحروب التي نشببت على نطاق واسع، وهي أول حرب كان فيها عامل الدين ضعيفاً، وكانت كذلك الحرب الأولى التي كان فيها العامل المؤثر، هو عامل التجارة والقوة البحرية، وكذلك كانت أول حرب بذل فيها الإنكليز المال بسخاء، وأستعمل في السياسات القارية، ثم إلى جانب هذا كله، فإنه باستطاعتنا أن نطلق عليها حرباً عالمية لتورط عالم ما وراء البحار بها، وشمولاً القوى الرئيسية في أوربا^٢.

¹ - روبرت بالمر، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩١-٢٩٤.

² - المصدر نفسه، ص ٢٩٤.

لقد كان المتطلعان إلى الإرث الأسباني هما ملك فرنسا، والإمبراطور الروماني المقدس، وكانا صهري (شارل الثاني) ملك إسبانيا، وكان كل واحد منها يأمل في أن يضع عضواً أصغر من أعضاء أسرته على العرش الأسباني، وفي أثناء العقود الأخيرة من القرن السابع عشر اتفقت الدول المتحاربة بعقد عدة معاهدات مختلفة على تقسيم الممتلكات الأسبانية، وكانت الغاية من تقسيم التركة الإسبانية بين كلا المطالبين هي الإبقاء بهذه الوسيلة على توازن القوى في أوروبا، ولكن عندما توفي آخر الأمر (شارل الثاني) سنة ١٧٠٠، ظهر انه قد ترك وصية أشترط فيها أبقاء العالم الأسباني على حالته، وأن جميع الممتلكات الإسبانية بلا استثناء يجب أن تصبح من نصيب حفيده (لويس الرابع عشر)، وإذا رفض (لويس الرابع عشر) قبول هذه الممتلكات باسم حفيده البالغ خمس سنوات من العمر، فإن جميع الميراث يجب أن ينقل إلى ابن إمبراطور (آل هابسبورغ) في (فيينا)، وقرر (لويس الرابع عشر) قبول الوصية، لأن نفوذ فرنسا المتمثل في حكم أسرة البربون في فرساي، وفي حكمهم في (مدريد) حتى وأن بقي التاجان غير متحددين، سيمتد من بلجيكا إلى مضيق جبل طارق، ومن ميلانو إلى المكسيك، ومانيلا. وتصدى (وليم الثالث) ملك بريطانيا للأمر على الفور، فجمع سياسي أوروبا في حلف عُرف (بالتحالف الكبير) سنة ١٧٠١، إذ مات في السنة التالية قبل اندلاع الحرب، تاركاً (لويس الرابع عشر) متربعاً فوق ذروة مجده، ولكنه كان في الحقيقة قد هيأ ماكينة الحرب لسحق الملك الشمس (لويس الرابع عشر)، وشمل الحلف الكبير كلا من إنكلترا، وهولندا، وإمبراطور روما المقدس (أيدته دوقية براندبورغ) وساندته فيما بعد البرتغال، ودوقيه سافوي الإيطالية، وكان باستطاعته (لويس الرابع عشر) الاعتماد على (إسبانيا) التي كانت مخلصة بالأخص في تطبيق وصية الملك الراحل^١.

وقد دارت الحرب في هولندا، وجنوب ألمانيا، وإيطاليا، وإسبانيا، وكان النصر حليف الفرنسيين أول الأمر، ولكن سرعان ما أحرز الحلفاء انتصارات فائقة بفضل قوادها العظام من أمثال القائد الانكليزي (مالبورو)، وتواتت الاندحارات على الجيش الفرنسي، وكاد الحلفاء المتقدمين في الأراضي الفرنسية يدخلون (باريس) لو لا حدوث الانشقاق في صفوفهم. فقد تغيرت الوزارة في إنكلترا سنة ١٧١٠، وجاءت إلى الحكم وزارة ميالة إلى السلم، وعزلت القائد (مالبورو) من القيادة. كما أن

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٩٦.

الفصل الثالث:

تطور العلاقات الدولية منذ الثورة الفرنسية

• **المبحث الأول:**

الثورة الفرنسية ١٧٨٩.

• **المبحث الثاني:**

الحروب النابليونية.

• **المبحث الثالث:**

مؤتمر فيينا ١٨١٥.

بوخارست، وكانت على وشك عبور الدانوب إلى البلقان لما أعلن عن معاهدة (كراكوف كينارجي) في العام ١٧٧٤، وبموجبه تنازلت الدولة العثمانية عن ما يلي: -
آزواف وما جاورها من الأراضي شمال البحر الأسود إلى روسيا.
إستبقت الدولة العثمانية رومانيا لنفسها، وكذلك اليونان على أن يقطع السلطان وعده
بإدارة أفضل لليونان، والبلقان.

أن تبحر السفن التجارية الروسية في المياه العثمانية.

أن تكون روسيا حامية الكنيسة الأرثوذوكسية في الدولة العثمانية.

وبموجب معاهدة أخرى في العام ١٧٩٢، أصبح فهر دنيستر حدود بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية، وهكذا فإن روسيا وصلت إلى الحدود الطبيعية جنوباً، وأصبحت الدولة الرئيسة على البحر الأسود، حيث تبحر سفنها عبر مضائق التركية بسهولة، وأشرفت على المياه الدافئة، وعُدّت روسيا نفسها حليفة المضطهددين من المسيحيين في الإمبراطورية العثمانية التي أخذت بالتدحرج بسرعة بعد معاهدة كراكوف كينارجي^١.

وفي الوقت الذي كانت روسيا القيصرية تحارب الدولة العثمانية اتفقت مع بروسيا والنمسا في العام ١٧٧٢، على تقسيم بولندا، فأخذت روسيا القيصرية كل الأراضي الواقعة شرق الدونا دنير، وأخذت بروسيا الغربية باستثناء ميناء دانزك. كما أخذت النمسا (غاليسيا) عدا مدينة (كاراكاو)، وبذلك حرمت بولندا من ربع أراضيها، وخمس سكانها، وفي سنة ١٧٩٣، قسمت بولندا مرة أخرى بين الدول الثلاث، وقسمت نهائياً في سنة ١٧٩٥، بين هذه الدول، وزالت بولندا من خارطة أوروبا، وحصلت بروسيا على مصب فهر الفستولا، في حين حصلت النمسا على القسمباقي، والبقية الباقية من بولندا أصبحت من حصة روسيا^٢.

^١ - المصدر نفسه، ص ٤٤٩-٤٥٠.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٤٥٠.

الخطاب التجارية في الهند، وهكذا بدأت السيادة البريطانية في أمريكا الشمالية والهند، وأصبحت بريطانياً أعظم دولة بحرية في العالم^١.

أما روسيا القيصرية فقد أصبحت دولة أوروبية عظمى في عهد (كاترين الثانية)، إذ تمكن بطرس الكبير أن يقضي على سيطرة السويد، ويستولي على المقاطعات السويدية شرقي (بحر البلطيق)، وبقيت (بولندا)، والدولة العثمانية في الغرب والجنوب يجب التخلص منها. لقد كانت (بولندا) دولة قوية مهمة منذ القرن السادس عشر، وأدت بولندا دوراً بارزاً في السياسة الأوروبية في القرن السابع عشر، ودافعت عن (النمسا) ضد الدولة العثمانية سنة ١٦٨٣، ولكن بحلول القرن الثامن عشر بدأت عوامل الضعف تنخر في (بولندا)، إذ أنها دولة فقيرة اقتصادياً ولا تستطيع تأسيس جيش قادر على مواجهة روسيا، وبروسيا، والنمسا، وكانت هناك عناصر روئinia في الجنوب، وألمانية في حوض البلطيق . وقد مارست الحكومة البولندية نوعاً من التسامح الديني والعنصري، لأن الروثينيين كانوا أرثوذكس، والألمان بروتستان. لقد طالبت العناصر المختلفة في (بولندا) بالمساواة، وحقوق أكثر مما تمنحها الحكومة البولندية، ولما لم تلب مطالبهم استعان الألمان بالبروسين، والارثوذوكس الروثينيين بالروس، وكان (فريدريك الكبير، وكاترين الثانية) مستعدان لتلبية النداء، فأرسلت (كاترين) جيشاً لإخماد الثورة في (بولندا)، حيث كانت (روسيا) تتدخل في شؤون (بولندا)، ولما عبر الجيش الروسي بعض أراضي الدولة العثمانية للوصول إلى (بولندا) نشب الحرب بين الدولتين^٢.

الحرب الروسية - العثمانية :

استمرت الحرب بين الدولتين العثمانية وروسيا من سنة ١٧٦٨ إلى ١٧٧٤، فقد خشيت الدولة العثمانية من سياسة روسيا الخارجية التي كانت تتوى ضم (بولندا) ثم التفرغ للدولة العثمانية، وكانت فرنسا تشجع الأتراك في حربهم ضد روسيا القيصرية، ولكن (لويس الخامس عشر) كان في وضع مالي سعى لا يستطيع الدخول في الحرب لإنقاذ (بولندا)، ولا يتمكن من تقديم المساعدات المالية للأتراك، وكانت الدولة العثمانية في تدهور مستمر، وكان الجيش العثماني في حالة يرثى لها من حيث التنظيم، والتسلية، والتدريب، فتوالت الهزائم على الجيش العثماني، واستولت روسيا القيصرية على (آزوف)، وولابي ولاكي، ومولдавيا في رومانيا، ودخل الجيش الروسي

¹ - د. محمد محمد صالح، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣-٤٤.

² - المصدر نفسه، ص ٤٧-٤٩.

الصلح ساعد(ماريا تيريزا) على أن تحافظ على أملاكها^١، إذ أرادت (ماريا تيريزا) استعادة (سيليزيا) التي استولى عليها (فردرريك الكبير)، فاقتربت من أمراء ألمانيا، وألغت عصبة الحكام، وكانت (سكسونيا) أحدى الدول التي يمكن الاعتماد عليها، كما أنها حاولت أن تجبر فرنسا إلى جانبها بإعطائها مقاطعات (الراين)، ولما كانت (قيصر روسيا) ضد (فردرريك) استمالتها (ماريا تيريزا) بسهولة، أما انكلترا، فكانت في نزاع استعماري مع فرنسا في المستعمرات. وقد تجددت الحرب بين الدولتين سنة ١٧٥٤، في أمريكا، والهند، وعندئذ مالت (انكلترا) إلى جانب (بروسيا) على أن تضمن الأخيرة سلاماً (هانوفر، وألمانيا) بصورة عامة، وعندئذ قررت (انكلترا) مساعدة (بروسيا) مالياً في حالة نشوب الحرب مع فرنسا، ولم ينتظر (فردرريك) ملك بروسيا إعلان الحرب فهجم على (سكسونيا)، وأخذ منها غرامة حربية، وجند لها جيش قوي، ثم تقدم الجيش البروسي نحو(بوهيميا)، ولكن في هذه الإثناء تقدمت الجيوش الفرنسية من الغرب، والسويدية من الشمال، والروسية من الشرق، والمساوية من الجنوب، فأصبحت جيوش (بروسيا) محاطة من جميع الجهات، وهنا ظهرت عبرية (فردرريك) بخلاصه من الدمار، إذ أن جيشه كانت أقل من جيش أية دولة من الدول التي أعلنت الحرب عليها، وبسرعة فائقة تمكن أن يدحر الجيش الفرنسي في معركة (روزباخ) سنة ١٧٥٧، ثم رجع إلى (سيليزيا)، ودحر الجيش النمساوي في (ليوثن) سنة ١٧٥٨، ثم الجيش الروسي في معركة (زوروندروف)، وقد أضطر (فردرريك) بسبب قلة جيشه أن يتخد موقفاً دفاعياً، وأن يجند الأعداء، ويعفي الاهاربين من جيشه، ولمدة خمس سنوات الباقية أتخذ موقفاً دفاعياً لعدم قدرته على الهجوم. وقد تقدم الجيش الروسي في (بروسيا) الشرقية، وأستطاع مع ذلك أن يدحر الجيش الفرنسي سنة ١٧٥٩، ودخلت اسبانيا، الحرب بجانب فرنسا سنة ١٨٦١، وساعد الحظ (فردرريك) بأن ماتت قيس روسيا، فأنسحب الجيش الروسي من الحرب، واضطررت كل من (النمسا، وفرنسا) إلى عقد الصلح مع بروسيا، واجتمعت الدول في (باريس) لعقد الصلح سنة ١٧١٣^٢.

وكانت معاهدة (هبرنسبرك) بين (فردرريك ، وماريا تيريزا) نصراً كبيراً لبروسيا، فقد اعترفت (ماريا تيريزا) بانضمام (سيليزيا) إلى (بروسيا). أما فرنسا فقد خسرت مستعمراتها، ولم يبق إلا القذر اليسير من الجزر في المياه الأمريكية، وبعض

^١ - د. محمد محمد صالح، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٤٣.

كون البيت المالك النمساوي بعد إذلاله في (صلح ويستفاليا) بجيلىن أو ثلاثة إمبراطورية جديدة من ممتلكات بالغة الأهمية، وعلى الرغم من شمولها (بلجيكا)، وامتدادها إلى (إيطاليا)، فإنما كانت في الحقيقة إمبراطورية تقع في أواسط نهر (الدانوب) بعقرها في (فيينا)، وباحتلالها بلاد (بلغاريا)، وبوهيميا سيطرت على المنطقة الشبيهة بالحوض، والتي تحدوها جبال الألب، وبوهيميا، وسلسلة جبال الكربات، وكان النفوذ الألماني قوياً في هذه المنطقة، ولذلك فإن الإمبراطورية كانت عالمية وغير قومية، إذ كانت أسماء النبلاء الجيك، والهنغار، والكروات، والإيطاليين شائعة في بلاط (آل هابسبورغ)، وحكومتهم في الجيش. لقد جعلت الإمبراطورية كل البروتستانت أعدائهم، كذلك كرهها الديموقراطيون، ولم تكن هذه الإمبراطورية مرغوبة من قبل الهنغار، والكروات، والجيك، والصرب، واليونانيين، والإيطاليين، لأنها وقفت في طريق تحقيق أماناتهم القومية.¹

حرب الوراثة النمساوية:

أرتفت (ماريا تريزا) عرش إمبراطورية النمسا سنة ١٧٤٠، وهي السنة التي تسلم فيها (فريدرريك الكبير) عرش (بروسيا) الذي كان قد بدأ أعماله باغتصاب (سيليزيا) من الإمبراطورة (ماريا تريزا). ولقد كانت هذه القضية جزء من المشكلة الكبرى التي جاها الإمبراطورة في بداية عهدها، إذ عارض الطامعون تسلم امرأة عرش (آل هابسبورغ)، رغم أن والدها (شارل العاشر) قد أصدر مرسوماً يقضى بتوليهما العرش من بعده، ورغم ما أحرزه من موافقة الدول الأوروبية على ذلك المرسوم. غير أنه عند وفاة (شارل العاشر) ظن بعض ملوك أوروبا أن ستحت الفرصة بتولي امرأة الحكم في النمسا ليقسموا أملاك (آل هابسبورغ). وقد اتفق كل من فردرريك الكبير، وملك فرنسا، وملك إسبانيا البر بوني على ذلك، ولكن المصلحة أيضاً دفعت كل من (إنكلترا، وهولندا) إلى جانب (النمسا) للحفاظ على التوازن الدولي في القارة، وكانت المناسبة الاستعمارية بين (إنكلترا، وفرنسا) قد ساعدت على ذلك، وعرفت بالحرب التي نشبت من جراء ذلك (حرب الوراثة النمساوية). ولقد كانت الحرب طاحنة ظهرت آثارها في المستعمرات، وسيطت في أمريكا بـ (حرب الملك جورج). نسبة إلى الملك جورج الثاني ملك بريطانيا، وانتهت بصلاح (أكس لاشابيل) سنة ١٧٤٨، ولم تحصل أي دولة على شيء بمحض هذا الصلح سوى (بروسيا) التي احتفظت بأملاكها في (سيليزيا). ولكن

¹ - المصدر نفسه، ص ٣٢٩-٣٣١.

(فيما)، وعمم ما نسميه اليوم (رومانيا)، وساد على (التر) في الساحل الشمالي من البحر الأسود، حتى أن متكلاتهم في أوربا كانت انعكاساً لمجموعة متكلاتهم الأساسية في آسيا وأفريقيا. وكانت بولندة تقتد من نقطة تبعد مئة ميل عن شرقى (برلين) إلى مئة ميل عن غربى (موسكو)، بل أنها تقتد من بحر إلى بحر كما جاء في عبارتهم الوطنية القديمة، أي من (بحر البلطيق) الذي يحيط بمدينة (ريفا) حتى ساحل البحر الأسود الذى كان في قبضة خانات التر الذين كانوا بدورهم تحت سيادة السلطان العثمانى في القسطنطينية. أما الإمبراطورية الرومانية المقدسة، فإنها امتدت من بولندة وهنغاريا إلى بحر الشمال.^١

ولم تكن هذه الإمبراطوريات الثلاث متشابهة فيما بينها بأية حال من الأحوال، فالإمبراطورية الرومانية المقدسة كانت تحمل بعض التقاليد القديمة المسيحية، وكان لـ (بولندة) ارتباطات قديمة مع الغرب كذلك، أما (تركيا)، فكانت سلطة إسلامية لم تكن تتقبلها أوربا. لقد كان الأتراك يحتلون (هنغاريا) منذ سنة ١٥٢٦، وظلت الأرضي الهنغارية لأجيال مسرحاً بالتناوب لحروب بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة، والدولة العثمانية، وفي سنة ١٦٦٣، أرسلت (تركيا) جيوشها زاحفة على (الدانوب)، فاحتشدت لها قوات مختلفة من الإمبراطورية المقدسة، ومن جميع البلاد المسيحية، وأكرهت الأتراك على قبول هدنة لمدة عشرين سنة، غير أن (لويس الرابع عشر) الذي كان منشغلًا في هذه السنين بضم حدود أوربا الغربية أتجه بأنظاره إلى منطقة حوض الدانوب لعله يحصل على مغنم كبير، فحرض الأتراك (حلفاء فرنسا القدامى على أساس العداء المشترك ضد (آل هابسبورغ) على استئناف هجماتهم التي قاموا بها قبل انتهاء هدنة العشرين سنة وحاصر الأتراك بالفعل مدينة (فيينا) لمدة شهرين سنة ١٦٨٣، حتى وصلت نجادات دولية أخرى إلى مكان الحصار، وكانت تتكون من الجيش البولندي، وقوات البابا، وجمهورية البندقية التي انضمت إلى (آل هابسبورغ)، فأنسحب الأتراك منها، لقد كان (آل هابسبورغ) الذين يضرب بهم المثل يحاربون على جبهتين، ضد الأتراك، وضد الفرنسيين، وألحقوا بالأتراك هزيمة في معركة (زننا) سنة ١٦٩٧، وتخلّى الأتراك في (صلح كارلو فنش) سنة ١٦٩٩، عن معظم (هنغاريا) بما في ذلك (ترانسلفانيا، وكرواتيا) لـ (آل هابسبورغ)، وأصبح (آل هابسبورغ) الآن مطلقي اليد في تطبيق مخططاتهم في الغرب، فدخلوا حرب (الوراثة الإسبانية) ليبحوا التاج الإسباني. لقد

^١ - المصدر نفسه، ص ٣٠٥.

المبحث الرابع

الحروب والمنافسات الأوروبية

كانت (النمسا) التي ظهرت إلى الوجود سنة ١٧٠٠، مولوداً جديداً. وفي الحقيقة، وان لم يكن ظهورها واضحأً كل الوضوح، مثل الدولتين الاحريتين، فقد سبق لـ (بيت هابسبورغ) النمساوي أن أدى دوراً بارزاً لمدة طويلة، وكانت مكانتهم في ما مضى تستند إلى زعامتهم للإمبراطورية الرومانية المقدسة، وإلى صلات أسرهم مع (بيت هابسبورغ) الحاكم في إسبانيا (الذى هو أغنى منهم). وقد أهارت هاتان الركيزان في القرن السابع عشر، حيث خاب الأمل بقيام إمبراطورية فعالة من (آل هابسبورغ) في ألمانيا بعد حرب الثلاثين عاماً، واختفت من المسرح، إذ انتقل الحكم في سنة ١٧٠٠، إلى البيت المالك الفرنسي، واستولى البيت المالك النمساوي في النصف الثاني من القرن السابع عشر على نقطة التحول الكبرى حينما برز من داخل الإمبراطورية المقدسة وبناؤه إمبراطورة له، وواصل (آل هابسبورغ) في الوقت نفسه حكمهم أباطرة للإمبراطورية الرومانية المقدسة، وظلوا مغالين في الشؤون الألمانية باعتمادهم على مصادر استمدوها من خارج ألمانيا لتشييت نفوذهم، وبسطه على الأماء الألمان. لقد كانت حرب الثلاثين عاماً كارثة على (آل هابسبورغ)، لأنهم أخفقوا في كثلكة ألمانيا مرة أخرى بغية تشييت كيان الإمبراطورية المقدسة، وتعزيز سلطاتها. على إن حرب الثلاثين عاماً كانت من وجهة نظر جديدة نجاحاً بارزاً مهدت السبيل لقيام ملكية هابسبورغية جديدة، وفي أثناء هذه الحرب استأصلت هذه السلالة الحاكمة جذور البروتستانتية، والروح الثورية من جانب الإقطاع في النمسا من المقاطعات الموروثة، فاحتلت (بوهيميا) من جديد، وثم كثلكتها مرة أخرى. وقد كانت (بوهيميا) المقاطعة التي أضرم ثوارها حرب الثلاثين عاماً، ثم غرت في أثناء العقود من السنين التي تلت استعادتها لـ (بوهيميا) هنغاريا كذلك^١.

وسط شرق أوروبا:

كانت تحتل أوروبا بأسرها في سنة ١٦٤٨، من الحدود الفرنسية إلى موسكو ثلاث دول مترامية الإطراف، ذوات كيانات مفككة، وهي الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وجمهورية بولندة، والدولة العثمانية، وكان سلطان الأتراك قد امتد حتى خمسين ميلاً من

^١ - المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

وكان أعظم الرابحين هم (الإنكليز)، وقد حصلت بريطانيا من بروزها، قوة عظمى، وتكونت الوحدة بين إنكلترا وسكتلندا في إثناء الحرب، وأصبحت لأن بريطانيا بقاعدتها في (جبل طارق، ومينوركا) قوة في البحر المتوسط، أما (بلجيكا) القوة التي كانت موجهة ضد بريطانيا، فإنما كانت بيد النمساويين، إلا أنها بعيدة جداً عنهم، وكان إعطاؤها لهم بغية مواجهة فرنسا، وكانوا قد أخذوها بإغراء من الدولتين британскими, и они же были побеждены в битве при Бородине, а также в сражении при Аустерлице, что привело к подписанию Парижского мира в 1814 году.

البحريتين، وهما بريطانيا وهولندا، اللتان رأتا في انتقال ملكيتها إلى النمسا حلّاً حسناً للمشكلة^١.

وكانت القوى التي شكلت الفرقاء في معاهدة (أوترخت) سنة ١٧١٣، باستثناء إنكلترا المنظمة إليها، هي نفسها التي شاركت في (صلح ويستفاليا) سنة ١٦٤٨، وهي نفسها تصادق لأن على إتباع نظام العلاقات الدولية التي أقرها (صلح ويستفاليا). وقد وافقت القوى على قبول بعضها البعض الآخر أعضاء في النظام الأوروبي، واعترفت كل واحدة بال الأخرى دولة ذات سيادة ترتبط بعضها ببعض بعفawضات حرة فقط، بالحرب، والمعاهدة، وتتسوي خلافاتها بتبادل سهل من أراضي الإقليم يتم في إطار مصالح توازن القوى، وبصرف النظر عن الناحية القومية أو آمال الشعب التي يفترض أنها تؤثر فيها، وبوجود ألمانيا في ظل الفوضى الإقطاعية، وإيطاليا المستهان بها، واسبانيا الخاضعة لفرنسا، فإن معاهدة (أوترخت) خلفت من فرنسا وبريطانيا كأعظم قوتين في أوروبا تحملان رسالتين مبدئيين، وتنشران أنموذجاً من الحضارة، وأعظم ما فيها من ميزة هو أنها كونت خصائص حضارة العصر الحاضر^٢.

^١ - المصدر نفسه، ص ٣٠١.

^٢ - روبرت بالمر، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢-٣٠١.

الإمبراطور (جوزيف) الذي خلف (ليوبولد) سنة ١٧٠٥، قد توفي سنة ١٧١١، وارتقي العرش أخوه الإمبراطور (شارل) الذي كان قبل ذلك مرشح الحلفاء لعرش إسبانيا، ولم يكن الحلفاء يرغبون في توحيد الناج الإسباني بالناج النمساوي بالشدة نفسها التي رفضوا فيها اتحاد الناج الإسباني بالناج الفرنسي حفظاً على التوازن الدولي، فاضطررت الدول أن تعقد الصلح في مدينة (اوترخت) الهولندية سنة ١٧١٣^١.

وأهم ما جاء في هذا الصلح:

١. اعترفت دول الحلفاء بـ (فيليب الخامس) حفيد (لويس الرابع عشر) ملكاً على إسبانيا، ومستعمراتها على أن لا يتحد الناج الإسباني بالناج الفرنسي بالمستقبل.
٢. حصلت عائلة (هابسبورغ) النمساوية على نابولي، وسردينيا، وميلانو، وبلجيكا التي أصبحت تسمى (بالأراضي المنخفضة النمساوية)، واستمرت هذه التسوية إلى سنة ١٧٩٧.
٣. فازت إنكلترا بحصة الأسد من الغنائم التجارية والاستعمارية بحصوها على نيوفولاند، ونوفاسكوتшиا والتي (كانت تسمى أركاديما)، وخليج هدسون من فرنسا، وحصلت على جبل طارق، وجزيرة مينوركا من إسبانيا، كما حصلت على الأفضلية في إصدار البضائع إلى ميناء (قادس) الإسباني، واحتكر تجارة العبيد، وحق إرسال سفينة من البضائع سنوياً إلى المستعمرات الإسبانية، ووعده فرنسا أن لا تساعد عائلة (ستيوارت) الانكليزية لاستعادة العرش الانكليزي.
٤. أما الهولنديين فقد استعادوا الحصون على الحدود الفرنسية - البلجيكية، ووعدت (النمسا) بتقديم المساعدات المالية إليها لحراستها. كما حصلت هولندا على حق احتكار التجارة في نهر (الشيلت).
٥. أصبح منتخب (براندنبورك) ملكاً على (بروسيا)، وأعترف الإمبراطور بذلك سنة ١٧٢٠، وبذلك تكونت نواة الوحدة الألمانية.
٦. أصبحت (دوقيية سافوي) مملكة، وحصلت على جزيرة (صقلية)، ولما استبدلت صقلية (سردينيا) أصبحت تسمى (ملكة سردينيا)، وبذلك تكونت نواة الوحدة الإيطالية^٢.

^١ - د. محمد محمد صالح، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٥

^٢ - المصدر نفسه، ص ٣٤٦.

تطور العلاقات الدولية منذ الثورة الفرنسية

المبحث الأول

الثورة الفرنسية ١٧٨٩

كانت فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر تعاني حالة رديئة. فقد كانت حالتها المالية سيئة، وكانت مهددة بإفلاس خطير. أما حالتها الاجتماعية، فكانت أسوء من ذلك بسبب فقدان المساواة الاجتماعية، والحرية السياسية، ونظام عادل للضرائب، وكذلك كانت الامتيازات الضارة التي يرجع أصلها إلى العصور الوسطى قد عممت جميع أنظمة المجتمع، فهناك امتيازات الكنيسة، وامتيازات النبلاء، وامتيازات جماعات الأقاليم التشريعية، وامتيازات الهيئات القضائية، وكان الشطر الأكبر من أعباء الضرائب تقع على أكتاف الفقراء، وحرمت الطبقة الوسطى من المناصب في الجيش، والكنيسة، والقضاء، ولم يكن رجال الدين يدفعون الضرائب^١.

ولذا كان الشعب الفرنسي ناقماً على الأوضاع. فقد كانت فرنسا تحكم حكماً مطلقاً من قبل ملوك (آل بوربون) وفقاً لنظرية (الحق الإلهي)، ولم يتقبل هؤلاء الملوك فكرة (مشاركة الأمة) في إدارة الدولة، وتتميز نظام الحكم بالتعسف، فضلاً عن الفوضى الإدارية، وعدم الكفاءة التي بدت واضحة للعيان، ولم يعد ذلك النوع من الحكم مقبولاً من الشعب الفرنسي الذي كان مقسماً إلى ثلاثة طبقات: طبقة رجال الكنيسة معفوة من الضرائب، وطبقة النبلاء، وطبقة عامة الشعب، وكانت طبقة رجال الكنيسة معفوة من الضرائب، وفي الوقت الذي كانت تتمتع به الطبقتين الأوليتين بالامتيازات تحملت الطبقة الثالثة عامة الشعب عبء دفع الضرائب الكثيرة إلى الدولة، والكنيسة، والإقطاعيين^٢.

ولذا جاءت الثورة الفرنسية في ١٤ تموز من العام ١٧٨٩، لأنَّ الملكية عجزت عن حل مشكلة الامتيازات، ولأنَّ الشعب الفرنسي كان يعاني مشكلة اقتصادية كبيرة، إذ أنَّ موارد طعام الشعب لم تكن ميسورة ومضمونة، فمع كل ثروة

^١ - هـ.أ.فشر، (تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠)، تعریف احمد نجيب ووديع الضبع، دار المعارف، الطبعة التاسعة، مصر، ١٩٩٣، ص ٦-٥.

^٢ - د.خليل علي مراد، وجاسم محمد حسن، ود.عبد الجبار قادر رعوف، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٧-١٣٩.

فرنسا الزراعية، وترف طبقتها العليا كانت طبقة عامة الشعب عرضة بين آن وأخر تلك الجماعات، وأهواها^١.

لقد تأثرت الدول الأوروبية في أحداث الثورة الفرنسية. فقد كان آل بوربون في إسبانيا والصقليتين مرتبطين برابطة الدم مع الأسرة المالكة الفرنسية، فأي انتقاص من شأن هذه الأسرة يؤثر في تلك الأسر تأثيراً سيئاً، وأما الملكة ماري أنطوانيت فقد كانت تنتمي إلى أسرة هابسبورغ النمساوية المالكة، وقد صارت مصالح تلك الأسرة في خطر كبير، وكان الملك ليوبولد الثاني إمبراطور النمسا شقيق الملكة قد رأى في شخص فريديريك وليم الثاني ملك بروسيا حليفًا. وقد أصدر بلنتز، وفيه عدّ إعادة الملكية إلى فرنسا هدفًا مشتركاً لجميع ملوك أوروبا، ولكن البيان كان مجرد تهديد، لأن جيوش الحلفاء لم تكن مستعدة للحرب، ولكن مجرد التهديد كان كفيلاً بإثارة الهيجان في نفوس الشعب^٢.

ولما نجحت الثورة في إزالة الملكية ظهرت حركة منأة لها في بريطانيا، ولاسيما لدى الراديكاليين، وقاوم وليم بـ رئيس وزراء بريطانيا آنذاك الصيحات التي نادى بها هؤلاء الراديكاليين لخماربة الثورة، والقضاء عليها خشية من انتقال أفكارها إلى الدول الأوروبية الأخرى، علمًا بأنه ظهرت من جهات مختلفة في أوروبا جماعات من أنصار فرنسا والثورة، إذ كانت مبادئ الثورة الفرنسية، ومثلها مبادئ الثورة الأمريكية قابلة للتصدير، وأكد وليم بـ أن الشؤون الداخلية لفرنسا لا تعني الحكومة البريطانية مطلقاً، في حين كان إمبراطور النمسا ليوبولد الثاني يشعر بـ ان الثورة هي تهديد لدولته، ولكنه لم يتسرع في مقارعة الثورة، ومع ذلك أفلقت الثورة الفرنسية، وحكومتها الجديدة الدول الأوروبية، فكانت وبالاً عليهم، وبعد محاولة هروب الملك لويس السادس عشر، والملكة في حزيران ١٨٩١، ألقى القبض عليهما، وأصبحا سجينين لدى الثوار مما دفع إمبراطور النمسا مع ملك بروسيا إلى إعلان تصريح بلنتز الذي ذكرناه آنفاً إلى أنه سيتخذ الخطوات العسكرية لإعادة النظام في فرنسا إلى نصابه، في حين أعلن الجنود والمدنيين من قادة الثورة الفرنسية بأنه لا يمكن صيانة الثورة في فرنسا، إلا إذا عمت العالم أجمع،

^١ - هـ.أفسر، مصدر سبق ذكره، ص.٦.

^٢ - كارلتون هيز، (التاريخ الأوروبي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤)، ترجمة: د.فضل حسين، جامعة الموصل، ١٩٨٧، ص.٣٠-٢٠.

وفكروا في حرب تدخل فيها الجيوش الفرنسية الدول المجاورة، فتتحد مع ثوار تلك الدول، وتطيح بالحكومات القائمة، وتقسم إتحاداً بين الجمهوريات^١.

ولما أشتد عنف الثورة الفرنسية عزم إمبراطور النمسا ليوبولد الثاني على التدخل، فتحالفت النمسا مع بروسيا ضد فرنسا، وكان الملكيون في فرنسا يعتقدون أنه بمجرد الهجوم على فرنسا، فإن الحرب ستنتهي بإعادة أسرة آل بوربون إلى التاج الفرنسي. لقد أدى نشوب هذه الحرب في ٢٠ / نيسان / ١٧٩٢، إلى إعلان الثوار إلهاء الملكية، وإعلان الجمهورية، وتكوين حكومة الإرهاب. لقد عمقت هذه الحرب الشعور القومي الفرنسي بحيث أن كل مواطن فرنسي عدها قضيته، وللمرة الأولى ظهرت فرنسا كأمة متحدة العناصر. كما أنها أثارت روح الشعب الفرنسي الحربية بحيث أنها شجعت بما فيها من خطب وتصريحات حماسية إلى بث الشعور بالتوسيع الإقليمي ضد الدول الأخرى، وعزم ثوار فرنسا على عزل النمسا حتى يتمكنوا من اختطاف بلجيكا منها، ومد الحدود الفرنسية إلى هنر الراين، غير أن سوء تصرف الجيرونديين (من ثوار فرنسا) أوقع فرنسا يومئذ في نضال ضد بروسيا والنمسا من غير أن تكون متأهبة للحرب على الإطلاق، وأحرزت فرنسا الجمهورية في مستهل أيامها بضعة انتصارات، ونصبت خلال أسبوعين سافوي ونيس، وولايات الراين، وبليجيكا تحت سيطرتها، لقد احتلت بلجيكا، وأخذت مهدد هولندا، وقامت بتحريض رعايا ملك بريطانيا في أيرلندا على العصيان^٢.

وفي أثناء ذلك أخذت الجيوش النمساوية والروسية تراجع عن فرنسا، وتم نقل الحرب إلى الأراضي المنخفضة النمساوية، حيث موجود هناك حزب كبير يعدّ الفرنسيين محررين، وأعلن الثوار في فرنسا بأن الشعب الفرنسي سيعيد عدو له كل شعب يرفض الحرية والمساواة أو ينبذها أو يرغب في مساندة الملوك والطبقات ذات الامتيازات.^٣

وكان إعدام لويس السادس عشر في ٢١/كانون الثاني/١٧٩٣، عملاً مؤثراً بالنسبة لدول أوروبا، فرغم إحراز فرنسا النصر في فالي، فإن الموقف العسكري أخذ يتدهور بسرعة أثر دخول بريطانيا الحرب ضد فرنسا، وهناك أسباب أخرى لدخول بريطانيا الحرب، إذ إن أنجاح فرنسا لسلسلة من الانتصارات، حيث عبرت جيوشها

^١ - روبرت ب. بالمر، (تاريخ العالم الحديث، الجزء الثاني، أوروبا من ١٧٤٠ إلى ١٨١٥)، ترجمة: د. حسن علي الذنون، مراجعة: د. جعفر خصباك، مطبعة أسد، ١٩٦٤، ص ٢٠٦-٢٠٩.

² - ٥. أ. فشر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦-٣٣.

³ - کارلتون هیز، مصدر سبق ذکر، ص ۳۶.

الراين عند مايت، وغزوا بلجيكا، ودحروا الجيش النمساوي في معركة جيماب التي تُعدّ أعظم بكثير من معركة فالي، وأعلنوا أنهم سيقدمون العون لجميع الشعوب الراغبة في استرداد حريتها، وكان هذا الإعلان بمثابة دعوة صريحة لجميع الشعوب في أن تثور على حكامها المستبددين، وقديد صريح لكل الحكومات التي تعتقد أن شعوبها راغبة في الثورة عليها، ولذا طردت بريطانيا السفير الفرنسي في لندن اثر وصول أنباء عن إعدام الملك، وفي الأول من شباط ١٧٩٣، سقطت فرنسا ببريطانيا إلى إعلان الحرب ضدها، ولم تثبت إسبانيا أن انضمت إلى صفوف الدول المتحالفه ضد فرنسا^١.

وهكذا دخلت فرنسا الحرب، وهي تواجه تحالفاً أوربياً يجمع بروسيا، والنمسا، وبريطانيا، وهولندا، وسardinia، وإسبانيا. وقد حللت أولى النكبات ببلجيكا التي احتلتها فرنسا، وفرضت عليها عملتها الورقية، وأعلنت ضمها إليها، وتوجهت بعد ذلك إلى هولندا إلا أنها اضطرت إلى التراجع بعد اشتداد ضغوط الجيوش النمساوية عليها في معركة نيرفدن التي أسفرت عن انتصار النمساويين، وفي الوقت الذي كان فيه الموقف الخارجي خطراً ظهرت في فرنسا قلائل داخلية. فقد قامت في منطقة لافا ندية حركة تطورت إلى حرب أهلية ضد الثورة الفرنسية، ونظمها الجديد مثله الإقطاعيون وفلاحوها^٢.

وفي صيف العام ١٧٩٣، تقلبت الحرب ضد القوات الأجنبية بين النصر والهزيمة، فقد استولت بروسيا من جديد على مدينة مايت، ومضت قواها لغزو الالزاس كما استولت النمسا، وهولندا، وبريطانيا على حصن كوندي الشمالي المهم، واستسلم بعد ذلك ميناء طولون الفرنسي، ومع ذلك ، لم تنهار حكومة فرنسا بسبب ما تتمتع به من قدرة وتصميم في السيطرة على البلاد، وشن الحرب ضد العدو الأجنبي، وكذلك فإن تأليف لجنة الأمن العام، وسيطرة دانتون على هذه اللجنة مكن الفرنسيين من تحقيق النصر.

إن الفضل في تحول مجرى الحرب، وفي تحقيق النصر على جيوش الحلفاء إنما يرجع إلى فرنسا نفسها، وإلى ضعف الحلفاء في مواجهة فرنسا، إذ كان بينهم تباين في المصالح والأهداف، فسرعان ما ظهر التوتر بين النمسا وبروسيا بشأن مستقبل بولندا.

¹ - أ. جرانت، وهارولد تمبرلي، أوربيا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠، ترجمة: بهاء فهمي، مراجعة: د.احمد عزت عبد الكريم، الناشر مؤسسة سجل العرب، بدون تاريخ، ص ١٠٧.
² - المصدر نفسه، ص ١٠٨-١٠٩.

وقد تم الاتفاق الثاني لتقسيم بولندا في كانون الثاني ١٧٩٣، فتقرر أن تتقاسم بروسيا وروسيا الأراضي البولندية المتفق على اقتطاعها، وأن تعوض النمسا الأمر الذي يعده من حقها تطبيقاً لفكرة (التوازن الدولي) في الالزاس، واللورين عندما يتم الاستيلاء عليها من فرنسا. وقد تضاءل بعضى الوقت الأمل في أمكان غزو هذين الإقليمين، فأصبح موقف النمسا من حلفائها أقرب إلى العداء الصريح، وب بدأت هذه الدول الثلاث تشعر بأنها قد تضطر إلى استخدام جيوشها على صفاف هر الفيستولا لا إلى جوار الراين، وفي ظل هذه الأوضاع تحول مجرى المعركة لمصلحة فرنسا. فقد استطاع الجيش الفرنسي أن يفك الحصار الذي ضربته القوات البريطانية على دانكرك في معركة هوندشوت في أيلول ١٧٩٣، وخرج الفرنسيون من المعركة ظافرين، وتمكنوا من فرض الحصار عن دانكرك كما حققوا عدة انتصارات عند الراين وفليري، في حين لم يبذل الحلفاء أية محاولة أخرى لاسترداد بلجيكا من الفرنسيين. وقد اظهر البروسيون الذين ساورهم الشكوك في نيات حلفائهم في بولندا رغبهم الواضحة في الانسحاب من الحرب^١.

وقد جرى تقسيم بولندا للمرة الثالثة، ودارت مفاوضات التقسيم بين النمسا وروسيا، وأخفى أمرها عن بروسيا رغم أنها منحت نصيباً من الغنيمة، فإن ذلك لم يخفف بالمرة من شعورها العدائي^٢.

وأخيراً تم في سنة ١٧٩٥، أقرار السلام بين بروسيا وفرنسا في صلح بازل، ويمكن تلخيص الشروط العامة للصلح بما يلي:-

• الشروط العلنية:

١. احتلال فرنسا للضفة اليسرى للراين.

٢. الاعتراف بحق بروسيا في القيام بدور الوسيط لأية دولة ترغب في الصلح

• الشروط السرية:

١. التعهد بتعويض بروسيا عن الأراضي التي جلت عنها في الضفة اليسرى للراين بأراضي أخرى في ألمانيا، وبذلك قبلت بروسيا أن يكون تعويضاً عنها عن الأراضي

الألمانية التي رضيت بالتخلي عنها لفرنسا على حساب الولايات الألمانية الصغرى

٢. تقرر أن يتم الاتفاق سراً فيما بعد بين فرنسا وبروسيا على رسم حدود أراضي شمال ألمانيا التي وافقت فرنسا على الامتناع عن القيام بأية عمليات حربية فيها^١.

¹- المصدر نفسه، ص ١٢٠-١٢١.

²- المصدر نفسه، ص ١٣٦-١٣٧.

وقد كان الصلح مهيناً لبروسيا. وقد حالت شروطه دون عدّها في ذلك الحين حامية بأي وجه من الوجوه لمصالح ألمانيا ككل، وكان كسب فرنسا هائلاً، إذ كان الصلح بمثابة انتصار لها، وأن لم يكن عسكرياً بحثاً، ولكنه انتصار على أية حال، على أعظم دولة عسكرية في القارة الأوروبية، إذ أصبح مؤشراً على انهيار كل مقاومة للجمهورية الفرنسية الفتية، وفي أيار من العام ١٧٩٥، عقدت هولندا، صلحًا مع فرنسا، ووعدت بالانضمام إلى جانبها في الحرب ضد بريطانيا، وفي توز من العام ١٧٩٥، انسحب إسبانيا من الحرب بعد أن تنازلت عن جزيرة سان دومينجو لفرنسا، وتعهدت بالتنازل عن بعض الأراضي الأخرى، فبقيت النمسا، وبريطانيا في الميدان^٢.

إن هذه الانجازات والانتصارات العسكرية، وموقف الجيش الفرنسي القوي في الجبهة دفع حكام فرنسا وزعمائها إلى تبني سياسة توسعية قديمة برروها برغبتهم بنشر مبادئ الثورة الفرنسية في أوروبا، بحيث تضعف النظم الملكية، والقوى الخليفة لها فيها، فلا تعود في المستقبل قادرة على مناولة الحكم الجمهوري الشوري في فرنسا، وانطلاقاً من هذه الرغبة تبنت فرنسا مبدأ ضرورة امتداد أراضيها إلى حدود طبيعية آمنة مما فرض بالضرورة أن تعلن ضم بلجيكا، والولايات الألمانية على الضفة اليسرى للراين، والساافي، وافنيون، وبذلك يصبح نهر الراين بمثابة حدود بين فرنسا والأراضي الألمانية، وجبال الألب تُعدّ حدودها الفاصلة مع إيطاليا، وكان إعلان هذا المبدأ ظاهرة ذات إبعاد خطيرة، إذ لم يكن من المتوقع أن تقبله دول أوروبا الكبرى، وبصورة خاصة (بريطانيا، والنمسا) نظراً لما فيه من إخلال بمبدأ (توازن القوى) بين دول القارة الذي مادام تمسك به الجميع، وللحصول على موافقة واعتراف الدول الكبيرة بما قامت به فرنسا تعين على حكومة الإدارة موافقة الحرب ضد النمسا وبريطانيا. وقد عهدت بهذه المهمة إلى نابليون بونابرت الضابط في الجيش الفرنسي الذي بدأ مهمته بقيادة جملة عسكرية ناجحة ضد القوات النمساوية المرابطة في إيطاليا، وكانت انتصاراته في الحملة بداية لنهاية حكم الثورة، وخاصة لعهد جديد في فرنسا وأوروبا أدى فيه بونابرت الدور الأول والاهم^٣

^١ - المصدر نفسه، ص ١٣٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٣٨-١٣٧.

^٣ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعيمي، التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، الجزء الأول ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص ٧٠.

المبحث الثاني

الحروب النابليونية

لما جاءت حكومة الإدارة سنة ١٧٩٥، كانت فرنسا ما تزال في حالة حرب مع النمسا، وكانت الخطة العسكرية تقضي بتقدم الجيش الفرنسي عبر نهر الراين، وألمانيا الجنوبية، ومن هنا إلى الممتلكات النمساوية، وتقضي بإرسال جيش آخر عبر جبال الألب، وإيطاليا الشمالية، ومن هناك إلىينا. وقد تم تكليف نابليون بونابرت بقيادة الجيش عبر إيطاليا لخارة النمسا، وفي خلال سنة واحدة تمكن من التغلب على خمسة جيوش نمساوية، واحتل جميع قلاع إيطاليا الشمالية، وقد اضطرت سردينيا إلى إعطاء نيس وسافوبي، إلى فرنسا، وحين اقترب نابليون من فيما طلت النمسا الصلح، فعقدت معاهدة كامبوفورميو، سنة ١٧٩٧، وبها نالت فرنسا الأرضي المنخفضة النمساوية، والجزر الإيونية، ونالت النمسا كتعويض جزئي لها عن جمهورية البندقية، وتعهدت بعدم التدخل في شؤون إيطاليا، ونتيجة لهذه الحملة انتشرت سمعة نابليون انتشاراً مفاجأة، وبعد هذه المعاهدة اتبعت حكومة الإدارة سياسة إحاطة فرنسا بجمهوريات موالية وتابعة لها، وقبل المعاهدة تحولت هولندا إلى جمهورية بتافيا، ثم جرى تحويل دوقية ميلانو، وجنو، ودولة البابا، وملكة الصقلين، والاتحاد السويسري، إلى جمهوريات، وفي الوقت نفسه جعل التجنيد إجبارياً، ونتيجة لذلك تألف تحالف ثان يضم بريطانيا، والنمسا، وبروسيا. وقد قدمت بريطانيا الأموال الازمة، وبذلك استطاعت تجهيز جيوش كبيرة، وخلال العام ١٧٩٩، انتصر التحالف الثاني مراراً، وتم طرد الفرنسيين من إيطاليا، وأهارت أكثر الجمهوريات الموالية، وبذا كان الحملة الإيطالية لم تكن، ولكن نابليون استطاع من سحب روسيا من التحالف الثاني عندما افلح في إقناع قيصر روسيا بإحياء كتلة الحياد المسلح الشمالية ضد بريطانيا، وتضم روسيا، وبروسيا، والسويد، والدوقية غارك، وفي الوقت نفسه أعد القنصل الأول نابليون حملة إيطالية ثانية ضد النمسا، وسرعان ما قاد جيشاً عبر جبال الألب، ونزل في وادي نهر البو، ثم جرت معركة مارنوك في حزيران من العام ١٨٠٠، وأندحر النمساويون اندحاراً تاماً، ثم انتصر جيش فرنسي آخر بقيادة مورو في موقعة هوهتلندن في جنوب ألمانيا، ولذلك طلت النمسا الصلح، وعقدت معاهدة لونفيل، وبها أعيدت شروط معاهدة كامبوفورميو^١، وفي ظل معاهدة لونفيل ٩ شباط لعام ١٨٠١، وافق إمبراطور النمسا

^١- كارلتون هيز، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦-٥١.

على خارطة لأوروبا وصلت فيها الحدود الفرنسية إلى ضفاف نهر الراين، واعترف بالجمهوريات الأربع التي أقامتها فرنسا، وهي جمهوريات باتافيا، وهلفاتيا، والألب الشمالية، وليجوريا، هذه الجمهوريات التي أنشأت لغايات الدعاية والتاثير في الخارج، أما رئيس وزراء بريطانيا وليم بت، فلم يوافق على الإطلاق على تشكيل أوروبا على هذا النمط^١. وبموجب هذه المعاهدة قررت النمسا الانسحاب من ايطاليا نهائياً، وأن تطلق يد فرنسا في سويسرا، وهولندا، وایطاليا^٢.

وقد قاد نابليون حملة فرنسية إلى مصر لغرض قطع المواصلات بين بريطانيا والهند. وقد وافق أعضاء حكومة الإدارة على ذلك، وبعد أن أحتجل نابليون مصر توجه إلى سوريا، إلا أن الحملة توقفت هناك، ونان أميرال البحرية البريطانية اللورد نيلسون انتصاراً عظيماً في خليج أبي قير، وبذلك قطع الاتصال بين جيش نابليون، وفرنسا، وأثر ذلك عاد نابليون إلى فرنسا^٣.

وبعد الانتصارات الفرنسية المتعاقبة على دول التحالف أهان التحالف الثاني، ولم يبق صامداً بوجه نابليون سوى بريطانيا، إلا أن نابليون كان مدركاً تماماً للإدراك استحالة تحقيق النصر على بريطانيا، واحتلال بلادهم ما دامت السيادة في البحار للأسطول البريطاني^٤.

وأخذ نابليون يميل إلى مدة من الهدوء والسلام يتفرغ فيها لأوضاع فرنسا الداخلية، ولتنظيم شئون الأراضي الأوروبية التي أطلقت يد فرنسا فيها بموجب صلح لونفيل. أما في بريطانيا فقد سادت هناك قناعة بضرورة تحقيق السلم مع فرنسا، وذلك لأن مصاريف الحرب الباهظة التي تكبدتها الخزينة الانكليزية لتمويل الحلفين الأول والثاني قد أرهقت الشعب البريطاني بالضرائب. كما أرادت بريطانيا التفرغ لقضية ايرلندا مما تم التوصل مع فرنسا إلى صلح أيمان في ٢٧ آذار من العام ١٨٠٢، وبموجبه اعترفت بريطانيا بحدود فرنسا الطبيعية، أي بضم بلجيكا، وقسم من هولندا، وأراضي الضفة اليسرى للراين، وكذلك قبلت بريطانيا ببقاء النفوذ الفرنسي في ايطاليا، ويعدها هذا الصلح قمة انتصارات نابليون في عهد القنصلية ذلك انه حصل من بريطانيا على

^١ - أ.ه.فشر، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠.

^٢ - د.عبد العزيز سليمان نوار، ود.عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

^٣ - كارلتون هيز، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

^٤ - د.عبد العزيز سليمان نوار، ود.عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

اعتراف شرعي وقانوني بزوال الملكية، وبكل التغييرات التي حصلت في فرنسا منذ ذلك الوقت^١.

ولم تلبث أن تجددت المعارك بين فرنسا وبريطانيا التي ألحقت بفرنسا خسارة كبيرة في معركة الطرف الأغر، فتشكل عندئذ التحالف الثالث ضد فرنسا بضم بريطانيا، وروسيا، والنمسا، والسويد، فروسيا لم تكن راضية عن تدخل نابليون المتزايد في الشؤون الألمانية، والنمسا كانت تنتظر منذ أمد طويل الفرصة المناسبة للعودة إلى الحرب، والتأثير لكرامتها التي جرحتها الفرنسيون أكثر من مرة، وقد أثار النمسا بصورة خاصة إعلان نابليون نفسه ملكاً على إيطاليا، وضم أراضي جنوا، وبارم، وبيامون، إلى الإمبراطورية الفرنسية، أما السويد، فكانت ناقمة على فرنسا، وغير راضية عن محاولاتها الهيمنة على شؤون غرب أوروبا بأكملها. وقد عرفت الدبلوماسية البريطانية كيف تستغل مواطن الضعف عند هذه الدول، وجرتها في صيف العام ١٨٠٥ معها، وإعلان الحرب على فرنسا^٢.

لقد كانت دول أوروبا تنظر بعضها إلى بعض نظرة الأعداء، ويتوقع كل منهم الشر إلى الآخر، وكان يبدو أن قوة أي دولة خطط على بقية الدول، وأخذ ينظر إلى المكاسب التي أحرزها فرنسا بعد الصلح قد زادت ساسة أوروبا التقليديين قلقاً على قلق، ومن المكاسب التي حققتها فرنسا بعد صلح أميان هو أقامتها لست جمهوريات شقيقة في أوروبا، وأصبحت إيطاليا مرتبطة أوثيقاً الارتباط بمقدرات فرنسا، ولم تكف عن التدخل في شئون سويسرا^٣، وظهر هناك صراعاً وتنافساً حول الممتلكات البريطانية والفرنسية فيما وراء البحار. وقد سدت أبواب الممتلكات الفرنسية سداً يكاد أن يكون تاماً في وجه التجارة البريطانية، وكذلك استخدام المهاجرين الفرنسيين الصحف البريطانية لشن حлат من الهجوم العنيف المتواصل على القنصل الأول، وهكذا أعلن نابليون أن صلح أميان لم يعد له وجود، فأعاد احتلال نابولي، وأرسل جيشاً من ثلاثين ألف رجل إلى هولندا، وأحتل هانوفر، وأعلن أنه سيظل محتفظاً بها ما دام احتفظت بريطانيا بمالطة، وفتح روسيا، وبروسيا، بشأن التحالف معه، إلا أن الدولتين رفضتا ذلك^٤، وسرعان ما ظهر إلى الوجود من الجانب الآخر ائتلاف عظيم، فعاد وليم بت إلى الحكم في العام

^١ - المصدر السابق نفسه، ص ٨٧-٨٨.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٠٣-١٠٤.

^٣ - أج. جرانت، وهارولد تببرلي، مصدر سابق ذكره، ص ٢٠٠.

^٤ - المصدر نفسه، ص ٢٠٢-٢٠٦.

٤ ١٨٠، متلهفاً إلى تسديد ضربة قوية إلى فرنسا ونابليون، وكانت خبرته بدبليوماسية أوربا لا تصارع. فقد أضاف إلى صفة أولاً السويد، وانضمت إليه روسيا، والنمسا، وقد شارك ملوك هذه الدول كرههم لمبادئ الثورة الفرنسية، ونابليون. أما بروسيا فرفضت الانضمام إليهم، في حين تحالفت فرنسا مع إسبانيا التي وقعت مع نابليون معاهدة مدريد في العام ١٨٠١، وكان نابليون يسعى إلى غزو الجزر البريطانية، وقهـر بريطانيا في قعر دارها. وفي البحر الأبيض المتوسط انتصرت بريطانيا على أسطول نابليون في معركة الطرف الأغر، وفي بريطانيا كانت الأمة والحكومة شيئاً واحداً على نحو لا مثيل له في أي بلد من البلدان المعادية لنابليون، وهكذا تخلى نابليون عن فكرة غزو الجزر البريطانية^١.

ولما أعلن التحالف الثالث الحرب على فرنسا وصلت الجيوش الفرنسية إلى مدينة أولم، حيث كانت تتركز هناك على نهر الدانوب، وهناك جرت معركة فاصلة اهزم فيها النمساويون في ٢٠ تشرين الأول من العام ١٨٠٥، ولما كان الطريق الأقرب إلى موقع أعدائه تقع في أراضي بروسيا المخايدة، فإنه لم يتزدد في اجتياز حدودها، وخرق حيادها، وفي ٢ كانون الأول من العام ١٨٠٥، جرت أعظم معركة في تاريخ الإمبراطورية الفرنسية على هضبة اوسترليتز في النمسا، حيث ألحقت فرنسا بجيوش النمسا وروسيا هزيمة ساحقة وسريعة، فطلبت النمسا عقد الصلح، وفي ١٦ كانون الأول من العام ١٨٠٥، وقع صلح برسبورغ الشهير، والذي أذل النمساويون، وأطلق يد فرنسا في إيطاليا، وجنوب ألمانيا. أما روسيا القيصرية فقد انسحبـت من الحرب عملياً دون أن توقع معاهدة صلح كما فعلـت في المرة السابقة. أما بالنسبة لبروسيا فقد فرضـت عليها نابليون معاهدة شائنة حـتـتـ كـثـيرـاًـ منـ كـرـامـتهاـ تـعـرـفـ باـسـمـ معـاهـدةـ شـونـبرـونـ جـعـلـ بـعـضـ أـرـاضـيـهاـ أـمـارـاتـ تـابـعـةـ لـفـرـنـسـاـ،ـ وـأـعـطـيـ بـرـوـسـيـاـ مـقـاطـعـةـ هـانـوـفـرـ الغـنـيـةـ،ـ وجـرىـ توـقـيعـ المعـاهـدةـ فيـ ١٥ـ كـانـونـ الـأـوـلـ مـنـ الـعـامـ ١٨٠٥ـ^٢.

ثم أعلن التحالف الرابع بين بروسيا، وروسيا، وبريطانيا، والسويد، وأـسـتـطـاعـ نـابـلـيـوـنـ أـنـ يـهـزـهـمـ فـيـ مـعـاهـدةـ بـيـنـاـ ثـمـ تـقـدـمـ فـيـ الأـرـاضـيـ الـبـرـوـسـيـةـ حـتـىـ اـحـتـلـ مـدـيـنـةـ بـرـلـينـ،ـ وـلـمـ كـانـ جـيـوشـ الـبـرـوـسـيـةـ بـقـيـادـةـ مـلـكـهـاـ تـتـرـاجـعـ بـاتـجـاهـ الـحدـودـ مـعـ بـرـوـسـيـاـ مـلـاقـاةـ

^١ - نفسه، ص ٢٠٦ - ٢١٠.

^٢ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ١٠٥.

الحصول على موافقة النمسا، وكان مترنيخ يهدف صراحة إلى تحطيم إيطاليا، وتمزيق أوصالها، وكان يخشى من أن الدستور قد يؤدي إلى قيام ثورة ضد أفكاره^١.

والجزء الأهم التالي من التسوية يخص هولندا، وبلجيكا، فقد أدمج البلدان في مملكة واحدة تحقيقاً للفكرة ذاتها، وهي تدعيم قدرة الدول الصغيرة على مقاومة فرنسا. كما اعترفت جميع الدول بسويسرا دولة مستقلة، وضمنت حدودها، واستعادت كل من إسبانيا، والبرتغال حدودها القديمة في أوربا. أما الداخمارك فقد حرمت من النرويج التي تقرر تسليمها إلى السويد التي رفضت الانضمام إلى التحالف ضد نابليون ما لم تدل وعداً بالحصول على النرويج، وفي المؤتمر تم التوصل إلى بعض التسويات، فقد تم النظر بعين الالتفاف في مطالب الإفراد الذين أصيّبت ممتلكاتهم في الحرب، وسويت خائفاً المنازعات الخاصة بقواعد الأسبقية، والسلوك الدبلوماسي، وسن مبدأ ينظم شؤون الأهمار الدولية، وتم إلغاء تجارة الرقيق للمبادئ الإنسانية، فحرمتها فرنسا، وإسبانيا، وهولندا، والسويد، ووعدت البرتغال بتحريمه^٢.

نتائج المؤتمر:

منحت النمسا مركزاً مهماً في أوربا، فقد أمتد نفوذها من أقصى شبه الجزيرة الإيطالية إلى أقصاها، وخرجت من حروب الثورة والإمبراطورية الفرنسية ظافرة بأكبر حصة من الغنائم، فزاد عدد سكانها نحو أربعة ملايين ونصف مليون نسمة، وكانت سيطرتها على إيطاليا تكاد تكون تامة فقد نالت مملكة لومبارديا، ومقاطعة البندقية كما ذكرنا، واستعادت تريستا، والساحل الدلماسي، وأصبح هناك أميراً مساوياً يحكم فلورنسا، وأميرة متساوية تحكم بارما^٣.

أما فرنسا، فهناك من يرى أنها عوّلت باعتدال، ولو أن بروسيا تمكنّت من أن تنازل مرادها، وكانت مقاطعتا الالزاس، واللورين من بين الضحيّات التي فرضت وقتلة على حكومة لويس الثامن عشر بعد عودتها إلى الحكم. لقد شعر كاستلري وزير خارجية بريطانيا بأنه من مصلحة بريطانيا أن تقدم كل معونة ممكّنة لآل بوربون الأسرة الفرنسية المالكة كي تسترجع، وتحتفظ بولاء الشعب الفرنسي لها، رغم الصدمة الكبرى التي إصابتها من بعدها عن أمجاد الإمبراطورية الحربية، لقد فرض على فرنسا أن تتخلّى

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٨٢-٢٨٣.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٨٤ ..

^٣ - هـ، أبفـ، مصدر سبق ذكره، ص ١١١.

عن دوقة بويبون، وشطر من الاردين إلى مملكة الأرضي المتخضه، وأن تسلم حصون سارلوى، ولندا لألمانيا، وأن تدفع غرامة حرية قدرها ٧٥٠ مليون فرنك، وأن تخضع لجيش الاحتلال لمدة من ثلاث إلى خمس سنوات، وأن تعيد الكنوز الفنية التي سمح لها معاهدة الصلح السابقة بارييس الأولى بان تقيها في يدها، ولكن لم يكن في هذه الشروط ما يتعدى على كرامة فرنسا الوطنية احتماله، غير أن الإحداث برت مخاوف قيسار روسيا الاسكندر الذي أظهر ارتياه في حكمة إرجاع آل بوربون حكم فرنسا، فلم يقدر تحالف أوروبا على إنقاذ فرنسا فيما بعد من براثن الانقلابات، وأن يحول دون عودة الانقلابات، وأن يحول دون عودة الأفكار البونابيرية، وتأسيس إمبراطورية ثانية فيما بعد، ولكن رغم جميع نقائص ذلك الصلح، فإنه منح أوروبا سلماً نسبياً مدة أربعين عاماً^١.

وفي المؤتمر انبعثت خطة وليم بت رئيس وزراء بريطانيا من جديد في العام ١٨١٣، ولكي تستخدم قاعدة لتسوية ما بعد الحرب، وتبدأ خطط بت بحصار المقترنات الروسية في أهداف ثلاثة رئيسة:-

١. تحرير البلدان التي استعمرتها فرنسا منذ بداية الثورة ثم إعادة فرنسا إلى حدودها السابقة.

٢. العمل بعد تحرير هذه الأرضي من السيطرة الفرنسية لكي تنعم بالهدوء والطمأنينة، بحيث تشكل بذات الوقت حاجزاً أكثر فعالية ضد كل محاولة جديدة من جانب فرنسا.

٣. فإذا أستتب السلام وضع اتفاق عام يضمن الحماية والأمن المتبادل للدول المشتركة من شأنه أن يبعث في أوروبا نظاماً قائماً على الحق العام.

لقد قرر الحلفاء إحاطة فرنسا بسلسلة من الدول الثانية تتزود كل واحدة منها بجزء من القلاع تستخدم كمصد للهجومية الفرنسية الأولى، وتحمي مؤخرتها دولة كبرى، فلهولندا تحرس الحدود الشمالية، ومن ورائها بروسيا. أما سردينيا فتحرس الجنوب، وتدعها النمسا. أما الوسط، فيحميه الحلف النمساوي - البروسي، هذه الأوضاع العامة رأى البعض بأنه يجب أن تكرس ضمن معاهدة عامة توقعها كل الدول الكبرى لكي تضمن التسوية الجغرافية، كما تكون موضوع إتقان منفرد بين روسيا القيصرية،

^١ - المصدر نفسه، ص ١١٥.

^٢ - هنري كيسنجر، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥.

أما بروسيا، فكانت تسعى إلى توسيع رقعتها، وكان الاسكندر ي يريدضم بولندا لروسيا، وإقامة حكومات دستورية في أوروبا كما أراد إقامة نوع من النظام الجماعي في أوروبا.¹

في حين كان تاليران وزير خارجية فرنسا يرى بان قاعدة الحقوق الشرعية التي نادى بها هي أساس تسوية مؤتمر فيينا، فالحقوق الشرعية هي التي أعادت أسرة بوربون إلى عرش فرنسا، وهي التي أنقذت سكسونيا لال وفتور، وهي التي ثبتت سلطان البيت المالك في سردينيا، ولم يعط مؤتمر فيينا أي اعتبار للقومية أو لرغبات السكان. فقد كان زعماء فيينا أمثال مترินخ، وتاليران، وكاستلري، يؤمنون بأن رضاء أوربا لا يمكن تحقيقه حسب رغبات الشعوب، بل ينال فقط بإطاعة السلطات الشرعية طاعة مطلقة تامة^٢.

وكان كاستلري، ومتريخ و يؤيد هما في هذا تاليران مهتمين غاية الاهتمام بخلق
توازن القوى في قارة أوروبا، ولما كانا من ارستقراطي العهد القديم، فإنهما طبقاً مبادئ
القرن الثامن عشر على مشكلات الساعة القائمة، وإنهما لم يكونا قطعاً راغبين في إعادة
الحدود الإقليمية التي اكتسبت قبل الحروب النابليونية، ولكنهما رغباً في استعادة ما
أسموه (حريات أوروبا)، وكانت يعنيان بذلك (حرية الدول الأوروبية) من تحكم دولة واحدة
في شئ هما ٣

أسس التسوية:

إن الاتفاق حول الأهداف المشتركة لم يكن يخفى وجود خلافات بين الدول المتحالفة حول أسس التسوية. فقد حرص مترنيخ وزير خارجية النمسا على إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الثورة الفرنسية، وضرب الحركات القومية في أوروبا، وشاركه في ذلك قيصر روسيا (الاسكندر الأول) الذي حرص أيضاً على تأكيد سلطة روسيا على بولندا، وكان الأمير فون هاردنبرج الذي مثل ملك بروسيا وليم الثالث قد سعى إلى تأكيد زعامة بروسيا على الولايات الألمانية، في حين سعى كاستلري إلى إقامة توازن دولي يمنع أي دولة أو تحالف من مجموعة من الدول من السيطرة على القارة الأوروبية، مع تأكيد هيمنة بريطانيا على أعلى البحار^٣.

¹ - روبرت ب. بالمر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٤.

²- ۵-۱. فشر، مصدر سبق ذكره، ص ۱۱۲.

³ - روبرت بالمر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥.

^٤ - د. محمد السيد سليم، تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، القاهرة، دار الفجر الجديد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ٧٢.

لقد وقعت معاهدة فينا في ٩ حزيران من العام ١٨١٥، وقبل انتهاء معركة واترلو، يمكن وصف القسم الأول من المعاهدة بأنه تسوية التوازن الدولي، فالمبدأ السائد فيه هو حصول كل دولة عظمى على الأراضي التي كانت بحوزتها في العام ١٨٠٥، أو ما يعادلها. وقد تم تحقيق ذلك إذا ما استثنينا حالة روسيا التي كانت تتفاوض من منطق القوة، فنالت أكثر مما كان يريد لها حلفاؤها، وحصلت روسيا على جزء كبير من بولندا واحدة بتكوين مملكة بولندية وطنية لها دستورها الخاص. وقد رأت بريطانيا والنمسا في هذه المكاسب الروسية أخلالاً بالتوازن الدولي، وزاد من دواعي الانزعاج احتفاظ روسيا بجيش يقرب تعداده من مليون رجل، أي حوالي ضعف العدد الذي يراه البعض ضرورياً، وفي ألمانيا طبق مبدأ التوازن الدولي تطبيقاً عادلاً، وأن شكت بروسيا من أن الأراضي التي حصلت عليها أقل من تلك التي كانت تملكها في العام ١٨٠٥، وكان هذا صحيحاً، ولكنها كانت تسيطر في العام ١٨٠٥، على رقعة كبيرة من الأراضي البولندية. وقد بادلت بها ألان نصف سكسونيا، ومقاطعة الراين، وهي أراضي ألمانية أصلاً. وقد وزنت النمسا نفوذ بروسيا في ألمانيا بمنعها منضم سكسونيا كلها كما كانت ترغب، كما أعاد مترنيخ بناء بافاريا كدولة قوية تستطيع الاطمئنان إلى تعاونها، وحصلت هانوفر بفضل صلتها ببريطانيا على كسب جيد من الأرضي. أما جميع الدول الألمانية الصغرى فقد رسمت حدودها، وفصلت معلمها على وفق أهواء النمسا أو بروسيا، ولم يوضع أي اعتبار تقريباً لصالحها الخاصة. وقد هبط العدد الإجمالي للدول الألمانية الداخلة في الاتحاد الجديد إلى (٣٩) ولاية، واحتفظت النمسا بزعامة ألمانيا الفعلية، وإن لم تختلف عنها بروسيا كثيراً^١.

والواقع أن النمسا لم تكن تهدف إلى الحصول على مكاسب في ألمانيا، وإنما في إيطاليا، فنالت ولاية البندقية، واستردت مبارديا، أما بقية الدول الإيطالية، فكانت توابع تسير بالفعل في فلكها. وقد حصلت بيد مونت على جنوا الأمر الذي يساعدها في الدفاع عن شمال إيطاليا ضد فرنسا، وأعيدت الولايات البابوية إلى الوجود، وأنشئت مملكة نابولي من جديد تحت حكم ملك من سلالة البوربون، ووُعد ملك نابولي في معاهدة سرية عقدت بينه وبين مترنيخ، وبموافقة كاستلري بـلا يمنح بلاده دستوراً دون

¹ - أ.ج.جرانت، وهارولد تمبرلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٢.

المبحث الثالث

مؤتمر فيينا ١٨١٤

عقد مؤتمر فيينا في أيلول من العام ١٨١٤، إذ لم يسبق أن شاهد العالم مثل هذا الاجتماع. فقد حضره ممثلين عن كل دول أوروبا، وكانت الإجراءات قد نظمت تنظيماً دقيقاً محكماً بحيث أن جميع المسائل المهمة كانت تفصل فيها الدول الرئيسة الأربع: روسيا القيصرية، وبريطانيا، والنمسا، وبروسيا، إذ كانت أعداد الوفود التي حضرت المؤتمر كبيرة، وعميل، والتجاهات مختلفة، فلم يكن عندهن من الممكن إجراء اجتماعات بصورة جدية، والوصول إلى حلول مقبولة للمشكلات المطروحة بمشاركة كل هذا الجمع من الدول، ولذا أتبعت خطة عمل تقضي بأن يجتمع ممثلو الدول الأربع الكبرى المنتصرة في لجنة رباعية تدرس القضايا، وتناقشها، وتطرح لها الحلول، وتعرضها بعد ذلك على الدول الأخرى، ولكن من الناحية العملية، فإن هذه الدول الأربع الكبرى انفردت في توزيع المغانم بينها، وعملت على رسم خارطة جديدة لأوروبا. أما الدول الصغرى، فكان عليها أن تقبل صاغرة ما تقره هذه الدول الأربع. وقد عدّت فرنسا من الدول الصغرى أول الأمر غير أن رغبة المؤتمر في مراعاة جانب الملك لويس الثامن عشر، ومساعدته في تقوية دعائمه عرشه في وجه خصومه الكثريين في باريس جعل فرنسا تشتراك فيما بعد على قدم المساواة مع الدول الكبرى^١.

أهداف المؤتمر:

وكان لهذه الدول أهدافاً مشتركة، وأهداف خاصة، فأما الأهداف المشتركة فتتمثل في:

١. رغبة الدول التي حضرت المؤتمر في القضاء على الأنظمة الشورية والجمهورية في أوروبا، وخلصها من الأفكار التي زرعتها الثورة الفرنسية من أجل سلامة دول أوروبا.
٢. التمسك بمبدأ الشرعية القضائي بإعادة كل الحكم والأمراء الذين أبعدهم نابليون إلى دوهم، وإعادة حقوقهم الشرعية القديمة أيهما كانت، والمحافظة بكل الوسائل على الأنظمة الاجتماعية التقليدية، وعلى سلامه العروش.
٣. عدم الثقة بفرنسا بوصفها مصدراً للشر والتمرد على الأنظمة التقليدية، وهذا سعى أعضاء المؤتمر إلى أضعافها سياسياً وعسكرياً، وتقوية التيارات الحافظة والتقليدية في فرنسا بحيث لا تتمكن من الإضرار بأمن أوروبا بشورة جديدة^٢.

¹ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعفي، مصدر سابق ذكره، ص ١٣٩.

² - المصدر نفسه، ص ١٤٠.

أما الأهداف الخاصة، فكانت النمسا ترى بعد فشل نابليون في غزوه لروسيا ضرورة بناء معاذلات دولية جديدة من شأنها إيجاد حلول لمشاكل شائكة تزيدتها الاعتبارات الجغرافية والتاريخية تعقيداً، فمن الناحية الجغرافية تقع النمسا في وسط أوروبا، وتحيط بها قوى لا تعرف متى تظهر عدائها لها، وفي أية مناسبة علماءً أن هذا الموقع لا تعزره حدود طبيعية جغرافية، فضلاً عن ذلك أن سكانها خليط من قوميات مختلفة، كالجرمان، والسلاف، والماجيars، والإيطاليين، لا تجمعهم لغة واحدة، ولا عرف واحد، فالنمسا بحكم أوضاعها المعقّدة كانت مكان الاهتزازات والتغييرات للمنطقة بأسرها، وكان الاستقرار ضرورة حيوية بالنسبة لها، إذ كانت تشعر بأنه عليها أن تبدي أهمية الاعتدال، وحيوية توازن القوى، وال الحاجة إلى إطار الشرعية، وقدسيّة المعاهدات، وكان الاندحار نابليون اثر ايجابي وسلبي في النمسا، فمن الناحية الايجابية، تستطيع النمسا نتيجة لتفكك القوة العسكرية الفرنسية، ولأول مرة منذ ثلاث سنوات أن تتبع سياسة مستقلة حقاً، وغير مقيدة. أما من الناحية السلبية، فقد كانت تخشى النمسا مما يستتبع على تفكك القوة الفرنسية من فوضى، وما ينجم عن ذلك من عدم وضوح^١.

أما كاستلري وزير خارجية بريطانيا، فكان يرى بأن بلاده تسعى إلى منع أوروبا من الوقوع تحت وصاية دولة ذات تطلعات عالمية، وأن قارة أوروبا إن وقعت تحت سيطرة دولة واحدة، فسوف يشكل ذلك مديداً قاتلاً بالنسبة لها، وهذا يمنع بريطانيا مركزاً مهماً في أوروبا قائماً على التوازن في القوى، إذ أن التوازن قد صيغ بتعابير سياسية أكثر منها اجتماعية يرتكز على تجمع دول متساوية تقريباً في قوتها، لا على مبدأ الشرعية، وهدف بريطانيا بعد مماربتها انتشار الثورة خارج حدود فرنسا، إقامة أوروبا مجتمعة تكون السيطرة عليها مستحيلة، ويستند كاستلري إلى التحالف القائم على الحرب كما يستند إلى التعبير عن سياسة التوازن، وبما انه يرى في الحرب سلاحاً دفاعياً ضد محاولات السيطرة، فمن الطبيعي أن يرى في التحالف حماية من كل اعتداء محتمل، وبما أن محرك السياسة القارية الوحيدة لبريطانيا هو الاستقرار، فقد كان على لندن أن تنصب نفسها حكماً ما بين الدول المتخاصمة^٢.

¹ - هنري كيسنجر، درب السلام الصعب، ترجمة: علي مقد، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤، ص ٢٩-٣٠.

² - المصدر نفسه، ص ٥٦-٥٩.

ولم يستطع أن يؤدي دوراً في السياسة الأوروبية يؤهل له أهمية بلده، فضلاً عن أن نابليون أقام حاجزاً قوياً بين روسيا القيصرية وأوربا يمكن استخدامه في كل وقت بثابة جسر دائم بين فرنسا والحدود الروسية، وهي دوقية وارشو، التي أشرنا إليها، ونظرًا لموالاة هذه الأخيرة إلى فرنسا عدّ هذا العمل مضرًا بالمصالح الروسية، ودلالة على نيات سيئة لدى الفرنسيين^١.

وقد سعى نابليون إلى ضمان أكبر عدد من الدول للوقوف إلى جانبه في حالة صراع محتمل مع روسيا القيصرية، وكان القيصر يقوم بمحاولات مماثلة يشجعه عليها. وقد جرت الحملة على روسيا القيصرية في ١٢ نيسان من العام ١٨١٢، وأنسحب الروس إلى الخلف، حيث تقدم جيش نابليون، وعبر الأراضي الروسية، ودخل موسكو، فرآها خالية من السكان، فأنتظر من قيصر روسيا أن يعرض عليه الصلح، ولم يعرض عليه ذلك، فأنسحب نابليون، وأمر جيشه بالعودة إلى فرنسا خشية قيام ثورة داخلية هناك، وانضم الدوّل الأوروبية لروسيا، وعند العودة قام الجيش الروسي بمجمات قوية ضد جيوش نابليون المنسحبة، وألحقوا فيها خسائر كبيرة، نظراً لبرودة الشتاء، وهطول الثلوج كابد الجيش الفرنسي خسائر جسيمة، وفي كانون الثاني من العام ١٨١٣، بدأ الجيش الروسي بمطاردة الجيش الفرنسي، وشن هجوماً معاكساً، فدخل أراضي بروسيا، وأحتل دوقية وارشو، الموالية لفرنسا، وبذلك قد انتقل الروس من موقف الدفاع إلى الهجوم مشرعين بذلك قبالة أوربا الأمل يامكانية قهر نابليون بعد أن كان ذلك ضرباً من الخيال^٢.

إهياز فرنسا النابليونية:

تشكل التحالف الدولي السادس في ٢٨ شباط من العام ١٨١٣، حينما عقدت بروسيا تحالفاً مع روسيا القيصرية وأعلنت الحرب على فرنسا في ١٦ آذار، وانضمت إليه كل من النمسا، وبريطانيا، فأنتصر نابليون أول الأمر على الجيوش النمساوية المجتمعة عند مدينة درسدن غير أن قواه خسروا معارك كثيرة خلال شهرى آب وأيلول من العام ١٨١٣، وانتشرت الأمراض بين جنوده، ومات من أفرادها مائة ألف محارب، وعند ليزيغ دارت معركة الأمم التي استمرت أربعة أيام اندر حرب فيها نابليون، واحد يتراءج إلى أن اجتاز مع فلوؤ جيشه في أواخر تشرين الثاني من العام

^١ - المصدر نفسه، ص ١٢٤-١٢٦.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٢٤-١٢٦.

١٨١٣، نهر الراين، وبذلك انتقل إلى موقع المدافع هذه المرة عن حدود فرنسا الطبيعية، فعبرت قوات الحلفاء الأرضي الفرنسية، وتقدمت منتصرة باتجاه باريس التي دخلتها في ٣١ آذار من العام ١٨١٤، فأعتزل نابليون عن العرش، وتم دعوة لويس الثامن عشر شقيق لويس السادس عشر لاستلام العرش^١.

وأثر ذلك وقعت معاهدة باريس الأولى في ٣٠ أيار من العام ١٨١٤، بين فرنسا والدول المنتصرة، وساد نصوص المعاهدة الكثير من الاعتدال من جانب الحلفاء، وتم بموجبها إعادة فرنسا إلى حدودها القديمة السابقة للثورة، وسمحوا لها فوق ذلك بالاحتفاظ ببعض المناطق والمدن في الالراس، وجهات نهر الراين، والقسم الأكبر من أراضي السافوي وأفينيون، وكذلك تركوها تستعيد مستعمراتها فيما وراء البحار ما عدا جزر الانتيل، وبعض الجزر في المحيط الهادئ، ولم تفرض على الفرنسيين أية غرامات حربية أو قبول جيوش الاحتلال على أراضيهم^٢.

ونفي نابليون إلى جزيرة البال التي وافق الحلفاء على إعطائها له مع احتفاظه بلقب الإمبراطور، ولكنه سرعان ما هرب من منفاه في ٢٦ شباط من العام ١٨١٥، وأعاد تشكيل جيشه خلال ثلاثة أشهر بعد أن بلغ نصف مليون جندي، وقرر أن يادر إلى القتال قبل أن تتجمع جيوش الدول الكبرى، ولكن الأخيرة استطاعت أن تدحره في معركة واترلو في ١٨ حزيران من العام ١٨١٥، وتم نفيه من جديد إلى جزيرة سانت هيلانة، وفي ٧ تموز من العام ١٨١٥، دخل الحلفاء مدينة باريس للمرة الثانية، ومعهم الملك لويس الثامن عشر، وفي ٢٠ تشرين الثاني من العام ١٨١٥، تم توقيع معاهدة باريس الثانية التي كانت أشد وأقسى من سابقتها، إذ فرضت هذه المعاهدة على فرنسا أن تدفع غرامة حربية تبلغ سبعمائة مليون فرنك ذهب، وتعويضات تقدر بأكثر من ثلاثمائة مليون فرنك، وأن تقبل فرنسا، ولمدة خمس سنوات في بعض مقاطعاتها جيوش الاحتلال تبلغ ١٥٠ ألف جندي تتولى الخزينة الفرنسية دفع نفقاهم، وأعيدت فرنسا إلى حدودها في زمن لويس السادس عشر، ولم يسمح لها بأن تحفظ من الأراضي التي استولت عليها في زمن الثورة، إلا بمدينة نيس، وقسم من أراضي السافوي^٣.

^١ - المصدر نفسه، ص ١٢٦-١٢٨، وانظر كذلك: بالمر-الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٢٩، وانظر كذلك: أ.ه.فشر، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦.

^٣ - المصدر السابق، ص ١٣٠-١٣٢، وانظر كذلك: أ.ه.جرانت. وهارولد تمبرلي، مصدر سبق ذكره،

ص ٢٠٧.

القيصر الذي هب لنجدته فقد لحق بها نابليون، وانتصر عليها، وعلى حلفائها الروس في معركة فريدلاند سنة ١٨٠٧، فبادرت الدولتان لطلب الصلح.^١

وفي ٢٢ حزيران من العام ١٨٠٧، عُقدَ اجتماع بين نابليون، وقيصر روسيا، واتفقا على عدم خسارة روسيا لأي جزء من أراضيها، ومساعدةً من قبل فرنسا لتحقيق مصالحها في فنلندا، مقابل اعتراف القيسِر بكل التغييرات التي أجرأها وسيجريها نابليون في الأراضي الألمانية بموجب معاهدة الصلح مع بروسيا، وفي ٨ تموز من العام ١٨٠٧، وقعت معاهدة تليست التي حملت لبروسيا عقوبات شديدة الصرامة^٢.

فأقام نابليون دوقية تدعى دوقية وارشو خاضعة لحكم ملك سكسونيا في الجنوب، وأنشأ مملكة ويستفاليا في الغرب، ونصب عليها أخيه جيروم، وضم إليها عدة ولايات سلخها من بروسيا، وفرض عليها تعويضات حربية باهظة، واستقرار جيش الاحتلال ثقيل الوطأة والنفقة على أرضها، وتحديد قواها المسلحة تحديداً دقيقاً كما أستطيع أن يضمن صداقة قيسِر روسيا.^٣

ولما لم يتمكن نابليون من إخضاع بريطانيا فرض عليها الحصار القاري، وذلك في سنة ١٨٠٦، واضطررت أكثر الدول الأوروبية أن تتجاوب مع هذا الحصار طوعاً أو كرهاً، ولما رفضت البرتغال الالتزام بذلك بسبب الصلات الاقتصادية والسياسية بينها وبين بريطانيا فقد احتلت فرنسا البرتغال سنة ١٨٠٧، كما احتلت إسبانيا، ووقف الأسبان منذ البداية موقف العداء من الاحتلال الفرنسي، ولكن المقاومة الإسبانية كانت ضاربة، واستطاعت أن تلحق بالفرنسيين هزيمة منكرة في معركة بايلن سنة ١٨٠٨، وشجعت هذه المقاومة دول أوروبا على المضي قدماً في الثورة على الاحتلال الفرنسي، ومنهم النمسا التي كانت تستعد للمرة ١٨٠٥، و ١٨٠٩، للحرب وتقوية جيشه، وتطوير صناعتها بانتظار فرصة مناسبة للثأر من الفرنسيين، وأستطيع نابليون أن يلحق بالنمسا هزيمة كبيرة في معركة واغرام على أثرها طلبت النمسا الهدنة، وباشرت مفاوضات الصلح، وتم ذلك في معاهدة فيينا، إذ فرض على النمسا غرامات حربية باهظة تبلغ ٨٥ مليون فرنك ذهبي، وعلى الصعيد العسكري قتلت بألا يزيد عدد جنود

^١ - المصدر نفسه، ص ١٠٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٠٧.

^٣ - أ.ه. فشر، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣.

جووها في المستقبل بأي حال من الأحوال على ١٥٠ ألف جندي، وتم سلخ من المسما أراضي يقطنها ما يقارب من أربعة ملايين مواطن^١.

ولم تكن حصيلة الحصار القاري الذي فرضه نابليون على بريطانيا ايجابية، ذلك ان كل ما فعله لم يقض على تجارة الانكليز واقتصادها، لأنها كانت مسيطرة سيطرة شبه تامة على البحار، ولديها أسطول يمكنه مواجهة أساطيل أوروبا كلها مجتمعة، ثم أن بريطانيا احتلت بعض الجزر الصغيرة في بحر المانش، والخيط الأطلسي، وكذلك في البحر المتوسط جعلتها قاعدة لتهريب البضائع إلى أوروبا، ثم أن الإمبراطورية العثمانية أعطتها تسهيلات تجارية ممتازة في أراضيها، كما حصلت على تسهيلات مماثلة في مستعمرات إسبانيا والبرتغال في أمريكا، وبفضل هذه التدابير اجتازت بريطانيا الأزمة الاقتصادية الخانقة التي أحاقت بها في السنة الأولى للحصار، وارتفعت صادراتها تدريجياً من معدل (١٠٠) في سنة ١٨٠٥، وإلى معدل (١٣٠)، في سنة ١٨٠٩، كما قدمت بريطانيا مساعدات لإسبانيا للتخلص من الاحتلال نابليون . فقد حقق الانكليز سلسلة من الانتصارات الصغيرة على الفرنسيين بمساعدة عناصر من الثوار الأسبان والبرتغاليين^٢.

غزو روسيا القيصرية:

يعود غزو نابليون لروسيا بسبب رفضها عليناً في كانون الأول من العام ١٨١٠، إغلاق موانئها في وجه السفن المحادية، وتخاذلها تعريفة جمركية ملائمة لوارادات المستعمرات الانكليزية، ولكنها ضارة بالوارادات الفرنسية، ولم يكن نابليون مستعداً أن يطبق المحراف قيصر روسيا عن تأييد النظام القاري. وقد كان نابليون لا يثق بالقيصر، ولم يكن القيصر يبادله الثقة، وأن الحصار المتواصل المفروض على بريطانيا كان قد أضر بتجارة روسيا أكثر من أي بلد آخر^٣. فقد كانت روسيا القيصرية تبيع عادة لإنكلترا الحبوب، والغلال، والخشب، والكتان، مما يشكل قسماً رئيسياً من صادراتها إلى الخارج، وبالمقابل اعتاد الروس الحصول عن طريق التجار والصناعيين الانكليز الكبير من السلع الضرورية. وقد أضرت سياسة الحصار القاري كثيراً بروسيا^٤، فضلاً عن ذلك أن قيصر روسيا لم يحصل على مكاسب من تحالفه مع فرنسا، فهو لم يستطع أن يحقق مطامعه في الإمبراطورية العثمانية، وبصورة أخص أطلق يده في أستنبول والمضائق،

^١ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ص ١١١-١١٨.

^٢ - المصدر السابق نفسه، ص ١١٩.

^٣ - أ.ه. فشر، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢-١٠٣.

^٤ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٢-١٢٣.

تقنن في ذلك العهد بقواعد قانونية، كما حصل ذلك تدريجياً خلال القرن التاسع عشر. وفي فينا أصبحت قواعد العدل، واحترام حقوق الآخرين، والحكمة، والاعتدال في الإطماء تعتبر شيئاً أساسياً مناقضاً لسياسة نابليون، حتى أن الاسكندر الأول بعد حكم المائة يوم لنابليون والانتصار عليه في واترلو حاول في معاهدة الحلف المقدس أن يعمل على تأسيس العلاقات الدولية على قواعد الأخلاق نفسها التي تسود علاقات الإفراد.

لقد خرجت أوروبا في مؤتمر فينا من الحرب، ولم تكن لها نية في العودة إليها، ولذلك أرادت أن يكون هنالك حل وسط يسوى بين المنافع والمطامع المتناقضة، وهذا الحل الوسط لا يمكن أن يقوم إلا بتنازل متبادل بين الدول. لقد أوصت فكرة التوازن التي أقامها المؤتمر بتأسيس دول وسط على درجة من القوة تستطيع أن تكون أهلاً للحياة بنفسها، وأن تناهض مطامع الدول الكبرى، وتنتمس الفكرة ذاتها في مفهوم الدول الفاصلة عن حدود الدول العظمى الطموحة بغية الحفاظ على حدودها، وذلك مثل مملكة البلاد المنخفضة شمال فرنسا، ولتوطيد هذا التوازن قرر أعضاء المؤتمر حذف الدول الصغرى التي كانت عدّة، في وسط أوروبا. أما الطرق التي اتبّعها الحلفاء لتحقيق هذا التوازن هو أيجاد حصص، وشكلت دول بناء على حسابات قامت بها لجنة الإحصاء، واتخذت هذه كقاعدة لذلك ثلاثة عناصر: (المساحة، والموارد، والسكان)، وباتخاذ هذه العناصر الثلاث كانت تسوى الحصص المتوازنة، فعلى سبيل المثال، أضاعت بروسيا ثلاثة ملايين ونصف المليون من السكان لروسيا عن بعض الأراضي في بولندا، وعواوضت عن ذلك بإعطائها بعض المناطق، وعلى وفق هذا المفهوم حذفت فكرة الحدود الطبيعية التي نادت بها الثورة الفرنسية¹.

¹ - دنور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، الجزء الأول، يقضه القومية الأوروبية والقومية الوطنية، لبنان، دار الفكر الحديث، ١٩٦٧، ص ٢٧٧-٢٨٣.

وبريطانيا اللتين تشكلان أفوذجاً مزدوجاً، وهكذا تخلص طبيعة التعهد البريطاني، وتعلن الحرب باسم الأمان وليس باسم العقيدة، وضد سيطرة شاملة، أما الهدف من وراء ذلك وهو تأمين توازن القوى عن طريق تصغير فرنسا، وتكبير الدول المركزية، وهذا التوازن بالنسبة لبريطانيا يجب الحفاظ عليه بوصفه ضمانة جغرافية^١، وعما أن بريطانيا بعيدة نوعاً ما عن الخصومات في القارة فقد كان بمقدورها الدفاع عن الحلول التي تؤمن بهدوءاً عاماً، وهي لا تستطيع ذلك إلا بقدر ما ينتفي الشك عنها بأنها تحرك من موقع أنانية، وهذا السبب لم ينفك كاستلري بالتشديد على الاعتدال، وعن إقامة سلم قائم لا على التفوق والسيطرة، بل على التوازن، وعلى السعي وراء الوئام، وليس الانتقام^٢.

أما بروسيا، فكانت تواجه معضلة ليس لها حل، فقد أدت هزيمة العام ١٨٠٦،

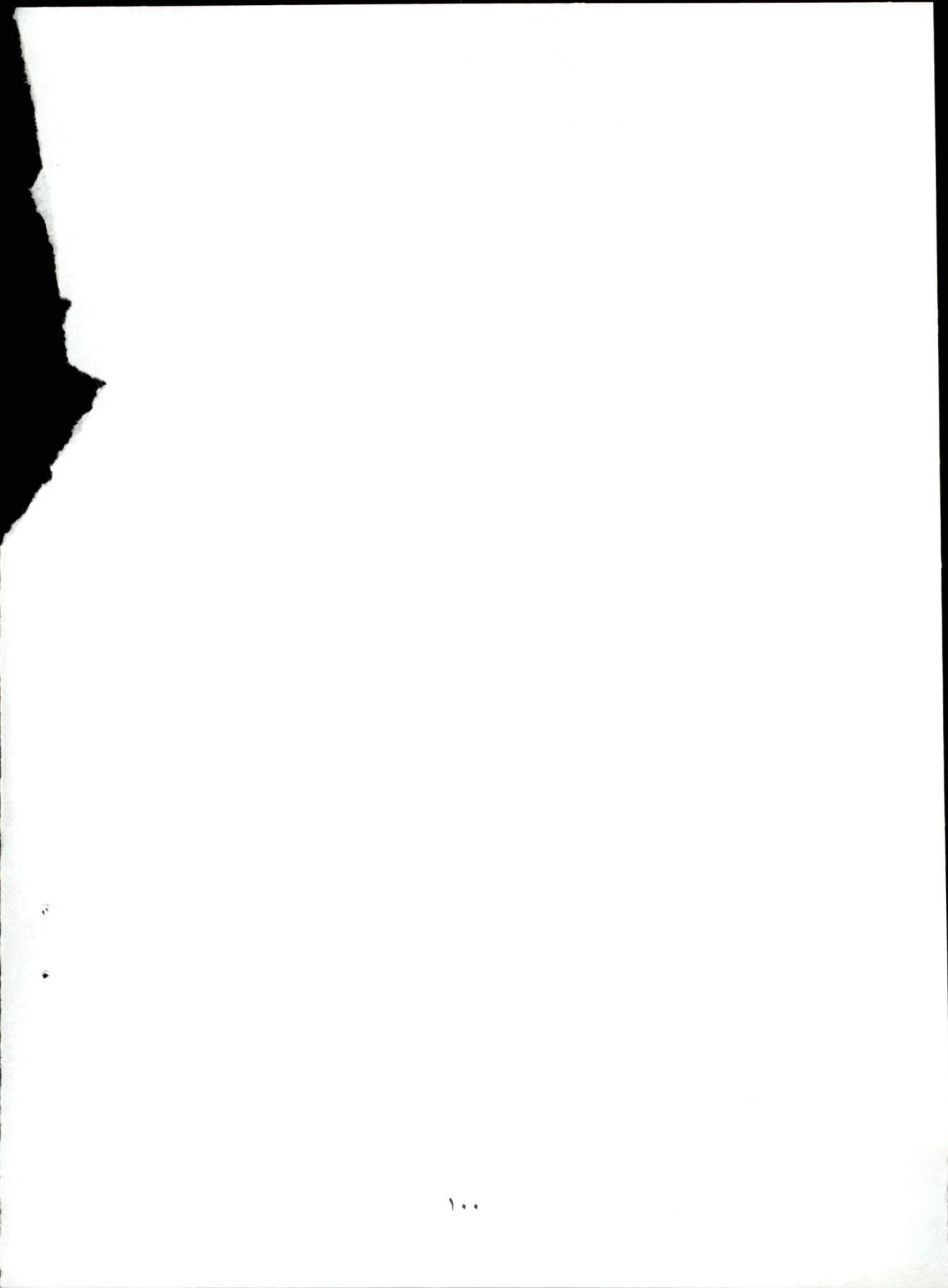
قبالة نابليون إلى جعلها دولة من المرتبة الثانية، واقتصرت أراضيها بما يعادل الثلثين، وأدت حملة بروسيا على أن بولندا أصبحت مجرد تابع لنابليون، واستخدمت يومئذ كمستودع توين للجيش الأكبر، وحارب جيشها الاحتياطي تحت أمرة فرنسية^٣.

لقد بين مؤتمر فيينا أن أوروبا، ولأول مرة منذ قرون كانت بحاجة إلى البناء، والإنشاء على أساس جديدة، لأن التوسيع النابليوني قد وصل إلى نهر الفيستولا، فضلاً عن أن أكثر المشاق التي عانها الأوربيون بسبب كثرة الحروب كونت ضرورة فرضت على الدول الأوروبية البحث عن سياسة تستطيع بواسطتها الحيلولة دون عودة الحرب مرة أخرى، ولذا كان لزاماً عليها أن تؤسس نظاماً أوربياً جديداً لا يقوم على القوة، وال الحرب، واقتطاع، وتقسيم الأراضي. لقد تصور قيصر روسيا الكسندر الأول سيد السياسة الأوروبية بعد نصر العام ١٨١٤، أن أوروبا بحاجة إلى بناء أساس عادلة تعمل على توطيد السلام الأوروبي على أساس ثابتة ومتينة، وكان هذا النظام الأوروبي المزعزع إنشائه يقوم على نبذ فكرة القوة في تحقيق الأهداف السياسية كما يقوم أيضاً على اعتبار عدم جدواً تغيير الوضع القائم بعد صدور الصك النهائي للمؤتمر في ٩ حزيران ١٨١٥، وكانت الغاية من ذلك هو بناء السلام الأوروبي على أساس عقد جماعي، وكذلك عمل المؤتمر على إخضاع العلاقات الدولية إلى قواعد العقل، والعدل، والاحترام المتبادل، أي إلى مجموع القواعد التي يطلق عليها اسم حقوق البشر، والتي لم

^١ - المصدر نفسه، ص ٦٦.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٦١.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٣٥.



الفصل الرابع:

تطور العلاقات الدولية بعد مؤتمر فيينا

• المبحث الأول:

الخارطة الأوروبية الجديدة

• المبحث الثاني:

المؤتمرات الدولية بعد مؤتمر فيينا

• المبحث الثالث:

المسألة الشرقية

ولما سببت الثورة الفرنسية، ونابليون المتابع العديدة لحكومات أوربا حتى أصبحت الفكرة المسيطرة على عقول ساسة أوربا هي العمل على منع عودة الثورة الفرنسية، ونابليون، وما شاهدها منعاً باتاً. فقد عقد المتتصرون في العام ١٨١٥، العزم على العمل على منع تكرار الثورة الفرنسية، وضرورة اجتناث كل رأي حر من أصوله على الفور لكي لا يؤدي إلى قيام بيئة ثورية جديدة في أوربا، وكان طبيعياً أن تكون أحاسيس البغض والخوف من الثورة على أشدتها في الدول الثلاث التي غزت جيوشها نابليون أراضيها فقد اتفق ملوك بروسيا، وروسيا، والنمسا على أن واجبهم إزاء أوربا والحضارة يقتضي تحالفهم من أجل القضاء على الثورة الفرنسية، وسرعان ما انضمت إليهم بريطانيا، وقد تعهدت هذه الدول باستمرار العمل على إقصاء بيت بونابرت عن فرنسا، ولكن لم يbedo في خاطر تلك الدول أن يقيموا عصبة أمم غير أنه نص في مواد هذا التحالف الرباعي على وجوب اجتماع مثلي الدول المتعاقدة في مراحل يتفق عليها للبحث في مصالحها المشتركة، وفي الشؤون التي تمس السلام في أوربا، منها، ولم يكن في ذلك الوقت أية امكانية على تحقيق أفضل من هذا التضافر المؤلف من دول أربع عظمى مرتبطة معاً ببعود العمل على صيانة قضية السلام الأوروبي إلا أنه لم يمر وقت طويل حتى أصبح واضحاً أن إتحاد تلك الدول كانأسماً أكثر فيه حقيقة. فقد كان متريخ يغطي جعل التحالف الرباعي أداة فعالة لقمع الحركات الحرة في جميع أرجاء أوربا، في حين كان كاستلري يرى انه ليس جزءاً من واجب الدول الأربع ان تتدخل في الشؤون الداخلية للدول، وكان يرى ضرورة تقوية ألمانيا كي تصبح سداً في وجه كل من فرنسا وروسيا، وعلى الرغم من تقديره الكبير لأهمية التحالف مع النمسا كدعاة من دعائم المبادئ الحافظة الأوربية، فإنه لم يكن يرغب في جر بريطانيا إلى التورط في مشاحنات الدول الأوربية^١.

لقد أتسمت الحقبة التي أعقبت معاهدة باريس، ومؤتمر فيينا بالتعاون الوثيق بين كاستلري، ومتريخ، وكان هذا التعاون قد واجه أزمات مختلفة صدعت التحالف، ويرجع اتفاق هاتين الشخصيتين إلى تلاقي مصالحهما من جهة، وإلى ضغوطات قيصر روسيا من جهة أخرى، وما دام أن بريطانيا كانت تبحث عن أنها في استقرار القارة، فإن النمسا كانت حليفتها الطبيعية، وكانت هاتان الدولتان تدافعن عن الوضع

^١ - أ.ه. فشر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٦-١١٩.

الفصل الرابع

تطور العلاقات الدولية بعد مؤتمر فيينا

المبحث الأول

الخارطة الأوروبية الجديدة

يمكن عدّ قرارات مؤتمر فيينا، والمعاهدات الملحقة به أعظم اتفاق دبلوماسي تم التوصل إليه في أوروبا منذ صلح ويستفاليا. وقد كان لهذه القرارات نواحي إيجابية. فقد قبل الفرنسيون نتائج فيينا، لأنها أحققت بفرنسا أقل قدر ممكن من الخسائر، فضلاً عن ذلك أن قرارات المؤتمر أدت إلى إيجاد حل للمشكلة البولندية التي كانت إحدى المشكلات في القرن الثامن عشر، وأثارت عدة حروب بين روسيا، وبروسيا، والنمسا، وربما كان هذا أحد الحلول التي أهنت سبباً رئيسياً خلاف الدول الكبرى في أوروبا الوسطى والشرقية، ولكنه من جهة أخرى جاء هذا الحل على حساب آمال الشعب البولندي الذي فقد وجوده كمملكة وكأمة، وفي ألمانيا تحقق التسوية، ولو أنها أيضاً كانت على حساب آمال الألمان، من حدة الصراع الذي استمر خمسون عاماً تقريباً بين بروسيا والنمسا حول الزعامة بين الدول الألمانية، وكذلك أطلقت قرارات المؤتمر يد بروسيا في شرق أوروبا، وجعلت من ألمانيا وإيطاليا مناطق النفوذ النمساوي. أما البحر، والمحيطات، والمواصلات الدولية. فقد أصبحت حكراً لبريطانيا، ولكن لا تحول أي من هذه الدول الثلاث أن تتجاوز الحدود المرسومة لها في فيينا مما قد يعكر السلام الأوروبي كانت هناك دولتان تمارسان دور صمام الأمان، ففرنسا ظلت دوماً تترصد النمسا لمنعها من أن توسع مناطق نفوذها في إيطاليا وبروسيا كانت تسعى دوماً لمعارضة كل تزايد للنفوذ الروسي في شرق أوروبا والنمساوي للعالم الجرماني، وفوق هذا وذاك تكفلت إنكلترا بمراقبة سياسة القيسar الروسي تجاه الإمبراطورية العثمانية، ومنعه من أحداث تغيير أساسي في البحر الأسود، وال مضائق التركية، والواقع أن هذا النظام على ما فيه من تناقضات قد نجح في صيانة السلم الأوروبي حتى منتصف القرن التاسع عشر، وهو الأمر الذي لم يكن يتوقعه أكثر المتفائلين من بين الساسة الذين رسموا خارطة أوروبا السياسية بعد سنة ١٨١٥^١.

¹ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩ - ١٥٠.

فيما بينها بالتشاور عن طريق مؤتمرات دبلوماسية بصورة دورية أو كلما بدا السلام مهدداً، واتخاذ العمل المشترك ضد أية محاولة للعدوان.^١

وفي أثناء ذلك قدم القيصر مشروعًا خاص به لحفظ السلام، إذ شعر أن القوة المادية ، كما يصورها الحلف الرباعي ليست كافية، ويجب أن تستكمل بحلف مسيحي روحي، ولذلك أقنع في أيلول من العام ١٨١٥ ، ملك بروسيا، وإمبراطور النمسا، ليؤلفا معه حلفاً مقدساً، وبه أعلن الرءوساء الثلاثة عزمهم الثابت على إدارة دولهم، وفي علاقتهم الدولية مع الحكومات الأخرى على أن يتخدوا دلالتهم الوحيدة والتمثلة في مبادئ الدين المسيحي، وكان الاسكندر السياسي الوحيد الذي أخذ الحلف المقدس مأخذ الجد دون مترنيخ، في حين نظر إليه الآخرون بارتياح. أما الأحرار فقد عذروا الحلف المقدس تجسيداً لمؤامرة شيطانية للقضاء على الحرية الفردية والقومية، وكان كل من كاستلري، ومترينيخ لا يثقان بموقف قيصر روسيا الطموح، والجيش الكبير الذي أحفظ به في بولندا، والذي كان على أهبة الاستعداد للحرب، وهذا ما زاد في رغبتهما في تعزيز وتقوية الحلف الرباعي، وإبقاء روسيا ضمن قيودها وحدودها، ولذلك رأينا أنه في سنة ١٨١٨ ، وحينما وفت فرنسا بالتزاماتها المالية إلى الحلفاء قبل سنتين من الموعد المحدد، وأظهرت بصورة مستمرة نياتها السلمية عندما عقد أول مؤتمر من المؤتمرات الدولية التي قررها الحفل الأوروبي في أكس لاشابيل، إذ وافق الحلفاء على سحب جيوشهم الخليفة من الأراضي الفرنسية، وتم قبول فرنسا في عضوية الحفل الأوروبي على قدم المساواة مع النمسا، وبريطانيا، وبروسيا، وأصبح الحلف الرباعي خماسياً^٢.

¹ - كارلتون هيز، مصدر سابق ذكره، ص ٩٩.

² - المصدر نفسه، ص ٩٩-١٠٠.

القائم، الأولى أن الاستقرار هو هدفها في القارة، والثانية أن مصيرها يتعلق بهذا الاستقرار، وهما تتفقان أيضاً في النظرة إلى التوازن الأوروبي، فهما يدعمان وجود أوروبا قوية وموحدة من أجل ضمان الهدوء في القارة وأن النمسا قوية هي الركيزة في أوروبا الوسطى. فضلاً عن ذلك تواجه كل من بريطانيا والنمسا روسيا القيصرية التي استطاعت أن توسيع حدودها، خلال جيل من الزمن، من الدنير إلى الفستولا. لقد عاجلت اتفاقيات السلام، والصلك الثاني مؤتمرينا مسألة توزيع الأراضي في أوروبا، وأاما مسألة الضمانات التي قدمتها هذه الاتفاقيات فقد ظلت موضع جدل. فقد اعتقدت بريطانيا بأن معاهدة العام ١٨١٥، كانت تهدف إلى مواجهة قيام فرنسا باعتداء جديد، في حين اعتقد الروس بأن المعاهدات تتضمن ضمان الوضع القائم داخل وخارج الحدود الوطنية لكل دولة، وأن اتفاقيات التحالف الموجهة ضد فرنسا بينت أن أوروبا كانت في حدود تنظيم نفسها ، ولو جزئياً، في الأقل، وعلى أساس الخوف من عدو مشترك، وكان كاستلري قد أدخل عنصراً جديداً، لم يكن قائماً في العلاقات الدولية بين الدول الكبرى، وهو أقامة حكومة على مستوى أوروبا.^١

وهكذا ظهر التحالف المقدس في ٢٦ أيلول من العام ١٨١٥، بإتحاد وثيق من الدول الأوروبية الثلاث روسيا، وبروسيا، والنمسا، وكانت سياسته تهدف إلى مقاومة مبادئ الحرية، والقضاء على الثورات، وهو التحالف الذي أجمم الحياة الفكرية في ألمانيا، وقمع الحركات الدستورية التي قامت في إيطاليا، وأرجع إسبانيا إلى الحكم المطلق، ورفض الاعتراف بديمقراطيات أمريكا الجنوبية. وقد أصطدم هذا التحالف المقدس اصطداماً عنيفاً بفلسفة بريطانيا السياسية التي تميل إلى الحرية، إذ أن بريطانيا رفضت الانضمام إليه.^٢

لقد أراد مترنيخ أن يقلل من احتمالات الصدام في المستقبل، وذلك بالاستمرار في التحالف بين الدول الكبرى الذي سبب سقوط نابليون، وتحويله إلى حفل سلام دائم، وهذا الغرض أفلح مترنيخ في عقد معاهدة باريس الثانية في تشرين الثاني من العام ١٨١٥، بعد وقت قصير من عقد معاهدة فيما وفي هذه المعاهدة جعل بريطانيا، وروسيا، وبروسيا، تتفق مع النمسا في تقوية التحالف الرباعي الذي أوقف الحرب، وإدامته كوسيلة لضمان التسوية السلمية، فهذه الدول الأربع التي كونت الحفل الأوروبي تعهدت

^١- هنري كيسنجر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٨-٢٦٩.

^٢- أ. ب. فشر، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩.

وشرعية عقد مثل هذا الاجتماع الذي يناقش قضايا داخلية خاصة بها، على أن ترسل
مندوبيها يشاركون في أعمال المؤتمر^١.

إن تمسك بريطانيا بهذا القرار قد ظهر وبشكل عملي بعد ثورة أسبانيا سنة ١٨٢٠، والتي أجرت الملك الإسباني على القبول بدستور العام ١٨١٢، والذي عدّ الشعب الإسباني مكتسباً ديمقراطياً، وحاول قيسرو روسيا منع ملك إسبانيا عن هذا العمل عن طريق إرسال جيش لإلغائه بالقوة ، إذا حزم الأمر، إلا أن بريطانيا أصدرت وثيقة رسمية في أيار من العام ١٨٢٠، أكدت فيها على تعهداتها بمنع عودة نابليون أو أي فرد من أفراد أسرته إلى العرش، وبالحافظة على التدابير الإقليمية المنعقد عليها في فيينا بالقوة المسلحة لمدة عشرين عاماً، وعليه تعدد بريطانيا أن الثورة الإسبانية مسألة داخلية لا تشكل خطراً على البلاد الأخرى، وأن دوافع بريطانيا في موقفها من إسبانيا باعتبار الأخيرة ذات سواحل وموقع مهم على البحر المتوسط، والخيط الأطلسي، ولها ممتلكات واسعة فيما وراء البحار مما له علاقة بقوة بريطانيا البحرية، وخشيتها من سيطرة فرنسا على هذه المنطقة.

إن الموقف البريطاني جاء نتيجة لتراثكم عدة أحداث توجتها القضية الإسبانية، وربما يكون تدخل مترنيخ في شؤون الولايات الألمانية سنة ١٨١٩، أحدى المؤشرات التي لم ترضّ عليها بريطانيا، والتي تبين الفرق بين التفسير النمساوي والبريطاني لمسألة الحافظة على الحدود السياسية، والتوازن الدولي الذي أقره مؤتمر فيينا. لقد أخذ مترنيخ يتشدد تجاه الحركة القومية التي بدأت تصاعد عند الألمان، إذ ظهر في ألمانيا بعد مؤتمر فيينا العديد من الكتاب والمشففين الألمان يبشرون بمبادئ الثورة الفرنسية، ويدعون لتوحيد ألمانيا في كتاباتهم، وعلى مجد التاريخ الألماني، وحضارتهم^٢.

ولهذا كان هناك اختلاف في وجهات النظر بين كل من روسيا القيصرية والنمسا من جهة، وبريطانيا من جهة أخرى، إذ كانت بريطانيا تخشى مما قد يسعى إليه قيسرو روسيا من سياسات توسيعية تجاه البلقان، والبحر الأسود، والمصايف، وساد موقف بريطانيا في نهاية المطاف، إذ صدر بيان عن المؤتمر حدد فيه حالات التدخل في شؤون الدول الأخرى^٣.

^١ - أ.ج. جرانت وهارولد تمبرلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨-٢٩٠، وانظر كذلك د. محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٧٠.

^٢ - د. محمد مظفر الأدهمي، المصدر نفسه، ص ٧٢-٧٣.

^٣ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٨-١٦٠.

المبحث الثاني

المؤتمرات الدولية بعد مؤتمر فيينا

عقدت بعد مؤتمر فيينا سلسلة من المؤتمرات الدولية لمناقشة القضايا الأوروبية بين الدول الأوروبية الكبرى، وهي:
أولاً: مؤتمر أكس لاشابيل، أيلول في العام ١٨١٨:

إذ عُقدَ هذا المؤتمر للنظر في قضية جلاء الجيوش الأوروبية التي احتلت فرنسا لتخلصها من نابليون، وإعادة عرش فرنسا إلى لويس الثامن عشر، وكانت معاهدة باريس الثانية قد نصت على هذا الاحتلال، إذ حضر المؤتمر قيصر روسيا، وملك بروسيا، وإمبراطور النمسا يرافقه وزير خارجيته مترنيخ، ووزير خارجية بريطانيا كاستلري، ودوق ولينغتون، ورئيس وزراء فرنسا، وبالنظر لالتزام فرنسا بقرارات مؤتمر فيينا، وما أبدته من رغبة في السلام، ومسعى في حفظ التوازن الدولي وافقت الدول الخليفة على الجلاء عن الأراضي الفرنسية، وكانت فرنسا قد تعهدت بدفع جميع ما تبقى عليها من تعويضات وغرامات بموجب هذه المعااهدة مرة واحدة، ويعود الفضل في ذلك إلى رغبة قيصر روسيا بإعادة فرنسا على قدم المساواة مع الدول الأخرى من أجل أن تكون حليفة له في غرب أوروبا، ولا يمكن أن نغفل صداقته المتينة مع رئيس وزراء فرنسا ريشيليوا، ويمكن أن نشير أيضاً أنه بسبب مخاوف بريطانيا من تجدد أخطار الثورة الفرنسية وقعت الدول الأربع الكبرى بروتوكول سري أكدت فيه تمسكها بمبادئ التحالف الرباعي، وقرارات مؤتمر فيينا^١.

وقد أثيرت قضايا أخرى في المؤتمر، منها ما آثاره قيصر روسيا بخصوص مسألة المطالبة التي بدأت تطرح في بعض الأماكن بخصوص التغيير الدستوري، والأفكار الثورية سواء في إيطاليا أو ألمانيا أو إسبانيا، وأقترح لمعالجة هذا الأمر أقرار مبدأ التدخل في شئون الدول الأخرى الداخلية عند الضرورة. وقد تحمس لهذا المقترن مترنيخ، في حين عارضته بريطانيا بشدة، إذ سادت في النهاية وجهة نظر الأخيرة بإصدار بيان تم فيه تحديد الحالات التي يمكن التدخل فيها، إذ أشترط البيان المذكور أن لا يجتمع أعضاء التحالف الخماسي لبحث قضية دولة أخرى إذا لم تطلب تلك الدولة، وبصورة رسمية

^١ - د.عبد العزيز سليمان نوار، ود.عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٧-١٥٨.

ثانياً: مؤتمر (كارلسbad) ١٨١٩:

بالنظر لنشاط الحركة الوطنية في ألمانيا، ولاسيما في الأوساط الجامعية فقد عقدت هذه الأوساط في جامعة (بينا) سنة ١٨١٧، أول مؤتمر عام للطلاب الألمان. وقد شغلت هذه التطورات بالـ مترنيخ، ونظراً لاغتيال أحد الطلاب الوطنيين كاتباً وصحفياً بروسياً معروفاً بصلة بقيصر روسيا، استغل مترنيخ هذه الحادثة، ودعا إلى عقد مجلس الاتحاد الجرماني (الدایت) في (كارلسbad) الذي أقر فرض قيود في جميع أنحاء ألمانيا على الحريات الشخصية، وأعاد الرقابة على الصحف، والمطبوعات، والجامعات، وقرر مجلس الاتحاد بصورة استثنائية تعيين لجنة رقابة دائمة للإشراف على نشاط وأعمال الجامعات الألمانية، ولما كانت جميع الدول الألمانية سواء عن قناعة أو خوف قد ألتزمت بتنفيذ هذه القوانين فقد رأت فيها جماهير ألمانيا محاولة من جانب التحالف المقدس، ومتريخ لفرض سياسة رجعية استبدادية في كل أنحاء ألمانيا^١.

ثالثاً: مؤتمر (تروباؤ) لعام ١٨٢٠:

إن إهماد الحركة المطالبة بالحريات في ألمانيا لم يرهب المناطق الأوروبية الأخرى، وفي مقدمتها إيطاليا التي فقد شعبها الاحترام، والمودة للعوائل التي أعيدت لعروشها، وانتهت هيبة النظام القديم الذي أخذت الشعوب تنظر إليه على أنه نظام مستغل وغاصب، ومن ناحية أخرى فقد أهملت مبادئ الثورة الفرنسية المشاعر في إيطاليا، وقلبت القيم والمفاهيم رأساً على عقب، فأصبحت العلمانية هي السائدة بعد أن كانت سلطة الكنيسة واسعة الانتشار قبل ذلك. وقد تم ذلك في مملكة لومبارديا-البندقية، وملكة بيدمونت- الساردينا، وفي نابولي، حيث فرض في المملكة الأولى القانون النمساوي، وليس الإيطالي، وحضرت الوظائف العليا بيد النمساويين أو الألمان، وكان الجنود الذين يحتلون البلاد يظهرون قساوة واستعلاء، أما في المملكة الثانية فقد أعيدت الامتيازات الإقطاعية، والمحاكم الكنسية، وفي نابولي أعيدت الأموال والمتلكات إلى المهاجرين، وصدر عفو عن أعداء الثورة الفرنسية. وقد ظهرت في المدن الإيطالية بوأثير التنظيم السري المعادي للأنظمة المستبدة المرتبطة بالنمسا وقد قاد هذه التنظيمات، وانضم إليها، وأيدوها عناصر مؤثرة في المجتمع، وهي البرجوازية التجارية التي فشلت تجارتها بالرسوم والنكوس الداخلية، وبعودة التشريعات القديمة مع استرجاع الامتيازات إلى طبقة البلاء، وأنمو ونشاط الحركة الفكرية في شمال إيطاليا، وخصوصاً في مملكة لومبارديا- البندقية، وتطور التنظيمات السرية، وانتشارها في إيطاليا قد أدى إلى اندلاع

١- المصدر نفسه، ص ٦١.

ثورة في نابولي سنة ١٨٢٠، توسيع وتحولت إلى ثورات امتدت إلى مملكة لمبارديا البندقية، وبيد مونت، وكان لثورة إسبانيا سنة ١٨١٢، صدى مباشر في قيام ثورة نابولي، وغيرها من المدن الإيطالية، تحت تأثير ذلك أضطر ملك نابولي إلى تقديم الوعد للفحامين بإعلان دستور البلاد على أن يكون هذا الدستور هو الدستور الإسباني لسنة ١٨١٢^١.

وكان ذلك ضربة لمترنيخ الذي كان يجاهه صعب ماثلة في إسبانيا، وألمانيا، ولاسيما أن الثورة امتدت إلى الشمال الإيطالي، واتخذت طابع العنف والرغبة الواضحة في التخلص من النفوذ النمساوي، لقد رأى مترنيخ أن تساحله في مكان واحد سيؤدي حتماً إلى تشجيع الآخرين في إيطاليا، وبقية إخاء أوربا على الثورة، ومن ثم أهيا النظام الأوروبي الذي تم إقامته سنة ١٨١٥، ولذلك قرر مترنيخ إرسال جملة عسكرية إلى إيطاليا متذرعاً بمبادئ التحالف المقدس، غير أن الفرنسيين الذين كانوا يرغبون في الحد نفوذ النمسا في إيطاليا عامة، أبدوا معارضه شديدة لهذا التدخل، وتذரعوا بالتصريح الصادر عن الدول الكبرى عقب مؤتمر أكس لاشابيل، والذي يشترط القيام بالتدخل في شؤون دولة أوربية أن تطلب هذه الدولة نفسها مثل هذا التدخل، ولما لم تكن نابولي قد طلبت مثل هذا الأمر من النمسا أو من الدول الكبرى، فلا مبرر إذن لتدخل عسكري من قبل مترنيخ. وقد أسفرت معارضه الفرنسيين عن اتفاق الدول الكبرى على عقد مؤتمر خماسي في مدينة تروباو في سليزيا في تشرين الأول من العام ١٨٢٠، وحضر مؤتمر قيسار روسيا ، وملك بروسيا، وإمبراطور النمسا، وسفير بريطانيا فيينا، وقتلت فرنسا سفيرها في النمسا وبروسيا. وقد أرادت روسيا القيصرية توسيع مبدأ التدخل، وإطلاقه بصورة خاصة من أجل معالجة مشكلات إسبانيا وأميركا اللاتينية، في حين كان مترنيخ، ومعه جميع المؤتمرين يريدون حصر المؤتمر بمعالجة المشكلة الإيطالية، وبصورة خاصة مشكلة نابولي، إلا أن وجهة النظر النمساوية انتصرت في النهاية ، وتقرب السماح بإن تتولى حل المشكلة الإيطالية، وذلك لكي لا يتجرأ في المستقبل أي شعب للتجاوز على حقوق وسلطات عرش بلاده^٢.

وفي البروتوكول الصادر عن المؤتمر في ١٩ تشرين الثاني من العام ١٨٢٠، بربور أسم التحالف المقدس، وأهميته، ودوره في استقرار أوروبا، وهذه دلالة على ابتعاد بريطانيا عن سياسة الدول الكبرى، وعدم تأييدهم لسياساتها في التدخل. كما جاء في

^١ - د. محمد مظفر الأدهمي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣-٧٤.

^٢ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣-١٦٤.

البروتوكول المذكور تنديد بالثورات في إسبانيا، وأميركا اللاتينية، وإيطاليا باعتبارها مضره بالنظام العام، ودعوة لمساعدة كل الحكومات الشرعية القائمة إذا ما تعرضت لأخطار ثورية.^١

رابعاً: مؤتمر (ليباخ) في كانون الثاني ١٨٢١:

كان هذا المؤتمر امتداداً لمؤتمر تروباو، فقد انعقد بعده بثلاثة أسابيع، وارتبطت مسألة عقد هذا المؤتمر بحضور ملك نابولي الذي ما أن غادر بلاده في ١٦ كانون الأول من العام ١٨٢٠، حتى أعلن عن تراجعه عن كافة الوعود التي قدمها لشعبه. وقد حضر المؤتمر جميع أعضاء المؤتمر السابق في تروباو. وقد أُعلن المؤتمر في ١٢ كانون الثاني إلغاء دستور نابولي الجديد، وتقرر إرسال حملة عسكرية نمساوية لقمع الثورة هناك على نفقة السكان المحليين، ولاحتلال بلادهم، ولم تستطع جميع محاولات الفرنسيين في المؤتمر من عرقلة إرسال الحملة العسكرية، ولم يؤد اقتراحهم بتوسط البابا بين ملك نابولي، ورعاياه إلى نتائج إيجابية، وأستطيع النمساويون من تحقيق نصر سريع في نابولي، وزاد من نفوذهم في إيطاليا، ودعم مركز مترنيخ في بلاده وخارجها، ولم يكتف مترنيخ بذلك، بل استصدر من المؤتمر ببلاغاً يعلون فيه رغبتهما في القضاء على كل المؤسسات الدستورية الحرة القائمة في إيطاليا. وقد حقق مترنيخ فيه الجزاً كثيراً، إذ تراجعت إيطاليا كلها عن مواقفها، والحكام الإيطاليون كلهم باتوا مدينين بعروشم ونفوذهم لمترنيخ، والجيوش النمساوية المنتشرة في إيطاليا ، إلا أن أبرز ما تبين من سير أعمال المؤتمر الابتعاد المتزايد للسياسة البريطانية عن الاتجاهات الرجعية لكل من الماسا وروسيا، وإذا كانت بريطانيا قد مثلت في المؤتمر بمندوب برتبة سفير، إلا أنه لعب دور المستمع في أحيان كثيرة، ولذا رأينا أن قرارات المؤتمر تصدر باسم التحالف المقدس، وتتجدد أهدافه، ومبادئه دون أن يكون هناك ذكر للتحالف الرباعي. وإذا صرحت بريطانيا عن عدم معارضتها الحملة العسكرية النمساوية على نابولي، فإنها قد فعلت ذلك، لأن الدول الكبرى قد وضعتها قبلة الأمر الواقع، وبررت رضاها بان الثورة في نابولي التي شارك فيها العسكريون كانت انقلاباً ضد سلطة شرعية، وهو أمر لا يقره النظام السياسي في بريطانيا.^٢

خامساً: مؤتمر فيرونا في العام ١٨٢٢:

^١ - المصدر نفسه، ص ١٦٤.

^٢ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥ - ١٦٦.

ناقش هذا المؤتمر القضية الإسبانية، إذ كان ملك الأسبان عقب انفصال إمبراطورية نابليون سنة ١٨١٥، قد ألغى الدستور الذي صدر في سنة ١٨١٢، والذي منح الشعب الإسباني حريات واسعة، وقدراً من المشاركة في تقرير حياته، وعرفت إسبانيا منذ سنة ١٨١٥، حكماً ملكياً مستبداً أعاد للكنيسة، وللتجار الملوك كل ما كان لهم قبل الحكم الفرنسي من نفوذ، وثروة وسلطان، وكانت إسبانيا تعاني مصاعب الحكم في مدريد، وقوى المعارضة بصورة خاصة معارضة الأحرار لسياسة الملك الاستبدادية المطلقة، وأثر تمرد حدث بين العسكريين في مدينة قادش سنة ١٨٢٠، بسبب رفضهم الذهاب إلى الولايات المتحدة الأميركية انتشرت الثورة في كل أنحاء البلاد، وقادها الأحرار، واجروا الملك في نهايتها على تغيير أسلوب حكمه، والعودة إلى القبول بدستور العام ١٨١٢، الديقراطي، وأخذ الملك يتصل سرًا بالقيصر الروسي الذي كان يعطى على العرش الإسباني، ويود مساعدته ليس في مواجهة خصومه في الداخل فقط وإنما أيضاً في تثبيت نفوذه إسبانيا في كل مستعمراتها الجنوبية. كما طلب العون أكثر من مرة من لويس الثامن عشر، إذ يمتن العرش الإسباني بصلة إلى آل بوربون. وقد لاقت دعوات الملك الإسباني صدى إيجابي للغاية في الأوساط الملكية في باريس، ولا سيما لدى الأوساط اليمينية التي كانت تتשוק إلى أية فرصة تظهر فيها مقدرة فرنسا العسكرية، وتحقق انتصارات تعوض عن هزيمة الإمبراطورية الفرنسية، ثم انه في آية حرب تخوضها فرنسا دفاعاً عن ملك شرعياً اعتدي على حقوقه سيكون إظهاراً لحسن نياتها، وإخلاصها للنظم الرجعية القائمة في أوروبا، واستعادة لدورها كدولة كبيرة في أوروبا من حقها أن تعمل وتشترك في تقرير أمور القارة كلها بعد أن استغرقت عزلتها وقتاً طويلاً. وتدخلت فرنسا عسكرياً في إسبانيا لإنقاذ العرش الإسباني، وأعيد الملك الإسباني فرديناند إلى عرشه، وفي ظل ذلك عقد مؤتمر دولي في فيرونا في إيطاليا، وبالرغم من الرفض البريطاني للتدخل الفرنسي في إسبانيا تم إصدار تصريح من المؤتمر يؤيد فيه هذا التدخل الفرنسي في إسبانيا. وقد عدّ الفرنسيون هذا الانتصار بمثابة تعويض للهزيمة التي لحقت بهم في واترلو، وتأكيداً لعدة فرنسا لممارسة دورها في أوروبا كدولة كبيرة^١.

^١-المصدر نفسه، ص ١٦٧-١٦٨.

المبحث الثالث

المسألة الشرقية

في أواخر القرن الثامن عشر أخذت المسألة الشرقية في التطور، وتأثرت في عدة عوامل منها، ضعف السلطان المتزايد في القسطنطينية، وظهور عدد من القوميات المسيحية الفقيرة في شبه جزيرة البلقان ، وأثر الأمراء في سياسة الدول العظمى، وتعرضت الدولة العثمانية في السنوات ١٧٨٨ - ١٧٩١، لتحدي روسي غساوي مشترك، وأعلنت روسيا القيصرية بأنها حامية للمسيحيين في الدولة العثمانية ، ومنذ بداية القرن التاسع عشر أخذت روسيا تتغلب إلى جنوب ساحل البحر الأسود، وكانت تسعى إلى إضعاف الدول العثمانية، إذ أخذ القيصر يطلق عليها الرجل المريض، في حين راحت بريطانيا تراقب الموقف، وأظهرت مولادة تجاه الدولة العثمانية، وأخذت تشعر، مع النمسا، بأن الدولة العثمانية أصبحت تشكل خطراً لا بسبب قوتها وإنما بسبب ضعفها. وكانت بريطانيا تسعى إلى حماية تجارة البحر المتوسط، والدفاع عن القسطنطينية ضد أي هجوم خارجي، بدأت المتابعة من قوميات البلقان التي سعت لتحقيق استقلالها عن الدولة العثمانية، في حين استغلت الدول الكبرى هذه المشكلات للتتدخل لصالحة هذه القوميات وكانت تركيا تدرك أن ثورة هذه القوميات امراً لا يمكن قبوله ولذلك استخدمت القوة لإنهائها أو اللجوء أحياناً للإصلاحات لترضية الدول الكبرى^١.

وفي القرن التاسع عشر ظهرت عدة ثورات من جانب هذه القوميات مما أسف عن وقوع عدة حروب عثمانية - روسية، فضلاً عن الحروب مع فرنسا وبريطانيا، ففي رومانيا كانت هذه القوميات تسكن إقليمي مولداً فيها، وولاشيا (البغدان، والإفلاق) رومانيا الحديثة حيث كانتا تعداد ولايتين منفصلتين لكل منها وضع شبه مستقل، ووال يختار من بين الأهالي. أما (الصرب، واليونان) فهم أكثر خضوعاً للدولة العثمانية من (مولداً فيها، وولاشيا) اللتين لم يقطنهما عثمانيون كثيرون، وجاءت الشرارة الأولى في سبيل الحرية من الصرب، إذ بدأت ثورتهم في العام ١٨٠٤، والتي لم تنجح، في حين نجحت ثورة ١٨١٥، من أجل الحصول على الاستقلال، وكذلك ثار اليونانيون في العام ١٨٢٠، وقد آثار ذلك خواطر الدول الكبرى في أوروبا، فاتفقت (بريطانيا، والنمسا) على أن الصراع بين الدولة العثمانية، والثوار اليونانيين لا يخص سواهما، وأن واجههما

^١ - أ.ج. جرانت وهايروld تمبل리، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٠ - ٤٠.

هو التقليل من ميدان الصراع، وذلك بعدم استخدام القوة وكان وزير الخارجية البريطاني (كاننج) يؤمن بأن فتح المجال لروسيا القيصرية سوف يدفعها لاحتلال اليونان، ومن ورائها تركيا إن هي حاولت تسوية التراع عن طريق الحرب، وأستمر الموقف على هذا الحال من العام ١٨٢٠، حتى نهاية العام ١٨٢٥، حتى حدث تحول مهم حينما استعان السلطان العثماني بوالي مصر محمد علي لمساعدته في مكافحة الثورة في اليونان، فأرسل محمد علي ابنه إبراهيم على رأس جيش منظم إلى المورة، حتى وصل الأمر إلى أن تعلن روسيا القيصرية بأنه لابد من التدخل لإنقاذ اليونانيين، وهنا قرر كاننج العمل مع روسيا القيصرية في تشديد الضغط على السلطان من أجل تفادي الحرب. أما النمسا فقد بقيت بعيداً عن ذلك، إذ وقعت بريطانيا مع روسيا اتفاقية في ٤ نيسان من العام ١٨٢٦، تقرر بمقتضاها حتى تركيا على عقد هدنة مع اليونانيين، ومنهم قدرأً من الحكم الذاتي، وانضم إليةما فرنسا، وفي العام ١٨٢٧، حدثت معركة نافرين البحرية، إذ تحطم فيها الأسطول التركي المصري على يد الأساطيل البريطانية، والفرنسية، والروسية المشتركة، فنالت على أثرها اليونان استقلالها التام^١.

وفي أوائل العام ١٨٢٨، أعلنت روسيا القيصرية الحرب على الدولة العثمانية بالرغم من احتجاجات بريطانيا وفرنسا، إذ كان هدف روسيا آنذاك القضاء على الإمبراطورية العثمانية، وتمكن الجيش الروسي من أخراج عدد من الفزائم الأولية بالجيش العثماني، وتتمكن من الوصول إلى أدرنة في صيف العام ١٨٢٩، مما دفع بالسلطان إلى التوقيع على معاهدة أدرنة في ٤ أيلول من العام ١٨٢٩، ومع أن روسيا قد حصلت في هذه المعاهدة على بعض الأراضي في آسيا على حساب تركيا مما أدى إلى توسيعها في القوقاز، إلا أنها لم تحصل، ولم تحاول الحصول على كسب مماثل في أوروبا، فظل نهر بروت الواقع في أقصى شمال مولدافيا هو الحد الفاصل بينها وبين تركيا. ذلك أن سياسة روسيا القيصرية في أوروبا لم تكن تسعى إلى الضم، وإنما إلى التغلغل الإسلامي، ثم أعلن روسيا القيصرية في أوروبا بعد مجئ بول ستون في بريطانيا في العام ١٨٣٢، واعترف بذلك من استقلال اليونان بعد مجئ بول ستون في بريطانيا في العام ١٨٣٢، واعترف بذلك من قبل روسيا، وبريطانيا، وفرنسا، أما الصرب فقد وقف أميرها إلى جانب استخدام روسيا كوسيلة في صراعاته مع الأتراك، ومنذ العام ١٨٢٩، حتى العام ١٨٣٩، تحولت سياسة روسيا من السعي إلى القضاء على الدولة العثمانية إلى المحافظة على سلامه هذه الأخيرة،

^١ - المصدر نفسه، ص ٤٠٤-٤٠٥.

إذ أوصت لجنة روسية عينها القيصر بان سياسة القضاء على الدولة العثمانية ستؤدي إلى نشوء دول بلقانية صغيرة يكون من الصعب السيطرة عليها في المستقبل، في حين أن لروسيا ألان في تركيا حقوقاً تكفلها المعاهدات، ونفوذاً تستطيع أن تعززه عن طريق السيطرة الاقتصادية، والتغلغل السلمي، وقد نال قيصر روسيا نيقولا تأييد النمسا لسياسته هذه مدة عشر سنوات، والواقع أن فرنسا هي التي قامت بالسعى لتمزيق الدولة العثمانية للمرة ١٨٣٠ - ١٨٤١، وفي هذه المدة احتلت الجزائر سنة ١٨٣٠، وأيدت ثورة محمد علي في مصر ضد تركيا، وسعت عن هذا الطريق إلى الحصول على المساعدة لتحقيق مشروعها الخاص بالبحر المتوسط. أما بريطانيا فقد ظلت تسعى على المحافظة على الإمبراطورية العثمانية، فوقفت موقف الضد من مشاريع فرنسا^١.

وكان المشكلة الحقيقة تكمن في مصر. فقد أصبحت تبعة محمد علي وإلى مصر إلى الدولة العثمانية تبعة أسمية، ولكنه مع ذلك، أرسل قواته لمساعدة السلطان في إخضاع اليونان. وقد كان محمد علي قد فاز بولاية كريت، وأخذ يتطلع للسيطرة على ولايات الشام، فشعر السلطان بالريبة، فلما أحسن محمد علي بالخطر أمر ابنه إبراهيم، وأصدر إليه تعليماته بشن حرب وقائية ضد السلطان، ولما أرسل له السلطان جيشه أستطاع إبراهيم أن يدحره، فطلب السلطان مساعدة روسيا، فقدمت له المساعدة العسكرية، ولكن فرنسا وبريطانيا ضغفت على السلطان للتراضي مع محمد علي، فوافق السلطان على ذلك، حيث تنازل له في أواخر نيسان من العام ١٨٣٣، على فلسطين، ودمشق، وجميع بلاد الشام، وسمح له باحتلال موانئ (أضنة)، وشرعت روسيا القيصرية في سحب قواها من آسيا، ولكنها أرغمت السلطان على توقيع معاهدة سرية سميت (هنكيار اسكله سي) في ٨ تموز من العام ١٨٣٣، على أساس أقامة حلفاً دفاعياً بين الدولتين. وقد تنازلت روسيا بمحاجب نص سري لم يتسرّب مضمونه إلا تدريجياً عن حقوقها في الحصول على المعونة العسكرية من الدولة العثمانية مقابل موافقة الأخيرة على إغلاق مضيق الدردنيل في وجه السفن الحربية عند الحاجة كانت عبارة عن الحاجة تعني في الحقيقة عند طلب روسيا القيصرية، ولو نفذت المعاهدة فعلاً لأصبحت تركيا تابعة لروسيا إلا أنه من الناحية العملية، فإن دخول سفن روسيا الحربية في المضيق كان معناه الاشتباك في حرب مع بريطانيا، ثم أن فرنسا كانت لديها أسباب

¹ - أ.ج.جرانت، وهارولد تمبلري، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٨.

قوية لمناصرة مصر ضد السلطان. لقد أخذ بالمر ستون يبدي تأييده المطلق لسلامة الباب العالي في مواجهة مصر، فأخذ يتمتع بحظوظه عند السلطان، وأصبح بإمكانه القول أن السلطان يمكن أن يستند إلى دعم بريطانيا لا روسيا إن هو تمكّن من التغلب على خطر محمد علي^١.

وأراد السلطان أن ينتقم من محمد علي وإلي مصر، فأرسل في العام ١٩٣٩، جيشاً تركياً إلى (بيرة جك) على نهر الفرات، واتفق رأي فرنسا وبريطانيا على إرسال سطول مشترك إلى البوسفور في حالة دخول الروس إلى تركيا، إلا أن الأولان قد فات، إذ كان آخر عمل قام به السلطان قبل وفاته هو إصدار الأمر إلى قواه لهاجة إبراهيم، وخسر السلطان عدة معارك قبالة إبراهيم، وأستسلم الجيش العثماني لولي مصر، فأسرعت بريطانيا بإرسال قوة بحرية، وضربت حصاراً حول الإسكندرية رغم رفض فرنسا التعاون معها. وقد رد (بالمر ستون) على هذا الرفض بالدعوة إلى عقد مؤتمر للدول العظمى فيينا، فلما سارت المفاوضات في بطأ، وتدخلت روسيا في الأمر، وعندت فرنسا إلى المماطلة أمسك بالمر ستون الزمام بيديه، ودفع الجميع لتحقيق أهدافه. فقد أكتمل نصر بالمر ستون بتوقيع اتفاقية في ١٣ تموز من العام ١٨٤١، تعهدت بوجها الدول العظمى والسلطان بعدم السماح بدخول السفن الأجنبية إلى الدردنيل، والبوسفور، على أن روسيا ظلت تؤمن بسريتها بإمكان التمسك بمعاهدة (هنكيار أسكسله سي)، وعلى ما يبدو أن اغتنام القيصر لهذا كان خاطئاً، فالسلطان كان يعدّه عدو أضطر لطلب مصاحبه في أوضاع الخطر التي مر بها، ولما كان نيقولا بعيداً كل البعد عن أدراك ذلك فقد سعى إلى تحقيق تقارب مع بريطانيا، والتوصل معها إلى تفاهم^٢.

^١ - المصدر نفسه، ص ٤٠.

^٢ - أ.ج.جرانت، وهارولد تمبرلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

الفصل الخامس:

تطور العلاقات الدولية منذ منتصف القرن التاسع عشر

المبحث الأول:

حرب القرم.

المبحث الثاني:

الوحدة الإيطالية.

المبحث الثالث:

الوحدة الألمانية.

المبحث الرابع:

المسألة الشرقية.

المبحث الخامس:

سياسة توازن القوى.

الفصل الخامس

تطور العلاقات الدولية منذ منتصف القرن التاسع عشر

المبحث الأول

حرب القرم

عملت روسيا القيصرية على استغلال الحركات القومية المتصاعدة في البلقان، ومحاربة العثمانيين لهذه الحركات كوسيلة لتوسيع نفوذها، فعملت على ممارسة ضغط طويل المدى على الدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه قام تنافس كبير بين الإمبراطورية النمساوية وروسيا القيصرية حول الاستيلاء على ممتلكات الدولة العثمانية، وقد استغل قيصر روسيا (نيقولا الثاني) المشاعر القومية في البلقان بحروب شنتها روسيا ضد العثمانيين لمدة ١٨٢٨-١٨٢٩، إذ لم يكتف بتأييد استقلال اليونان، والحكم الذاتي للصرب، وبعض الامتيازات للرومانيين، بل كسب للإمبراطورية الروسية منطقة واسعة في القفقاس، وسمعة باعتبار روسيا الصديق الدائم لجميع الأرثوذكس، والشعوب السلافية. وقد عزز هذه السمعة في العام ١٨٤٩، بحملة عسكرية ضد الهنغار الذين كانوا يقطنون الكروات، والسلاف، والسلوفاكين، والرومانيين الأرثوذكس، وبعد ذلك ادعى متغراً بحمايته لكل المسيحيين الأرثوذكس. وما لاشك فيه أن مبدأ التوسيع نحو المياه الدافئة يعدّ من المبادئ الأساسية التي قامت عليها سياسية روسيا القيصرية منذ عند بطرس الكبير، وأستمر حلفائه من بعده من القياصرة على نهج تلك السياسة معتقدين بأن مسألة السيطرة على المضائق، والتحكم في مرور السفن الحربية الراغبة في دخول البحر الأسود تمثل شيئاً أساسياً في حماية الحدود الروسية في القفقاس، وسواحل البحر الأسود، فضلاً عن ذلك أن السيطرة على المضائق تمثل وسيلة للسيطرة على العلاقات التجارية بين موانئ البحر الأسود من جهة، والبحر المتوسط من جهة أخرى، وفي الوقت نفسه أن سياسة التوجه نحو المياه الدافئة تعني توسيع الممتلكات الروسية على حساب الأراضي العثمانية سواء كان ذلك في آسيا الصغرى أم في شبه جزيرة البلقان، وشرق أوروبا، فقادت السلطة القيصرية ببذل مساعدتها من أجل تحقيق هذه الأهداف، فأحياناً تحت شعار حماية الشعوب السلافية من الحكم العثماني، وشعار حماية الأرثوذكس والرعايا المسيحيين في أرجاء الدولة العثمانية، ثم مسألة السيطرة على الأماكن المقدسة^١

^١ - د. محمد محمد صالح، ود. ياسين عبد الكرييم، ود. نوري السامرائي، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص ١٩٦-١٩٧.

والحق لم يكن التقارب الروسي - العثماني بالنسبة لروسيا سوى هدنة مؤقتة، فلم تتخلى روسيا أبداً عن هدفها الدائم، وهو تقسيم الدولة العثمانية، وفي العام ١٨٥٣، عرضت روسيا القيصرية على بريطانيا مشروعًا لتقسيم الدولة العثمانية تأخذ روسيا بمقتضاه البسفور، وتحتل الأستانة مؤقتاً، في حين تأخذ بريطانيا مصر، وجزيري قبرص، وكريت، أما صربيا، وبلغاريا، والأفلاق، والبغدان، فستحذ في دول مستقلة تحت النفوذ الروسي. وقد رفضت بريطانيا هذا المشروع لعدة أسباب: فهو لا يتفق مع سياستها التقليدية التي تقضي بالاحفاظ على الدولة العثمانية، والخلولة دون استيلاء الروس على البسفور، والمضايق، فضلاً عن ذلك أن الدولة العثمانية قد زادت من تجاراتها مع بريطانيا، فأصبحت من كبار المشترين للمنتجات البريطانية المصنعة، ومن كبار الموردين للمواد الغذائية. حال رفض بريطانيا للمشروع الروسي طلب القيصر نيكولا الأول من السلطان العثماني عبد الجيد عقد معاهدة بين الدولتين تعترف بمقتضاهما الدولة العثمانية لروسيا بحق حماية الرعایا الأرثوذكس المسيحيين في الدولة، كذلك طلب القيصر سحب الامتيازات المعطاة للرهبان الكاثوليك في بيت لحم في فلسطين، وكانت الدولة العثمانية قد منحت الامتيازات للرهبان الكاثوليك في الأماكن المقدسة في فلسطين بناء على طلب نابليون الثالث، فطلبت روسيا أعطاء تلك الامتيازات للرهبان الأرثوذكس. وقد وافق السلطان على منح الرهبان الأرثوذكس امتيازات معينة في الأماكن المقدسة، ولكنه رفض الاعتراف بحق روسيا في حماية الرعایا الأرثوذكس في الدولة العثمانية أو عقد تحالف دفاعي مع روسيا، وكان رفض السلطان هذه المطالب السبب في اندلاع حرب القرم. ففي توز من العام ١٨٥٣، عبر الجيش الروسي نهر بروت داخل مولدافيا، ووالاشيا، فبذلت النمسا جهودها في منع اندلاع الحرب عن طريق عقد مؤتمر فيينا، والعمل على صياغة إعلان يهدف إلى حماية المسيحيين في البلقان دون الإقرار بحق روسيا في التدخل. وقد رفضت تركيا هذا التصريح. أما روسيا فقد قبلته، فأعلنت تركيا الحرب ضد روسيا في ٤ تشرين الأول من العام ١٨٥٣، وقد أيدت فرنسا وبريطانيا الدولة العثمانية، فسياسة بريطانيا الخارجية التقليدية كانت تقوم على تأييد تركيا، والغيرة من روسيا معتقدة أن توسيع الأخيرة في البحر المتوسط من شأنه أن يهدد مصر، والطريق إلى الهند. وقد ساعد نفوذ بالمر ستون، والصحافة الانكليزية على تشجيع الحرب في نفوس الانكليز. أما فرنسا، فأئمها سعت إلى الحفاظ على هيمنتها في الشرق، وكما أن اعتماد نابليون الثالث على الحزب الكاثوليكي، إذ كان يسعى إلى أن تنازل بلاده مكانة في المجد والنصر، وهذا اجتازت الأساطيل الفرنسية والبريطانية

المشتركة الدردنيل في نهاية تشرين الأول من العام ١٨٥٣، إظهاراً لتأييد الدولتين المعني لتركيا، في حين كانت هذه الأساطيل على مقربة من القسطنطينية حين حدث أن هاجم أسطول روسي أسطولاً تركياً فدمره بالقرب من سينوب، فرأى فرنسا وبريطانيا أن هذا العمل الذي هو من أعمال الحرب، أهانه لها، وأعلنوا الحرب على روسيا القيصرية في آذار من العام ١٨٥٤، واستطاعت الجيوش البريطانية الفرنسية أن تخرج الروس من مقاطعى مولدافيا، وولاشيا^١.

وأعلنت بريطانيا وفرنسا عدة نقاط تبين أهدافها من دخول الحرب، وكانت هذه النقاط تنطوي على فوائد جمة لبريطانيا، بأنها كانت:

١. تحروم روسيا بعد هزيمتها من نفوذها في البلقان.
٢. تحروم أبقاء سفن حربية في البحر الأسود.

٣. وكان فيها نفع كبير للنمسا، إذ أن مقاطعى الأفلاق، والبغدان، ونهر الدانوب سيتحرر من روسيا القيصرية، أما فرنسا فلم تكن ساتحني إلا فوائد ضئيلة القيمة، مع أنها هي التي ستقدم الجانب الأكبر من القوات المقاتلة^٢.

صحيح أن دخول نابليون الثالث الحرب إلى جانب بريطانيا كان سعي منه إلى المجد، ولكن كانت هناك له رغبة جامحة في تعديل معاهدات العام ١٨١٥، وكان يريد أن يتم ذلك ضمن مؤتمر أوربي ما أمكن، وأراد كذلك أن يقدم المساعدة للإيطاليين في سبيل تحقيق أماناتهم القومية، ثالثاً سعى إلى تجنب الأخطاء التي أدت إلى سقوط الإمبراطورية الفرنسية الأولى، فقد سعى نابليون الثالث على عقد تحالف مع بريطانيا حتى لو أدى ذلك إلى الدخول في حرب مع روسيا القيصرية. لقد كان الروس محل مقت (الأكليروس) الفرنسي لنظره لهم كامة منشقة عن الأيمان الصحيح، وكانوا محل عداء الجمهوريين الفرنسيين لنظم الحكم الاستبدادية القائمة في بلادهم^٣

إذن حقق نابليون الثالث أكثر مما حققه نابليون الأول فقد أنجز تحالفاً مع بريطانيا، ولكنه حقق ذلك على حساب التخلص من المخططات النابليونية في أوروبا. فقد أخفق في توسيع نطاق الحرب في الشرق الأدنى وجعلها تقتد من ايطاليا إلى الراين، وأن التحالف بين فرنسا وروسيا استقر على التظاهر بين الدولتين، فتوقع نابليون أن روسيا سيعدهم هزيمتهم في الشرق الأدنى مستمرة، ومع هذا سيوافقون على قلب الوضع

¹ - أ.ج.جرانت، وهارولد تمبرلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٦-٤٢٣.

² - أ.ه.فشر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٣.

³ - المصدر نفسه، ص ٢٢٣-٢٢٢.

الراهن في غرب أوربا، في حين سعى الروس بأن يبقى نابليون الثالث، محافظاً على غرب أوربا، ومع ذلك سيوافق على نقضهم تسوية الصلح في الشرق الأدنى، وكان توقيع الروس أبعد الأمرين عن الواقع فبعد العام ١٨٥٦، كان الروس غير مبالين بمستقبل المسا في إيطاليا^١.

لقد وقع الاختيار على سيفاستيوبول، القاعدة البحرية العظمى للإمبراطورية الروسية في البحر الأسود لتكون الهدف الحربي الرئيس، حملة كان أكبر ما ترمي إليه هو تدمير قوات العدو البحرية، وهذا بعد أن جلا الروس عن مقاطعي (الافق، والبغدان) انتهى بذلك القتال في وادي الدانوب، حيث أبحرت قوة ضخمة منوعة من الانكليز، والفرنسيين، والترك من ميناء وارنا البلغاري في منتصف أيلول من العام ١٨٥٤، فاصدأه الميناء الروسي من وادي الدانوب من غير معونة أجنبية، وذهب بذلك كل خطر عليهم يأتي من تقدم الروس صوب الأستانة^٢.

وفي تشرين الأول من العام ١٨٥٤، قام الحلفاء بهجوم مكثف على سيفاستيوبول لكنهم اصطدموا بمقاومة عنيفة، فاضطروا إلى فرض حصار طويل الأمد، وأستمر الحصار مدة (١١) شهراً، وبدت القوات الروسية تعاني نقصاً من السلاح والعتاد. وقد كلف حصار سيفاستيوبول الحلفاء غالياً، فاشتدت في بريطانيا وفرنسا حركة المناهضة للحرب، وفي ٢٦ كانون الثاني سنة ١٨٦٩، أعلنت سردينيا انضمامها في الحرب بجانب الحلفاء رغبة منها في اكتساب صداقتها حل المسألة الإيطالية لصالحتها على أن ترسل إلى القرم خمسة عشر ألف جندي، فأزداد الأمل بعقد الصلح، وبدأت المفاوضات في فيينا، وكان سقوط سيفاستيوبول السبب المباشر في تقرير مصير الحرب، فأضطر الاسكندر الثاني إلى التسليم وقبول معاهدة باريس في ٣٠ آذار من العام ١٨٥٦، وكان من أهم بنود المعاهدة:

١. إدخال الدولة العثمانية عضواً في الحفل الأوروبي.
٢. قبول مبدأ تحكيم الدول في حالة وقوع خلاف بين الدولة العثمانية وبين أحدى الدول الأوروبية.
٣. تشتراك الدول الأوروبية في ضمان استقلال الدولة العثمانية ووحدتها.

^١ - أي جي بي تايلر، الصراع على السيادة في أوروبا ١٨٤٨-١٩١٨، ترجمة: د. كاظم هاشم نعمة، وديونيل يوسف عزيز، جامعة الموصل، ١٩٨٠، ص ١٢٣.

^٢ - أ. ه. فشر مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٣.

٤. تعهد السلطان بإدخال الإصلاحات في بلاده دون التفرقة بين رعایاہ على أساس الدين أو القومية.

٥. إعلان حياد البحر الأسود، وفتح كافة موانئه للتجارة الدولية على أن تغلق في وجه السفن الخربية.

٦. منع روسيا القيصرية من بناء الحصون والقلاع العسكرية على سواحل البحر الأسود.

٧. أعادة مدينة قارص إلى الدولة العثمانية، والاعتراف بالسيادة الروسية على شبه جزيرة القرم^١.

لقد كانت معركة القرم معركة غير حاسمة لأغلب الدول، ولم يأت مؤتمر باريس بتغيير كبير. أما بالنسبة لروسيا فقد كانت الحرب حاسمة، وكان المؤتمر نكسة لا مثيل لها من قبل، ولذلك كانت السياسة الروسية بعد المؤتمر لها وحدة هدف اتفقـت إليها سياسة بقية الدول، ولم تكتـم هذه السياسة بشـىء سـوى تعديل معاهدة باريس، ولعل روسيا قبل العام ١٨٥٤، إغفلـت كل شـىء في أوروبا لأجل مصالحـها القومـية أو من أجل شرفـها القومي طـيلة حـسـ عشرـة سنـة، فـفي القرن الثـامـن عـشـرـ، وـحتـى بدـايـة القرـن التـاسـع عـشـرـ كان الـبـحـر الأـسـودـ، وـالـشـرقـ الـأـدـنـ أـهـمـ مجـالـينـ لـطـموـحـاتـ روـسـياـ الـاستـعـمـارـيـةـ. أما بـعـدـ معـاهـدـةـ بـارـيسـ، فـلمـ يـعـودـ كـذـلـكـ، وـلمـ يـقـ لـروـسـياـ الـاستـعـمـارـيـةـ مـسـتـقـبـلـ إـلـاـ فيـ آـسـيـاـ. أما اهـتمـامـهاـ بـالـبـحـرـ الـأـسـودـ فـكـانـ دـفـاعـيـاـ، فـمـكـاـسـ الـبـلـقـانـ كـانـ مـحـدـودـةـ إـذـاـ ماـ قـوـرـنـتـ بـمـكـاـسـ وـسـطـ آـسـيـاـ، وـالـشـرقـ الـأـقـصـيـ، إـذـ كـانـ روـسـياـ تـرـيدـ كـسـبـ وـدـ نـابـلـيـوـنـ منـ أـجـلـ حـمـاـيـتـهاـ منـ النـمـساـ وـبـرـيطـانـيـاـ، وـلمـ يـكـنـ ذـلـكـ مـجـرـدـ مـحاـوـلـةـ لـلـتـفـرـيقـ بـيـنـ الـحـلـفاءـ، بلـ أـعـتـقـدـ فـعـلـاـ أـنـ روـسـياـ بـحـاجـةـ إـلـىـ هـذـهـ الـحـمـاـيـةـ، وـحاـوـلـتـ روـسـياـ كـسـبـ وـدـ نـابـلـيـوـنـ عـارـضـةـ عـلـيـهـ استـعـداـدـهاـ لـلـتـنـازـلـ عـنـ بـلـغـرـادـ مـقـابـلـ أـيـ تعـويـضـ يـقـدرـ لـهـ نـابـلـيـوـنـ. كـمـ طـلـبـتـ مـنـ نـابـلـيـوـنـ التـوـقـيـعـ عـلـيـ مـعـاهـدـةـ سـرـيـةـ تـضـمـنـ تـنـفـيـذـ مـعـاهـدـةـ بـارـيسـ، وـلـماـ كـانـ الـمـعـاهـدـةـ حـصـيـلـةـ هـزـيـةـ روـسـياـ، فـأـنـ هـذـاـ الـاقـتراـحـ بـدـاـ غـرـيبـاـ.^٢

أنـ مؤـمـرـ بـارـيسـ كـانـ مـنـ النـاحـيـةـ النـظـرـيـةـ أـولـ اـجـتـمـاعـ أـورـيـ يـعـقدـ مـنـذـ مـؤـمـرـ فـيـرـونـاـ الـعـامـ ١٨٢٢ـ، إـذـ أـنـ جـمـيعـ الـاجـتـمـاعـاتـ مـاـ بـيـنـ الـعـامـ ١٨٢٢ـ، وـإـلـىـ الـعـامـ ١٨٥٦ـ

^١ - دـ. محمدـ مـحـمـدـ صـالـحـ، وـدـ. يـاسـينـ عـبـدـ الـكـرـيمـ، وـدـ. نـورـيـ السـامـرـانـيـ، مـصـدـرـ سـبـقـ ذـكـرـهـ، صـ ٣ـ٢٠ـ.

^٢ - أـيـ جـيـ بـيـ تـاـيلـورـ، مـصـدـرـ سـبـقـ ذـكـرـهـ، صـ ٤ـ٢ـ١ـ٢ـ.

كانت عبارة عن مشاورات بشأن مواضيع محددة، بل كان مؤتمر باريس اجتماعاً لتسوية المسائل الخاصة بالشرق الأدنى أكثر منه نجاحاً كمؤتمراً لمناقشة الشؤون الأوروبية^١. وقد حسمت المعاهدة مشكلة العلاقات بين روسيا والدولة العثمانية في ثلاثة سبل. فقد أعطى الأتراك وعداً تلقائياً للقيام بالإصلاحات، وعدّ البحر الأسود محابياً، وأصبحت الولايات الدانوبية مستقلة عن روسيا القيصرية.

ويرى البعض بأنه حال النقطة الأولى لم يفِ الأتراك العثمانيين بوعدهم، وكان حياد البحر الأسود أعظم إنجاز لسنة ١٨٥٦، فقد ظهر أن هذا الحياد قد زود الدول الغربية بما كانت تسعى إليه منذ مدة، بحاجز إزاء روسيا دون أن تتكلف بأي جهد، إلا أن الحياد شأنه شأن جميع فقرات نزع السلاح في معاهدة صلح، فقد كانت محاولة للإبقاء على ميزان القوى آنذاك مع وجوب تغييره، فكان على الروس أن يعودوا بأنفسهم سوف ينظرون إلى البحر الأسود دائماً، وكأن الأساطيل البريطانية والفرنسية تبحر فيه، في حين كانت هذه السفن قد اختفت منه. كما أفقير الحياد أجراء تنفيذه باستثناء حسنية الروس، وإذا توفرت مثل هذه الية، فلا حاجة للحياد. لقد زادت كراهية الروس للمعاهدة، وجعلوا إلغاء الفقرات التي تخص البحر الأسود الهدف الأساس لدبلوماسيتهم.

لقد كان تحرير الولايات الدانوبية، والذي أدى في النهاية إلى استقلال رومانيا الإنجاز الحقيقي لمعاهدة باريس. وقد أعتمد هذا الاستقلال على رادع حقيقي هو غيرة روسيا والنمسا، فالنمساويون أبعدوا الروس عن طريق التهديد بالحرب في أب من العام ١٨٥٤، ولكنهم لم يحصلوا على شيء، لأنهم رفضوا أن يدفعوا ثمن تأييد الدول الغربية بالأجلاء عن لمبارد يا، وفينيسيما، فكان على القوات النمساوية التي بقيت تمثل الولايات أن تنسحب بعد عقد الصلح^٢.

^١ - المصدر نفسه، ص ١١٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١١٩.

المبحث الثاني

الوحدة الايطالية

كانت ايطاليا في النصف الأول من القرن التاسع عشر مكونة من عدة دول، ١/ مملكة سردينيا، موجودة في شمال شبه الجزيرة، ٢/ دولة البابا، موجودة في وسط شبه الجزيرة، ٣/ مملكة الصقليتين، وتضم الجزء الجنوبي كله في شبه الجزيرة ، وجزيرة صقلية، ٤/ دوقيات ايطاليا الوسطى، وهي دوقيات توسكانيا الكبرى، وبارما، ومودينا، وكان القسم الشمالي منها تحت نفوذ النمسا، حيث كانت تملك المنطقة اللومباردية- البندقية، وتمارس نفوذها في توسكانيا، ودوقتي بارما، ومودينا، وعلى رأسهما أميران نمساويان وأخيراً أبرمت مملكة الصقليتين بعد العام ١٨١٥، معاهدة تحالف سرية مع إمبراطور النمسا^١.

وكانت القومية في ايطاليا قضية من القضايا المهمة التي شغلت أوربا طيلة القرن التاسع عشر، وظلت من العام ١٨٣٠، إلى العام ١٨٦٠، مدرجة على جدول أعمال الدبلوماسية الأوروبية، لأنها لم تكن قضية ايطالية فقط، لأن مصير ايطاليا لم يكن متعلقاً بها وحدها، وكانت القضية الايطالية من وجهة النظر التاريخية والسياسية قضية تعبر جغرافي على حد قول مترنيخ، ولكن الواقع يؤيد فعلاً وجود قومية ايطالية حقيقة ضمن إطار جغرافي ايطالي واضح المعالم^٢.

وا الحق، لم تكن في ايطاليا اختلافات عرقية على الرغم من أن هناك اختلافات عميقية في النفسية والسلوك بين سكان أجزائها، ومن جهة أخرى موجود في ايطاليا جنس ايطالي تكون جغرافيا وتاريخيا بتأثير التقاليد، والحركات التاريخية والاقتصادية، وبانصهار العناصر الأجنبية في السكان الأصليين، وتشكيل شعب واحد عرف باسم الشعب الايطالي. كما موجود في ايطاليا دين واحد هو الدين المسيحي، ومذهب واحد هو الكاثوليكي، وهو موجود في ايطاليا تقاليد ايطالية ترجع جذورها إلى الإمبراطورية الرومانية، وعز روما القديم وإلى روما الحبرية البابوية في العصر الوسيط، وأصبحت عظمة هذا الجد الايطالي الماضي مرجعاً للقومين الايطاليين جميعاً دون استثناء، لا فرق في ذلك بين شمال ايطاليا وجنوبها، وفي الحقيقة موجود في ايطاليا قومية ايطالية حقاً، لأن

^١- د.نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، يقطة القوميات الأوروبية، الجزء الثالث، الوحدات القومية، دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٩، ص ١٣٣.

^٢- د.نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، يقطة القوميات الأوروبية، الجزء الثاني، الحرية والقومية، دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٩، ص ١٠٨.

مقومات القومية متوفرة فيها، ولكن ما كان يعوز ايطاليا آنذاك إنما هو الإرادة والقوة لإدخال هذه الشخصية القومية في إطار سياسي موحد، ولا نرى في ايطاليا قبل العام ١٨٣٠، حركة وحدة ايطالية، وما ذلك إلا لأن قوى التماسك، وقوى التفتت كانت في حالة صراع، ولاسيما أن الأوضاع السياسية والاجتماعية كانت تعمل لصالحة التفرقة. لقد بسط التقسيم الذي وضعه مؤتمر فيينا في العام ١٨١٥، التقسيمات القديمة، وأقام سبع دول مكانها^١.

لقد ظهرت في ايطاليا الحركة الإبداعية الرومانтика التي بدأت منذ العام ١٨١٦، وكذلك كان ماتزيني أحد رواد الحركة القومية الايطالية الذي نقد المدرسة الإبداعية، ونظر إلى الشعب الاسباني الذي ثار على نابليون الأول، ونجح في طرد الأجنبي، واستخلص من ذلك نتيجة ، وهي أن المتطوعين الذين يحرکهم الإيمان أعلى من الجيوش المنظمة، وأن الجيوش النظامية تُقْنَى بالإخفاق قبالة الحركة الشعبية، ولكن لإثارة الجماهير يجب أن يقدم لها مثل أعلى، وهو الأمة، وكان ماتزيني أول من أعطى للحركة الثورية الايطالية برنامجاً قومياً ، فحتى ذلك الحين كانت الحركة الثورية حركة محلية، ولكنها بما تريني أصبحت قومية^٢.

ومنذ العام ١٨٤٠، جرى في ايطاليا تغيير مهم في واقع الحال، وفي الأفكار معاً، فقد أدت الحوادث إلى رفض العقائد الفحامية، وتوطد نوع من النفوذ، والتغلب عبر الحدود بعد أن ظلت حتى ذلك الحين كنتيجة تفصل الدول بعضها عن البعض، وأصبح بالإمكان تشكيل حركات غير منفصل بعضها عن بعض كما كانت في السابق، وتشكيل حياة قومية، وتنافس على شروط هذه الحياة^٣.

لقد تأثر الايطاليون أيضاً في شعارات ومبادئ الثورة الفرنسية، ومن بينها مبدأ القومية، وكان لنابليون بونابرت دور مهم في ذلك، فقد قام بغزو ايطاليا سنة ١٧٩٦، باسم الحرية، ووعد الايطاليين بوصفه محرراً . وقد خضعت لغزوه معظم الأرضي الايطالية باستثناء جزيرة صقلية، أستمر الحكم الفرنسي في ايطاليا حتى هزيمة نابليون قبالة التحالف الأوروبي سنة ١٨١٤^٤.

^١ - المصدر نفسه، ص ١٠٩.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٢٤-١٢٥.

^٣ - المصدر نفسه، ص ١٢٩.

^٤ - د. خليل علي مراد، وجاسم محمد حسن، ود. عبد الجبار قادر غفور، دراسات في التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر، جامعة الموصل، كلية التربية، ١٩٨٨، ص ١٨٧.

وفي سنة ١٨١٥، قرر مؤتمر فيينا استناداً إلى مبدأ الشرعية، وإعادة القديم إلى قدمه اللذين شكلوا أساس مقررات المؤتمر المذكور، أعادت الأوضاع في إيطاليا إلى ما كانت عليه قبل الحكم الفرنسي مع منح النمسا بعض المكاسب هناك، وإذا كان متريخ قد نجح في تزييق أوصال إيطاليا مجدداً، فإن القضاء على آمال الإيطاليين ومشاعرهم القومية الناشئة كان ضرباً من الحال. وقد تأكد ذلك بعد سنوات قليلة من مؤتمر فيينا. فقد تشكلت في إيطاليا جمعيات سرية دعت إلى استخدام القوة ضد تسلط النمسا على إيطاليا، وضد الملوك، والحكام المستبدین في إيطاليا، وإعادة الحكم الدستوري فيها، ومن أبرز هذه الجمعيات جمعية الفحامين التي تشكلت في نابولي، وانتشرت بين صفوف رجال الجيش، والفئات المستيرة من الشعب في عموم إيطاليا، وقمعت ثورات عدّة في إيطاليا من قبل الجيش النمساوي، ومنها ثورة العام ١٨٢٠، وفي سنة ١٨٣٠، حدثت ثورة ثانية، ففي توز من تلك السنة نشب الثورة في فرنسا، ونجحت في الإطاحة بحكم الملك شارل العاشر آخر ملوك آل بوربون، وإقامة ملكية دستورية، وتنصيب لويس فيليب من أسرة أورليان ملكاً على فرنسا، وعلى أثر ذلك انتشرت الثورة في عدة أماكن من أوروبا. فقد ثار البلجيكيون ضد الهولنديون، والبولنديون ضد الروس، وفي إيطاليا أيضاً، لكن ثبت بعد فترة وجيزة إن لويس فيليب ملك فرنسا لم يكن عازماً على توريط بلاده في حرب ضد النمسا من أجل إيطاليا، فأراد نيل الرضا من الدول الأوروبية الأخرى، واعترافها بمركزه في فرنسا، وأن يكون لفرنسا دوراً يؤديه في إيطاليا بحجّة الحفاظ على التوازن الدولي الذي اختل لأنفراد النمسا بالعمل في إيطاليا، وهكذا بدلاً من مد يد العون لشوار إيطاليا تدخلت القوات النمساوية والفرنسية جنباً إلى جنب ضدّهم، وقضت على ثورتهم بعد أن حققوا نجاحاً في بادئ الأمر^١.

وكان في إيطاليا ثلاثة اتجاهات للوحدة، فهناك الاتجاه الذي يدعو إلى تأسيس الجمهورية الإيطالية الموحدة، وهناك اتجاه آخر يدعوا إلى إقامة وحدة إيطالية بزعامة البابا، وإلى جانب هذين الاتجاهين كان هناك اتجاه يدعوا إلى إقامة دولة إيطالية موحدة في ظل نظام ملكي دستوري بزعامة الأسرة المالكة في سردينيا^٢.

وفي سنة ١٨٤٨، قامت عدة ثورات قومية في أنحاء مختلفة من أوروبا بما في ذلك إيطاليا، ففي شباط من العام ١٨٤٨، قامت الثورة في فرنسا، ونجحت في إسقاط ملكية

¹ - المصدر نفسه، ص ١٨٠.

² - المصدر نفسه، ص ١٨٣.

لويس فيليب، وفي آذار من العام ١٨٤٨، حدثت مظاهرات كبيرة في فينا أدت إلى فرار المستشار مترنيخ إلى لندن، وتبع ذلك ثورات مماثلة في المجر، وبوهيميا، وألمانيا، والدانمارك، وهولندا، وكانت إيطاليا مهيئة تماماً لانتشار الحركة الثورية، فقد كسبت جمعية إيطاليا الفتاة إلى صفوفها أعضاء كثيرون في شقي إخاء البلاد، وفي البندقية قامت ثورة ضد حكامها النمساويين، وإعلان البندقية جمهورية مستقلة، وكذلك ثورة في لمبارديا، ولم تقف النمسا مكتوفة الأيدي إزاء ما حصل في إيطاليا، فقادت بسحق الثورة، وأعادت احتلال لمبارديا، والبندقية.^١

وكان كافور رئيس وزراء سردينيا أحد دعاة الحركة الوطنية، والوحدة الإيطالية قد أدرك بأن مملكة سردينيا بسكانها البالغ عددهم أقل من خمسة ملايين نسمة قد لا يكون بإمكانها توحيد إيطاليا اعتماداً على إمكانياتها الذاتية مادام أن دولة قوية، مثل النمسا تحول دون تحقيق هذا الهدف الكبير، ولذلك وضع في اعتباره ضرورة الحصول على دعم خارجي في مواجهة النمسا، وهذا فإنه حاول كسب تحالف إيطاليا مع فرنسا في كفاحها الأول ضد النمسا.

إن فرنسا دولة قوية، ولها حدود مشتركة مع إيطاليا، لهذا يعني، إن العون الفرنسي يكون سريعاً وفعلاً في حالة تحقيق التحالف معها، وثانياً: إن فرنسا رغم تدخلها في أكثر من مناسبة ضد الحركة الثورية في إيطاليا - كما فعلت النمسا - كانت تنظر بعين عدم الرضا إلى هيمنة النمسا في إيطاليا، وثالثاً: فإن نابليون الثالث لم يكن غريباً عن إيطاليا، والحركة الثورية فيها فقد كانت الدماء الإيطالية تجري في عروقه^٢.

وكانت خطوة كافور الأولى المهمة في ميدان السياسة الخارجية هو: مساهمة مملكة سردينيا في حرب القرم إلى جانب بريطانيا، وفرنسا، والمملكة العثمانية، ضد روسيا القيصرية في كانون الثاني من العام ١٨٥٥، وبعد خسارة روسيا الحرب، وعقد الصلح في باريس في آذار من العام ١٨٥٦، عرض كافور القضية الإيطالية على الدول الكبرى المشاركة فيه، ونجح في كسب تعاطفها تجاه أماني الإيطاليين القومية، فضلاً عن حصوله على اعتراف هذه الدول بحق مملكة سردينيا في الدفاع عن حقوق الشعب الإيطالي. وقد حث كافور نابليون الثالث على مساعدته سردينيا، إلا أن نابليون الثالث لم يكن بإمكانه الخاذه قرار سريع في ذلك بسبب الموقف الداخلي في فرنسا فقد كان

^١ - المصدر نفسه، ص ١٨٥.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٨٨.

رجال الدين ضد الوحدة الإيطالية، وكان موقفهم هذا منسجماً مع موقف البابا بيوس التاسع، في حين كان الأحرار الفرنسيون يؤيدون مد العون لإيطاليا ضد النمسا، وفي سنة ١٨٥٨، غير نابليون الثالث رأيه بعد تعرضه لمحاولة اغتيال من قبل متطرف إيطالي، ولمنع تكرار مثل هذه المحاولة، ورغبة منه في التقرب إلى الأحرار الوطنيين في فرنسا والعالم قرر نابليون مساعدة سardinia بدعمها بـ (٢٠٠) ألف جندي فرنسي لطرد النمساويين من إيطاليا، وتكون دولة إيطالية موحدة، وملكة أخرى في وسط إيطاليا، ودولة بابوية مركزها روما، وملكة نابولي، وأن ترتبط هذه الكيانات الأربع بعد ذلك برباط تعاهدي يرأسه البابا، وأن تحصل فرنسا مقابل ذلك على سافوي، ونيس.^١

أما بالنسبة لنابليون الثالث فقد كانت إيطاليا تمثل بلا شك قيمة أكبر في توازن القوى الأوروبي أكثر مما أصبحت عليه فيما بعد، وعلى كل حال، لم تكن إيطاليا ذات أهمية كبيرة حتى العام ١٨٥٨، واهتمام نابليون الثالث الشديد بإيطاليا كان سببه خوف بدونوعي من تجربة القوة في الراين، وكانت فوق قوة فرنسا، ومع ذلك فإن تحطيم سيادة الهيمنة الفرنسية في وسط أوروبا كان السمة الحاسمة لتسوية فيينا، وكانت إيطاليا في أحسن الأحوال باباً خلفياً إلى وسط أوروبا، وكان اهتمام نابليون الثالث الشديد بإيطاليا اعتراضاً بضعف فرنسا، وإن المسألة التي يحتمل أن يكون لإيطاليا أهمية فيها هي الصراع من أجل السيطرة على البحر المتوسط، ولكنه قرر الدخول في هذا الصراع من أجل أوروبا، ذلك الصراع الذي اعتمدت عليه عظمة فرنسا.^٢

وأقنع نابليون بان سياسة شجب تسوية فيينا في العام ١٨١٥، دون محاولة تحطيمها لسياسة التحالف الليبرالي مع بريطانيا إنما كانت سياسة مستحبة، ويجب عليه أن يرجع إلى التحالف المحافظ مع النمسا، أو أن يتقدم إلى الأمام، فيدخل في حلف مع القومية الإيطالية، وكان واضحاً أي الطريقين يختار، وكان يشعر بكراهية شديدة تجاه النمسا، ولم تفلح الصداقة مع بريطانيا، وهذا جاءت مباحثات نابليون الثالث مع كافور، وتم الاتفاق في بلومبيير في ٢٠ تموز من العام ١٨٥٨، وبموجبه تعهد نابليون بتقديم المساعدة لملكة سardinia في إخراج النمسا من Lombardia، والبندقية، وتعهد كافور لقاء ذلك بالتخلي لفرنسا عن نيس وسافوي. وقد تقهقر النمساويون في معركتي ماجنتا، وسولفرينيو، وأحرز الإيطاليون والفرنسيون نصراً شاملًا، ولكن خوف نابليون الثالث

^١ - المصدر نفسه، ص ١٨٩.

^٢ - أي.جي بي تايلور، مصدر سابق ذكره، ص ١٣٤.

من رد فعل ألمانيا سارع بإيقائه الحرب، ولم تكن ألمانيا مستعدة أن تنظر بعين الرضا إلى إذلال دولة ألمانية على يد فرنسا وإيطاليا. وقد عرض هدنة على إمبراطور النمسا فرنسوا جوزيف الذي قبلها بسبب فداحة الخسائر التي كابدها جيشه، ولكن هذه لم تكن السبب الوحيد، فالخبر كانت تسعى للثورة، وال الحاجة تدعو إلى توفير القوات الالازمة لقمعها، ثم أن احتمال تدخل بروسيا لم يكن ملائماً بالمرة للدبلوماسية النمساوية، ولما سيصاحبه حتماً من تنازلات لبروسيا في ألمانيا لم يكن إمبراطور النمسا راغباً فيها، وعلى هذا الأساس وضع الصلح في فيلا فرانكا، وتم الاتفاق على تسليم لومبارديا إلى نابليون ليتولى بدوره تسليمها إلى الملك فكتور عمانوئيل، وعلى تأييد فرنسا والنمسا بعد ذلك لقيام اتحاد إيطالي برئاسة البابا الاسمية، واستمرار تبعية البندقية للنمسا مع اشتراكها في الاتحاد الإيطالي¹.

لقد تشكلت مملكة ايطاليا فعلاً في آخر العام ١٨٦٠، ورسمياً في بداية العام ١٨٦١، ولكن دون توحيد جميع أجزائها. وقد نجحت الحركة القومية الايطالية بنجاحاً بفضل أزمة دولية، وهي الحرب البروسية- النمساوية، والتي على أثرها انتزعت ايطاليا البندقية من النمسا في العام ١٨٦٦، وكان واضحاً أن الحكومة الايطالية لا تستطيع لوحدها أن تقوم بحرب جديدة ضد النمسا، ولذا كان من المطلق أن تفكك في البحث عن حلف مع بروسيا التي كانت في صعوبات مع النمسا منذ مجئ بسمارك إلى رئاسة الحكومة، ولكن كان ينبغي على ايطاليا أن توفق بين التحالف مع بروسيا، والحفاظ على صداقتها مع فرنسا، ولم يسع الملك فكتور عمانوئيل بأي ثمن أن يفسد علاقته مع فرنسا، وكان يفكر بأنه إذا أفسد علاقاته مع فرنسا، ربما يكون قد جازف مجازفة خطيرة، لأن فرنسا يمكن أن تعقد حلفاً مع النمسا، ولو مع نجدة بروسيا^٢.

لقد كان الإيطاليون يخشون من تخلي بروسيا عنهم، ولكن انطباع الإيطاليين في
أثناء حرب العام ١٨٥٩، أن نابليون الثالث لا يتمسك بتعهداته، وأنه تخلى عنهم في
منتصف الطريق، وتساءلوا فيما إذا كان الامر كذلك مع بروسيا؟ لقد قبل نابليون
الثالث أن يعطي إيطاليا ضماناً بأنه إذا تخلت بروسيا عنها، فإنه سوف لن يترك النمسا
تسحقها، وفي هذه الشروط تستطيع إيطاليا أن تبرم اتفاقاً مع بروسيا، وهكذا وقعت بين
بروسيا وإيطاليا معاهدة ٨ نيسان في العام ١٨٦٦.

¹ آرچ جرانت و هارولد تمپرلی، مصادر سبق ذکر، ص ۴۵۷-۴۵۸.

² دنور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، الجزء الثالث، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠-١٧٧.

³ - المصد، نفسه، ص ١٧٩.

المبحث الثالث

الوحدة الألمانية

لم تكن ألمانيا تشكل في القرن الثامن عشر وحدة سياسية واحدة، وإنما تكونت من عدد كبير من الولايات والدواليات يزيد عددها على الثلاثة، وكانت هذه الولايات والدواليات مرتبطة من الناحية النظرية بالمسا، إذ أن أباطرها كانوا أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، إلا أن كل واحدة منها كانت مستقلة من الناحية الفعلية، ولم يكن لها شأن مهم يذكر عدا مملكة بروسيا التي استطاعت بفضل تقاليدها العسكرية الصارمة، وجهود ملوكها الأقوباء أن تصبح مملكة قوية ليس في ألمانيا فقط، وإنما إحدى الدول الكبرى في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر^١.

وتأثرت اليقظة القومية في ألمانيا بجملة من العوامل، منها تأثر ألمانيا في شعارات ومبادئ الثورة الفرنسية. كما احتلت ألمانيا على يد نابليون بونابرت في بداية القرن التاسع عشر، فمن جهة قام نابليون بضم قسم من الولايات الألمانية إلى فرنسا، والقضاء على قسم آخر منها، وتقليل عدد الولايات الألمانية المتبقية إلى ٣٩ ولاية فقط، وقام بإنشاء اتحاد الراين الذي ضم بعض الولايات الألمانية، وكان غرض نابليون آنذاك إقامة دولة قوية ثالثة في ألمانيا يوازن بها نفوذ كل من النمسا وبروسيا^٢.

وقد أقر مؤتمر فيينا عام ١٨١٥، إنشاء اتحاد جرماني تشتهر فيه جميع الدول الألمانية، وضم النمسا أيضا، فضلاً عن بروسيا، وكانت الغاية من مساعي مترنيخ هو أن يضع هذا الاتحاد تحت سيطرة النمسا ليقضي على كل محاولة لجعل بروسيا تتزعم الاتحاد الجرماني، وأعترف مؤتمر فيينا بأن رئيس الاتحاد الدائم هو إمبراطور النمسا، وتم الاتفاق على أن ينشأ مجلس للاتحاد تمثل فيه جميع الدول، ويدعى الديت، وكان مركزه الدائم في مدينة فرانكفورت. أما مهمة هذا المجلس، فكانت البت في الخلافات التي قد تنشأ بين دول الاتحاد، وتقرير الأمور التي تهم الجميع، ولكن الواقع أن هذا الاتحاد كان عديم الفائدة، ضعيف النفوذ، ذلك أن إحدى مواد الدستور كانت تفرض حصول الإجماع لتقرير الأمور المهمة، وليس من المعقول أن يحصل أجماع بين جميع دول الاتحاد بسبب اختلاف وجهات النظر فيما بينها، وكانت النمسا ت يريد الحفاظ على الاتحاد بأي ثمن

¹ - د. خليل علي مراد، وجاسم محمد حسن، ود. عبد الجبار قادر غفور، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٥.

² - المصدر نفسه، ص ١٩٧.

لأسباب كثيرة، فهو: أولاً يؤمن لها السيطرة، والزعامة على العالم الجرماني، ثم أن بقاء الاتحاد يلزم بروسيا، ولو بصورة ضئيلة وشكلية بالتقيد بسياسته، فضلاً عن ذلك أن النمسا كانت ترى في بقاء الاتحاد بشكله الحاضر حاجزاً قبالة تزعم بروسيا للعالم الجرماني، وتفردها بتحقيق الوحدة الألمانية التي كانت أشد ما تخشاه النمسا. أما بروسيا، فكانت ترى تدمير ذلك القيد الذي طوقها به مؤتمر فيينا، والانطلاق نحو سياسة قومية مستقلة. كما كانت ترى في بقاء الاتحاد بقاء للسيطرة النمساوية على الوطن الألماني، ومن ثم بقاء بروسيا رغم قوتها ونشاطها تحت السيطرة النمساوية.¹

ومن أسباب يقظة ألمانيا القومية، النمو الاقتصادي فيها، إذ بدأت الصناعة الألمانية الكبرى بالنموا في المدة الواقعة بين العام ١٨٥٠، وإلى ١٨٦٠، فقد بدأ بنمو إنتاج الفحم، ومنذ العام ١٨٥٠، كانت ألمانيا في الصف الثاني في أوروبا كمنتج للفحم، وتأتى مباشرة بعد بريطانيا، وحدث تطور في وسائل النقل، وهذا ما ساعد على تطور الفكر عند الألمان وسمحت بانتشار الصحف، ومن جهة أخرى أن غزو الإنجاج كان يصاحبه غزو الطبقة الرأسمالية، وكان هؤلاء الرأسماليون الألمان، وكبار الصناعيين، وكبار التجار، يرغبون بإنشاء دولة ألمانية قوية كي تستطيع أن تحمي مصالحهم، وتكون قادرة على خلق نظام نجدي عام. فضلاً عن ذلك، فإن الأزمة الدولية لعام ١٨٥٩، قد أثارت قضية لمبارديا- البندقية التي كانت خاضعة للاحتلال النمساوي، وفي الوقت الذي وقف فيه نابليون الثالث إلى جانب إيطاليا رفضت بروسيا المشاركة فيها، وأعلنت حيادها.

لقد أثارت هذه الأزمة الرأي العام في الولايات الألمانية، لأن كثيراً من الألمان فكرموا بأن ألمانيا بحاجة إلى أن تكون قوة دولية، ودللت تجربة العام ١٨٥٩، على أن الإتحاد الجرماني كان عملياً عاجزاً في السياسة الدولية بسبب اختلاف بروسيا والنمسا، وكان الألمان يخشون من توسيع طموحات نابليون الثالث من أن تشمل ألمانيا².

وفي الوقت الذي انتهت فيه حرب العام ١٨٥٩، ظهرت في ألمانيا يقظة حركت فيه الرأي لمصلحة الوحدة، وهذا الرأي العام أخذ يناقش قضايا، مثل: علاقات بروسيا مع النمسا، وما إذا كان على بروسيا أن تساعد النمسا في حربها ضد فرنسا، ورأى البعض بأن من واجب ألمانيا ألا ترتج نفسها في تلك الحرب³.

¹ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعنوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٩-٢٧٠.

² - د. نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، الجزء الثالث، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦-٢٨.

³ - المصدر نفسه، ص ٢٩.

وقد ظهرت ثلاثة اتجاهات في ألمانيا حول تحقيق الوحدة هي:
الاتجاه الأول: اتجاه الوحدة الألمانية تحت إدارة بروسيا مع إبعاد النمسا، وهو الاتجاه الذي ساد دستور العام ١٨٤٨، (اتجاه ألمانيا الصغرى).

الاتجاه الثاني: اتجاه الوحدة الألمانية التامة التي تشمل جميع الألمان بما فيها ألمان النمسا.
الاتجاه الثالث: وهو اتجاه من يرغبون تحقيق الوحدة الألمانية بحيث تشمل فيه الإمبراطورية النمساوية كلها في اتحاد الدول الألمانية بالرغم من أن أكثريه الشعب في هذه الإمبراطورية، كانت سلافية، وغير ألمانية.^١

وفي العام ١٨٦٢، وضعت الحكومة البروسية بدورها مشروع إصلاح يقترح إدخال جميع الدول الألمانية كلها، عدا النمسا في دولة اتحادية بإدارة بروسيا، ويكون لهذه الأخيرة في هذه الدولة الاتحادية قيادة الجيش، وممارسة السلطة التنفيذية الاتحادية. إما النمسا فقد رأت نفسها مبعدة عن الدولة الألمانية، إذ اقترحت الخطة البروسية عليها تحالفًا مع الاتحاد الألماني، والفائدة التي يؤمّنها هذا الاتحاد إلى النمسا هي أنه يضمن لها امتلاك جميع أراضيها حق الأرضي غير التابعة للإتحاد الجرماني . وقد رفضت النمسا هذه الخطة البروسية، ومعها بعض الولايات الألمانية، وكانت الحكومة النمساوية ترغب في كسر الاتحاد الجرماني.^٢

ودخلت بروسيا الحرب مع الدانمارك بسبب دوقية شلزفيك، وهولشتاين التي يحكمها ملوك الدانمارك، ولكنهما صارتتا سنة ١٨٦٣، مثار خلاف بين الدانمارك من جهة، وبروسيا والنمسا من جهة أخرى، وكانت بروسيا تسعى إلى ضم الدوقيتين إليها بسبب وجود العنصر الألماني فيها، بل أن هولشتاين كانت أكثريتها من الألمان، وفي كانون الثاني من العام ١٨٦٤، اندلعت الحرب بين الدولتين، وغزت القوات البروسية المقاطعتين، وهزمت الجيش الدانماركي، وقبلت الدانمارك الصلح، ووافق ملوكها على إعادة الدوقيتين بموجب معاهدتنا في ٣٠ تشرين الأول من العام ١٨٦٤، فضلاً عن دوقية لاونبرج، وأصبح حكم الدوقيتين ثانياً بين بروسيا والنمسا تم بموجبها أن تحكم النمسا هولشتاين، وتحكم بروسيا شلزفيك ولا نبرج^٣.

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٩.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٣٤-٤٠.

^٣ - أ.ه.فشر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٣-٢٦٥.

وكان بسمارك رئيس وزراء بروسيا يسعى إلى أن تنسحب النمسا من ألمانيا، وتسلم بسيطرة ألمانيا على الدوقيتين، ومتى نجح في ذلك، وقعت عن معارضة تأليف اتحاد تعااهدي شمالي تحت زعامة بروسيا، وسعى إلى منع إقامة تحالف بين النمسا وفرنسا، وكان من الأفضل له إلى حد بعيد لا يقحم في ذلك الوقت، مسألة ضم الاتحاد الجنوبي لألمانيا، وأن يسمح للألمان الجنوبيين أن يندمجوا في الاتحاد البروسي، بينما يشعرون، وكيفما يريدون، فاقتدى نهجاً يضمن لهم رضاهم^١.

واندلعت الحرب في العام ١٨٦٦، بين النمسا وبروسيا، وأدت إلى انقسام الدوليات الألمانية. فقد أيدت دول الجنوب، وبعض دول الوسط، وهانوفر الشمالية النمسا، في حين أيدت الدول الأخرى، وكانت دولاً صغيرة بروسيا، فانقسمت ألمانيا إلى قسمين، وأستطيع الجيش البروسي أن ينتصر على الجيش النمساوي، وفي ٢٦ تموز من العام ١٨٦٦، وقع صلح براغ بين الدولتين. وقد قام هذا الصلح على أساس أن يكون اتحاد ألمانيا الشمالية تحت إدارة بروسيا، وألمانيا الجنوبية مستقلة، والأراضي النمساوية منفصلة عن ألمانيا، ومن جهة أخرى تستطيع بروسيا أن تضم عدداً من الأراضي في ألمانيا الشمالية^٢.

وفي حرب العام ١٨٦٦، مع النمسا كان بسمارك يوجه جهوده نحو إيطاليا لكي يتحالف معها، فكانت لإيطاليا قضية معلقة مع النمسا هي قضية البندقية. وقد وقعت معاهدة تحالف معها في ٨ نيسان من العام ١٨٦٦، في حين أخذ من جهة ثانية يعمل على أثارة المشكلات بوجه النمسا لكي يجعلها تثور، وتعلن الحرب مما يجعل بروسيا لا تظهر قبلة الدول الأوروبية بمظهر الدولة العتيدة^٣.

أما روسيا القيصرية فقد بني بسمارك سياسة خارجية على أساس قيام محور روسيا وبروسيا، إذ أنه عذر روسيا دائماً حليفته الطبيعية، إذ ليس لروسيا أي مطامع في أوروبا الوسطى تنافس مصالح بروسيا، وأن المصالح الروسية موجودة في البلقان، والشرق، حيث لم يكن لبروسيا أية مطامع. وقد وقفت روسيا إلى جانب بروسيا^٤.

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

^٢ - د. نور الدين حاطوم، الجزء الثالث، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥-٥٧.

^٣ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نغوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٣-٢٧٥.

^٤ - المصدر نفسه، ص ٢٧٤-٢٧٥.

لقد أدت حرب العام ١٨٦٦، إلى تقويض ألمانيا الكبرى نهائياً، أي إلى التخلص الكلي عن الصيغة التي بوجبها تستطيع أن تشمل جميع الأراضي النمساوية، وبالمقابل لم تساعد حرب العام ١٨٦٦، بسمارك على تحقيق الوحدة الألمانية تحت شكل ألمانيا الصغرى، أي ألمانيا التي تضم كل الأراضي الألمانية عدا النمسا، وفي الواقع أصبح على ألمانيا الجنوبية حسب صلح براغ أن تبقى مستقلة، وهذا حل ناقص لقد كان بسمارك يرى بان الاتحاد الألماني لا يمكنه أن يعمل، وغير قابل للحياة ، ما يجب عمله هو طرد النمسا، وعندئذ يمكن بناء البلاد الألمانية من جديد، وينتظم أكثر تحت شكل ألمانيا الصغرى. لقد أراد بسمارك توحيد جميع الأراضي الألمانية بزعامة بروسيا دون النمسا، واكتفى بالتالي بتشكيل اتحاد ألمانيا الشمالية، وترك دول ألمانيا الجنوبية مستقلة.^١

وقد نظم بسمارك اتحاد ألمانيا الشمالية، ودخل الدستور في حيز التنفيذ في الأول من توز من العام ١٨٦٧، وألغت معااهدة براغ الاتحاد الجرماني لعام ١٨١٥، وقررت أن تبقى الدول الألمانية في الجنوب مستقلة، وأن تدخل الدول الواقعة في شمال خط الماين في اتحاد ألمانيا الشمالية.

إن وحدة ألمانيا لم تكن إذن تامة، وسعى بسمارك لإدخال دول الجنوب الألمانية في الاتحاد الألماني، حيث أيدت دول الجنوب النمسا، وأستخدم بسمارك أسلوب آخر، حيال دفع دول الجنوب للانضمام إلى اتحاد الدول الشمالية ألا وهو الخوف من فرنسا، ففي توز من العام ١٨٦٦، أعلن بسمارك في ألمانيا الشمالية عن عزمه على ضم بعض الأراضي، وبخاصة مملكة هانوفر، وهس، وكان مضطراً إلى طلب موافقة نابليون الثالث، الذي أعطى الموافقة، وطلب بالمقابل تعويضات إقليمية، فطلب لفرنسا أراضي السار، وطلب لاندوا بالاتينا البافارية، وكذلك الأراضي الهيسية، والواقعة على الضفة اليسرى لنهر الراين، ولكنه لم يحصل على تعويض أرضي. لقد أستخدم بسمارك طلب التعويضات الفرنسي ليفرز دول الجنوب، ويريها بأنها إذا بقيت منعزلة ، فلها ما تخشاه من فرنسا، وأن من مصلحتها أن تحصل على حماية بروسيا لها، فضلاً عن هذه الحماية تفترض وجود تحالف بين بروسيا ودول الجنوب، ووقعت بروسيا تحالفات سرية مع دول الجنوب. وقد نشر بسمارك هذه التحالفات في الجريدة الرسمية لبروسيا، وكانت هذه ضربة قاسية للسياسة الفرنسية، في حين كانت السياسة الفرنسية تخشى من الوحدة

^١ - دنور الدين حاطوم، الجزء الثالث، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠.

الألمانية، وتسعى إلى الحفاظ على الأقسام الثلاثة، أي على الاتحاد الشمالي الألماني، والنمسا، ودول الجنوب المستقلة، ولا شك أن نشر بسمارك معاهدات التحالف السرية كان من أجل توجيه ضربة مخزية لنابليون الثالث، وهكذا ارتبطت دول ألمانيا الجنوبيّة ببروسيا بحلف عسكري، وساد الاعتقاد في دول ألمانيا الجنوبيّة بأنه لا حياة اقتصادية ممكّنة لدول الجنوب خارج الاتحاد الألماني.

لقد جاءت حرب العام ١٨٧٠، بين بروسيا وفرنسا الوسيلة المناسبة لبسمارك لتحقيق الوحدة الألمانية، وأدت حرب السبعين إلى تنفيذ معاهدات التحالف السرية المبرمة في شهر آب من العام ١٨٦٦، بين اتحاد دول ألمانيا الشمالية، ودول الجنوب. فقد زحفت جيوش دول الجنوب تحت قيادة بروسيا، إذ قوت هذه الحرب الوحدة الألمانية، وكان منطقياً أن تخرج الوحدة منها.^١

لقد عمل بسمارك على عزل فرنسا دولياً قبل نشوب الحرب مباشرة، فقد ضمن حياد النمسا وروسيا القيصرية. كما أبعد بريطانيا عن فرنسا بنشر مطالبة نابليون الثالث ببلجيكا التي كانت بريطانيا تحرص أشد الحرص على استقلالها، وانتهت الحرب في أيار من العام ١٨٧١، بمعاهدة فرانكفورت التي عقدت بين بروسيا، وحكومة الدفاع الوطني الفرنسي التي تشكّلت في ٤ أيلول من العام ١٨٧١، أثر هزيمة نابليون الثالث، وقد نزلت فرنسا بوجب المعاهدة عن الألزاس، واللورين، وميز، إلى بروسيا. كما فرضت على فرنسا غرامة حربية مقدارها خمسة آلاف مليون فرنك نحو مليار دولار، وتقرر أن يستمر الاحتلال الألماني للأجزاء الشمالية من فرنسا حتى يتم دفع الغرامة الحربية التي دفعت فيما بعد.

إن من أهم نتائج الحرب مع فرنسا هي توحيد ألمانيا، فقد أشارت مشاركة الألمان الجنوبيين في الحرب مع الألمان الشماليين، موجة من الحماس، والشعور القومي تغلبت على المنافسات بين الحكماء، وعلى شكوك الأحرار في بروسيا، ونظامها السياسي. وقد عقدت معاهدات التوحيد بين بسمارك، مثلاً عن اتحاد شمالي ألمانيا، وبين حكومات الدول الألمانية الجنوبيّة في تشرين الثاني من العام ١٨٧٠، أي قبل انتهاء الحرب مع فرنسا، وتقرر بعد ذلك تغيير اسم الاتحاد الألماني إلى الإمبراطورية الألمانية، ولقب ملك بروسيا بالإمبراطور في ١٨ كانون الثاني من العام ١٨٧١^٢.

^١ - المصدر نفسه، ص ٩٠-٤٠.

^٢ - دخليل علي مراد، وجاسم محمد حسن، ود عبد الجبار قادر غفور، مصدر سابق ذكره، ص ٢١١-٢١٢.

المبحث الرابع

المسألة الشرقية

في العام ١٨٧٥، كانت مصالح الدول الكبرى متعارضة، وبقي الروس يشعرون بأهانة إغلاق المضايق، علماً أن موقفهم سيكون أصعب لو فتحت المضايق، وهم بدون أسطول في البحر الأسود، في حين بقي النمساويون يعتمدون على الملاحة في نهر (الدانوب) بعده أهم حلقة وصل مع العالم الخارجي، وأستمر البريطانيون يشعرون بحاجة إلى الإمبراطورية العثمانية بوصفها حاجزاً محايضاً كبيراً لضمان شرق البحر المتوسط، والشرق الأدنى، واحتاجوا إليها أكثر من السابق منذ فتح قناة السويس في العام ١٨٦٩، وظل الفرنسيون المولين الأساسية للدولة العثمانية، في حين أحتجّ البريطانيون المتزلة الثانية، ولم يرحب أيّاً من هؤلاء بإثارة المسألة الشرقية، وكانت ألمانيا من دون القوى الكبرى تفضل تسوية شاملة لهذه المسألة، إذ لا مصلحة لها في الشرق الأدنى. فقد خشي بسمارك أن يتورط في نزاع لا يكسب منه شيئاً، ولذلك حلم بتقسيم مستحيل من شأنه تسوية المسألة إلى الأبد. لقد كانت الأماكن المقدسة مناسبة لأندلاع حرب القرم، وأصبحت الفضائح في بلغاريا محور المسألة الشرقية بعد عشرين سنة، ثم تخللها مسألة جديدة، وهي النضال القومي، وحالما ثار سلاف البلقان قدمت لهم روسيا المساندة، إذ أنها تتعاطف مع الشعوب السلافية من أجل توحيدهم تحت حكم القيصر.^١ وفي إمبراطورية النمسا، والجر، كانت هناك تيارات متضاربة، فقد اعتقاد مترنيخ قبل نصف قرن أن الإمبراطورية العثمانية ضرورية لأمن النمسا، ورأى بعض النمساويون أن الإمبراطورية العثمانية منفعة خلقتها العناية الإلهية (للنمسا - والجر)، فتركيا تحافظ على الوضع الراهن للدول البلقانية الصغرى، وتحول دون تطلعاتها القومية، فإذا ما ذهبت البوسنة، واهرسك إلى صربيا، أو الجبل الأسود، أو تكونت دولة جديدة هناك، فسوف تصاب النمسا، والجر بالضرر.^٢

وفي العام ١٨٧٥، اندلعت في البوسنة واهرسك ثورة ضد الحكم العثماني أثارها البؤس، والشقاء التي كان يعيانيها الفلاحين، وامتدت أثارها إلى بلدان الجبل الأسود والصرب وبلغاريا، وانتشرت انتشاراً واسعاً، وأمتد نطاق الشعور القومي

^١ - أي جي بي تايلور، الصراع على السيادة في أوروبا، مصدر سابق ذكره، ص ٢٧٢.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٧٤.

الإسلامي في البلقان بشكل ليس له مثيل، ولكن الدولة العثمانية استطاعت من القضاء عليها^١.

إن الاتجاه الجديد في المسألة الشرقية غير تركيب العلاقات الدولية، فلم تعد بريطانيا وفرنسا تهتمان بالمضائق مثلما كان سابقاً، وفي العام ١٨٧٨، كان اهتمام بريطانيا ما يزال منصباً على مقاومة روسيا القيصرية ولكنها أخذت تتراجع بعد عشرون عاماً، في حين بقيت النمسا والبجر وحيدة. وقد فرض هذه بدوره المسألة الشرقية على ألمانيا، فكانت مشكلة الدبلوماسية البروسية في العام ١٨٥٤، منع النمسا من أعطاء المساعدة لفرنسا وبريطانيا. أما في العام ١٨٧٦، والسنين التي بعدها، فكان ضمان قيام بريطانيا بمساعدة النمسا - البجر^٢.

لقد اعتقدت روسيا القيصرية أن الدولة العثمانية زائلة، وتوقعوا أنها يارها. فقد صممت على تجنب عزلة حرب القرم، ولذلك تعلقت بصداقه النمسا - البجر، وكان قيسرو روسيا يسعى إلى صراع مع بريطانيا وفرنسا حول مسألة التعاون في الشرق الأدنى، وطرح فكرة تقسيم الدولة العثمانية على أن تكون مصر من حصة بريطانيا، إلا أن الأخيرة رفضت ذلك^٣.

لقد كانت خلوة قيسرو روسيا هو الطلب من ألمانيا دفع ما نالته من مساندة روسيا لها في العام ١٨٦٦، والعام ١٨٧٠، فطلب من ألمانيا المحافظة على حياد النمسا - البجر عن طريق التهديد بالحرب، في حين يتفرغ الروس لخماربة الأتراك، ولكن بسمارك رفض أن ينحاز إلى جهة معينة فقد أراد أطلاق حرية روسيا في الشرق الأدنى على أن يكون ذلك بالاتفاق مع النمسا - البجر، وليس بالحرب ضدها، ولا سيما بحرب قد تؤدي إلى تحطيم النمسا، وبعد أن أخفق الروس في نيل المساعدة الألمانية حاولوا دون اندفاع كسب مساندة فرنسا، ولكن خاب ظنهم، مرة أخرى. فقد رفضت فرنسا حتى في زمن عظمة نابليون أن تختار ما بين روسيا وبريطانيا حالما انتهت حرب القرم، فكيف بفرنسا المدحورة، وهي بحاجة إلى رعاية لكلا الدولتين ضد ألمانيا، وكان من حسن حظ الفرنسيين أن جاءت الأزمة الشرقية في وقت مناسب لهم، فوقوع الأزمة بعد حرب العام ١٨٧٠، بقليل مكنته من التستر بضعفهم، وكانت أزمة الشرق الأدنى كسباً حقيقياً لفرنسا في المستقبل، إذ قدر لها أن تقدم عصبة الأباطرة الثلاثة، وربما أن تنظر

^١ - أ.ه. فشر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٠.

^٢ - أي.جي.بي.تايلور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٥.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٢٧٨.

روسيا القيصرية من ألمانيا، ومع ذلك، فلم يكن هناك خطر توثر العلاقات بين روسيا القيصرية وفرنسا^١.

ومع تصميم قيصر روسيا القيصرية شن الحرب على الدولة العثمانية، فإنه كان كذلك مصمماً على تحجّب أخطاء حرب القرم أي عدم محاربة الدولة العثمانية، وكل الدول الأوروبية هذه، إذن بقي قبالة الدبلوماسية الروسية طريقان: أما أحياه محفل الدول العظمى، أو تحقيق مساومة مستقلة مع النمسا- المجر، ولم تتحقق روسيا النجاح في الطريق الأول، إلا أنها أفلحت في الطريق الآخر^٢.

وقد تمخّن الروس حياد النمسا والمجر غير أنهم كانوا أكثر اعتماداً على رضا النمسا والمجر لعدم وجود أسطول لهم في البحر الأسود، فالنمسا والمجر لم تكن في حالة استعداد دائم للحرب ضد الدولة العثمانية، بل أراد الجنرالات النمساويون دخول الحرب مع روسيا ضد الدولة العثمانية إذا كان لابد من دخول الحرب، ولكن الحكومة النمساوية كانت تريد تحجّب الحرب التي يمكن أن تهدّد امتيازات الهنغاريين في المملكة الثانية، بيد أن الروس أغفلوا هذا كله بسبب حرصهم على الفوز بحياد النمسا- المجر. فقد أرادت النمسا- المجر الحصول على البوسنة والهرسك على أن تكون صربيا، والجبل الأسود حاجزاً محايداً تفصل بين الجيشين الروسي والنمساوي- المجري، وإلا تقام دولة كبيرة للسلاف أو غيرهم إذا أهارت الدولة العثمانية، ومقابل ذلك ستتمسك النمسا- المجر بحياد في حالة اندلاع الحرب بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية^٣.

والحق، في أعقاب الانتصارات الكبيرة التي أحرزها بروسيا على كل من النمسا وفرنسا أصبح التوازن الدولي غير واضح الاتجاهات، فألمانيا أصبحت عملاقاً في قلب أوروبا، ولكن لا تستطيع أن تسيطر عليها، وفرنسا مهزومة، وتعاني اضطراب سياسي شديد، ومع هذا كانت قادرة على أن تحد من نشاط هذا العملاق، خاصة وأن بريطانيا لم تنتهز هذه الفرصة، وتنقض على فرنسا حفاظاً على التوازن الدولي، وحتى لا تزداد الإمبراطورية الألمانية قوة على قوة، وكانت كل من روسيا والنمسا لا تريدان أن تتطور الأمور إلى ما هو أعقد مما وصلت إليه، ومن ثم كان هناك نوع من التوازن الدولي القائم على القلق من تطورات المستقبل^٤.

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٨٤-٢٨٦.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٨٥.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

^٤ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعنوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٣.

إن ضعف الدولة العثمانية عسكرياً، واقتصادياً، وسياسياً، هو الذي زاد من أطماء الدول الأوروبية فيها بحيث نشأت المسألة الشرقية، وهذه الأطماء الأوروبية في الدولة العثمانية قدية وعميقة الجذور، وكانت قوة الدولة العثمانية تمنع ظهور تحالف أوربي ناجح ضدتها، وتمنع كذلك من توسيع أوري على حسابها حتى ثبتت روسيا القيصرية وقوتها، ووصلت قواها حتى باريس سنة ١٨١٤-١٨١٥، وحتى وصلت مشارف القسطنطينية سنة ١٨٢٩-١٨٢٨، الأمر الذي كان يثير مخاوف الدول الأخرى، وليس الدول الأوروبية المجاورة لها وإمبراطورية النمسا فقط، وإنما كذلك الإمبراطورية البريطانية أيضاً^١.

لقد كان هناك تسابق روسي - نمساوي على وراثة الدولة العثمانية في البلقان خاصة بعد حرب القرم، وبعد اندحار النمسا في العام ١٨٦٦، إذ لم يعد وجه النمسا نحو ألمانيا، وإنما رأت مجاها الحيوي في البلقان، فأصبحت أية أحداث سياسية في البلقان ذات مساس بإمبراطورية النمسا - المجر بينما كانت روسيا القيصرية قد ركزت في تزعم الحركة السلافية. وهي حركة ضارة بكل من الدولة العثمانية، وإمبراطورية النمسا - المجر، إذ أن هذه الحركة كانت تهدف إلى استقلال الشعوب السلافية الواقعة تحت حكم هاتين الإمبراطوريتين، وإلى تقوية النفوذ الروسي في البلقان بجعل هذه الشعوب السلافية مختلبة قط للسياسة الروسية^٢.

إذ كانت هناك مخاوف من أن تضع روسيا القيصرية يدها على منفذ لأي خطوط المواصلات العالمية عبر آسيا الوسطى أو عبر الشرق الأدنى إلى الهند مستغلة ضعف الدولة العثمانية، والحماس لدى مسيحيي روسيا القيصرية، وغزو التعصب السلافي القومي المسيحي في البلقان، ولا شك أن المقاومة الانكليزية - الفرنسية - النمساوية الشديدة للاندفاع الروسي على حساب الدولة العثمانية كانت هي السبب وراء تأخير تصفية هذه الدولة، ولكن الأمور اختلفت بعد أن تجلت قيمة الوفاق الروسي البروسي الذي مكن الروس من ضرب الثورة البولندية سنة ١٨٥٦، والتي كانت تقيد النشاط الروسي البحري - العسكري في البحر الأسود، مع ملاحظة أنه في ذلك الوقت أصبحت روسيا تهدد قلب الدولة العثمانية من جهتين جبهة أرمينيا - ارضروم، وجبهة البلقان، ومن الملاحظ أن حاجة بسمارك إلى روسيا بعد العام ١٨٧١،

¹ - المصدر نفسه، ص ٢٩٤.

² - المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

أصبحت أقل عنها قبل ذلك، ومخاوف روسيا القيصرية من ألمانيا بعد العام ١٨٧١، أصبحت أكثر بكثير عن مخاوفها من قبل تلك السنة.

لقد كان هناك غواً متزايداً في المصالح الأوروبية في الدولة العثمانية في الوقت نفسه الذي كانت فيه بريطانيا مطمئنة منذ حرب القرم إلى سياستها الخاصة بمستقبل الشرق الأوسط.^١

ولما اندلعت الحرب الروسية العثمانية لعام ١٨٧٧، كانت هناك توقعات بأن تقف بريطانيا بقوة إلى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا مثلما تم في حرب القرم، ولكن الأوضاع ، والأهداف، والتوازن الدولي قد اختلفت مما دفع ذلك بالسلطان العثماني إلى طلب وقف الحرب في ٣١ كانون الثاني العام ١٨٧٨، ثم فرضت روسيا القيصرية على الدولة العثمانية معااهدة سان ستيفانو في ٣ آذار من العام ١٨٧٨، تلك المعااهدة التي أدت إلى تحرك دولي سريع، ويرجع ذلك إلى النتائج التي تخضت عنها المعااهدة، ومنها ظهور دولة بلغاريا الكبرى على حساب الممتلكات العثمانية، وعلى حساب الآمال اليونانية، ووسط حذر بريطانيا وشكوكها من هذه الدولة الجديدة، ومدى تأثيرها في الدولة العثمانية التي أصبحت تحت رحمة روسيا وحلفائها في البلقان، وما زاد من مخاوف بريطانيا في هذه المعااهدة. إن روسيا كانت قد استولت في الجبهة الغربية على قارص، وأردهان، وباطوم، وعلى معظم أرمينيا، الأمر الذي يؤدي حسب وجهة النظر البريطانية- إلى قرب الجيش الروسي من شمال العراق، والخليج العربي، وإلى الهند، حيث المصالح البريطانية، ولكن بسمارك أستطيع أن يقدم حالاً للمشكلة عن طريق عقد مؤتمر برلين في العام ١٨٧٨، إذ تم الأنفاق على ما يلي:-

١. تصبح بلغاريا تحت السيادة الاسمية للسلطان العثماني، ويكون لها حكومة خاصة بها، وجيش وطني.
٢. فصل الروملي الشرقي عن بلغاريا الكبرى، ووضعه تحت الحكم المباشر العثماني، وبذلك تكون قد تقلصت جداً (بلغاريا).
٣. توضع البوسنة والهرسك تحت الاحتلال النمساوي على أن تظل الإدارة العثمانية في سنجدنوفي بازار.
٤. استقلال الجبل الأسود.
٥. استقلال الصرب.

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٩٦.

٦. استقلال رومانيا التي حصلت على إقليم دوبرجه، ولكن فقدت بسارابيا التي جعلت عليها روسيا.

٧. نزول السلطان العثماني عن أردهان وقارص وباطوم، إلى روسيا.

٨. يتعهد السلطان بمنح حرية الاعتقاد الديني في الدولة العثمانية، وأن لا تكون عقيدة المواطن العثماني عقبة أمامه في سبيل التمتع التام بالحقوق السياسية والدينية.^١

لقد استطاعت الدبلوماسية البريطانية أن تتحقق بعض المكاسب حينما عملت على تقويض معاهدة سان ستيفانو بمنع ظهور بلغاريا الكبرى، كما أن إعادة الروملي الشرقي إلى الدولة العثمانية حتى جبال البلقان أعطى للعثمانيين حدوداً طبيعية يمكن الدفاع عنها بسهولة^٢.

كما حققت الدبلوماسية البسماركية نجاحاً باسم المصالحة، والتعويض. فقد قوي النفوذ الروسي في شرق البلقان، في حين قوي النفوذ النمساوي في غربه، ومثلاً حصلت روسيا القيصرية على قارص، وباطوم، وأردهان، فإن بريطانيا حصلت في معاهدة سرية مع السلطان العثماني على قبرص، حيث أن هذه الجزيرة كانت في نظر بريطانيا قاعدة يمكن منها صد أي محاولات روسية عسكرية للوصول إلى العراق.^٣

في حين عدّت فرنسا أن تلك الاتفاقية السرية البريطانية-العثمانية بشأن التنازل عن قبرص إنكasaة لها، وطالبت بتعويض لها، فوافقت بريطانيا على حرية تصرف فرنسا في تونس. كما أتفقنا على أن يكون نفوذ كل منهما متساوياً في مصر بحيث لم يعد للمصريين القدرة على تدبير أمورهم، ولكن لم تلبث بريطانيا أن خشيت من قدرة فرنسا على تحويل حوض البحر المتوسط إلى بحيرة فرنسية بعد احتلالها لتونس في العام ١٨٨١، فعملت على الإنفراد بمصر، واحتلالها فعلاً في العام ١٨٨٢^٤.

وهذا أستطاع بسمارك أضعاف معاهدة سان ستيفانو، مما كان سبباً في إضعاف رابطة الأباطرة الثلاث، وكان إنزعاج روسيا القيصرية أمراً أفاد الدبلوماسية الفرنسية، بل فرصة لتكون فرنسا الحليف الذي تبحث عنه في أوروبا، وأن هذا الغدر الانكليزي- الروسي - الفرنسي - النمساوي بالدولة العثمانية، وخروج ألمانيا دون الحصول على أي أرض عثمانية من العوامل التي دفعت حكومة السلطان عبد الحميد الثاني إلى التقارب مع ألمانيا، والاستفادة من تقدمها العلمي والعسكري^٥.

^١ - المصدر نفسه، ص ٣٠١-٣٠٠.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٣٠٢.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٣٠٢.

^٤ - المصدر نفسه، ص ٣٠٣.

^٥ - المصدر نفسه، ص ٣٠٣.

المبحث الخامس

سياسة توازن القوى

لقد أدرك بسمارك بعد تحقيق الوحدة الألمانية، وانتصاره على فرنسا بأن هذه الأخيرة لا تسعى إلى المصالحة، وروسيا لا يمكن الركون إلى صداقتها، والنمسا ما زالت تشعر بسخط على ألمانيا، ولذا سعى بسمارك إلى كسب ود وصداقة روسيا القيصرية من غير إغضاب بريطانيا، ومع النمسا من غير ابتعاد روسيا عنه، وكانت سياسته بحاجة إلى دهاء وكياسة، وهذا ما توفر في بسمارك، ولذا حاول قدر الإمكان إبعاد الخطير الفرنسي عن ألمانيا، وذلك بتشجيع فرنسا على الدخول في منافسات في شمال أفريقيا. فقد شجعها على احتلال تونس كي تتصادم مع إيطاليا، وشجع بريطانيا على أملاك مصر كي تتشاجر مع فرنسا، وكانت الاتفاقيات البحرية الانكليزية- الإيطالية لسنة ١٨٨٧، ثاراً للسياسة نفسها التي سعي إليها، والتي كانت تهدف إلى عزل فرنسا، وحرماها في أن يكون لها صديق في أوروبا. أما شرق أوروبا فقد سعى بسمارك إلى منع تكوين تحالف دولي قد تنظمه فرنسا ضد بلاده. كما عمد إلى تطوير علاقة بلاده مع روسيا التي كان يرى في دبلوماسيتها خادعة وماكرة، وأن صداقتها متقلبة، وكان يرى أنه إذا أضطر إلى الاختيار بين روسيا القيصرية والنمسا، فإنه سيؤثر في الدوام اختيار النمسا، وهذا فإنه عندما سوت الخلافات البلقانية سنة ١٨٧٨، عمل على أبرام معايدة سرية مع النمسا، ومن وراء ظهر حليفته روسيا القيصرية، وكان هذا العمل عاملاً حاسماً في تاريخ أوروبا، فإن بسمارك وضع بلاده بهذه المعايدة السرية في صف النمسا في نضالها القادر المرتقب ضد جامعة الأمم السلافية^١.

وأبرم هذا التحالف الثاني بين النمسا وألمانيا سنة ١٨٧٩، ثم أصبح بانضمام إيطاليا إليه سنة ١٨٨٢، التحالف الثلاثي، وهو التحالف الذي استمر حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، وأنه كان حجر الزاوية لقيام هذه الحرب، ولم يكن بسمارك يسعى إلى إثارة حرباً بين النمسا وروسيا، بل كان يسعى إلى تجنب مثل هذه الحروب، وكانت أوروبا على وشك الدخول في حرب في أثناء الحروب البلقانية.

إن الأوربيين قد عرفوا بأن الصرب كانوا يعملون بإيعاز من النمسا، وكان أمير الصرب مقيناً في عين روسيا، وأن البلغار كانوا خاصة من إتباع روسيا القيصرية، فإذا

^١ - أ.ه. فشر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٥ - ٣٩٠.

سمح لهذا الشجار بين بلغاريا، والصرب، بأن يطول أكثر مما يطول، فإنه ربما يؤدي إلى احتكاك بين روسيا والنمسا، وأن ذلك سيجر جهوده لتجنب حرباً كهذه، في حين وقفت بريطانيا حرة قبالة المحالفات المضادة لفرنسا، وفي عزلة تامة، فلم تجرأ حكومة انكليزية حرة كانت أم محافظة على أن تربط الشعب الانكليزي بمحابي السياسات الأوروبيية.^١

أما الألمان، فكانوا على درجة من الحساسية بحمل العلاقات الأوروبية. فقد شعروا بان صدقة بريطانيا تعني عداوة الروس، فلاح لبعض ساستهم أبرام معايدة سرية مع بريطانيا تبعدها عن فرنسا فكرة جذابة، وحاول بسمارك تحقيقها مع الحكومة البريطانية، ولكن الساسة الانكليز أعلناو أنهم يكرهون الدخول في معاييرات سرية، وقالوا أنه لابد من اطلاع البرلمان ،والملكة عليها، ولما كانت الحكومات الانكليزية تتغير دوماً، وليس هناك ضمان عند بسمارك في عدم تغيير وزارة ما انكليزية سياستها، وهذا لم تبرم معايدة بين ألمانيا وبريطانيا خلال حكم بسمارك، كما أن ألمانيا بدخولها حلب الاستعمار ضاعفت كثيراً من فرص الاحتكاك بينها وبين إنكلترا. فقد كان هناك احتكاك بين الدولتين بقصد فيجي، وغيانا الجديدة، وبقصد أفريقيا الجنوبية الغربية، وأفريقيا الوسطى، وحينما تكون العلاقات الألمانية جيدة مع روسيا كان في وسع بسمارك أن يتوجهه مع بريطانيا مما يؤدي إلى أرضاء الحكومة القيصرية، والشعب الألماني، إلا أن إثارة إنكلترا، وتحديها لم تكن بجأمونة العواقب إلا حينما تكون علاقاته مع روسيا ودية، ولكن عند ظهور أول بادرة لتذكر العلاقات الروسية- الألمانية كانت بريطانيا ترجع إلى أرضائه^٢.

و مع هذا ظل بسمارك لا يشعر باطمئنان، لأنه برغم تحالف العواهيل الثلاثة، وبرغم التحالف الثلاثي، والتفاهم بين ايطاليا وبريطانيا، وبرغم مخالفات النمسا وال مجر الأخرى مع الصرب ورومانيا، وبرغم معااهدة سورية تأكيدية أبرمها مع روسيا القيصرية سنة ١٨٨٧، برغم هذا كله بقى بسمارك خائفاً يخشى فوق صدره شبح نشوب حرب تجبر فيها ألمانيا على القتال في جبهتين^٣.

١- المصدر نفسه، ص ٣٩١-٣٩٢.

² - المصدر نفسه، ص ٣٩٣-٣٩٤.

³ - المصدر نفسه، ص ٣٩٤

لقد ركز بسمارك جهوده في ميدان السياسة الأوروبية ليكفل دور الزعامة في القارة الأوروبية، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ربط ألمانيا بسلسلة من الأحلاف والاتفاقيات الدولية:-

١. اتفاق الأباطرة الثلاثة سنة ١٨٨١، وضم ألمانيا وإمبراطورية النمسا- المجر، وروسيا وقد انقضى سنة ١٨٨٧.
٢. الحلف الثلاثي سنة ١٨٨٢، والذي ضم ألمانيا، وإمبراطورية النمسا- المجر، وایطاليا، وتجدد لعدة مرات حتى الحرب العالمية الأولى. وقد ضعف مفعوله بعد إقصاء بسمارك عن السلطة.
٣. حلف ثالثي آخر، ضم ألمانيا، وإمبراطورية النمسا- المجر، ورومانيا، وابرم في سنة ١٨٨٣.
٤. اتفاق إعادة التأمين سنة ١٨٨٧، وهو اتفاق سري بين ألمانيا وروسيا وكان الغرض منه تامين سلامة روسيا ضد عدوan محتمل قد يقع عليها من جانب إمبراطورية النمسا- المجر، وكان هذا الاتفاق يعد حجر الزاوية في الدبلوماسية البسماركية التي تتلخص في التحالف مع إمبراطورية النمسا- المجر، وفي الوقت ذاته الاحتفاظ العلاقات ودية مع روسيا القيصرية.
٥. اتفاق أيار في العام ١٨٨٧، بين ایطاليا واسبانيا، وقد انضمت إليه ألمانيا، وإمبراطورية النمسا- المجر، للمحافظة على الوضع الراهن في البحر المتوسط، وبلا^١د المغرب.

قبالة هذا التكتل الضخم بزعامة ألمانيا، رأت فرنسا نفسها في عزلة تامة خصوصاً أنها كانت في صراع مستمر مع بريطانيا بسبب تنافس البلدين في الميدان الاستعماري في أفريقيا والشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا، ومن الجدير بالذكر أن بريطانيا اتبعت في العهد البسماركي سياسة العزلة الجيدة ، فلم تكتم كثيراً بميزان القوى في أوروبا في ذلك الوقت إلا بالقدر الذي يمكنها من توسيع وتوطيد أركان إمبراطوريتها الاستعمارية الكبرى، وهذا هو السبب الذي دعاها إلى التعاون مع ایطاليا ومع إمبراطورية النمسا- المجر اتفاق العام ١٨٨٧، على اعتبار أن هاتين الدولتين تنافسان فرنسا في شمال أفريقيا وروسيا القيصرية في البلقان على التوالي. وقد حقق النظام البمساركي استقراراً كبيراً

^١ - د. سمعان بطرس فرج الله، (العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين)، الجزء الأول، ط١، القاهرة، مكتبة الاجلو المصرية، ١٩٧٤، ص ٩٧-٩٨.

في أوربا، ولكن عييه الأساس انه قام على تناقضات صارخة فقد جمع بين أعداء الداء الذين لم يتنازل أي منهم عن مطامعه، فإمبراطورية النمسا- المجر هي العدو التقليدي لروسيا القيسارية في البلقان، ومنافسه ايطاليا في منطقة بحر الادرياتيك بقدر ما كانت بريطانيا عدواً لروسيا التقليدي في الشرق الوسط وفي أواسط آسيا، ولم يكن بمقدور بسمارك وحده بفضل عقربيته الدبلوماسية الجمع بين هؤلاء الأعداء في إطار نظام اتفافي متكملاً، ولذلك كان من المتوقع أن ينهار النظام بأكمله، باختفاء بسمارك من مسرح السياسة الأوروبية¹.

بعد سقوط بسمارك قطع خلفاؤه الخيط الرفيع الذي كان يربط الشبكة من الأحلاف المتنافضة، ألا وهو الاحتفاظ بعلاقات ودية مع روسيا إلى جانب التحالف مع إمبراطورية النمسا- المجر، فتحت تأثير رئيس أركان الجيش الألماني، ومستشاره، وزيرة الخارجية، رفضت الحكومة الألمانية الجديدة تجديد اتفاق إعادة التامين مع روسيا القيصرية بعد حلول أجله سنة ١٨٩٠، لقد رفضت ألمانيا تجديد هذا الاتفاق للأسباب الآتية:-

١. اعتقاد الحكومة الألمانية الجديدة أن روسيا القيصرية وليس فرنسا تشكل الخطير الأكبر على زعامة ألمانيا في القارة الأوروبية.

٢. اعتقاد الحكومة الألمانية الجديدة انه إذا افتضحك أمر اتفاق إعادة التامين مع روسيا وكان اتفاقا سريافان هذا سيؤدي إلى إضعاف، بل إلى هدم التحالف الثلاثي بين ألمانيا، وإمبراطورية النمسا-الجر، وایطاليا.

٣. خشية الحكومة الألمانية الجديدة من افتضاح أمر اتفاق إعادة التامين المذكور سيؤدي إلى معاداة بريطانيا، لأن هذا الاتفاق كان ينص على تأمين ألمانيا لسياسة إغلاق المضايق التركية وهي السياسة التي كانت روسيا القيصرية تسعى إلى تحقيقها في ذلك الوقت^٢.

والحق، فإن الحكومة الألمانية الجديدة أرادت تغيير سياسة بسمارك تجاه روسيا القيصرية تلك السياسة التي كانت تهدف إلى تأمين سلامة روسيا في منطقة البحر الأسود، وفي البلقان، ومنعها وبالتالي من الاتجاه نحو التحالف مع فرنسا، فالاعتبارات الثلاثة أعلاه لتبين تراجع الدبلوماسية الألمانية عن سياسة بسمارك منبعها في الواقع عد

¹ - المصدر نفسه، ص ٩٨.

² المصدر نفسه، ص ٩٩-١٠٠.

واحد، وهو الخوف من أطماع روسيا القيصرية التوسعية في المستقبل في منطقة أوروبا الشرقية والوسطى. وقد افھمت هذه السياسة الجديدة تقوية الحلف الثلاثي، وبصفة خاصة تقوية العلاقات الألمانية- النمساوية من جانب، وتدعم تقارب ألمانيا من بريطانيا من جانب آخر في الأقل إلى أن تستكمل ألمانيا سيطرتها التامة على القارة الأوروبية إلى حيث أتمام خطة سلحها البحري¹.

لقد انتهت الحكومة الألمانية الجديدة نقىض سياسة بسمارك، وذلك عن طريق تقوية الروابط الألمانية- النمساوية ذلك الوعد الذي قطعته الحكومة الألمانية على نفسها بعدم السماح بحصول روسيا على امتيازات في الشرق الأوسط دون موافقة النمسا، وكذلك عدم السماح بتسوية قضية المصايف العثمانية بما يتفق والمصالح الروسية، ولكن تقوية العلاقات الألمانية- النمساوية كانت في الواقع مسألة قانونية، إذ أنه لم يكن من المتوقع على الإطلاق أن تنفصل إمبراطورية النمسا- المجر عن التحالف الثلاثي، الأمر الذي كان محل شك هو موقف إيطاليا، فكان يجب على الحكومة الألمانية الجديدة، حيث أنها اعتمدت أساساً على تقوية التحالف الثلاثي، أن تقوى رابطة تحالفها مع إيطاليا. فقد كانت فرنسا تهدف أساساً إلى فصل إيطاليا عن التحالف الثلاثي، كما سعت إلى أضعاف علاقات الصداقة بين إيطاليا وبريطانيا، ومن ثم أضعاف أوامر التعاون والتضامن بين بريطانيا، وإيطاليا، وإمبراطورية النمسا- المجر بخصوص منطقة البحر المتوسط، وكان هذا التجمع أساساً موجهاً ضد فرنسا، ولتحقيق هذا الهدف جأت فرنسا إلى وسليتين: الضغط المالي والاقتصادي من ناحية، والتعاون مع الفاتيكان من ناحية أخرى. فقد أوقفت فرنسا جميع معوناتها الاقتصادية التي كانت تقدمها إلى إيطاليا، بل أنها سحبت رؤوس الأموال الفرنسية المستثمرة فيها، كما شنت ضدها حرب الحواجز الكمركية، وكان لهذه التدابير تأثير سئ في الاقتصاد الإيطالي، كما جأت فرنسا من ناحية أخرى إلى سياسة التعاون مع الفاتيكان الذي كان في نزاع مع الدولة الإيطالية منذ توحيدها، ومع ذلك، فإن جميع وسائل الضغط هذه فشلت في جعل إيطاليا على الانفصال عن الحلف الثلاثي، أو قطع علاقتها مع بريطانيا، ويرجع الفشل أساساً إلى أن كريسي رئيس وزراء إيطاليا في ذلك الوقت كان يمينياً متطرفاً، وكانت له أطماع في شمال أفريقيا، وتونس،

¹ - المصدر نفسه، ص ١٠٠.

ومن ثم كان عدواً لفرنسا، ولما سقط كريسي في العام ١٨٩١، حاولت فرنسا مرة أخرى التأثير في إيطاليا لتضعف علاقتها مع ألمانيا، والنمسا، وبريطانيا^١.

الحلف الفرنسي - الروسي:

لم تكن فكرة إنشاء هذا الحلف حديثة، ولكنها تجددت بعد زوال بسمارك. فقد ظهرت بوادر الصداقة بين البلدين بعدة مظاهر، مثل: منح فرنسا القروض إلى روسيا، وإرسال أسلحة فرنسية إليها، وقد أنتاب القلق قيصر روسيا أثر التخلّي عن معايدة إعادة التأمين، وشعر بالمخاطر من جراء المطامع النمساوية في البلقان، وصعب عليه أن يرى التقدم الانكليزي في آسيا، فتغلب على عدائه للنظام الجمهوري القائم في فرنسا، وقرر في العام ١٨٩١، أن يدعم حلفه الداعي مع فرنسا، وأشترط أن يبقى طي الكتمان، وفي العام التالي في ١٨٩٢، وقع الطرفان، فضلاً عن ما تقدم، اتفاقية عسكرية أضفت على الحلف وظيفته العملية، وسرعان ما شعرت أوروبا باتفاق السياسيين الروسية والفرنسية، ففرنسا لم تبق وحدها، وفهمت ألمانيا أنها في حالة نشوب الحرب ستضطر أن تقاتل في جبهتين، وفي العام ١٨٩٩، مدد أجل التعهدات الفرنسية- الروسية إلى أجل غير مسمى، ولم تصبح مجرد أقامة سلم فحسب، بل تأمين توازن قوى أوربي^٢.

وقد مر أبراً الحلف بعدة مراحل دامت قرابة أربع سنوات. فقد بدأت المفاوضات في أيار من العام ١٨٩٠، ولم يتم أبراً الحلف رسمياً، إلا في كانون الثاني في العام ١٨٩٤، ولا شك أن السبب الرئيس في تأخير أبراً الحلف يرجع إلى ماطلة وتردد الدبلوماسية الروسية. فقد كان قيصر روسيا يمتنع بشدة النظام الجمهوري في فرنسا، هذا فضلاً عن أنه لم يكن يثق كثيراً في الحكومات الفرنسية غير المستقرة، كما أنه كان يخشى أنه إذا تحالف مع فرنسا، فإن هذه الأخيرة قد تستغل هذا التحالف لشن حرب هجومية ضد ألمانيا لاستعادة إقليمي الالزاس، واللورين، فضلاً عن ذلك من أن وزير خارجية روسيا جيير، كان يأمل دوماً في إعادة العلاقات الألمانية- الروسية كما كانت عليه في عهد بسمارك، ولذلك لم تقدم روسيا القيصرية نهائياً على التحالف مع فرنسا إلا بعدما تبيّنت استحالة ضمان حدودها الغربية، والجنوبية الغربية باتفاقها مع

^١ - المصدر نفسه، ص ١٠١.

^٢ - لويس دوللو، التاريخ дипломатический، ترجمة: د. سموحي فوق العادة، ط٢، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٢، ص ٥٠.

ألمانيا، وتلك الضمانة التي كانت الموضوع الرئيس لاتفاق إعادة التأمين، ومن ناحية أخرى كانت فرنسا متلهفة إلى التحالف مع روسيا للخروج من العزلة التي فرضها عليها بسمارك، وضمان حدودها الشرقية لمواجهة التحدي البريطاني في الميدان الاستعماري، وبصفة خاصة في مصر، وأعلى النيل، وفي جنوب شرق آسيا، والتحدي الإيطالي في شمال أفريقيا^١.

والحق، أن تحالف روسيا القيصرية مع فرنسا لم يكن بقصد معاداة ألمانيا أو معاداة النمسا عن طريق أتباع سياسة عدوانية توسعية في شبه جزيرة البلقان، فإن هدف روسيا القيصرية الأساس كان أتخاذ موقف دفاعي فقط في مواجهة أي سياسة توسعية من جانب إمبراطورية النمسا- البرج بمساعدة ألمانيا أو بعبارة أخرى: المحافظة على الوضع الراهن في المنطقة، ولكن إذا أقدمت النمسا بعفردها على محاربة روسيا القيصرية، فإن التحالف الفرنسي- الروسي لا يعلم به.

إن الحلف الفرنسي- الروسي يعمل على تحقيق هدف الدبلوماسية الروسية في البلقان في مواجهة إمبراطورية النمسا- البرج، فهو إذن يقوم مقام اتفاق إعادة التأمين، ولكن هناك نواص في الحلف، إذ لم ينص الحلف على حالة الحرب بين روسيا، والدولة العثمانية أو بين روسيا، وبريطانيا، حتى بصدق المسائل البلقانية، ثم أن الحلف لا يشمل الحروب التي قد تندلع بسبب التنافس الروسي- البريطاني، أو الروسي- الياباني في الميدان الاستعماري^٢.

أما بالنسبة لفرنسا، فإن التحالف مع روسيا القيصرية قد يحقق لها هدف المحافظة على الوضع الراهن فعلاً على حدودها الشرقية، فلم تهدف فرنسا في تلك المدة إلى استعادة إقليمي الاندرايس، واللورين من ألمانيا بالقوة. كل ما أراداته فرنسا هو الوقاية من عدوان ألماني محتمل لكي تتفرغ لعمليات توسيعها في الخارج، ولكن في الواقع الأمر، فإن الصورة التي أخذتها التحالف الفرنسي الروسي، وهي صورة التحالف العسكري ضد دول الوسط أدى إلى نتيجة عكسية تماماً بالنسبة إلى فرنسا، فبدلاً من أن يكون هذا التحالف وقاية لفرنسا من خطر ألماني وهي تسبب في أيجاد خطر ألماني واقعي، وتفسير

¹ - د. سمعان بطرس فرح الله، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩.

² - المصدر نفسه، ص ١٠٩.

ذلك أن الحلف الفرنسي - الروسي، أدى إلى تغيير الخطط الإستراتيجية الألمانية بحيث أصبحت موجهة أساساً ضد فرنسا.^١

وبعد أبرام الحلف الفرنسي - الروسي أصبحت الحرب على الجبهتين حتمية لألمانيا، وليس مجرد احتمال فقط، إذ كانت ألمانيا قد وضعت خطتها الحربية على أساس تدمير القوة العسكرية الفرنسية أولاً قبل محاربة روسيا القيصرية، حيث أن الطبيعة الجغرافية لروسيا لا تساعده على هزيمتها بضربة قاضية عاجلة، ومن ثم، فإنه يكون من الضروري توجيه هذه الضربة إلى فرنسا أولاً ثم تركيز المجهود الحربي ضد روسيا القيصرية بعد ذلك، وهكذا أدى التحالف الفرنسي - الروسي إلى خلق خطر ألماني على فرنسا بعد أن كانت ألمانيا تتبع حتى ذلك الوقت سياسة دفاعية بحتة على حدودها الغربية، ويبدو هذا الخطر بصفة خاصة في أن هجوم ألمانيا على فرنسا أصبح حتمياً حتى في حالة اشتباك روسيا القيصرية وإمبراطورية النمسا - المجر في البلقان.^٢

ومع ذلك فقد ترتب على هذا التحالف نتائج في غاية الخطورة، فقد خرجت فرنسا من العزلة التي فرضها عليها بسمارك. كما تخلصت روسيا من العزلة التي أراد فرضها عليها إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني، ومن ناحية أخرى انتهى عهد الزعامة الألمانية في القارة الأوروبية، ونشأ توافق جديدي يتلخص في انقسام القارة إلى كتلتين: الحلف الثنائي الفرنسي - الروسي في مواجهة الحلف الثلاثي ألمانيا، وإمبراطورية النمسا - المجر، وإيطاليا مع قيام بريطانيا بموازنة قوة الكتلتين وفقاً لصالحها الاستعمارية.^٣

لقد تم تمجيد الحلف الثلاثي في العام ١٨٩٦، وفي المرة الأولى، في العام ١٩٠٢، في المرة الثانية، وكانت ألمانيا تزعمه تاركة لإمبراطورية النمسا - المجر مركز الدولة الثانية، في حين ظلت إيطاليا تبدي مزيداً من الاستقلال في التصرف، لأنها لم تكتف عن المطالبة ببعض المكاسب في البلقان، والبحر الأبيض المتوسط، وإذا تعذر ذلك، فكان يراود طموحها استعادة بعض المناطق التي تربطها بها، أو انصر الجنس أو اللغة، وفي العام ١٩٠٠، وقعت فرنسا أتفاقاً ينطوي على تخلي الطرفين عن مطامعها في طرابلس

^١ - المصدر نفسه، ص ١١٠.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١١١-١١١.

^٣ - المصدر نفسه، ص ١١١.

الغرب، والمغرب، ثم أكدت ب المناسبة تجديد الحلف الثلاثي على أنها لا تشتراك في أي حرب تعلن ضدها^١.

الحلف الانكليزي - الياباني ومحاولات التقارب الانكليزي - الألماني:

لقد أقتضى الانكليز بأن سياسة العزلة لم تبق ممكنة إزاء الأخطار التي تمثل في الإمبراطوريتين الروسية والألمانية، وأن موقف الولايات المتحدة الجديد يحمل بذاته انكلترا على التفكير في الموضوع، لأن الأولى لم تكتف بطرد إسبانيا من القارة الغربية، وإنما بلغت الجرأة بها إلى أن طالب بريطانيا بالتخلي عن ضمها لشقة قناعة بينما، ومنعها من ثم في العامي ١٩٠٢، و ١٩٠٣، من التدخل في فنزويلا التي اقتدت بالمكسيك، ورفضت تأدية ديونها^٢.

وهكذا توصلت بريطانيا إلى الأيمان بأن عزلتها لم تكن أمراً عظيماً، وقررت منذ العام ١٨٩٨، الخلاص منها دون أن تمس جوهر مبادئها، وقد بدا لها أن ألمانيا هي أوفر الشركاء ، وفي الوقت نفسه كان الإمبراطور غليوم الثاني مؤيداً للتقارب مع بريطانيا، وافتتحت المفاوضات الانكليزية - الألمانية في العام ١٨٩٨، واستؤنفت عدة مرات حتى العام ١٩٠٢، غير أنها انتهت بالإخفاق، إذ رفضت ألمانيا تحديد تسلحها البحري، ورفضت بريطانيا حلفاً عاماً رغم قبولها في الوقت نفسه، أي العام ١٩٠٢، عقداً مماثلاً له مع اليابان، فهذا الحلف الانكليزي - الياباني يدل في آن واحد على انتهاء عزلة بريطانيا، وانفصام اتحاد الدول العظمى الأوروبية في الشرق الأقصى الذي كان يؤلف قوهم إزاء العالم الأصفر، ومن دواعي التقارب بين البلدين خوفهم المشترك من روسيا التي كانت جيوشها مرابطة في منشوريا، ولقد تحالفت اليابان مع بريطانيا بعد قبولها التخلص عن كوريا بمقابل الاعتراف بمعاصلها في الصين، غير أن التحالف مع اليابان لم يمنح بريطانيا مجرد سند في الشرق الأقصى في الوقت الذي تحتاج فيه إلى حلليف في سياستها العامة، ولما كان اتفاقها مع ألمانيا متعرضاً بدت فرنسا على المسرح، وهي تملك جيشاً ذا قيمة ومصالح استعمارية هامة. وقد شجع ذلك على التقارب بينهما^٣.

ولما تحالفت بريطانيا مع اليابان كانت تملك قوة بحرية كبيرة، وكذلك أصبحت اليابان أقوى قوة بحرية في المحيط الهادئ، وتمكنت بواسطة أسطول نظم على النمط

¹ - لويس دوللو، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨.

² - المصدر نفسه، ص ٥٩.

³ - المصدر نفسه، ص ٦٠.

البريطاني، وجيش مدرب طبق النظام الحربي الألماني من دحر الصين في حرب قصيرة الأجل ١٨٩٤-١٨٩٥، بل لقد بلغت اليابان من القوة في البر والبحر، وأصبحت من الجبروت بتضليل الأسلحة الحربية الغربية، وشجاعة أبنائها بحيث لم ينقض ثلاث سنوات على عقدها المعاهدة الانكليزية حتى خرجت منتصرة من حرب مع روسيا ١٩٠٤-١٩٠٥.^١

ولما ظهرت ألمانيا قوة أوروبية كبيرة، بُرِزَ عدد من الساسة الانكليز ممن يدعون إلى الصداقة معها، وما ساعد على ذلك تطور العلاقات الاقتصادية بين البلدين، بيد أن الألمان كانوا لا يرون في صداقتهما أهمية كبيرة، إذ أن الانكليز بالنسبة لهم وقفوا وقفه الحياد إزاء الحروب التي خاضتها ألمانيا من أجل وحدتها، فالانكليز عطفوا على الدانماركيين في حربهم مع بروسيا، وأظهروا ميلاً إلى انتصار النمساويين سنة ١٨٦٦، وتعاطفوا مع فرنسا في حربها مع بروسيا سنة ١٨٧٠، وكذلك كانت هناك آراء متعارضة بين الطرفين، ففي حين كانت عصبة جامعة الأمم الألمانية المؤسسة في العام ١٨٩٣، تقترح ضرورة ضم النمسا والأقاليم الخاضعة لسويسرا، وهو لندن إلى الرياح الألماني، قنع إمبراطور ألمانيا بأن يعين لنفسه ثلاثة مناطق جديدة للنفوذ الألماني، إذ أرتعب أن يلقى في كل منطقة معارضة انكلترا الدبلوماسية، وكانت المنطقة الأولى الإمبراطورية العثمانية، والثانية المستعمرات، وكانت البحار المنطقة الثالثة، والأهم من ذلك مساعي ألمانيا لإنشاء أسطول بحري.^٢

الاتفاق الودي الإنكليزي- الفرنسي:

وقد وقعت الحكومتين الإنكليزية والفرنسية الاتفاق الودي سنة ١٩٠٤، وهو عبارة عن صفة استعمارية راجحة لكليهما، والتي بوجبهما تعرف فرنسا بالحقوق الخاصة التي كسبتها انكلترا في مصر مقابل أن تعرف انكلترا بمراكز فرنسا الخاص بمراكش، وقررت الاتفاقية باتفاق سري عين حدود منطقة النفوذ الفرنسي في مراكش في حالة حدوث تفاهم مع إسبانيا، وفي الوقت نفسه سوية الخلافات البارزة بين الدولتين حول بعض المناطق الاستعمارية. وقد لاحظ لورد روزبيري زعيم حزب الأحرار يومئذ أن ألمانيا،

^١ - أ.ه. بشير، مصدر سابق ذكره، ص ٤٠٢.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٤٠٤-٤٠٥.

وهي أقوى دولة حربية في أوروبا لم يؤخذ رأيها في مسألة مراكش فأنتقد المعاهدة مبيناً بأن الاتفاق الودي مع فرنسا سيقود انكلترا في النهاية إلى حرب مع ألمانيا^١.

الاتفاق البريطاني - الروسي ١٩٠٧:

كانت حكومة روسيا القيصرية بعد هزيمتها في حرب ١٩٠٤-١٩٠٥، وبعد إتمام الثورة الكبيرة الداخلية فيها العام ١٩٠٥، ترى عن حق أنها بحاجة إلى أصدقاء بدلًا من أثارة العداوات سواء القديمة، أو التقليدية، أو الجديدة، وكذلك تدرك تماماً أن القوى التي تحول دون توسعها هي بريطانيا، والنمسا، وألمانيا، ولم يبق قبالة روسيا القيصرية جهات تتسع فيها بعد أن أغلقت اليابان في وجهها سوى الدولة العثمانية، ولما كانت بريطانيا ترفض توسيع روسيا القيصرية حيال الدولة العثمانية خوفاً على المضائق قبالة السفن الحربية الروسية، وتعارض بشدة، أي توسيع روسي في اتجاه الأناضول، وشمال العراق، إذ كان الانكليز يتهمون السياسة الروسية بالخطف للوصول إلى الخليج العربي مفتاح الطريق إلى الهند، وفيما يتعلق بالبلقان، فإن إمبراطورية النمسا - المجر كانت تعارض كل تحرك روسي هناك، وتوجهه بشكل مضاد، وكانت السياسة نفسها تبعها روسيا القيصرية إزاء النمسا في البلقان، ولكن كانت الدول البلقانية كثيرة التقلب في سياستها، إذ كانت تميل إلى هذه أو إلى تلك سعيًا وراء المكاسب الأرضية بأية طريقة، ونظرًا لعدم قدرة أي من النمسا وروسيا القيصرية على التحكم في نتائج تفوق أي منها في البلقان، وخطورة مثل هذا التفوق على التوازن الدولي فقد اتفقنا في العام ١٨٩٧، على الإبقاء على الوضع الراهن في البلقان، وأستمر الأمر كذلك حتى العام ١٩٠٣، عندما وقعت الثورة في Макدونيا ضد الحكم العثماني، وكذلك أصبحت آمال روسيا القيصرية في المشاركة في تحديد مصير ولايات الدولة العثمانية مهدداً بالتلاشي بسبب الدور المتضاد الذي أخذت تؤديه ألمانيا في الدولة العثمانية، وخاصة فيما يتعلق بمد خط سكة حديد برلين - بغداد، وحتى الكويت، وأصبحت ألمانيا إلى جانب بريطانيا قوة جديدة تحول دون الانطلاق في الدولة العثمانية، بل أصبح هناك اعتقاد في الدوائر السياسية الأوروبية أن المجال الحيوي لألمانيا هو الدولة العثمانية، وبوجه خاص في الأناضول، وفي العراق، ولم تبق سوى إيران لتعمل فيها روسيا، ولتشتت للعالم أنها ما تزال دولة كبيرة، وأنها أخذت تواجه بريطانيا في هذه الساحة، ولذا أصبح قبالة روسيا القيصرية لكي تفتح الطريق قبالة نشاطها التوسعية أن

^١ - المصدر نفسه، ص ٤١٢.

تصل إلى تفاهم مع الحلف الثلاثي أو مع بريطانيا، وحيث أن أي تفاهم مع ألمانيا يقضي بالضرورة على التحالف الروسي - الفرنسي بات التفاهم مع بريطانيا أكثر واقعية^١. وكانت بريطانيا في ١٩٠٦-١٩٠٧، قد قللت من تعنتها ضد روسيا التي ضعفت بعد حربها مع اليابان، إذ أصبح من المستبعد جداً أن تقامر روسيا القيصرية بحرب جديدة ضد دولة كبرى، ولما كانت قدرات ألمانيا الاقتصادية والعسكرية تزداد بشكل كبير، وقدد بريطانيا، ومستعمراتها، وبوجه خاص التطور العسكري الألماني البري، والبحري، ومشروع خط برلين - بغداد، ورفع معدلات صادراتها الصناعية بشكل ضخم حتى اكتسبت المصنوعات الألمانية شهرة عالمية أصابت التجارة البريطانية بخسائر متزايدة على مر السنوات، ولذا أصبح هناك مشروع مشترك لكل من روسيا وبريطانيا هو ألمانيا، وأن المشكلات القائمة بين روسيا القيصرية وبريطانيا قابلة للحل بعكس المشكلات بين روسيا، وكل من ألمانيا والنمسا.

وقد أدت فرنسا دوراً كبيراً في فتح الطريق قبلة التقارب الروسي - البريطاني، وفتح باب المفاوضات بين الطرفين لتسوية نقاط الخلاف بينهما، والذي يُعد من أكبر الانتصارات الدبلوماسية الفرنسية، وتم التوقيع على الاتفاقية الروسية - البريطانية في ٣٠ آب من العام ١٩٠٧، والتي وضعت النصف الشمالي من إيران تحت تصرف روسيا، والنصف الجنوبي تحت تصرف بريطانيا. أما الوسط، فترك للشاه القاجاري، وما أن عرف هذا الوفاق الودي الروسي - البريطاني حتى أدركت ألمانيا أن الطوق قد أحكم عليها، وأصبحت أوروبا قبلة كتلتين تتربص أحدهما بالأخرى، ولكن بصفة عامة كانت كفة دول الوفاق أقوى من كفة دول التحالف الثلاثي، والسبب في هذا هو أن بريطانيا كانت صاحبة تفوق بحري كبير يعادل ضعف أية قوة تالية لها، وفوق هذا أصبحت حليفة اليابان في الشرق الأقصى، وحملت اليابان في العام ١٩٠٥، مسؤولية الدفاع البحري عن الهند في حالة تعرضها للهجوم كما أصبحت على وفاق مع فرنسا أكبر قوة بحرية ضاربة في المتوسط، ومع روسيا صاحبة أكبر الجيوش عدداً، وكان هذا الارتباط البريطاني بروسيا، وفرنسا من العوامل الجوهرية التي أعطت لروسيا القيصرية، وفرنسا ثقة في النفس أكبر جعلتهما في بعض الأزمات، وليس في كلها تواجهان التحدى بشدة عالية، وكانت الأزمات هي التي قربت من ترابط دول الوفاق أكثر فأكثر، وأسرعت بأوروبا إلى الحرب العالمية الأولى^٢.

¹ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نغوي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٨-٣٦١.

² - المصدر نفسه، ص ٣٦١-٣٦٢.

الفصل السادس:

الحرب العالمية الأولى.

• **المبحث الأول:**

أسباب الحرب

• **المبحث الثاني:**

تطورات الحرب

• **المبحث الثالث:**

نتائج الحرب

الفصل السادس

الحرب العالمية الأولى

المبحث الأول

أسباب الحرب

من الأسباب المباشرة للحرب قيام طالب متطرف من أهل البوسنة، بإطلاق الرصاص على (الأرشيدوق فرانز فرديناند) ولي عهد النمسا في ٢٨ حزيران من العام ١٩١٤، في سراييفو عاصمة البوسنة، في حين كان يقوم بزيارة رسمية لتلك الولاية، فقتله هو وزوجته، فاجتاحت على أثرها عاصفة من الاستياء في مملكة النمسا - المجر، ومع أن تحقيقاً أجرته الحكومة النمساوية لم يتوصل لدلالة مباشرة، على تواطؤ الحكومة الصربية، في حين كانت شكوك النمسا - المجر تحوم حول تواطؤ صربيا في القضية، فاتجحت الحكومة النمساوية بدعم من الحكومة الألمانية بتحرك سريع نحو ضرورة إعلان الحرب على صربيا، والتي أعلنتها بالفعل في ٣٠ تموز من العام ١٩١٤، ويمكن أن نعزّو الأسباب الرئيسية إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى ما يلي:-

١. سياسة سباق التسلح: تصاعدت سياسة سباق التسلح في دول الوفاق الثلاثي، وفي إمبراطورية النمسا - المجر بشكل يفوق نفو تسليحها عما ما قبل حتى غداً شبح الحرب ماثلاً قبالة الأعين، إذ كانت الحكومات الديموقратية تسعى إلى كسب موافقة برلماناتها على اعتمادات التسلح، فتسهم في زيادة خطر وقوع حرب كبيرة، وكانت دوائر قياصرة ألمانيا، والنمسا، وروسيا تؤكد على الحاجة الملحة لمواجهة أوضاع استثنائية دولية، فضلاً عن الخطاب الحماسي للسياسيين والمقالات الصحفية المشيرة للمشاكل القومية، وفي خلال العام ١٩١٣، أصدرت الدول المتنافسة قرارات بفرض زيادة القوات المسلحة زيادة كبيرة في النمسا، وفرنسا، وروسيا، وظهرت الدعوة إلى التجنيد الإجباري في بريطانيا في العام ١٩١٢-١٩١١.^١

أن أبرز ما ظهر من سباق للتسلح هو سباق التسلح البحري بين بريطانيا وألمانيا. فقد بدأت ألمانيا منذ العام ١٩٠٠، في وضع أول خطة متكاملة لبناء قوتها البحرية التي أفلقت بدورها بريطانيا، والتي أخذت بدورها تعيد بناء مدمراتها من النوع الثقيل، ومن نوع جديد قابلته ألمانيا بإنتاج مدمرات ثقيلة بعد أكبر، وكان من شأن الخطة الألمانية تهديد التفوق البحري البريطاني بعد أن أصبحت قوة الدول البحرية تقدر بالقياس إلى

^١ - أ.ه. فشر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨٤.

عدد هذا النوع الجديد من المدمرات الثقيلة، وليس على أساس السفن التقليدية. علماً أن السباق على التسلح البحري لم يكن من مصلحة بريطانيا، لأن ألمانيا كانت تستطيع الاستمرار في عملية السباق، بل حتى التفوق فيها، نظراً لمقدرة العمال الألمان الفائقة في الميدان التكنولوجي، نظراً لانخفاض أجورهم نسبياً مقارنتها بأجور العمال البريطانيين^١. لقد كانت فكرة إنشاء أسطول بحري ألماني ترجع إلى مؤسس الأسطول البحري الألماني الأدميرال فون تربتزر الذي كان يرى أن تقدم ألمانيا الاقتصادي لا بد أن يؤدي إلى منافسة مع بريطانيا في مجال التجارة والاستعمار، وكان يرى أن خير وسيلة لإجبار البريطانيين على الاعتراف برغبات ومصالح ألمانيا في هذين المجالين هو إنشاء أسطول بحري مؤهل لخاتمة الأسطول الانكليزي، ولا شك أن بريطانيا كانت تعدّ نفسها سيدة البحار لامتلاكها أقوى أسطول بحري آنذاك نظرت بقلق إلى بناء القوة البحرية البريطانية. أما سباق التسلح البحري بين ألمانيا وفرنسا، فقد كان قائماً منذ نهاية الحرب بينهما في ١٨٧٠-١٨٧١، وقد بلغ هذا السباق ذروته في صيف العام ١٩١٣، في كل من ألمانيا وفرنسا^٢.

وفشل محاولات تحديد التسلح، ولم تصل إلى نتيجة، فقد دعت روسيا القيصرية إلى عقد مؤتمر للسلام في لاهاي لهذا الغرض في العام ١٨٩٩، إذ رفضت ألمانيا تحديد قوتها البرية، كما رفضت بريطانيا أي مساس بتفوقها في البحار، ولم يكن حظ مؤتمر لاهاي الثاني في العام ١٩٠٧، بأفضل من المؤتمر الأول فيما يتعلق بشرع السلاح، وعدها هذين المؤتمرين جرت أكثر من محاولة من قبل الحكومة البريطانية بسبب ضغوط الميزانية العسكرية للتوصل إلى اتفاق مع ألمانيا بشأن تحديد قوتها البحرية، وذلك للسنوات ١٩٠٨-١٩١٢، إلا أن جميع هذه المحاولات فشلت. فقد اشترطت ألمانيا على بريطانيا وقوفها على الحياد في حالة نشوب حرب بين ألمانيا، ودولة أخرى في أوروبا مقابل الموافقة على الحد من التسلح البحري، إلا أن الحكومة البريطانية رفضت أعطاء مثل هذا التعهد لألمانيا، لأنه قد يشجعها على مهاجمة فرنسا^٣.

٢. التنافس الاستعماري: يشغل التنافس بين الدول الأوروبية في ميدان الاستعمار جزءاً مهماً من تطور العلاقات الدولية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد أدت الثورة الصناعية إلى مساعي حثيثة من قبل الدول الأوروبية للحصول على المستعمرات بغية تأمين الأسواق الخارجية لمنتجاتها الصناعية الفائضة من جهة، والحصول على

^١ - د. سمعان بطرس فرج الله، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٤.

^٢ - د. خليل علي مراد، وجاسم محمد حسن، ود. عبد الجبار قادر غفور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٠.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٢٣١.

المواد الأولية اللازمة للصناعة، والمواد الغذائية من هذه المستعمرات. وقد خلق هذا التكالب على المستعمرات أزمات وصراعات سياسية وعسكرية بين الدول الأوروبية، وكانت بريطانيا وفرنسا قد سبقت غيرهما من الدول الأوروبية في ميدان الاستعمار، وتمكن من الاستيلاء على مناطق واسعة في آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر دخلت قوى أوروبية جديدة إلى ميدان التوسيع الاستعماري، وبدأت تطالب بحقها في امتلاك المستعمرات خارج أوروبا، وهذه القوى هي ألمانيا وإيطاليا، إلا أن دخول هذه القوى إلى الميدان الاستعماري جاء في وقت متاخر لم تعد فيه مناطق كثيرة يمكن التفكير في السيطرة عليها، ولا سيما أن اليابان انفردت تقريباً بالشرق الأقصى، وترتب على ذلك احتدام المنافسة الاستعمارية منذ مطلع القرن العشرين^١.

لقد تخلت ألمانيا عن سياسة بسمارك الذي كان يدعو إلى عدم التورط في ميدان التوسيع الاستعماري، لأن ذلك يضعف ألمانيا، ويورطها في صراع مع الدول الأوروبية، ولكن بعد تركه السلطة في العام ١٨٩٠، أصبحت ألمانيا ترغب في أن يكون لها ذات النفوذ الذي تمارسه أوروبا في القارات الأخرى. وقد رأت بريطانيا وفرنسا في هذه السياسة تهدداً لصالحها الاستعمارية. أما إيطاليا، فلم يكن دخوها ميدان الاستعمار بلا مشكلات فقد كانت تسعى إلى احتلال تونس، إلا أن فرنسا سبقتها في ذلك سنة ١٨٨١، الأمر الذي أدى إلى استياء إيطاليا، وتحالفها مع ألمانيا والنمسا، وأستمر هذا الاستياء حتى سنة ١٩٠٢، عندما وقعت اتفاقية فرنسية - إيطالية اعترفت فيها فرنسا بأطماع إيطاليا في ليبيا مقابل اعتراف الأخيرة بأطماع فرنسا بال المغرب^٢.

٣. مشكلات القوميات:أخذت ألمانيا تشعر بعد احتلالها للأlezas واللورين بعجزها عن امتصاص سكان هاتين المقاطعتين، وتشيلهم رغم التنازلات الواسعة التي قدمتها لهم، وظل سكان الأlezas واللورين يتطلعون إلى اليوم الذي يعودون فيه مجدداً إلى الوطن الأم فرنسا، وكانت إيطاليا تتطلع إلى استرداد تريستا، وترتنتيو التي بقيت خارج الدولة الإيطالية الموحدة، وتحت السيادة النمساوية، وكان البولنديون في شرق ألمانيا، وفي روسيا يتطلعون إلى الاستقلال، وتشكيل دولة بولندية، وكانت الأقلية الداغر كية في دوقية شلزفيك تتطلع إلى الانضمام مجدداً إلى الداغر، وكان الرومانيون في بخارابيا الخاضعة لروسيا، وفي ترانسلفانيا الخاضعة إلى المجر يتطلعون إلى الانفصال

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

عنها، وتشكيل اتحاد تعااهدي من سلافي الجنوب يضم ولايات البوسنة والهرسك ودلاشيا، وكانت مملكة صربيا تسعى إلى قيام دولة يوغسلافية بزعامتها في البلقان، إلا أن الإمبراطوريات الثلاث روسيا، وألمانيا، والنمسا كانت تتحسس الخطر الحقيقي الذي يهددها من جراء الحركات التي تقوم بها هذه القوميات الواقعة بين بحر البلطيق شمالاً، والبحر المتوسط جنوباً، فألمانيا لم تفك يوماً في إعادة الألزاس واللوارين إلى فرنسا، بل كانت ترسم خططها العسكرية على أساس توجيه ضربة عسكرية أخرى إلى فرنسا، إذا ما حاولت استردادها، وكانت روسيا القيصرية ترى في تحرر الفنلنديين، وألمان البلطيق، والبولنديين، والرومانيين من سكان بساريما تهدداً بفقدان أسواقها الغربية التي أمنت التصرف بها على هواها منذ عهد بطرس الكبير، كما رأت في ذلك تحولاً للإمبراطورية الروسية من قوة ذات طابع أوربي إلى قوة ذات طابع أسيوي صرف، وإن الإمبراطورية النمساوية رأت في الحركة السلافية خطراً يهددها، ولذا حاولت أضعاف هذه الحركة بشدید قبضتها على الأقلیات القومية داخل الإمبراطورية، وضم البوسنة، والهرسك إليها، فأثارت بذلك استياء الأقلیات القومية.

كما أثارت مملكة صربيا في البلقان^١.

٤. العامل الاقتصادي: على الرغم من هذا التوتر الشديد الذي كان ينتاب أوروبا كلما وقعت أزمة كبيرة، كانت أوروبا تنمو اقتصادياً مستفيدة من تفوّقها في الإنتاج الصناعي، ونمو قدراتها الحديثة المتقدمة في النقل، ومن تختلف المستعمرات القديمة أو الجديدة التي كانت تحت غير الدول الأوروبية الاستعمارية، إلا أن الأسواق الاستهلاكية في هذه المستعمرات، وفي العالم القديم المتخلف كانت تستوعب كميات مضاعفة من الإنتاج الأوروبي الأمر الذي ألهب المنافسة سوءاً اقتصادياً أو عسكرياً عند دراسة الأوضاع الاقتصادية الرئيسية في أوروبا، وفي الوقت الذي كان فيه حجم التجارة الدولية يزداد شدة. وقد بالغ العديد من المؤرخين في تصوير هذا التناقض الاقتصادي بين دول الوفاق، ودول الحلف الثلاثي حتى لقد جعلوا العامل الاقتصادي العامل الأول الذي أدى إلى قيام الحرب العالمية الأولى^٢.

٥. العامل السياسي: لقد شكلت قضية استرجاع الألزاس، واللوارين هدفاً أساسياً لفرنسا، لأنها مثلت للفرنسيين عامل الكرامة القومية، والعمل على استعادة مكانتهم الدولية بعد تلك الأهانة البالغة التي نزلت بهم، ولهذا شكل ذلك هماً رئيساً بالنسبة

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

^٢ - د. عبد العزيز سليمان نوار ود. عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩١.

لفرنسا لاستعادتها، ولو عن طريق شن الحرب وأخذ المسؤولون الفرنسيون يفكرون في أهداف حربهم لا على أنها بقصد استرداد الإقليمين الفرنسيين المحتلين، بل على أساس التوسيع الفرنسي في ألمانيا بالسيطرة، مثلاً على أجزاء من الضفة اليسرى للراين، كما بلغ بالمسؤولين الفرنسيين من ثقة بالنفس أنهم أخذوا يفكرون في تفتيت إمبراطورية النمسا - الجر عن طريق العمل على استقلال القوميات العديدة الموجودة فيها، فبذلك تفقد ألمانيا دعامتها القومية في وسط أوروبا، وكذلك شكلت فكرة الدفاع عن الإمبراطورية الفرنسية بوصفها إمبراطورية استعمارية مصلحة مهمة عند القادة الفرنسيين، والتي تتدنى في شمال وغرب أفريقيا. أما روسيا، فكان قيصرها يريد أن يمسح عن نفسه، وهن حكومته عار الهزيمة قبلة اليابان ، وكان يدرك أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا باستمرار تحالفه مع فرنسا، ووفاقه مع بريطانيا، إذ أن كل أبواب التوسيع كانت قد سدت في وجه روسيا القيصرية فيما عد البلقان الذي تقف فيه النمسا - الجر تؤيدها ألمانيا لأي تحرك روسي، وكذلك كان قيصر روسيا، وحكومته شديدي القلق من تنامي المصالح الألمانية في الإمبراطورية العثمانية المتمثلة في مد خط حديد برلين - بغداد، وفي ثغر حجم استيراد الدولة العثمانية حاجتها العسكرية من ألمانيا، وكان تطور العلاقات العثمانية - الألمانية يؤدي إلى إقصاء روسيا عن مجاهها الحيوى: الدولة العثمانية حيث أصبحت القسطنطينية، ومضايق البوسفور، والدردنيل في متناول الألمان¹.

أما الدولة العثمانية فقد كانت الأطماع الفرنسية والبريطانية تشكل بوضوح سافر سياسة استعمارية تستهدف تقويض الدولة العثمانية، والسيطرة على العراق، وببلاد الشام، والمضايق نفسها في الوقت الذي تزداد فيه المصالح الألمانية في الدولة العثمانية بشكل كبير كما ذكرنا، وكانت روسيا القيصرية تشكل الخطر الأعظم على مستقبل الدولة العثمانية التي أضفتها الحروب البلقانية، وكانت روسيا تسعى بوضوح إلى تقويتها، في حين فشلت الدولة العثمانية في سنة ١٩١٤، في الوصول إلى تفاصي حقيقي مع دول الوفاق يحفظ لها كيانها، ويعيد إليها بعض ما فقدته في البلقان، ومصر، وحقيقة كانت هناك أصوات لها قيمتها تدعو إلى عدم التورط في الحرب، ولكن أنور باشا وزير الحرب كان موقناً أن النصر سيكون إلى جانب الألمان لا محالة، وأن الفرصة قد جاءت لستقى تركيا من أعدائها الكبار².

¹ - المصدر نفسه، ص ٤٠٨-٤١٨.

² - المصدر نفسه، ص ٤٣٤-٤٤٤.

المبحث الثاني

تطورات الحرب

انشطرت أوروبا إلى شطرين كبيرين: الحلف الثلاثي (المانيا، النمسا - الجر، وايطاليا) من جهة، والوفاق الثلاثي (فرنسا، وروسيا، وبريطانيا) من جهة أخرى، وانضمت إلى دول الحلف الثلاثي الدولة العثمانية، وبلغاريا، في حين انضمت إلى جهة الوفاق بلجيكا، وصربيا، ورومانيا، واليونان ثم انضمت إليها ايطاليا فيما بعد.

بدأت التحركات العسكرية بحركة التفاف ألمانية واسعة النطاق عند بلجيكا في اتجاه فرنسا بقصد توجيه ضربة حاسمة لها تخرجها من الحرب، ولكن تعزق الزحف الألماني نحو أسبوعين بسبب مقاومة الجيش البلجيكي، وحصون ليج، ونامور الشهير، وهناك أكتشف القائد الفرنسي بوجود خطأ في تركيز قواته في جبهة اللورين، الأمر الذي أتاح للألمان زحفاً سريعاً إلى قلب فرنسا، وأضطررت فرنسا إلى التراجع في مختلف الميادين حتى خط نهر المارن، ولم يخفف من العبء الشديد الملقي على عاتق الجيش الفرنسي في هذه الجبهة سوى اضطرار فون مولتكه رئيس أركان الجيش الألماني إلى نقل بعض فرقه من الجبهة الفرنسية بمنطقة ساحقة في موقعة تانيرج قبل اشتراك الفرق المنقولة إلى ألمانيا. لقد فشلت خطة كسب الحرب بحرب خاطفة على الجبهة الفرنسية في العام ١٩١٥، بسبب صلابة الجيش الفرنسي، والمساعدة العسكرية الانكليزية له، اتجه القادة الألمان إلى العمل على إخراج روسيا من الحرب عن طريق حرب خاطفة، وكانت المظاهر العامة توحى بأن هذه الخطة ستلachi في نجاحاً كبيراً في روسيا لما كان يعوزها من مؤن، وذخائر، ووسائل نقل حديثة، ولقد أحرزت الحملة الألمانية على روسيا انتصارات كبيرة جعلت بولندا، ولتوانيا، وأجزاء مهمة، وغنية، وواسعة من روسيا تقع تحت يد جيوش دولتي الوسط، فضلاً عن نحو مليونين من الروس ذهبوا بين قتل، وأسير، وجريح^١.

وزاد من حرج الموقف العسكري العام لدول الوفاق، وخاصة روسيا، أن الحملة الانجليزية إلى الدردنيل في أيلول من العام ١٩١٥، باءت بالفشل سواء في معارك البر أو البحر، واضطررت إلى الانسحاب، وضاع أمل روسيا في فتح المضايق لتوصيل المواد العسكرية اللازمة لها، في حين اجتاحت في تشرين الأول من العام

¹ - المصدر نفسه، ص ٤٥٣-٤٥٤.

١٩١٥، القوة الألمانية- النمساوية- البلغارية الصرب، ووصلت إلى تيرانا عاصمة ألبانيا دون أن تسهم إيطاليا التي دخلت الحرب منذ وقت قصير بشيء يذكر في حملة الدردنيل أو في القتال في البلقان، حتى تعرضت إيطاليا نفسها إلى حملة نمساوية- ألمانية أنزلت الهزيمة في موقعة كاربوبتيو في ٢٤ تشرين الأول من العام ١٩١٧^١.

وفي الجبهة الشرقية العثمانية أزلت بريطانيا قواها في مدينة البصرة في جنوب العراق، وتقدمت إلى الشمال. وقد توقف الزحف البريطاني عند الكوت، وهناك أرغم الأتراك الجيش البريطاني الذي حاصره على الاستسلام في أوائل العام ١٩١٦، أما في الجبهة المصرية، فكانت مبادرة الهجوم، والتقدم من جمال باشا حتى وصل إلى قناة السويس، إلا أن الجيش الانكليزي، والثورة العربية في العام ١٩١٦، أرغمت الأتراك على التراجع إلى ما وراء يافا، والقدس^٢.

وكما كانت قوى المتحاربين في العام ١٩١٥-١٩١٦، في الجهات البرية متعادلة تقريباً وكانت نتيجة المعركة الغربية الكبرى في جوتلاند في ٢ أيار من العام ١٩١٦، بين الأسطولين البريطاني والألماني متعادلة، وأن سارت موازين القوى البحرية بعد ذلك لمصلحة التفوق البريطاني، إذ أن الخسائر في الأسطول الألماني كان من المتعذر تعويضها، وحيث أن التفوق العددي لأسطول بريطانيا وفرنسا منع قطع الأسطول الألماني من الخروج من موانئها، فبقيت فيها^٣.

وحاولت ألمانيا أن تجوع بريطانيا، وقنع عنها إمداداتها من الدول المخايدة، وخاصة الولايات المتحدة عن طريق إغراق سفن بريطانيا، وسفن الدول المخايدة المعاملة معها بواسطة أعداد كبيرة من الغواصات بنتها على عجل، ولكن فشلت الخطة في النهاية بسبب استخدام بريطانيا نظام قوابل السفن التي تسير في حراسة الأسطول، ولأن عدداً كبيراً من هذه الغواصات دمرته قطع الأسطول الانكليزي^٤.

أما اليابان فقد دخلت، والولايات المتحدة الحرب بقرار ذاتي فقط، ولكن ضد رغبة بريطانيا. فقد رأت اليابان في الحرب الأوروبية فرصة ذهبية لتحقيق أطماعها التوسعية في الشرق الأقصى، ومن ثم أعلنت في آب من العام ١٩١٤، أي فور دخول

^١ - المصدر نفسه، ص ٤٥٤-٤٥٥.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٤٥٥.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٤٥٥.

^٤ - المصدر نفسه، ص ٤٥٥.

بريطانيا الحرب بأنها مستنصر ببناء على معاهدة التحالف البريطانية- اليابانية في العام ١٩٠٢، أي أنها ستتدخل ضد ألمانيا، ولكن بريطانيا طلبت منها أن يقتصر دورها على تدمير السفن الألمانية الموجودة في المياه الصينية، وذلك أن بريطانيا كانت تخشى أن تستغل اليابان انشغال دول الوفاق في الحرب الأوروبية لتوحيد نفوذها في الشرق الأقصى، وفي أب أعلنت اليابان الحرب ضد ألمانيا، وشرعت في تنفيذ مخططها في الشرق الأقصى، واضطربت بريطانيا إلى قبول انضمام اليابان إليها، ووافقت على أن تقوم البحرية اليابانية بأعمال دورية في منطقة المحيط الهادئ شمال خط الاستواء، وسرعان ما قامت اليابان باحتلال العديد من الجزر، وتوسعت في الأقاليم الصينية التي تسسيطر عليها ألمانيا(إقليم شانتونج، وإقليم كياشو)، بل تقدمت بخطاب شاملة إلى الصين تعنى إخضاع الصين لحماية اليابان، وطرد النفوذ الغربي منها، ورغم تحذير الولايات المتحدة للإمداد من فرض مطالبتها على الصين، فإن اليابان وتحت التهديد العسكري السافر عقدت اتفاقيات مع حكومة يوان شي كية في ٢٤ أيلول من العام ١٩١٥، نصت على موافقة الصين على معظم المطالب اليابانية. كما استغلت اليابان حرص دول الوفاق على دخول الصين الحرب ضد ألمانيا، وانشغل تلك الدول في الجبهة الأوروبية، وأرغمت دول الوفاق الثلاثي على قبول الاتفاقيات اليابانية- الصينية، وأدى التدخل الياباني إلى تغيير توازن القوى في الشرق الأقصى، فقد استولت اليابان على الامتيازات الألمانية في الصين، وفي المحيط الهادئ شمال خط الاستواء، وفرضت حمايتها الفعلية على الصين، وقد تقلص الدور الأوروبي محصوراً بين اليابان والولايات المتحدة^١.

وكان لدخول الولايات المتحدة الحرب في ٢ نيسان من العام ١٩١٧، أثر كبير في إنهائها لصالح الحلفاء. فقد ساعد ذلك بريطانيا وفرنسا في مقاومة الهجمات الألمانية والحاصار المضروب على شواطئهما وبسبب فشل المخططات الألمانية في جر المكسيك واليابان الحرب ضد الولايات المتحدة أخذت كفة التوازن ترجح بصورة تدريجية إلى جانب الحلفاء، وذلك يعود لما كرسه تدخل الولايات المتحدة في الحرب من تفوق اقتصادي وسياسي وعسكري للحلفاء^٢.

^١ - د.محمد السيد سليم، تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٥-٢٧٦.

^٢ - د.رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين- الجزء الأول: تطور الأحداث ما بين الحربين ١٩١٤-١٩٤٥، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، بلا تاريخ، ص ٢٦.

وكان روسيا القيصرية أول الدول خروجاً من الحرب بسبب تدهور جيوشها معنوياً، وعسكرياً، ونقص في الذخيرة، والتموين، والاهم من كل ذلك هو حدوث الثورة الروسية لعام ١٩١٧، ووصول البولشفيك إلى الحكم، إذ قاموا بالتوصل إلى صلح مع ألمانيا في آذار من العام ١٩١٨، وكان خروج روسيا القيصرية من الحرب مساعدة للألمان على نقل قواهم من الجبهة الروسية إلى الجبهة الفرنسية، والقيام بهجوم كبير يرغم فرنسا على الاستسلام، ولكن الذي حدث هو أن القيادة لم تنقل إلا جزءاً يسيراً من قواها تلك إلى فرنسا، إذ خشيت ألمانيا من مغبة قيام حكومة البولشفيك بالتخلي عن الهدنة، ومن ثم لم يحدث تغيير جوهري في ميزان القوى في الجبهة الفرنسية عقب اختيار الجبهة الروسية، وقامت القيادة الألمانية بشن عدة هجمات على الجبهة الفرنسية خلال المدة الواقعة بين آذار وتوуз من العام ١٩١٨، إلا أن قوات الحلفاء المتكونة من الجيوش الفرنسية والإنكليزية استطاعت الصمود وامتصاصها، في حين استنفذت الجيوش الألمانية طاقتها على معاودة الهجمات، إذ كانت قوات الحلفاء العسكرية تتضاعد، وبدون شك أن الصمود الفرنسي - البريطاني كان قد حدث قبل وصول الجيوش الأمريكية إلى ميادين القتال، ومن ثم قامت هذه الجيوش ليس الإنقاذ جيوش فرنسا وبريطانيا، وإنما لاستكمال هزيمة الجيوش الألمانية، وبعد ذلك قامت قوات الحلفاء بعدة هجمات محددة النتائج ، ثم شن القائد الفرنسي الجنرال فوش هجومه العام في أيلول من العام ١٩١٨ ، في الوقت الذي تحركت فيه الجيوش المتحالفة على طول الجبهات الأخرى في اليونان، وبلغاريا، والشام، والعراق، وهماوت المقاومة في الجهات البلغارية، والتركية، والنمساوية، والألمانية، واتجهت دول الوسط، والدول المركزية إلى طلب الهدنة الواحدة بعد الأخرى لنتهي الحرب^١.

^١ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعفي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٤-٤٦٥.

المبحث الثالث

نتائج الحرب

أولاً: معايدة فرساي:

عقد مؤتمر الصلح في فرساي في فرنسا في 18 كانون الثاني من العام 1918، ووقعت معايدة فرساي في 28 حزيران من العام 1919، مع ألمانيا، وبموجبها استعادت فرنسا منطقتي الالزاس، واللورين، ولكن تساهل الرئيس الأمريكي ولسون، ورئيس وزراء بريطانيا لويد جورج حيال المطلب الفرنسي لم يحل دون تشددهما بالنسبة لمطامع فرنسا الأخرى في الأراضي الألمانية وخاصة جهة منطقتي السار، وريانيا، إذ أنه نتيجة الضغط الانكليزي - سكسوني توصل المؤتمرون في نيسان من العام 1919، إلى تسوية تتعلق بمنطقة السار، وتقضى هذه التسوية بإنشاء نظام خاص خاضع لأشراف عصبة الأمم من جهة، ويتبع جهرياً لفرنسا من جهة أخرى، أما مدة الاتفاق فقد حدّدت بخمسة عشر عاماً يختار في نهايتها أبناء السار، وبموجب استفتاء عام ما بين

حلول ثلاثة:

١- الإبقاء على النظام الخاص.

٢- الالتحاق بفرنسا.

٣- الالتحاق بألمانيا.

أما بالنسبة لريانيا، فلقد أتفق المؤتمرون بنتيجة الأقتراح الذي قدمته الولايات المتحدة الأمريكية في 28 آذار من العام 1919، والقاضي بإيجاد منطقة متروعة من السلاح بين فرنسا وألمانيا لا مكان فيها للحصون، والجيوش، ولا للمناورات العسكرية، على نزع الصفة الغربية منها بأكملها من السلاح، وكذلك الصفة الشرقية منها، ولكن بعمق (٥٠) كم^١.

أما فيما يخص بلجيكا فقد تم تعديل حدودها مع ألمانيا بشكل بسيط لصالحة بلجيكا التي ألحقت بأراضيها مقاطعتي الآوين، وماليدي الألمانيتين، وكذلك إلحاق الشلز فيك الشمالية بالدانمارك، وبعد استفتاء جرى في آذار من العام 1920، إلا أن التعديلات المهمة التي خضعت لها الأراضي الألمانية قد تمت خصوصاً في الشرق لصالحة

¹ - د.رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، الجزء الأول، تطور الأحداث ما بين الحربين ١٩١٤-١٩٤٥، مصدر سابق ذكره، ص ٩٧.

بولندا التي قرر مؤتمر السلام إعادة تكوينها. فقد تخلت ألمانيا عن بوهيميا، وعن جزء من بروسيا الغربية مع ثورن، وكانت هذه الأخيرة تشكل مهدًا يسمح لبولندا الوصول إلى البحر، ويقطع وبالتالي بروسيا الشرقية عن بقية ألمانيا، وكان سكانها يتكلمون اللغة البولونية، بيد أن مرفأ ومدينة دانزغ الكبرى، والتي كانت تشمل وادي الفستوبل المنخفض كلها تقريباً ألمانية، ولكن لابد من تأمين مرفأ لبولندا من جهة، وتطبيق مبدأ القوميات من جهة أخرى، ولذا فقد قرر مؤتمر السلام بأن تكون دانزغ، والمنطقة المجاورة لها مدينة حرمة تحت أشراف عصبة الأمم^١.

الضمادات والتعويضات ضد ألمانيا:

كانت الدول المنتصرة، ولاسيما فرنسا، وبلجيكا تعدّ في العامي ١٩١٨ - ١٩١٩، بأنه من الضروري تأمين سلام العالم بوجه انبعاث محتمل للقوة الألمانية، كي تصل إلى هذا الهدف، فقد أنشأت سلسلة من الضمادات العسكرية والسياسية، تجعلها بالآتي:

أ- الضمادات العسكرية:

تم تحديد سلاح ألمانيا، ولذا قامت المعاهدة بتحديد البحرية الألمانية بعدد معين من قطع خفر السواحل، ومنعت الغواصات، وتم توزيعباقي على الحلفاء، وحدد الجيش الألماني بمائة ألف من ضابط وجندى، وأن تلغى هيئة الأركان، والمدارس العسكرية، والمدفعية الثقيلة، والدبابات، والطيران، وتم الاتفاق على إنشاء لجنة حلية للمراقبة^٢.

ب- الضمادات السياسية:

اقتراح لويد جورج، وولسون على كليممنسو، معاهدات ضمان فرنسية - إنكليزية، وفرنسية - أمريكية، مقابل التخلص من مطالبه في الضفة اليسرى من الراين، وألحقت هاتان المعاهدتان بمعاهدة فرساي، ونصتا على مساعدة فورية من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في حالة عدوان غير مبرر من جانب ألمانيا ضد الحدود الفرنسية، وعدّت الحدود البلجيكية مماثلة للحدود الفرنسية^٣.

^١ - ج. ب. دور وزيل، التاريخ الدبلوماسي في القرن العشرين، الجزء الأول، ترجمة: د. خضر حضر، دار المنصور، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٠.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٢٣.

حلت هذه الاتفاقية إمبراطورية النمسا- المجر، وحدد المؤتمر معالم الدولة النمساوية الجديدة، فحددت مساحتها بـ(٨٤) ألف كم يقطنها نحو ستة ملايين ونصف المليون نسمة من السكان كما حدد جيشهما بثلاثين ألف جندي، وتم توقيع معاهدة صلح معها في أيلول من العام ١٩١٩، وأقيمت دولة ثالثة عُرفت بـ هنغاريا أو المجر التي وقعت اتفاقية تريانون في ٤ حزيران من العام ١٩٢٠، ولم تكن شروط صلح هذه الدولة أفضل من شقيقتها الأخرى، إذ أن مساحتها حددت بـ ١٩٢ كم يقيم عليها نحو ثمانية ملايين نسمة، أما جيشهما فحدد بخمسة وثلاثين ألف جندي على الأكثـر^١.

ثالثاً: مقررات الصلح بالنسبة للدولة العثمانية

معاهدة سيفر ١٩٢٠، وتضمنت:

١. تنازلت الدولة العثمانية لليونان عن كل ما لديها في أوروبا عدا القسطنطينية، ومنطقة صغيرة على طول المضائق، وبحر مرمره بعمق يحول دون إطلاله يونانية على المضائق، باستثناء منطقة أزمير التي سيقرر مصيرها المجلس الوطني التركي بعد مضي خمسة أعوام على الحكم اليوناني، وكذلك أعطيت لليونان جزر الدودكانيز باستثناء جزيري (رودس، وكاستلوريزو) اللتين أعطيتا لايطاليا.

٢. أعطيت ايطاليا، فضلاً عن الجزر المذكورة أعلاه الجزء الشمالي من أضاليا، وهو من أغنى مناطق الأناضول بالمناجم الفحمية.

٣. جعل القسم الشرقي من الأناضول دولة أرمنية مستقلة، وذلك بعد أن رفضت الولايات المتحدة الأمريكية بعناد فكرة الانتداب على هذه المنطقة.

٤. أعطاء الحكم الذاتي لكردستان، وما تبقى من الأناضول الحق بالسيادة التركية بعد أن حصلت كل من فرنسا وبريطانيا على مناطق نفوذ فيه.

٥. جعلت المضائق العثمانية منطقة متعددة من السلاح، وتشرف عليها لجنة دولية^٢.
أن الترتيبات التي أتخذها مجلس الحلفاء الأعلى، وخول اليونان فيها احتلال
أزمير، والمنطقة المجاورة، إذ أن نزول اليونان في أزمير في ١٥ أيار من العام ١٩١٩
كان له تأثير سلبي في الأتراك الذين لم يكونوا قادرين على استيعاب فكرة استيلاء

^١- درياض الصمد، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦.

^٢- المصدر نفسه، ص ١١٢.

اليونان على جزء من بلادهم، وسرعان ما ظهرت بوادر الاستياء بعد نزول قواهم مباشرة، أي قبل أن تعقد معايدة سيفر، ولكن المعاهدة اعترفت رسمياً بطالب اليونان الإقليمية، وأضافت إلى الطين بله، وزادت في خيبة الأمل، وقوت العزم على الثورة، وفي أثناء ذلك ظهر مصطفى كمال أتاتورك، الذي كان قائداً في الجيش العثماني، ليقود الثورة، إذ حزت في نفسه المراة من جراء عبث الحلفاء ببلاده، وضعف سياسة الحكومة العثمانية، فتحدى هذه الحكومة، وفي ٢٣ نيسان من العام ١٩٢٠، انعقد أول مجلس وطني كبير في تركيا، وأستطيع أن يدحر أعداءه، وتمكن من تحرير أراضيه التي كانت في يدهم، وفي نهاية العام ١٩٢٠، تخلص أتاتورك من الخطرين الفرنسي والارمني في الشرق ثم طرد اليونان من أراضيه سنة ١٩٢٢، وكان قبلها قد عقد أتاتورك معايدة صداقه وتعاون مع الاتحاد السوفيتي (سابقاً)، فحسمت هذه المعايدة مشكلة الحدود العویصة، إذ وافقت تركيا على التنازل عن باطوم إلى روسيا مقابل قارص، واردجان التي كانت بيد حكومة أرمينيا، إذ أصبحت هذه الأخيرة محتملة من قبل الجيوش السوفيتية، وأقاموا فيها حكومة شيوعية، وكان أندحار اليونان، وتجديد الكماليين الجديد قد أربع لويد جورج، وأفرزه فوجه نداءاً للحلفاء في ١٥ أيلول من العام ١٩٢٢، ناشدهم فيها الدفاع عن المضائق، وفي ١١ تشرين الأول من العام ١٩٢٢، وقعت تركيا وبريطانيا على اتفاق مدانياً أشترط فيه أن تعاد تراقياً الشرقية إلى تركيا، وفي ٢٤ تموز من العام ١٩٢٣، وقع الفريقان على معايدة لوزان، وبموجبها تم الاعتراف بوحدة تركيا كدولة، وتمت المصادقة على انفصال البلاد العربية، واستردت تركيا تراقياً الشرقية حتى نهر مارطزا، وبلندة قرة اغاج الواقعة على ضفته الغربية. كما أعيدت لها جزيرتا أمبروز، وتيندوس لكن جزر بحر ايجا الأخرى أعطيت لليونان، ثم تم التصديق على امتلاك إيطاليا جزر الدودكانيز، واحتلال بريطانيا لقبرص، ولم يأت ذكر لأرمينيا، فدل ذلك على الاعتراف الضمني بالمعاهدة التركية - السوفيتية حول الحدود القفقاسية. كما أعيدت أزمير إلى تركيا بوصفها جزء لا يتجزأ من الأناضول كما تضمنت معايدة لوزان إلغاء الامتيازات الأجنبية، وكان هناك قيد فرض على سيادة تركيا، ينطوي السيطرة على المضائق التي تم تدويلها، وكانت معايدة لوزان نصراً للوطنيين الأتراك. فقد حصلت حكومة مصطفى كمال أتاتورك على اعتراف دولي بها، وفي ٢٩ تشرين الأول من العام

١٩٢٣، أُعلن المجلس الوطني الكبير قيام الجمهورية، وأنتخب مصطفى كمال أول رئيس لها، وفي ٣ آذار من العام ١٩٢٤، ألغى المجلس الوطني الكبير نظام الخلافة^١.
رابعاً: إنشاء عصبة الأمم:

كان من نتائج الحرب العالمية الأولى إنشاء عصبة الأمم، والتي جاءت لتلبية حاجات الشعوب في مسألة أساسية، وهي ضمان السلام العالمي على أسس جديدة وثابتة. وقد أهتم بالدعوة لهذه المنظمة الدولية العديد من المؤسسات الإقليمية، والشخصيات السياسية، إلا أن أبرزها كان الرئيس الأمريكي ودرو ولسون الذي بدأ دعوته انطلاقاً من معارضته للفكرة القائلة بضرورة إدارة الدول الكبرى للعالم، وكذلك انطلاقاً من قناعته بأن نظام توازن القوى كان سبب في اندلاع الحروب، ولاسيما الحرب العالمية الأولى، وعلى الرغم من تردد كلينمنسو، ولويد جوردن في البداية من فكرة إنشاءها، إلا أن فكرة ولسون انتصرت في النهاية، وتم إنشاء العصبة، ففي ٢٥ كانون الثاني من العام ١٩١٩، تبنت الجلسة المكتملة مؤتمر السلام قراراً، بالإجماع يؤكد على أن عهد عصبة الأمم سيكون جزءاً أساسياً من معاهدات السلام، وقررت أعداده من قبل لجنة خاصة تتمثل في الدول الأربع عشر برئاسة ولسن، وألحت فرنسا وإيطاليا فوراً على امكانية اتخاذ إجراءات قمعية ضد دولة متهمة بالعدوان. وقد أقترح المندوب الفرنسي بأن تمتلك عصبة الأمم جيشاً عالمياً أو في الأقل هيئة أركان عالمية، إلا أن الانكلو سكسونيين اعترضوا على ذلك، ولعلهم كانوا يخشون وقوع هذه الأركان تحت سيطرة المارشال فوش الذين كانوا يعتقدون موقعه تجاه ألمانيا، وأدخل عهد العصبة في نص معاهدات السلام في ٢٨ حزيران من العام ١٩١٩^٢.

^١ - جورج لتشوفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، الجزء الأول، ترجمة: د. جعفر الخياط، دار الكشاف، فرع العراق، بلا تاريخ، ص ١٥١-١٥٩، وكذلك ص ١٦٨.

^٢ - د. رياض الصمد، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩، وكذلك انظر: دور وزيل، التاريخ дипломаси، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص ٧١-٧٢.

الفصل السابع:

تطور العلاقات الدولية بين الحربين.

• المبحث الأول:

تطورات العلاقات الدولية لما بعد الحرب.

• المبحث الثاني:

الإتحاد السوفيتي وعلاقاته الدولية.

• المبحث الثالث:

إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية.

الفصل السابع

تطور العلاقات الدولية بين الحربين

المبحث الأول

تطورات العلاقات الدولية لما بعد الحرب

ظللت العلاقات الدولية طيلة القرن التاسع عشر ذات طابع أوربي بالأساس يهدى أن الحرب العالمية الأولى أسفرت عن تحول جوهري في العلاقات الدولية. فقد أحدثت الحرب بدول أوروبا خسائر اقتصادية فادحة أضعفـت من قدراتها على التأثير الفعال في السياسة الدولية بالشكل الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر، وجاء تدخل الولايات المتحدة واليابان في الحرب ليثبت أن أوروبا لم تعد قادرة بمفردها على تحديد مصير العلاقات الدولية، ونتيجة لسير العمليات الحربية فقدت أوروبا الكثير من أسواقها الخارجية، وسقطت في قبضة الديون الأجنبية، وهبطت أرصادها الذهبية، وانخفاض قيمة عملاتها، وكذلك فقدت أوروبا سيطرتها على الشرق الأقصى نتيجة للدور الياباني، وفي أمريكا اللاتينية خسرت أوروبا دورها الاقتصادي المتفوق لمصلحة الولايات المتحدة. كما أن الاقتصاد الأمريكي أنتعش نتيجة زيادة الصادرات الأمريكية إلى أوروبا في أثناء الحرب. وقد أدى هذا إلى تغيير جوهري في توازن القوى العالمي أساسه تحول هذا التوازن لمصلحة القوى غير الأوروبية، وتم اكتساب السياسة الدولية طابعاً عالمياً¹.

وذلك يمكن أن نشير إلى زيادة دور العوامل الاقتصادية في مدة ما بعد الحرب العالمية الأولى. وقد أثرت الحرب تأثيراً سلبياً في اقتصاد الدول الأوروبية مما أدى إلى تراجعها، وفيما بين العامي ١٩٢٩ و١٩٣٣، اجتاحت العالم أزمة اقتصادية عرفت بالكساد الاقتصادي العالمي هزت أسس النظام الاقتصادي العالمي مما أدى إلى عدة نتائج في العلاقات الدولية، مثل: تعارض المصالح بين الدول المنتصرة. فقد أدت الأزمة الاقتصادية إلى تركيز الدول الرأسمالية في القضايا الاقتصادية، إذ سعت إلى إيجاد أسواق خارجية للتصدير، والحصول على القروض، والاتئمان لإعادة البناء الاقتصادي، وفي هذا الصدد ركزت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في استعادة ألمانيا لدورها الاقتصادي تمهيداً لفتح السوق الألمانية قبلة التجارة البريطانية والأمريكية. وقد تطلب ذلك تخفيف عبء التعويضات المفروضة على ألمانيا، وكذلك ركزت بريطانيا وألمانيا في إعادة فتح الأسواق الروسية قبلة التجارة البريطانية والألمانية، أما فرنسا فإنما ركزت في إجبار ألمانيا على دفع التعويضات، وذلك للحصول على موارد لإعادة بناء الاقتصاد

¹ - د. محمد السيد سليم، تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

الفرنسي، ولمنع ألمانيا من إعادة بناء قوتها العسكرية والاقتصادية. وقد أدى ذلك إلى بروز التعارض بين المصالح البريطانية والأمريكية من ناحية، والمصالح الفرنسية من ناحية أخرى إزاء قضية التعويضات الألمانية، وهو التعارض الذي أحدث توترةً في العلاقات الفرنسية- البريطانية في المدة التالية للحرب العالمية الأولى.^١

وبعد الحرب العالمية الأولى عادت الولايات المتحدة إلى سياسة العزلة، إلا أنها لم تستطع أن تطبقها بالشكل الذي كان سائدا قبل الحرب، والذي كان يدور حول الابتعاد عن الشؤون العالمية. لقد أسفرت الحرب العالمية الأولى عن هزيمة الدول المركزية هزيمة تامة، وظهرت فرنسا بوصفها القوة الرئيسية في القارة الأوروبية، واليابان بوصفها القوة الرئيسية في آسيا، ومن ثم فإن توازن القوى الأوروبي الذي دخلت بريطانيا الحرب للمحافظة عليه ما لبث أن أختل كثيراً بعد الحرب، وأن كان الاختلال في تلك المرة لمصلحة فرنسا، وكانت بريطانيا تخوف من احتمال عودة فرنسا إلى ممارسة السياسات التوسعية النابليونية خاصة بعد هزيمة ألمانيا هزيمة تامة بما يهدد سياسة التوازن الأوروبي، ومن ثم سعت بريطانيا إلى محاولة إعادة بناء التوازن الأوروبي عن طريق الحد من الهيمنة الفرنسية على ألمانيا، والمشاركة في عملية إعادة بناء اقتصادها. وقد حاولت فرنسا أن تعوض فقدانها للتأييد البريطاني التام، وتؤكد هيمنتها على القارة الأوروبية عن طريق إنشاء نظام جديد من تحالفات مع الدول الجديدة في وسط أوروبا، والبلقان كبولندا، وجيكوسلوفاكيا، ومملكة الصرب، والكروات، والسلوفينيين، في إطار ما عرف باسم الوفاق الصغير، ولكن هذه السياسة سرعان ما أدت إلى زيادة الخلاف بين بريطانيا وفرنسا، وبين إيطاليا وفرنسا، ولم يقتصر الخلاف بين بريطانيا وفرنسا على قضية التوازن الأوروبي، ولكنه شمل قضيائياً أخرى كقضية التعويضات الألمانية. كما أشارت الهيمنة الفرنسية في أوروبا تخوف بريطانيا، فإن الهيمنة اليابانية في شرق آسيا أثارت مخاوف الولايات المتحدة، فكانت اليابان قد استولت على معظم الممتلكات الألمانية في شرق آسيا، والخليط الهادئ، وأصبحت قوة استعمارية في الصين. وقد أثار ذلك قلق الولايات المتحدة لسبعين: الأول هو رغبة الولايات المتحدة في المحافظة على مبدأ الباب المفتوح في شرق آسيا، أما الآخر فهو القلق على سلامة الجزر الفلبينية إزاء التوسيع الياباني، ولذا عملت الولايات المتحدة منذ العام ١٩٢٠، في محاولة ضرب النفوذ الياباني في شرق آسيا، وذلك لإعادة التوازن الدولي في تلك المنطقة، فدفعت بريطانيا إلى رفض تجديد الحلف الياباني- البريطاني الذي انتهى في العام ١٩٢١، وكذلك عملت على تكتيل الدول الأوروبية ضد اليابان.^٢.

^١ - المصدر نفسه، ص ٣١٦-٣١٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٣٢٠.

وكانت اللبنة الأولى في نظام الأحلاف الأوروبي الجديد هي إقامة حلف الوفاق الصغير بين جيكوسلوفاكيا، ورومانيا، ويوغسلافيا، وهذه الدول الثلاث التي أفادت أكثر من غيرها من تفسخ إمبراطورية النمسا والبخر، وظهر في العام ١٩٢٠ - ١٩٢١، علىثر معاهدات عقدت بين كل دولتين من الدول الثلاث على حدة. وقد عقدت فرنسا مع دول هذا الحلف اتفاقيات سياسية، وهكذا أصبحت هذه الدول حليفات فرنسا الأمينات في جنيف فيما يخص بالسياسة الخارجية والدولية، والمعروف أن فرنسا تعهدت لهذه الدول منذ البدء أن تمنحها مساعدات حربية، وتسلح جيشهما بالمعدات، وترسل إليها بعثات عسكرية تشرف على تدريب ضباطها^١.

وكان علاقات فرنسا بدول التحالف الصغير تقوم على أساس تختلف تماماً عن الأساس الذي تقوم عليها علاقتها مع بولندا، فأساس التحالف الفرنسي - البوليدي الرئيس هو المصلحة المشتركة الرامية إلى تطويق ألمانيا، ومنعها من الإتيان بأي عمل عدائي ضد البلدين. أما اتفاق فرنسا مع دول التحالف الصغير، فيشمل على مساومة واضحة المعالم، ففرنسا بتحالفها معها تستطيع أن تكسب أصواتها بشأن تنفيذ نصوص معاهد فرساي التي لم يكن للحلف الصغير فيها مصلحة تذكر. أما الثمن الذي تعهدت فرنسا بدفعه للدول الثلاث، فهو أن تؤيد دول التحالف الصغير جهعاً، وتساندها ضد البخر، ومناوراتها، وتدعم يوغسلافيا بصورة خاصة ضد إيطاليا، وهكذا وسعت فرنسا منطقة السلامة التي تتشدّها بهذه الخطى المباركة في شرق أوروبا، ولم يبق يشغل فكرها، ويبلغ اهتمامها غير تنفيذ نصوص صلح فرساي بمحاذيرها، والإبقاء على الوضع الراهن كما قبضت به التسوية، وبات من مصلحتها دعم بولندا، ويوغسلافيا، ورومانيا ضد بلغاريا. وقد رضي هؤلاء الأصدقاء تمام الرضى عن حماية فرنسا القوية النفوذ لهم ولصالحهم^٢.

وفي المدة الممتدة من العام ١٩٢٤، حتى العام ١٩٣٩، كانت فرنسا بفضل جيشهما النظم، والمدرب، والمسلح، في أوج مجدها وقوتها في القارة الأوروبية. فقد كانت من أشد الدول تعلقاً بمبدأ الوضع الراهن، وتأييدها له، ومن أشد المعارضين لسياسة التساهل مع المغلوب، وتغيير ما نصت عليه معاهدات الصلح، فكان موقفها شديد الشبه بموقف مترنيخ بعد تسوية العام ١٨١٥، وقد بنت صرحاً من الخالفات، ودول

^١ - أدوارد كار، العلاقات الدولية في عشرين سنة ١٩١٩ - ١٩٣٩، تعرّيف: سمير شمخاني، بلا تاريخ، ص ٤٢ - ٥٥.

^٢ -- المصدر نفسه، ص ٥٢ - ٥٣.

التحالف الصغير يذكر بالاتحاد الأوروبي المقدس، الذي أنشئ في زمن مترنيخ، والاسكندر الأول قيسرو الروسية عندئذ^١.

أما النمسا فقد سعى الحلفاء إلى بذل قصارى جهودهم لحملها على الاحتفاظ باستقلالها، وقدموا لها المساعدات من أجل ألا ترتفع في أحضان ألمانيا. أما المجر، فكانت حانقة متداولة ، مثل ألمانيا بسبب ما فرض عليها، فكانت تنتهز الفرص لتعديل المعاهدات مما جعل جيكوسلوفاكيا، ويوغسلافيا، ورومانيا الدول الثلاث التي منحت بوجوب معاهدة ترييانون أجزاء من المجر أن تعقد بينها تحالفًا عُرف بالتحالف الصغير لرد غائلة المجر، والمحافظة على السلامية المشتركة، وكانت دول الوفاق الصغير لا تخشى من عودة آل هابسبورغ إلى المجر. لعلها أن سكان مقاطعات سلوفاكيا، وترانسلفانيا، وكرواتيا، هذه البقاع التي فصلتها التسوية عن المجر ما يزالون يحتفظون في أعماقهم بالإخلاص والوفاق لآل هابسبورغ بالرغم من كرههم لحكامهم الجربين السابقين^٢.

أما إيطاليا الفاشية فقد رأت أن نظام الأحلاف الفرنسي يمثل تهديداً لصالحها، فارتباط فرنسا بملكية الصرب من شأنه تهديد المصالح الإيطالية، لأن لإيطاليا مطالب إقليمية مهمة لدى تلك المملكة، وأهمها السيطرة على إقليم فيومي. كما أن للدولتين مصالح متعارضة مع ألبانيا، ولذلك فقد شرعت إيطاليا في دعم المجر ضد الوفاق الصغير، فعقدت معها معاهدة صداقة سنة ١٩٢٧، ودعمت مطلب المجر في إعادة النظر في الحدود التي رسمتها معاهدة ترييانون، وكذلك فقد سعت إيطاليا الفاشية إلى إقامة تحالف دولي في البلقان، والدانوب، يؤكّد هيمنتها السياسية على هذه المنطقة. وقد جأت إيطاليا إلى استخدام الضغط العسكري للحصول على تنازلات سياسية من دول البلقان. فقد احتلت جزيرة كورفو اليونانية مؤقتاً لبث الرعب في الدول المعارضة لمطالبها الإقليمية. وقد أجبر ذلك مملكة الصرب على التوصل إلى إتفاقية مع إيطاليا عُرفت باسم اتفاقية نيتونو في كانون الثاني من العام ١٩٢٤، تنازلت بموجبها عن مدينة فيومي لإيطاليا، واحتلتها بالقوة في العام ١٩٢٣، وكذلك فقد سيطرت اقتصادياً وسياسياً على ألبانيا، ووقعت معها ميثاق تيرانا في تشرين الثاني من العام ١٩٢٦، وبموجب هذا الميثاق تعهدت الحكومة الألبانية بعدم انتهاج سياسة خارجية تضر بالمصالح الإيطالية، وفي تشرين الثاني من العام ١٩٢٧، تم توقيع تحالف دفاعي بين إيطاليا وألبانيا، وتم استكماله باتفاق آخر في تموز من العام ١٩٢٨، تعهدت بموجبه الحكومة الألبانية بـألا تتصرف في جميع المسائل البلقانية إلا بالاتفاق مع إيطاليا، وفي أيلول من العام ١٩٢٨، عقدت اليونان وإيطاليا اتفاقاً تعهدت اليونان بموجبه بالحياد في حالة تعرض إيطاليا لعدوان لم

^١ - المصدر نفسه، ص ٥٣.

^٢ - أدوارد كار، المصدر نفسه، ص ٧٥-٧٢.

تتسبب فيه، وهكذا أقامت إيطاليا نظاماً آخر للأحلاف في منطقة البلقان يدعم مصالحها في المنطقة^١.

وفي العام ١٩٣٤، عقد حلف البلقان، وجمع الدول الأربع اليونان، ورومانيا، ويوغسلافيا، وتركيا، وتعهدت الدول الأربع بضممان حدودها بعضها البعض، والتشاور فيما بينها في حالة وقوع أي هجوم للسلم في البلقان، واعتمدت مشاريع تعاون ثقافي واقتصادي لتعزيز روح الوحدة، وتعبيد الطريق لإتحاد فدرالي بلقاني، وظلت البانيا خارج الحلف، والواقعة تحت نفوذ إيطاليا، وبلغاريا التي لم تكن راضية بحدودها، وانضمت تركيا لحلف آخر، وهو حلف سعد أباد في العام ١٩٣٧، بين تركيا، والعراق، وإيران، وأفغانستان، وتعهد أعضاء الحلف بأن يتغادروا التدخل في شؤون بعضهم بعض، أو أن يستخدمو القوة ضد بعضهم البعض، وبأن يتشارلروا حول الخلافات الدولية التي نفس مصالحهم المشتركة، وطلبت تركيا مساعدة الجار السوفيتي، وتشجيعه عندما كانت في حرب الاستقلال ضد اليونان، وحالفها الغربيين، ولما منحت عصبة الأمم في العام ١٩٢٥، الموصى إلى العراق اغناطت تركيا، وعقدت معاهدة صداقة وحياد مع الاتحاد السوفيتي في العام ١٩٣٤^٢.

أما فيما يخص المضائق فقد ظلت اتفاقية لوزان سارية المفعول مدة ثلاثة عشرة سنة، وفي ٢٠ تموز ١٩٣٦، استبدلت باتفاقية مونترو، وكان من بين المشاركين في المؤتمر الاتحاد السوفيتي، الذي أجهذه كما فعل من قبل في تقليص حرية الدول البعيدة عن البحر الأسود الدخول إليه، وكما حصل في لوزان، كانت الدولة المعارضة الوحيدة لها بريطانيا، ولكن الجو بأكمله تغير تغيراً محسوساً هذه المرة، فكانت بريطانيا وفرنسا بالنظر للخطر الألماني المتزايد على السلم الأوروبي راغبتين في الذهاب بعيداً في تأييد تركيا، وعدم معاكسة الاتحاد السوفيتي الذي كانت هاتان الدولتان تسعian التقارب معه يوم ذاك، وكانت اتفاقية مونترو تنطوي على مبدأ حرية المرور في زمن السلم من دون وضع حد زمني، وأطلقت الحرية التامة للمرور في زمن الحرب أيضاً حينما تكون تركيا على الحياد أو دخلة في الحرب. وحينما تكون تركيا من الدول الخاربة، فيسمح للبواخر التجارية التابعة لبلاد غير المشتركة في الحرب بالتمتع بحرية المرور بشرط ألا تقوم بمساعدة العدو^٣.

^١ - د. محمد السيد سليم، مصدر سابق ذكره، ص ٣٥٤.

^٢ - دانكوارت روستو، السياسة الخارجية للجمهورية التركية، في روبي مكريديس، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم ، ترجمة: د. حسن صعب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص ٥٨١-٥٨٤.

^٣ - جورج لنشووفسكي، الجزء الثاني، مصدر سابق ذكره، ص ٥٤٠-٥٤١.

المبحث الثاني

الإتحاد السوفيتي وعلاقاته الدولية

أستطيع الإتحاد السوفيتي بادئ ذي بدء إنشاء علاقات دبلوماسية رسمية مع جيرانه الصغار. فقد تجلّى أخلاص الحكومة الروسية باجلٍ معانيه في استعدادها للاعتراف بالدول الحديثة التي انفصلت عن روسيا، ففي عام ١٩٢٠، عقدت معاهدات صلح مع فنلندا، واستونيا، ولاتفيا، ولتوانيا، ومع بولندا.

أما مصير الولايات القفقاسية، وهي جورجيا، وأذربيجان، وأرمينيا، فلم يكن كمصير الدول المذكورة، فإن أذربيجان، وأرمينيا لم تكن هما أدنى مظاهر الاستقلال كما كان لجورجيا مثلاً. فقد تقرر مصيرها بعد انسحاب القوات الخليفة منها، وكانت تخيمها وتحمي كيانها الدولي الذي أصبح لها في السنة الأخيرة للحرب، فضمتها روسيا إلى أراضيها، وفي العام ١٩٢١، إذا بروسيا السوفيتية تعقد معاهدات صداقة مع تركيا، وإيران، وأفغانستان، وكانت المعاهدتان مع الدولتين الأخيرتين تستهدفان تشجيع روح المقاومة للنفوذ البريطاني في البلدين، حتى خيل للعالم أن التناقض البريطاني - الروسي الذي عرفه القرن التاسع عشر في آسيا سيتجدد، فيكون له أسوأ العواقب، وأوْخُوها^١.

أما الدول الكبرى فقد ظلت علاقتها الرسمية مع الإتحاد السوفيتي منقطعة غير بينها، وبين روسيا مع أن الإتحاد السوفيتي رفض الاعتراف بديون روسيا القيصرية، وأقيمت علاقات تجارية بين بريطانيا، والإتحاد السوفيتي، واقتنت إيطاليا بها ثم قبل الإتحاد السوفيتي في أسرة الأمم، وأصبح بالإمكان دعوته إلى حضور مؤتمر اقتصادي تعقده الدول الأوروبية، بما فيها ألمانيا، في جنوه خلال ربيع العام ١٩٢٢، وكان رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج يأمل أن يتوسط في المؤتمر في عقد اتفاق بين الإتحاد السوفيتي، وجميع الدول غير أن هذه الآمال قد تلاشت بسبب موقف جندي فرنسا وبلجيكيَا من هذه الفكرة، إذ أصرت على وجوب اعتراف السوفيت بديون روسيا القيصرية قبل فتح باب المفاوضات.

أما ألمانيا فقد عقدت معه معاهدة صداقة، فكان وقتها عظيماً مع أن بنودها لم تكن على جانب من الأهمية، إذ أكتسب الإتحاد السوفيتي اعترافاً رسمياً له من جانب

^١ - أدوارد كار، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤.

دولة كبيرة، كما كانت محاولة واضحة تقوم بها ألمانيا لكسر النطاق الذي قيدها به معاهدة فرساي. أما الحلفاء فقد امتنعوا لدى وقوفهم على هذا النبأ غير السار^١.

ولما سقطت وزارة لويد جورج في بريطانيا خلفته وزارة محافظة انتقدت سياسات سلفه، ووصفت بسياسة مغازلة البولشفيك، ورأى من الضروري إتباع سياسة الحزم والعزم، إلا أن رد الفعل الذي أحدثه الحكومة العمالية التي خلفت المحافظين في شباط من العام ١٩٢٤، كان عظيماً، إذا اعترفت هذه الحكومة رسمياً بحكومة الاتحاد السوفيتي، وتم عقد اتفاق بين الدولتين في أب من العام نفسه، وسرعان ما جر اعتراف بريطانيا بالاتحاد السوفيتي إلى اعتراف إيطاليا، وفرنسا، واليابان، وجميع الدول الأوروبية به رسمياً، ولم يبق غير الولايات المتحدة، وما لا ريب فيه أن سياسة الاتحاد السوفيتي تبدلت كثيراً بعد وفاة لينين في العام ١٩٢٤، فقد وضعت الثورة العالمية التي كان الزعماء الشيوعيون ينادون بها في أول الأمر على الرف مما أسهم في فتح الطريق قبالة العلاقات بين الاتحاد السوفيتي، وجميع دول العالم الرأسمالي^٢.

وسرعان ما تبدلت سياسة الحكومة السوفيتية في بداية الثورة البلشفية إلى الخواص مهمتين: الأولى هي حماية النظام البلشفوي من محاولات الغزو الخارجي، والحركات الانفصالية الداخلية، والأخرى هي العمل على إسقاط الحكومات الرأسمالية في الدول الأوروبية، وإقامة نظام في تلك الدول على غرار النظام البلشفوي، ولكن السياسة البلشفية فشلت في نشر المبادئ الشيوعية سواء في أوروبا أو بين الشعوب الشرقية، وكذلك بدأت الحكومة البلشفية تواجه صعوبات اقتصادية هائلة نتيجة الحرب الأهلية، ولتطبيق المبادئ الشيوعية، ومن ثم قررت الحكومة البلشفية في العام ١٩٢١، تغيير سياستها الخارجية في اتجاه التقارب مع الدول الرأسمالية الأوروبية، وفي الوقت ذاته سعت الدول الغربية المنتصرة في الحرب إلى تكوين تحالف من الدول الخبيثة بروسيا الشرقية يمنع انتشار النفوذ الشيوعي إلى باقي أنحاء القارة. فقد دعمت الدول الغربية بولندا، ورومانيا، ضد الاتحاد السوفيتي. وقد حدثت تطورات أدت إلى اعتراف الدول الغربية بالاتحاد السوفيتي منها: خروج الاتحاد السوفيتي من الأزمة الاقتصادية نتيجة إتباع السياسة الاقتصادية الجديدة في الوقت الذي تفاقمت فيه الأزمة الاقتصادية البريطانية التي تمثلت في وجود مليون عامل بريطاني عاطل، وكان حل الأزمة يتطلب فتح أسواق خارجية

¹ - المصدر نفسه، ص ٨٤-٨٥.

² - المصدر نفسه، ص ٨٧.

جديدة قبالة الصادرات البريطانية، ومن ثم فقد ازدادت حاجة بريطانيا إلى السوق السوفيتية، وكذلك وصول حكومتين يساريتين إلى الحكم في بريطانيا وفرنسا مما أدى إلى اعتراضهما بالاتحاد السوفيتي كما ذكرنا في ٢٨ تشرين الأول من العام ١٩٢٤^١.

لقد بادرت إيطاليا إلى التقارب مع فرنسا ضد ألمانيا، وكان السبب المباشر لذلك التقارب هو القضية النمساوية. فقد كانت إيطاليا تخشى امتداد النفوذ الألماني إلى النمسا بعد وصول هتلر إلى السلطة، كما أنها وقعت اتفاقاً مع النمسا وال مجر في أيار من العام ١٩٣٤، ينص على تعاون الدول الثلاث في المجال الاقتصادي، ولما بدا أن التصادم بين إيطاليا وألمانيا كان وشيكاً وقعت اتفاقية بين فرنسا وإيطاليا نصت على تعاونهما إذا حدث ما يهدد استقلال النمسا، وأدى هذا التطور إلى ظهور تكتل مضاد لألمانيا تتمثل في التقارب الفرنسي - الإيطالي، والتحالف الفرنسي - السوفيتي، وكان هذا التكتل محاولة فرنسيّة لوقف الخطر الألماني، ففي ٦ نيسان من العام ١٩٣٥، تكونت جبهة ستريزا، التي تضم فرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا. وقد نص اتفاق ستريزا على معارضة الدول الثلاث لأي انتهاك من جانب واحد لاتفاقيات الصلح، وتمسكها باتفاقيات لو كارنو، ثم جاء اتفاق التحالف الفرنسي - السوفيتي الموقع في ٢ مايو من العام ١٩٣٥، ليكمل اتفاق ستريزا، وبموجبه حاولت فرنسا أن تهاصر ألمانيا من الشرق بعد أن حاصرتها من الغرب بموجب اتفاق ستريزا. فقد تعهدت الدولتان أنه في حالة عدوان على أي منها من جانب دولة أوربية بدون سبب من أحد الطرفين المتعاقدين، فإنهما يتبدلان المعونة بسرعة. وقد حاولت ألمانيا ضرب هذا الحصار بإعلان أن الاتفاق الفرنسي - السوفيتي يخالف اتفاقيات لو كارنو، وقامت باحتلال منطقة الراين، وشرعت في محاولة فك الحصار الفرنسي عن طريق الأسلوب الأول وهو ضرب جبهة ستريزا بالتحالف مع إيطاليا، والأخر هو ضرب التحالف الفرنسي - السوفيتي بالتحالف مع اليابان، ولما احتلت إيطاليا الحبشة صوت كل من فرنسا وبريطانيا ضد إيطاليا في مجلس العصبة فقامت الأخيرة بـإلغاء الاتفاقيات الفرنسية - الإيطالية، وإعلان الخروج من جبهة ستريزا^٢.

ثم وقعت اتفاقاً مع ألمانيا اعترفت الأخيرة بموجبه بالوجود الإيطالي في الحبشة مقابل عدم معارضة إيطاليا للنفوذ الألماني في النمسا. وقد عُرفَ التحالف الإيطالي - ألماني باسم محور روما - برلين في العام ١٩٣٦، وقد أيد فرانكو في إسبانيا هذا المحور الذي

¹ - د. محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١-١٩٣.

² - المصدر نفسه، ص ٤١٠-٤١١.

أمده بالسلاح، والمتطوعين لعدة اعتبارات منها، تأثر فرانكو في الفكر الفاشي، وكانت إيطاليا تأمل من دعمه إلى تأكيد نفوذهما في إسبانيا. كما حاولت ألمانيا إلغاء الحلف الفرنسي - السوفيتي عن طريق أغراء الاتحاد السوفيتي بالتسهيلات الاقتصادية، ولما فشلت ألمانيا في ذلك وقعت مع اليابان اتفاقية تحالف في ٢٥ تشرين الثاني من العام ١٩٣٦، سميت بـ«الميثاق المعادي للكومونtern»، وكان هدف ألمانيا من إقامة هذا التحالف السعي إلى أشغال الولايات المتحدة الإستراتيجي في الخيط المادئ، وبذلك تضعف قدرها على دعم بريطانيا وفرنسا ضدهما في حالة نشوب حرب أوربية. كما كانت هدف إلى الضغط على الاتحاد السوفيتي من حدوده الشرقية، حتى يضطر إلى خوض الحرب على جبهتين في حالة نشوب حرب ألمانية - سوفيتية. أما بالنسبة إلى اليابان، فإنها كانت تأمل أن تلقي حليفاً أوربياً في حالة اضطرارها إلى الدخول في مواجهة مع الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة. وقد دخلت إيطاليا هذا الحلف في تشرين الثاني من العام ١٩٣٧، وهكذا تبلور محور روما - برلين - طوكيو، وكذلك انضمت المجر، وإسبانيا، ودولة منشوكو التي أنشأها اليابان في الصين إلى الميثاق المعادي للكومونtern. أما الولايات المتحدة فقد جاها هذه التطورات بإصدار قانون الحياد في ٣١ آب من العام ١٩٣٥، وقد أدى ذلك إلى تفكك نظام المحالفات الفرنسي في وسط أوروبا، وابتداء من آذار العام ١٩٣٩، إذ حدث تحول حاسم أدى إلى بروز التحالف البريطاني - الفرنسي في مواجهة المحور، فلأول مرة قامت ألمانيا باحتلال مناطق غير ألمانية في جيكوسلوفاكيا بوهيميا سلوفاكيا كما قامت إيطاليا باحتلال مناطق غير إيطاليةألبانيا، وأدى ذلك إلى تغيير السياسة البريطانية تغيراً جذرياً، إذ كانت السياسة البريطانية تفضل عدم الدخول في التزامات رسمية مع فرنسا فيما يتعلق بأوروبا، وكانت تميل إلى التهدئة مع ألمانيا، وفي أيار من العام ١٩٣٩، ثم توقيع الميثاق الفرنسي - البريطاني - التركي، ونص على التعاون بين الدول الثلاث، إذا تعرضت أحدها لعدوان خارجي مع ترك الحرية لتركيا للالتزام بميثاق من عدمه في حالة وقوع حرب أوربية، ولقد بادر الاتحاد السوفيتي إلى التعاون مع ألمانيا، ووقع معها في ٢١ آب من العام ١٩٣٩، ميثاق عدم اعتداء على الرغم من محاولات بريطانيا وفرنسا استمالته إلى جانبهما^١.

^١ - د. محمد السيد سليم، مصدر سابق ذكره، ص ٤١٤ - ٤١٦.

المبحث الثالث

إيطاليا الفاشية، وألمانيا النازية

أولاً: ظهور إيطاليا الفاشية:

عانت إيطاليا أزمات شديدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، فمن نقص شديد في الفحم، وال الحديد، وارتفاع الأسعار بشكل كبير، وقلة الغذاء مما أوقع الضرر بالفئات محدودة الدخل، وخاصة العمال الذين كانوا أكثر من غيرهم تعرضاً لمشكلات الغلاء، وللدعائية التي كان يتبناها دعاة الإصلاح من الاشتراكيين الإيطاليين، وبالنظر لعجز الحكومات عن معالجة الأهداف الوطنية، وإيجاد الحلول لهذه الأزمات أخذت القوى الاشتراكية والفاشية تنمو وتصارع، فالقوى الداخلية المتمردة على الحكومة كانت عدّة، وقوية وقامت الإضرابات في الأوساط العمالية المتأثرة في الأفكار الاشتراكية، وبالاتجاهات اليسارية، وكان موسوليني اشتراكيًا وقوميًا، ولكن أفكاره تغيرت تغييرًا يخدم فكره القومي فأخذ ينادي بضرورة دخول إيطاليا الحرب إلى جانب الحلفاء حتى تتمكن إيطاليا من تحقيق مكاسب مرضية على حساب النمسا، وفعلاً دخلت إيطاليا الحرب لتخرج منها بمكاسب بسيطة من وجهة النظر الإيطالية، بل بخذلان قومي، وعندما طالبت إيطاليا بالساحل الديماسي لم تطالب به هو فقط، وإنما مدت مطالبتها حتى ميناء فيومي، حيث عارض الرئيس الأمريكي ولسن على أن ذلك توسيعاً لنطاق الإطماع الإيطالية بشكل غير متطرق عليه^١، ولقد أخفق الساسة القدامى في تحقيق أهداف إيطاليا، ومن ثم فهي مسؤولة موسوليني، كما يعتقد، لكي يحقق هذه الأهداف الخارجية والداخلية، وشرع في تكوين حزبه الفاشي منذ العام ١٩١٩، وبدأ بتجنيد أولئك الذين يكرهون الفكر السياسي التقليدي القديم، والذين يخشون على إيطاليا من ثو الفكر الاشتراكي المنطرف في البلاد.

ومن هنا كانت الحركة الفاشية ضد الشيوعية بعنف لا يقل عن عداوها للنظام التقليدي القديم المتداعي، فالشيوعية عالمية الأهداف، أما الفاشية، فهي إيطالية الأهداف قومية وطنية لا تؤمن بالصراع الطبقي، وإنما بالتعاون بين البرجوازية والعمال^٢، وأخذ ينظم إليه الجنود والمسرحين من الجيش بلا عمل في أعقاب الحرب العالمية الأولى،

¹ - د. عبد العزيز سليمان نوار، ود. عبد المجيد نعيمي، مصدر سابق ذكره، ص ٥٣٧.

² - المصدر نفسه، ص ٥٣٩.

وأجتذب الحزب أعضاء كثيرين من البرجوازية لوجود تفاهم وأهداف مشتركة، والبرجوازية تخشى غزو الفكر الشيوعي، وفي الوقت نفسه كان الحزب الفاشي في حاجة إلى هذه البرجوازية، وخاصة الشباب البرجوازي، لأنه كان يبحث عن زعامة وطنية، وأنه كان يرفض التقاليد البرلمانية القديمة، وأنه كان يرى في الحزب الفاشي فكراً منظماً على الطريقة الإيطالية، وهذا يفسر انضمام أساتذة الجامعات وطلبتها إلى صفوف موسوليني، وكذلك ركز موسوليني جهوده من أجل كسب العمال إلى جانبه، فهو بحسبه العمال يكون قد وجه ضربة قاضية إلى الجناح الشيوعي في إيطاليا، وسلبه الأداة التي يستخدمها للوصول إلى الحكم^١.

وفي سياسته الخارجية ركز موسوليني منذ البداية في أن تصبح إيطاليا هي الدولة الأولى في البحر المتوسط، ولم تكن فرنسا ترضى بأن يتساوى الإيطاليون معها التي عاشت في دبلوماسية وحروب البحر المتوسط زهاء أربعة قرون بأكملها، وكانت فرنسا تؤدي الدور الأكبر في المنطقة في توجيه مقدرات البحر المتوسط خاصة منذ بداية القرن التاسع عشر. لقد حاول موسوليني جعل البحر المتوسط مجرد بحيرة إيطالية، فكان طبيعياً أن تقف كل من فرنسا وبريطانيا موقف الحذر الشديد من تحركات إيطاليا. فقد ضمن الفيومي، واستولى على ألبانيا في العام ١٩٣٩، وشاركت إيطاليا في إدارة طنجة في العام ١٩٢٦، واحتلت الحبشة في العام ١٩٣٥.

وفي خطاب ألقاه في تورينو في ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٢، أعلن موسوليني بأن عصبة الأمم لا تستطيع تأمين السلام في أوروبا، وكان موسوليني يهدف إلى التوصل إلى تعديل خارطة أوروبا. وقد قبلت ألمانيا بحماسة المشروع الإيطالي، لأنها كانت ترغب في مراجعة معاهدة فرساي، والتي كانت إحدى مواد المشروع الإيطالي والتي تسمح لها بالمساواة في الحقوق. أما على صعيد التسلح، فقد قبلت المشروع بحماسة، وأعلن فون بابن نائب المستشار بأن فكرة موسوليني كانت عبقرية. لقد طالب موسوليني باتفاق القوى الأربع الكبار: فرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا، وألمانيا، وبهذا الشكل ستم

¹ - المصدر نفسه، ص ٥٣٩.

² - المصدر نفسه، ص ٥٥٠-٥٥٦.

وبأسلوب جديد أعاده بناء تفاهم الدول الكبرى، والذي كان يدير سياسة أوروبا في القرن التاسع عشر^١.

ثانياً: وصول النازية في ألمانيا:

وصل هتلر إلى السلطة في ٣٠ كانون الثاني من العام ١٩٣٣، وبالنسبة لهتلر، فإن مفهوم المساواة بين الشعوب، والذي كان سائداً في جنيف، لم يعد له قيمة أكثر من مبدأ المساواة بين الإفراد، وبالعكس كان يعتقد أن ثمة عرقاً مسيطراً، هو العرق الآري الموجود في ألمانيا بحالة النقاء تقريباً، وله الحق باهيمنة على الآخرين أو أزالتهم عند الحاجة، وللوصول إلى هذا الهدف، فإن كل الوسائل مفيدة، أي بعبارة أخرى، أن هتلر لن يتراجع لا قبلة ازدراء المعاهدات، ولا قبلة الحرب أو الظلم، وبرأيه، فإن احترام الشخصية الإنسانية لم يكن موجوداً أبداً، أي أن هدف سياسته الخارجية، هو إذن، تأمين هيمنة ألمانيا بالخيلية والعنف. لقد أراد هتلر أن يعيد لألمانيا قوتها العسكرية، ثم أن يلحق بألمانيا فرساي عدة أرض مأهولة بالألمان، وأخيراً الحصول على مجال حيوي، وبصورة أساسية في شرق أوروبا من أجل أعطاء الألمان الموارد الأولية، والغذائية، وكذلك الأرضي الاستعمارية^٢.

وبعد وصول هتلر بمدة وجيبة ألغى دستور فايمار، وأعلن قيام الرايخ الثالث، وفي ٢٣ آذار منحه الرایختشتاغ كل السلطات التي استفاد منها ليحل الأحزاب السياسية، ويعيد تنظيم الإدارة، وقام هتلر بتوقع ميثاق عدم اعتداء مع بولندة لمدة عشر سنوات في ٢٦ كانون الثاني من العام ١٩٣٤، ولكن الميثاق بذاته لم يكن موجهاً ضد فرنسا غير أنه كان من الناحية النفسية موقفاً غير ودي من جانب حكومة بولندة تجاه حليفتها، وأعلن الميثاق رغبة الحكومتين بهذه مرحلة جديدة في علاقتهما السياسية، وأن هذه العلاقات ستكون سلمية، وقائمة على ميثاق براين - كيلوغ، وأن تشاور الحكومتان حول علاقتهما المتبدلة، واتفقنا على عدم اللجوء إلى القوة لتسوية خلافاتهما^٣.

^١ - ج. ب. دوروزيل، (التاريخ الدبلوماسي في القرن العشرين، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٩-٢٠٠).

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٩٦.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٢١١-٢١٠.

أما النمسا فكان هتلر ينظر إليها بوصفها جزء من الجماعة الألمانية، وكان يدعم فيها الحزب النازي النمساوي، وكان يعد منطقة الدانوب جزء من منطقة النفوذ الألماني، وأن على إيطاليا التوجه نحو المتوسط ماعدا الأدرياتيك، وباستفتاء جرى في إقليم السار، تم عودة السار إلى فرنسا التي كان هتلر يطالب بإرجاعها إلى ألمانيا^١.

وفي ١٧ نيسان من العام ١٩٣٤، كان قد تم فعلياً العمل بإعادة تسليح ألمانيا، ولم يكن ثمة حكومة أوربية تجهر بأن ألمانيا كانت قد بدأت جهداً واسعاً في هذا الاتجاه، ولم يكن هتلر ينظر سوى ذريعة ما للإعلان عن مجهود إعادة التسلح الألماني، وفي بريطانيا ظهر كتاب أبىض تم تبرير زيادة الإنفاق العسكري البريطاني، بإعادة التسلح الألماني، وفي فرنسا تقدمت فرنسا بمشروع قانون عسكري يجعل مدة الخدمة العسكرية الفعلية سنتين، والذي وافق مجلس النواب عليه، وكان رد هتلر فورياً فقد أصدر قانوناً يعيد فيه الخدمة العسكرية الإجبارية في ألمانيا، ويثبت قوات الجيش الألماني بست وثلاثين فرقة، وكانت الحجج التي ذكرها تلخص بفشل نزع السلاح، وقيام القوى الأخرى بإعادة التسلح: بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، ويعد هذا خرقاً لمعاهدة فرساي^٢.

وقد قام مجلس العصبة الذي أعلمته فرنسا بخنق ألمانيا معاهدة فرساي بنشر بيان يدين الموقف الألماني^٣.

وكان رد فرنسا هو السعي لإقامة معاهدة تحالف فرنسية - سوفيتية تشارك فيها يوغسلافيا، ويبعد أن الاتحاد السوفيتي هو الذي دفع فرنسا بأن توقع وبسرعة اتفاقاً ثنائياً تم التوقيع عليه في ٢ أيار من العام ١٩٣٥، ونصت المعاهدة في حالة تهديد بالعدوان، من قبل دولة أوربية للاتحاد السوفيتي، أو لفرنسا، فإن البلدين يتشاركان من أجل تقوية المادة العاشرة من عهد عصبة الأمم، وعدت ألمانيا أن الاتفاق الفرنسي - السوفيتي كان يتعارض مع معاهدة (لو كارنو)، وقد قامت قوات ألمانية بإعادة احتلال منطقة رينانيا المتروكة السلاح، ووقف هتلر يتحدى فرنسا^٤.

وفي البداية تبنت فرنسا ظاهرياً موقفاً صلباً، في حين ندم الاتحاد السوفيتي على دعمه للحكومة الفرنسية التي قامت بتعزيز خط ماجينيو، واعتبرت على ذلك الدول

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٢٤-٢٢٦.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

^٤ - المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

الموقعة على معاهدة لوكارنو، وأعلنت فرنسا، وبريطانيا، وبلجيكا، أنها بانتظار توقيع اتفاق جديد تضمن فيه أراضي بعضها البعض في حالة عدوان ألماني، وعبر هتلر عن اقتراحه بأن لا تزيد ألمانيا قواها في رينانيا، وأن توقع ألمانيا، وفرنسا، وبلجيكا، ميثاق عدم اعتداء لمدة ٢٥ سنة، وميثاق جوي، في حين أجبت فرنسا بممشروع سلام يرتكز على عصبة الأمم، والأمن الجماعي، والتفاهم الإقليمي، وعلى أن يتم تأليف لجنة أوروبية قتلت قوة دولية لكن ألمانيا رفضت هذه المقترنات.^١

وقد شهد النصف الثاني من العام ١٩٣٦، تقوية الموقف الألماني على الصعيد الدبلوماسي، وضعف موقف الديمقراطيات الغربية، في حين استمرت الولايات المتحدة بالاحفاظ على حياد دقيق، وأول حدث مهم في هذا الاتجاه كان توقيع الاتفاق النمساوي الألماني بعدم التدخل في شؤون بعضهما البعض الداخلية، وكانت هذه المعاهدة انتصاراً دبلوماسياً مهماً بالنسبة لألمانيا، وتم العفو عن عدد كبير من النازيين النمساويين، وأصبح الحزب النازي النمساوي يستطيع الانتشار بحرية من جديد.^٢

وقررت الحكومة البلجيكية إعلان الحياد البلجيكي، ففي ١٦ آذار من العام ١٩٣٦، أي عشية احتلال رينانيا تماماً، وتم التمديد بواسطة تبادل رسائل فرنسيّة-بلجيكية بأن معاهدة ٧ أيلول من العام ١٩٢٠، قد ألغيت، وأن الصالحيات بين هيئات أركان البلدين لن تستمر إلا في إطار معاهدة لوكارنو، وقررت الحكومة البلجيكية فك تضامنها مع فرنسا وبريطانيا، والتراجع عن المسئولية التي كانت قد تعهدت لها في ١٩ آذار بضمان فرنسا وبريطانيا ضد اعتداء ألماني، ومارسة سياسة مستقلة من لأن فصاعداً، وتطورت الفكرة القائلة بأن على بلجيكا التخلص من كل تحالف، والدفاع عن أراضيها بنفسها، وأدى ذلك إلى إلحاق ضرر جديد بنظام أمن فرنسا، وأعلن هتلر بأنه مستعد من جهة الاعتراف ببلجيكا، والأراضي المنخفضة الخايدة لا يمكن المساس بها، كل هذه الأوضاع جعلت التحالفات الفرنسية في شرق أوروبا غير قادرة على العمل، وبدأ الألمان ببناء خط سيفرييد، وأصبح من الصعب قيام فرنسا بتجدة بولندا، وجيكوسلوفاكيا، ورومانيا.^٣

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٥١.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

الفصل الثامن:
الحرب العالمية الثانية

• المبحث الأول:

أسباب الحرب.

• المبحث الثاني:

تطورات الحرب.

• المبحث الثالث:

نتائج الحرب.

• المبحث الرابع:

المؤتمرات الدولية خلال الحرب العالمية الثانية.

الفصل الثامن

الحرب العالمية الثانية

المبحث الأول

أسباب الحرب

أولاً: طموحات هتلر التوسعية:

قام هتلر في آذار من العام ١٩٣٨، بضم النمسا إلى ألمانيا، وكانت غايته هو ضم المناطق التي تحتوي على ألمانيين، حيث جرى استفتاء في النمسا، وكان من نتيجته أن أعلن ٩٧٪ من المترددين موافقتهم على الاتحاد مع ألمانيا، وتميزت موافق الدول الأوروبية عن ذلك بالضعف، والتخاذل اللذين هيمنا على دبلوماسية هاتين الدولتين طوال مدة ما بعد الأزمة الاقتصادية العالمية، ولاسيما أن ضعف الموقف الفرنسي من هذه الأزمة يعود إلى الأزمة الوزارية التي كانت تعيشها فرنسا، فضلاً عن ذلك أن فرنسا كانت ترغب في أن لا تزوج نفسها لوحدها في حرب ضد ألمانيا، إذ كانت تنتظر مبادرة ايجابية على هذا الصعيد من قبل الحكومة البريطانية التي كانت تعطي الأولوية لشئونها الداخلية، وكانت من ثم تنظر بطف إلى المطالب الألمانية، ولذلك لم يصدر عنها بالنسبة إلى الأزمة النمساوية ما يشجع الحكومة الفرنسية على التصدي لألمانيا، وعلى منعها من ضم النمسا إليها، وإنما الذي حصل من قبل الحكومة البريطانية هو أن تشمبرلن رئيس وزراء بريطانيا نصّح الحكومة الفرنسية بالحكمة والتريث بعد أن نصّح الحكومة النمساوية بعدم مقاومة هتلر، لأن برأي تشمبرلن إذا حصلت مقاومة نمساوية لأطمام هتلر، فإنه ذلك سيؤدي حتماً لاجتياح عسكري من قبل ألمانيا للنمسا، وليس بمقدور بريطانيا حتى، ولا فرنسا مدد العون لها في حال حصول الاجتياح، وذلك يرجع للأعتقداد السائد بأن ألمانيا قد أصبحت قوة في أوروبا^١.

ثم قام هتلر بعد ذلك بضم جيكوسلوفاكيا، ففي البداية سعى هتلر إلى ضم إقليم السوديت الجيكي، إذ أن سكانه من الألمان، ولكن هتلر كان في الحقيقة يسعى إلى ضم جيكوسلوفاكيا، وما شجعه على ذلك ضعف الموقف البريطاني، والفرنسي،

^١ - د. رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين - الجزء الأول، مصدر سابق ذكره، ص ٣١٥.

والسوفيتى. فقد كان التدخل البريطانى فى المشكلة يهدف من وجها نظر بريطانيا إلى تسويتها على أساس التوازن资料的。

كان لبريطانيا الدور المهم فى تسوية المشكلة الجيكلية، ولم تقدم به لا الاتحاد السوفيتى، ولا فرنسا، وكان تشمبلن هو الذى تولى مهمة الوصول إلى اتفاق مع هتلر، وكان يعتقد أن التوصل إلى اتفاق حول المشكلة الجيكلية لا يتطلب مفاوضات بين طرفى التراع ألمانيا وجيكلوفاكيا، ويعتقد أنضم جيكلوفاكيا إلى ألمانيا هو واحد من اتفاقات المصالح البريطانية مع ألمانيا، وكان هتلر يدرك أن بريطانيا وفرنسا يجب ألا ينما على مستعمراتهما بفكر هادئ، ويجب أن يدفع الكثير في المقابل، وأن الشمن هو سيادة ألمانيا في أوروبا الشرقية، وأن التورط البريطاني في المشكلة الجيكلية قد استبعد الاتحاد السوفيتى من التسوية رغم معاهدة التحالف الجيكلية - السوفيتية، إذ كانت وجهة نظر هتلر أنه قد شق الصدف في الدول الكبرى التي لم تعد قادرة على أن تجتمع تحت لواء التحالف ضده، وأنه يستطيع التلاعب ببريطانيا وفرنسا، في حين يقف الاتحاد السوفيتى بعزل عن هذه الإحداث الجسام، وكأنه ليس من المسئولين عن المشكلات الأوروبية^١.

وفجأة غير هتلر رأيه، وطالب بضم فوري وعاجل لأراضي السويد، وأجراء استفتاء في بقية الأجزاء موضع الخلاف حول هويتها الجيكلية أو الألمانية، ثم استولى هتلر على جيكلوفاكيا بضعف فرنسي وبريطاني، أما الاتحاد السوفيتى، فلم يكن بوسعه أن يقدم شيئاً لها، حيث لا توجد حدود مشتركة مع جيكلوفاكيا، ولأن دول أوروبا الشرقية ما كانت لتقبل لو تحركت القوات السوفيتية لتمر عبر أراضيها بسبب عدم الثقة المتبادلة بين السوفيت وحكومات أوروبا الشرقية، وخوف هذه الدول من غضبة هتلرية، وكذلك كان هناك تقاعس سوفيتى لما كان عليه الجيش السوفيتى من ضعف حينذاك، ولاضطرار السوفيت لرصد تحركات جيوش كبيرة في أقصى الشرق بسبب أوضاع العدوان الياباني على الصين، وبسبب الهجمات المتقطعة اليابانية على الأراضي السوفيتية نفسها في نواحي منغوليا^٢.

وأخذ هتلر يطالب بدانزج الألمانية وممل فيما كان من بريطانيا إلا أن تلجمأ إلى سياسة الشدة في الرد على المطلب الألماني الجديد، فأصدر مجلس العموم - لأول مرة في

^١ - د. عبد العزيز سليمان نوار ود. عبد المجيد نعنى، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢١-٦٢٢.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٦٢٣.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٦٢٥.

تاریخ بريطانيا - قرار التجنيد الإجباري وقت السلم، وكان هتلر دكتاتوراً عنيداً، فرد بما هو أقوى، وهو إعلان سقوط ميثاق عدم الاعتداء المعقود بين ألمانيا وبولندا منذ العام ١٩٣٤، وأدى هذا إلى أن يركز هتلر جهوده من أجل تحقيق هدفه القادم وهو بولندا، وما كان هذا ليتم ألا بعد الاتفاق مع الاتحاد السوفيتي أو بحرب معه، وحيث أن هتلر كان يخشى الحرب على جبهتين عمل على الوصول إلى تفاهم مع الاتحاد السوفيتي، فعقد معه هتلر - ميثاق عدم اعتداء في ١٣ آب من العام ١٩٣٩^١.

وقد عرض ستالين على بريطانيا وفرنسا فكرة تكوين حلف دفاعي ضد ألمانيا بعد أن طالب هتلر بدانزج، ولكن بريطانيا، والدول الأوروبية وضعت أكثر من عقبة في وجه قيام هذا التحالف الذي كان من وجهة نظر ونستون تشرشل مفتاح الأمان لبريطانيا والعالم ضد أمنيات هتلر العدوانية، ولكن هناك عقبات حالت دون قيام هذا الحلف هي: أولاً/ إذ كان دالادية رئيس وزراء فرنسا شديد الكراهية للشيوعيين الفرنسيين، وللشيوعية الدولية، وكان يسعى للوصول إلى تفاهم ما مع الألمان بعد نكبة جيوكسلافاكيا، ثانياً/ كانت بريطانيا على يد تشيرشل تنتقل بين المعسكرين السوفيتي والألماني تحت هذا على التفاهم معها ضد الآخر الأمر الذي أفقد ثقة الاتحاد السوفيتي فيه^٢.

لقد طالبت ألمانيا بإعادة مدينة دانزج إليها مع خط حديدي يمر عبر الكوريدور البولندي، وأن تحفظ بولندا بمنطقة دانزج يتصل بها عبر خط حديدي، وأن بولندا التي تخوفت من أثاره ألمانيا لقضية دانزج سارعت إلى توقيع اتفاقية عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي، مما زاد تخوفها من المطامع الألمانية بعد أن ضم هتلر جيوكسلافاكيا في آذار من العام ١٩٣٩، ونتيجة للتوتر في العلاقات البولندية - الألمانية تم توقيع اتفاقية بولندية مع بريطانيا تعهدت بموجبها بريطانيا بضمان سلامه وأمن الأرضي البولندية، وكذلك الحكومة الفرنسية من جانبها أعلنت في ١٣ نيسان بأن فرنسا وبولندا تعهدتا بالرد السريع والمباشر على كل خطر يهدد مصالحهما. لقد كان جواب الحكومة الألمانية على هذا التضامن الانكليزي - البولندي - الفرنسي بأن أقدم وزير خارجيتهما على إعلام الحكومة البولندية بأن الاتفاقية الألمانية - البولندية لعام ١٩٣٤، أصبحت غير صالحة بعد توقيع الاتفاقية الانكليزية - البولندية، ولقد حاولت كل من فرنسا وبريطانيا

^١ - المصدر نفسه، ص ٦٢٦.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٦٢٨.

جر الاتحاد السوفيتي إلى توقيع اتفاقية معها، يكون الهدف منها حماية استقلال بولندا، إلا أن المفاوضات فشلت، وهذا ما أدى إلى تفاهم ألماني- سوفيتي تجلّى باتفاقية عدم الاعتداء، والتي أشرنا إليها سابقاً في ١٣ آب من العام ١٩٣٩، وفي ٣١ آب من العام ١٩٣٩، اجتاحت جيوش هتلر أراضي بولندا التي طلبت حكومتها النجدة من فرنسا وبريطانيا، فوجّهت حكومتها إنذاراً إلى ألمانيا التي رفضت الإنذار، فأعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا في ٣ أيلول من العام ١٩٣٩، فاندلعت الحرب العالمية الثانية^١.

ثانياً: فشل عصبة الأمم:

على الرغم من الآمال التي كانت قائمة وراء تأسيس عصبة الأمم في إقامة عالم قائم على السلام، والعمل على منع اندلاع الحروب، إلا أن العصبة فشلت في تحقيق تلك الآمال، فلم تستطع تحقيق نزع السلاح، ولم تتمكن من منع اليابان من الاعتداء على منشوريا في العام ١٩٣١، وفشلت في فرض عقوبة ضدها، واستولت على الصين في العام ١٩٣٧، وكذلك لم تستطع منع إيطاليا من احتلال الجبنة، وكانت العقوبات التي فرضت على إيطاليا فاشلة^٢.

لقد كانت عصبة الأمم عاجزة عن فرض رأي محدد في مواجهة قوة اليابان في احتلال الصين، وتقاعس الدول الكبرى الأخرى عن اتخاذ تدابير حازمة ضدها. وقد وقفت الولايات المتحدة موقفاً سليماً من فعل اليابان، لأنها رأت في التوسع الياباني على حساب الصين تهديداً مباشراً للاتحاد السوفيتي الذي كان منطلقاً لنشاط الحركة الشيوعية في الصين، ومن ثم كانت اليابان من وجهة نظر المسؤولين الأميركيين رادعاً للسوفيت، ويجب أطلاق يدها في هذه الاتجاهات حتى لو تعارضت جزئياً مع تطلعات الولايات المتحدة^٣.

وحىال قضية إيطاليا أخذ مجلس العصبة قراراً في تشرين الأول من العام ١٩٣٥، يقضي بإدانة إيطاليا بوصفها دولة معتدية، ويفرض عليها عقوبات اقتصادية لكن تلك العقوبات كانت مشكلة أكثر منها عملية، لأنها لم تؤد إلى حرمان إيطاليا من

^١ - د.رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، الجزء الثاني، لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٨٧-٣٨٩.

^٢ - خليل علي مراد وأخرون، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٧.

^٣ - د.عبد العزيز سليمان نوار، د.عبد المجيد نعنى، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩٧.

المواد الضرورية التي تكناها من مواصلة خططها العدوانية كالحديد، والفحم، والنفط، وكانت إيطاليا تشكو من نقص شديد من النفط، فضلاً عن ذلك أثارت قرارات العصبة - بالرغم من ضعفها - سخط موسولي، ودفعته إلى إلغاء اتفاقية روما التي كانت قد عقدها مع فرنسا في العام ١٩٣٥، فضلاً عن انسحابه من جبهة ستريزا كما أشرنا سابقاً^١.

ثالثاً: شروط معاهدة فرساي القاسية:

لقد خلقت شروط معاهدة فرساي شعوراً كبيراً بالماراة لدى الألمان، وولدت لديهم رغبة شديدة في الانتقام، وهكذا جاءت السياسة الألمانية، سواء في عهد جمهورية فايمار أو في العهد النازي من أجل التخلص من تلك القيود، في حين جأت الجمهورية إلى أساليب سلمية لتحقيق ذلك الهدف، أتبع النازيون أساليب عنيفة لتحقيق الأهداف، فقد ألغيت التعويضات، وصرفت الأنظار عن مواد معاهدة فرساي المتعلقة بشرع السلاح، وأعيد تسلیح منطقة الراين، وتم توحيد النمسا مع ألمانيا، وأعيد الألمان الذين كانوا يقطنون إقليم السوديت في جيكوسلوفاكيا إلى حظيرة ألمانيا، وفوق ذلك أعربت بريطانيا عن استعدادها لتعويض ألمانيا بما فقدته من مستعمرات، وعادت ألمانيا من جديد دولة كبرى^٢.

رابعاً: ضعف موقف الحلفاء:

يرى البعض بأن أسباب نشوب الحرب العالمية الثانية تقع على عاتق الدول الخليفة بريطانيا وفرنسا، إذ أن ألمانيا كان لها هدفاً أساسياً هو تعديل شروط معاهدة فرساي، وتلك التي تضمنت سلخ أقاليم ألمانية عن الوطن الأم. فقد حاولت استعادة مدينة دانزونغ، ولو أن فرنسا وبريطانيا تفاهمتا مع ألمانيا حول هذه القضية لما وصلت الأمور إلى حالة الحرب، ولكن فرنسا وبريطانيا شجعوا بولندا على رفض المطالب الألمانية، وقامتا بإعلان الحرب على ألمانيا، وبعد تسوية القضية البولندية بالشروط الألمانية، عرضت ألمانيا على بريطانيا وفرنسا الدخول في مفاوضات لتسوية الأوضاع الأوروبية، ولكنهما رفضتا العرض الألماني، ومن ثم يرى البعض بأن بريطانيا وفرنسا تعدان مسئولتان عن نشوب الحرب، في حين يرى آخرون أن نشوب الحرب يرجع إلى فشل بريطانيا، وبالتحديد رئيس وزرائها تشمبلن في ردع التطلعات التوسعية الهاتلرية،

¹- د. خليل علي مراد، وأخرون، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٠-٣٤١.

²- المصدر نفسه، ص ٣٧٥.

ويغزوها آخرون إلى السلبية الطويلة من جانب الدول الخليفة الكبرى التي لم تتبع سياسة حازمة لاحتواء ألمانيا منذ بدء إعادة التسلح الألماني في العام ١٩٣٥، أن هذه السلبية التي تعود أيضاً إلى سياسة الاسترضاء التي أتبعتها فرنسا وبريطانيا تجاه ألمانيا وصلت أقصاها في مؤتمر ميونيخ في العام ١٩٣٨، ولو أن هاتين الدولتين وفقتا بصلابة ضد التوسعية الألمانية في النمسا وجيوسلوفاكيا لكانت ألمانيا قد تراجعت عن مشروعها التوسيعية الأخرى^١.

خامساً: فشل سياسة نزع السلاح:

لقد انعقدت العديد من المؤتمرات الدولية بهدف الحد من مشكلة سباق التسلح، ولاسيما في ميدان القوة البحرية، كما عقدت مؤتمرات أخرى بهدف نزع السلاح البري، واشتركت ألمانيا وللمرة الأولى في أعمال اللجنة التمهيدية التي كان قد شكلها مجلس عصبة الأمم في كانون الأول من العام ١٩٢٥، بهدف وضع مسودة معاهدة نزع السلاح. وقد انعقد مؤتمر نزع السلاح في جنيف في العام ١٩٣٢، حضرته ستون دولة بضمنها ألمانيا، وأنعقد مؤتمر آخر في المكان نفسه في العام الذي بعده، واشتركت فيه ألمانيا أيضاً على الرغم من وصول هتلر إلى السلطة، وكاد المؤتمر أن يفشل نتيجة التضارب في الآراء بين فرنسا وبريطانيا لولا مجئ رامزي ماكدونالد رئيس الحكومة البريطانية، واقتراحته بأجراء تخفيضات للقوات المسلحة، ولمدة خمس سنوات على سبيل التجربة بحيث يكون لكل من ألمانيا، وفرنسا، وبريطانيا، وبولندا جيش قوامه ٣٠٠ ألف جندي. وقد قبلت ألمانيا هذا الاقتراح ولكن الدول الأخرى عارضته، وتقرر أخيراً تأجيل المؤتمر إلى تشرين الأول من العام ١٩٣٣، لكن قبل أن يعقد المؤتمر بيومين قررت ألمانيا الانسحاب منه في ١٤ تشرين الأول من العام ١٩٣٣، وقد أنسحب هتلر من مؤتمر نزع السلاح، وأنسحب بعدها من عصبة الأمم^٢.

¹ - د. محمد السيد سليم، تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤٢-٤٤٣.

² - د. خليل علي مراد، آخرون، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٤.

المبحث الثاني

تطورات الحرب

أولاً: احتلال فنلندا من قبل الاتحاد السوفيتي:

على الرغم من اتفاقية عدم الاعتداء التي وقعتها ألمانيا مع الاتحاد السوفيتي، فإن هذا الأخير لم يشعر بالاطمئنان الحقيقى تجاه ألمانيا، ولذلك راح يعمل على تعزيز حدوده الغربية، وتمكن من الحصول على موافقة حكومات دول البلطيق: استونيا، ولاتفيا، بالسماح لقواته بأخذ بعض القواعد داخل أراضيها، ثم طلب إلى الحكومة الفنلندية في تشرين الأول من العام ١٩٣٩، بأن تتنازل له عن بعض الجزر الواقعة على مدخل بحر البلطيق، وعن القسم الجنوبي منها لإقامة بعض القواعد العسكرية عليه، ولكن طلبه هذا قوبل بالرفض من قبل الحكومة الفنلندية، وهذا أقدمت الحكومة السوفيتية في ٢٨ تشرين الثاني على نقض اتفاقية عدم الاعتداء مع فنلندا، ثم قطعت علاقتها الدبلوماسية معها في اليوم التالي، وفي ٣٠ تشرين الثاني غزت الجيوش السوفيتية الأراضي الفنلندية. وقد حاولت الحكومتين الفرنسية والبريطانية إرسال نحو خمسون ألفاً من جنودهما لنجد فنلندا عن طريق السويد، والتزويع اللتان رفضتا السماح لها بعبور أراضيها بحججة الحفاظ على حيادهما في الحرب، وكان أهداف من ذلك ليس الدفاع عن فنلندا فقط، وإنما قطع الطريق أيضاً على ألمانيا، ومنعها من الوصول إلى الحديد السويدي الذي يغذي مصانعها عن طريق المرافق النرويجية، وخاصة مرفاً تارفيك.

إن عدم وصول المساعدات الفرنسية - البريطانية إلى فنلندا دفع هذه الأخيرة إلى الاستسلام بعد قتال امتد أربعة أشهر. وقد أرغمت الحكومة الفنلندية في ١٢ آذار من العام ١٩٤٠، على توقيع اتفاقية موسكو التي تنازلت بموجبها للاتحاد السوفيتي عن بعض مناطقها وعن جزيرة هانجو القاعدة البحرية الممتازة^١.

ثانياً: احتلال القوات الألمانية للدنمارك والنرويج:

بعد أن فشلت المحاولة الانكليزية - الفرنسية الرامية إلى قطع الطريق إلى الحديد السويدي المصدر إلى ألمانيا عن طريق إرسال ٥٠ ألف جندي إلى البلاد الاسكندنافية، حاول الأسطول البريطاني القيام بهذه المهمة عن طريق زرع الألغام في المياه الإقليمية النرويجية، وما كاد الألمان يعرفون ذلك حتى أمر هتلر قواته احتلال الدنمارك، فدخلتها في ٩ نيسان ١٩٤٠، دون قتال وأعلن الحماية عليها، وفي اليوم

^١ - د.رياض الصمد، مصدر سابق ذكره، ص ٣٩٥.

نفسه قامت القوات الألمانية باحتلال جميع الموانئ والمطارات الرئيسية في النرويج، التي احتلتها القوات الخليفة في ١٥ نيسان من العام ١٩٤٠ ، وهذا أستمر القتال بين القوات الألمانية من جهة، والقوات الفرنسية والبريطانية من جهة أخرى على الأرضي النرويجية طوال مدة شهرين، واضطررت القوات الخليفة في نهايتها، إي في ١٥ حزيران إلى الانسحاب عن النرويج، وذلك بعد أن جأت الحكومة النرويجية إلى لندن، وشكلت عندئذ في النرويج حكومة جديدة موالية للألمان^١.

ثالثاً: الجبهة الغربية:

إما في الغرب فقد سارعت الحكومة الفرنسية إلى تعبئة الجيش على أثر إعلانها الحرب، وكان خط ماجينيو يمتد على طول الحدود الفرنسية- الألمانية، والذي مثل أعلى درجة من درجات تطور الدفاع العلمي التي بلغتها أوروبا حتى ذلك الحين، ولكن هذا الخط الداعي المنبع لم يمتد على طول الحدود الواقعة بين فرنسا وبلجيكا، فقد اكتفى رجال الهندسة العسكرية الفرنسية بتحصين تلك الحدود بوضع حزام من الأسلاك الشائكة، وإقامة الأعمدة العائقة لسير الدبابات، وحفر الحفر لصيدها. كما شيد الألمان داخل حدودهم في مواجهة خط ماجينيو، خط سيفيريد أو السور الغربي، وهي منطقة حصنت على خط مشابه لخط ماجينيو^٢.

وما كاد ينقضي شهر على غزو النرويج حتى ضرب الألمان ضربتهم الكبرى في الغرب. فقد بدأوا هجوماً هائلاً قبيل فجر ١٠ أيار، على هولندا، وبلجيكا، ولو كسمبورغ، في آن واحد دون أي إعلان للحرب، ولم تمض ساعات قلائل حتى كانوا قد اكتسحوا لو كسمبورغ، واحتلوا هولندا، وهاجم الألمان بلجيكا طبقاً خططاً موضوعة، فأخترق الألمان خط الدفاع الذي أقامه الحلفاء، واتجهت القوات الألمانية نحو فرنسا، واحتلوا خطوط دفاعها، وتراجعت القوات الفرنسية، وسقطت العاصمة الفرنسية في أيدي الألمان، فاستصرخت الحكومة الفرنسية الرئيس روزفلت، وبريطانيا بأن يقدموا لها يد العون، ولكن صرخاتها ذهبت هباء الريح، وسقطت وزارة رينو، في السادس عشر من حزيران، وخلفه في رئاسة الحكومة المارشال بيستان العجوز بطل فردان، وطلب من الألمان وقف القتال تمهدًا لعقد الهدنة بين الدولتين، واتخذت الحكومة الفرنسية مدينة

^١ - المصدر نفسه، ص ٣٩٥.

^٢ - آ.ه.بـ، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦٩.

فيشي مقرًا لها، وكان الألمان قد احتلوا حتى تلك اللحظة نصف أراضي فرنسا، ووافقو على طلب بيستان، وفي ٢٤ حزيران وقع المعموثون الفرنسيون شروط الهدنة مع الألمان والتي بمقتضها تم تخويل الألمان احتلال جميع الأراضي الفرنسية الواقعة شمال وغرب خط يمتد من جنيف إلى تور، ومن هناك جنوباً إلى حدود إسبانيا، ويدخل في منطقة الاحتلال جميع الموانئ الفرنسية الواقعة على القناة الانكليزية، والمحيط الأطلسي، وفرض على فرنسا أن تشرع سلاح قواها الخارجية، ثم تسريحها فيما عدا القوات التي يحتاج إليها لحفظ الأمن العام، وأن تتحمل فرنسا جميع نفقات الاحتلال، وأن يبحر الأسطول الفرنسي إلى موانئ معينة، إذ يجرد من السلاح، وأعلنت ألمانيا أنه ليس لها أية نية في استخدامه ضد بريطانيا، أو في الاحتفاظ به بعد أبرام الصلح بين البلدين، وتعهدت فرنسا أن تطلق سراح جميع الأسرى الألمان الذين كانوا قد وقعوا في قبضة الجيش الفرنسي، على أن تستبيقي ألمانيا في يدها جميع أسرى الحرب الفرنسيين^١.

رابعاً: معركة بريطانيا:

وقفت بريطانيا بمفردها وهي تكاد تكون مجردة من السلاح في وجه ألمانيا، وقد رفضت بريطانيا أن تعقد هدنة ماثلة مع تلك التي عقدتها فرنسا، وعلى الرغم من محاولات هتلر لاحتلالها، إلا أنه لم يفلح في ذلك، ويعتقد البعض ، ومن بينهم تشرشل نفسه انه كان من المرجح أن ينجح هتلر في احتلالها، ومن ثم السيطرة على العالم لو انه أقدم على غزوها عقب اهياز فرنسا، فقد أمهل بريطانيا فسحة من الوقت استخدمتها خير استخدام في استرداد قواها، وتدریب جنودها الجدد، وتعويض ما كانت فقدته من عتاد. لقد أخذت القوات الجوية الألمانية تقصف بريطانيا، وتنشر الخراب فيها، طوال صيف وخريف العام ١٩٤٠، وبدأت ألمانيا ما أسماه معركة بريطانيا، وشرع الألمان يشنون غارات جوية بالغة العنف على قواقل البوارخ التجارية البريطانية، وعلى المدن الساحلية في الجنوب الشرقي من بريطانيا، ثم أعقبوا ذلك بغارات مركزة موجهة أكثر على المطارات، ومصانع الطائرات، ثم بدأت في ٧ أيلول المرحلة الثالثة والأخيرة لهذه الغارات، فقد قاموا بشن غارات هاربة عنيفة على لندن، وخاصة على منطقة مينائها، واستبسّل الطيارون البريطانيون في الدفاع عن بلادهم خلال معركة بريطانيا التي استمرت حتى أواخر تشرين الأول، ومع ذلك واصل الألمان غاراهم الجوية ليلاً على نطاق واسع، وأخذ الألمان يقصرون الموانئ والمدن الصناعية ومع ذلك لم تتمكن ألمانيا

^١ - المصدر نفسه، ص ٦٧٣-٦٧٢.

من قهر بريطانيا عن طريق الغارات الجوية، وفي المقابل قامت القوة الجوية البريطانية بالرد على الغارات الجوية الألمانية، وذلك بقصف المنشآت الصناعية، والموانئ، وأحواض السفن الألمانية، ولم يقتصر ميدان الحرب على الجو فقط، وإنما شمل ميدان البحار أيضاً، فقد هاجم الألمان منذ بدء الحرب السفن البريطانية المحملة بالأغذية، والمواد الخام، ومنيت السفن البريطانية بخسائر فادحة في بدء استخدام ذلك السلاح الفتاك، ولكن ما مضى سوى زمن قصير حتىتمكن العلماء البريطانيون من اختراع وسائل مضادة، وذلك من أجل أضعاف تأثير الألغام المغفطة التي استخدمها الألمان ضد البحرية والموانئ البريطانية^١.

خامساً: القتال في أفريقيا:

كانت أفريقيا ساحة للقتال بين جيوش الحلفاء، والجيوش الألمانية والإيطالية. فقد استطاع البريطانيون أن يلحققوا خسائر فادحة بـجيش الإيطالي في مصر التي كان موسوليني يسعى إلى احتلالها. كما احتل البريطانيون في شهر توز من العام ١٩٤١، سوريا ولبنان اللتان كانتا خاضعتين لحكومة فيشي الفرنسية، وفي الوقت نفسه، تم القضاء على حركة مايس في العراق قبل ذلك، وبذلك قوي مركز بريطانيا في الشرق الأوسط، وكان الإيطاليون علىثر إعلامهم الحرب على بريطانيا قد تغلغلوا في توز من العام ١٩٤٠، في أراضي كينيا، ودخلوا السودان، واتسحروا الصومال البريطاني، وهددوا قهديداً خطراً مركز البريطانيين في الشرق الأوسط، وتمكنت القوات البريطانية من القيام بهجمات مضادة قوية أسفرت عن نتائج باهرة، فقد تحكت من القضاء على الإمبراطورية الإيطالية في شرق أفريقيا، فأقصوا الإيطاليين عن إريتريا، وسقطت أديس أبابا في أيدي القوات البريطانية في ٦ نيسان، ودخل الإمبراطور هيلاسيلاسي عاصمة البريطاني، واتجه الألمان لنجدتهم حليقتهم إيطاليا في شمال أفريقيا، وكان البريطانيون يعملون على تحويل عدد كبير من مقاتليهم، ومقادير كبيرة من عتادهم إلى اليونان، فضعف مركزهم ضعفاً كبيراً، وفي شمال أفريقيا أرسلت ألمانيا قائداً مجرياً هو الجنرال رومل الذي شن هجوماً كبيراً على رأس فرتيني، فنجح وتمكن من اختراق القوات البريطانية، وبلغ مرسي مطروح في مصر، ولاحق كأن مصر ستقع في قبضته، إلا أن البريطانيين قاموا بشن هجوم بقيادة الجنرال مونتجمرى في تشرين الأول من العام

¹ - المصدر نفسه، ص ٦٧٤-٦٧٦.

١٩٤٢، فاخترق خطوط الدفاع الرئيسية للقوات الألمانية بقيادة رومل بعد معركة حامية في العلمين، وأخذ الجيش الثامن البريطاني يجبر قبالة الألمان وبدون توقف، وتابعت هزائم الألمان في العام ١٩٤٣، حتى استسلمت قوات المحور للحلفاء الذين قاموا بإنزال في شمال أفريقيا في تشرين الثاني من العام ١٩٤٢.^١

سادساً: الحرب على الاتحاد السوفيتي:

كان هتلر يضم في نفسه الحقد والكراهية للاتحاد السوفيتي، وكان تحالفه معه في آب من العام ١٩٣٩، هو تحالف مصلحة، فهو لم يكن يجرأ على ضرب بريطانيا دون أن يؤمن موقف الاتحاد السوفيتي إلى جانبه، ولما أنشغل الألمان في الحرب على جهة أوروبا الغربية انتزع السوفيت ولاية بسارابيا، وشمال مقاطعة بوكوفينا، في رومانيا، وكان هذا الأمر قد تم بموافقة ألمانيا، وتلا ذلك دمج دول البلطيق الثلاث (استونيا، لاتفيا، ولتوانيا)، بالاتحاد السوفيتي، وفي فجر يوم الأحد ٢٢ حزيران من العام ١٩٤١، أرسل هتلر فرقه المصفحة وجنوده عبر حدود الاتحاد السوفيتي، وأنضم إلى جانب ألمانيا إيطاليا، وвенغاريا، ورومانيا، وفنلندا، وفي الكفة الأخرى وقفت بريطانيا إلى جانب الاتحاد السوفيتي، وكان هتلر يتوقع بأن قواته ستظفر بنصر أكيد، بل كان يتوقع أن تظفر بنصر سهل، وكان يتطلع إلى الاستحواذ في حرب خاطفة على قمح أوكرانيا، وبترول القوقاز والمواد الصناعية الضخمة في وادي نهر الدونت، والفولجا، وحدث الهجوم الألماني على خطوط قتال كبيرة ثلاثة، الهجوم الأول عن طريق جنوب بولندا في أوكرانيا، والثاني عن طريق روسيا البيضاء إلى سولونسك، وموسكو، والثالث عن طريق دول البلطيق إلى لينينغراد، وأصاب الألمان نجاحاً في بادئ الأمر، وتغلغلو بسرعة خاطفة حتى بدا في وقت من الأوقات كان هتلر يوشك أن يحقق هدفه الأكبر، وهو أقامة خط دفاعي يمتد على وجه التقرير من الفولجا إلى إشانجل في أقصى الشمال. فقد اكتسح الألمان في الميدان الشمالي دول البلطيق في وقت وجيز، وواصلت قواهم الزاحفة إلى مشارف لينينغراد في تشرين الأول، وضربوا حصارهم عليها مدة ستة عشر شهراً تقريباً. كما وصلوا إلى مشارف موسكو، وفي الجنوب تم اكتساح أوكرانيا إلى ساحل البحر الأسود، وإلى أوديسا، وسيطروا على شبه جزيرة القرم، وفي البداية كانت انتصارات الألمان كبيرة، ولكن حينما حل الشتاء الروسي القارص البرد كان الألمان على مشارف موسكو ولينينغراد، واستعصى عليهم احتلالها، ولكن استبسال المقاتلين

^١ - المصدر نفسه، ص ٦٧٧-٦٧٩، وكذلك انظر الصفحتين ٦٩٦-٦٩٨.

الروس الذين قاوموا الغزاة بضراوة هجمات الألمان، ولاسيما عن مدينة ستالينغراد، في شهر آب من العام ١٩٤٢، وفي ١٩ تشرين الثاني من السنة نفسها قام الجنرال زوكوف بحملة مباغطة مكنته من التأثير في القوات الألمانية التي لم تتمكن من تقديم الدعم والعون، وما أن اشرف العام ١٩٤٢، على الانتهاء حتى أخذ الزحف الألماني في الأرضي الروسية بالانحسار، وتحول الروس إلى موقع الهجوم حتى تمكنا في منتصف العام ١٩٤٣، من رفع الحصار عن لينينغراد، وأخذوا باسترداد المدن الروسية الواحدة تلو الأخرى، وساعدهم في ذلك الشتاء الروسي القارص، وتم طرد الألمان من أوكرانيا، وتجاوزوا أراضيهم إلى أراضي الدول المجاورة^١.

سابعاً: دخول الولايات المتحدة الحرب:

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحياد في الحرب العالمية الثانية، إلا أنها كانت منحازة بعواطفها تجاه الحلفاء، وكان السبب المباشر في دخول الولايات المتحدة الحرب هو قيام اليابان بهجوم جوي على الأسطول الأمريكي في المحيط الهادئ الذي كان راسياً وقتله بقاعدة البحرية الكبيرة في ميناء بيرل هاربر بجزر هاواي، وبذلك قبضت اليابان بصرية واحدة على التفوق البحري الأمريكي في المحيط الهادئ، وفي ظهر ذلك اليوم عينه هاجمت الطائرات اليابانية المنطلقة من جزيرة فرموزا مطارات الجيش الأمريكي بالقرب من مانيلا في الفلبين، فأنزلت بها خسائر فادحة، وكان السبب المباشر لدخول الولايات المتحدة الحرب هو تطور الأحداث في الشرق الأقصى، وازدياد التوتر في علاقتها مع اليابان، فقد احتدمت المعركة في الصين بين الجيوش اليابانية وجيوش شان كاي شيك، وكانت بريطانيا والولايات المتحدة قدان الصين بعض المعونة الخربية عن طريق بورما، ومالزيا، فقامت اليابان باحتلال هاتين المستعمرتين البريطانيتين حتى تقطع تلك الطرق، وتستغل مواردها الطبيعية الكبيرة، وانتهزت اليابان فرصة انشغال الدول الاستعمارية العظمى في الحرب، فتحقق آمال في إقامة إمبراطورية الشرق الكبرى التي حلم اليابانيون بتشييدها، وكانت اليابان قد طلبت من حكومة فيشي الضعيفة السماح لها بناء مطارات في الهند الصينية، فرضخت تلك الحكومة لذلك الطلب، فرددت الولايات المتحدة بتقديمها قرضاً للصين، وفرضها حصاراً جزئياً على اليابان، وبدأ التوتر يشتد بين الدولتين في تموز من العام ١٩٤١، إذ أعلنت اليابان في الخامس والعشرين منه أنها أخذت على عاتقها حماية مستعمرة الهند الصينية والفرنسية،

^١ - مصدر سبق ذكره، ص ٦٨٠-٦٨١.

فردت الولايات المتحدة باتخاذ أجرائين: ضم القوات المسلحة لجيش الفيليبين إلى جيش الولايات المتحدة وعين الجنرال دوكلاس ماك آرثر قائداً أعلى للقوات الأمريكية في الشرق الأقصى، وقررت تجميد الممتلكات اليابانية في الولايات المتحدة، واقتفت بريطانيا وهولندا على الفور أثره فقطع بذلك عن اليابان جميع مواردها من المطاط، والحديد، والنفط^١.

وكانَت الولايات المتحدة قد دخلت الحرب في الوقت الذي كان موقف الحلفاء العربي يبعث على اليأس. فقد كانت جيوش هتلر مسيطرة على أوروبا الغربية، ودول البلقان، ومتوجلة في قلب الاتحاد السوفيتي الذي بدأ معظم المراقبين كأنه يشرف على ألقاء سلاحه قبلة قوة عدوه، وفي الوقت الذي كانت الطائرات اليابانية تضرب الأسطول الأمريكي الراسبي في ميناء بربل هاربر، والتي أقعدته عن العمل، استطاعت اليابان أن تتحل تايلاند، واندونيسيا، وسنغافورة، وبورما، وتم شل السلاح البحري البريطاني في الشرق الأقصى، ووصلوا إلى خليج البنغال، واستسلمت القوات الأمريكية في الفيليبين، وابتداء من نيسان من العام ١٩٤٢، قامت الولايات المتحدة بغارات جوية على مراكز اليابان المتعددة، ومنها: مدينة طوكيو، وأصيّبت اليابان بهزيمة بحرية كبيرة في معركة بحر المرجان ، في حين كانوا يحاولون الاستيلاء على ميناء موريش، وهي قاعدة ذات موقع استراتيجي مهم في غينيا الجديدة، وإغراق الأمريكيون أربع حاملات طائرات كبيرة يابانية خلال هجوم اليابانيين على جزيرة مدواي، وأوقفت هذه المعركة هجوم اليابانيين في المحيط الهادئ^٢.

ثامناً: الحلفاء يبدأون الهجوم في مختلف الميادين الحربية:

ما أن انتصر الحلفاء على قوات المخور في شمال أفريقيا قاموا بتطهير البحر المتوسط من قوات العدو البحري حتى يمكن لهم استخدامه لنقل قواهم ومهامهم، وكان موسوليني قد استقال من منصبه في ٢٥ تموز من العام ١٩٤٣، إذ تم إلقاء القبض عليه، وسُجن في معتقل خاص، وتشكلت ورائه حكومة عقدت هدنة مع الحلفاء، وكان من أهم شروطها: استسلام الإيطاليين بدون قيد أو شرط، وتوقف قواهم البرية عن القتال، وتسليمهم أسطولهم البحري والجوي إلى الحلفاء، وضمّاهم استخدام الحلفاء جميع الموانئ والمطارات الإيطالية، وما أن عرف الألمان بخبر هذه الهدنة حتى احتلوا روما في

^١ - المصدر نفسه، ص ٦٨٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٦٩٢.

١٠ أيلول ، وسيطروا على جميع مراافق البلاد، ولاسيما في الشمال، ففر المارشال بادولي، ورجال الحكومة إلى مراكز الحلفاء، وأعلنوا الحرب على ألمانيا، واستطاعت قوات الحلفاء المتمثلة بالقوات الأمريكية والبريطانية من طرد الألمان من إيطاليا نهائاً بعد توقيع هدنة في ٢٩ نيسان من العام ١٩٤٥ ، إذ سلم بمقتضاهما الألمان أنفسهم والقوا بأسلحتهم دون قيد أو شرط، وتوقفوا عن القتال في الثاني من أيار^١.

تاسعاً: نهاية الحرب:

لقد قامت القوات الأمريكية والبريطانية بفتح الجبهة الغربية لتحرير الدول التي احتلتها ألمانيا في حربهم الخاطفة في ربيع العام ١٩٤٠ ، ولنقل ميدان القتال إلى عقر دارهم ذاكما، فعين الجنرال أيزنهاور في كانون الأول من العام ١٩٤٣ ، قائداً أعلى لقوات الحلفاء، وعيّن الجنرال مونتجومري قائداً للجيوش البريطانية التي تحت إمرة أيزنهاور، وبدأ هجوم الحلفاء في صباح ٦ حزيران من العام ١٩٤٤ ، حينما أخذوا يتركون قواهم على الساحل الشمالي الفرنسي (ساحل التورماندي) بين شيربورج، والهاافر، وكان الحلفاء يسيطران على البحر والجو. وقد مكّنهم تفوقهم الجوي من تدمير مواصلات العدو وموارده، ومكّنهم تفوقهم البحري من إرسال العتاد، والمؤونة، والإمداد، إلى قواهم المهاجمة دون عناء كبير، واستطاعت القوات الأمريكية تحرير المدن الفرنسية ابتداءً من الساحل الشمالي، ونزلوا إلى المدن الأخرى حتى تم تحرير باريس، وطاردوا الألمان، وتم تحرير هولندا، وبلجيكا، وجنوب فرنسا، وفي منتصف شهر أيلول تم تحرير معظم أراضي فرنسا، وانتقلت قوات الحلفاء السوفيتية والغربية إلى داخل ألمانيا حتى تم تحريرها في ٨ أيار من العام ١٩٤٥ ، وكانت القوات السوفيتية قد حررت ودخلت أراضي دول شرق أوروبا بعد أن تم طرد الألمان منها حتى دخلت برلين التي أركان الحرب الألمانية وثيقة استسلام دون قيد أو شرط^٢ ، وعلى الرغم من انتهاء الحرب على الجبهة الأوروبية في أيار من العام ١٩٤٥ ، إلا أنها لم تنته مع اليابان إلا في آب من العام ١٩٤٥ ، وذلك حين ألقت الولايات المتحدة قنبلتين ذريتين عليها، الأولى على هيروشيما في ٦ آب، والأخرى على ناكازاكي في ٩ آب، فانتهت الحرب بعد استسلام اليابان في ١٤ آب من العام ١٩٤٥ .

^١ - المصدر نفسه، ص ٧٠٠.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٧٠٤-٧١٠.

المبحث الثالث

نتائج الحرب

تم في نهاية توز من العام ١٩٤٥، تقسيم ألمانيا إلى قسمين، قسم يحتله السوفيت، وتقع فيه العاصمة برلين التي قسمت بدورها إلى قسمين، قسم شرقي يحتله السوفيت، وقسم غربي تحتله الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وعلى الرغم من أن مؤتمر بوتسدام، لم يقرر شيئاً تجاه اقتطاع بعض أجزاء ألمانيا بشكل نهائياً، إلا أنه مع هذا المؤتمر بدأت الدول المتأخمة لألمانيا تطالب بتعديل حدودها مع هذه الدولة المغلوبة على أمرها، ففضلاً عن مطالب الاتحاد السوفيتي، وبولندا، في الأراضي الألمانية، أخذت الدول المجاورة بالمبادرة بتعديل حدودها أيضاً معها:

- الدانمارك طالبت بضمانة حقوق الأقليات في شلزفيك.
- هولندة طالبت بجزيرة بوركوم، وببعض الأحواض البترولية، ومناجم الحديد القرية من اكس لاشابيل، أي بمساحة قدرها ١٧٥٠ كم مربع يسكنها نحو ١٢٠ ألف نسمة.
- طالبت بلجيكا بتصحیح حدودها مع ألمانيا وكذلك لوکسمبورغ.
- طالبت جيكوسلوفاكيا بإقليم السوديت، وحققت مطلبتها بعد أن طردت السكان الألمان منها.

أما فرنسا ففضلاً عن مشاركتها في الاحتلال المؤقت لألمانيا فقد طالبت بعدة أمور منها:

١. فصل رينانيا اليسرى فضلاً نهائياً عن ألمانيا، ووضعها تحت إشراف دولي تشارك فيه فرنسا، وبريطانيا، وبلجيكا، وهولندة، واللوکسمبورغ.
٢. تقسيم ما تبقى من رينانيا، إلى عدة مناطق تتمتع بالحكم الذاتي بشكل تدريجي.
٣. فصل منطقة الرور نهائياً عن ألمانيا، ووضعها تحت نظام دولي.
٤. فصل السار عن ألمانيا، وتوحيدها اقتصادياً مع فرنسا.

وقد لقي المطلب الأخير تأييداً مباشراً وسريعاً من قبل الانكلوسكson، وقد ظهر ذلك بوضوح عن طريق الخطاب الذي ألقاه بينن أمام مجلس العموم البريطاني في ٤ حزيران من العام ١٩٤٦، عبر فيه عن تأييده لسياسة فرنسا تجاه السار. وقد أيده وزير خارجية الولايات المتحدة، ولذلك بعد أن أطمأن فرنسا إلى تأييد الانكلوسكson

لطلبها في السار عملت في ٢٢ كانون الأول من العام ١٩٤٦، إلى عزها عن باقي المنطقة التي وضعت تحت احتلالها العسكري المؤقت، وإلى فرض نظام جمركي خاص بها، إذ أن تقسيم ألمانيا إلى أربع مناطق احتلال لم يكن إلا حلاً مؤقتاً. أما الحل النهائي فقد عد من أهم القضايا التي خلفتها الحرب تعقيداً، إذ كان من الصعب الاتفاق عليه بين الحلفاء، وهم حلفاء بالفعل في مرحلة الحرب، وأخذت الصعوبة تزداد مع بداية الخلاف بين الحلفاء ، وتطوره إلى عداء تجلى بانقسام العالم إلى معاكسرين^١.

وفي خلال هذه المرحلة حاولت الدول الأربع الكبرى إيجاد الحل النهائي للقضية الألمانية، وتوقع معايدة صلح معها، إلا أن جميع الجهود التي بذلت، والمجتمعات التي عقدت باءت بالفشل، فالقضية الأولى التي باعدت في وجهات النظر بين الدول الأربع كانت قضية الإدارة المركزية ، إذ أن الولايات المتحدة كانت تصر على إيجاد إدارة مركزية، لكل ألمانيا، وشاركت الولايات المتحدة في بادئ الأمر في وجهة نظرها كل من بريطانيا، والاتحاد السوفيتي. أما فرنسا فقد عارضت بشدة هذا الاقتراح، وأعلنت عن ذلك بشكل رسمي في كانون الأول من العام ١٩٤٥ ، وتطييقاً لقرارات مؤتمر بوتسدام دعي وزراء خارجية الدول الأربع في اجتماع عقد في قوز من العام ١٩٤٦ ، تناول البحث في القضية الألمانية بتفاصيلها، فعرض مولوتوف، خلال هذا المؤتمر وجهة النظر السوفيتية حول توحيد ألمانيا، وأعلن أن بلاده تؤيد وجهة النظر الأمريكية في إيجاد الإدارة المركزية، وفي اليوم الذي ختم فيه المؤتمر جلساته في ١٢ قوز، أعلن مولوتوف بان بلاده تعارض المطالب الفرنسية في منطقة السار، وما يجدر توضيحه في الموقف السوفيتي، هو أن الوزير السوفيتي، وأن كان قد أيد الإدارة المركزية الألمانية سياسياً، إلا أنه عارض الوجه الاقتصادي لهذه الإدارة، ولذلك فإن موقفه التقى في جانب منه مع الموقف الانكليزي، وفي الجانب الآخر مع الموقف الفرنسي الرافض لأية إدارة مركزية سياسية كانت أم اقتصادية، ونتيجة لهذا التباين في وجهات النظر حول الإدارة المركزية لألمانيا عمد الانكليزون إلى توحيد المنطقتين الانكليزية والأميركية ابتداءً من أول تشرين الأول من العام ١٩٤٦ .

إن فشل المؤتمرين في الاتفاق حول الإدارة المركزية لألمانيا، لم يمنعهم من عقد مؤتمرات أخرى، عقدت بين نيويورك في تشرين الثاني من العام ١٩٤٦ ، وبين موسكو

^١ - د.رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

في ١٠ آذار من العام ١٩٤٧، وأن هذه المؤتمرات لم تكن أفضل حظاً من سبقتها بالنسبة لهذا الموضوع^١.

أما بالنسبة لقضية التعويضات فقد تقرر بان تقتطع من الجاهز الصناعي، وبواسطة فك المعامل، وبيان يكون للاتحاد السوفيتي ٥٥٪ من القيمة الإجمالية على أن يحصل على ٤٥٪ من المنطقة الخاضعة لاحتلاله، وعلى ٥٪ من المناطق الأخرى^٢.

أما بالنسبة لفرنسا فقد حاولت الحصول على حصتها من التعويضات، وذلك بشكل دقيق، وكاد أن يتم ذلك بدون أية مشكلات لو لا توقف بريطانيا عن تصدير الفحم الحجري إلى فرنسا مما دفع بفرنسا إلى المطالبة برفع قيمة حصتها من فحم الرور، فرفضت الولايات المتحدة الإنذار للطلب الفرنسي، وبقيت تلك القضية معلقة حتى كان حلها في مؤتمر موسكو المنعقد في ١٠ آذار من العام ١٩٤٧، إذا كان الأميركيون والإنكليز قد قرروا توحيد منطقتيهما اقتصادياً، ابتداء من أول كانون الثاني من العام ١٩٤٧، في حين احتفظت فرنسا بمنطقةها بعد أن سلخت عنها منطقة السار، ووضعت برلين تحت نظام مبني على الاحتلال الرباعي، فإن الاتحاد السوفيتي من جهته كان قد وضع يده على بروسيا الشرقية، وأسرع في تطبيق النظام الاشتراكي فيها، وكذلك سارعت بولندا بالاتفاق مع الاتحاد السوفيتي إلى ضم القسم المتبقى من بروسيا الشرقية، ونتيجة لهذه الممارسات تحول المشروع المؤقت إلى حل دائم، وأخذت تبرز معالم دولتين المانيتين، الأولى خاضعة للنفوذ الأميركي، وتسمى ألمانيا الغربية والثانية خاضعة للنفوذ السوفيتي وتسمى ألمانيا الشرقية^٣.

معاهدة الصلح مع إيطاليا:

تضمنت معاهدة الصلح مع إيطاليا أحکاماً مختلفة، تعلق البعض منها بقضايا التسلح، والبعض الآخر بالتعويضات، والتنازلات الإقليمية، وبالنسبة للبنود التي تعلقت بالتنازلات الأرضية، أجرت إيطاليا بوجها على إجراء العديد من التعديلات على جيرها:

- تنازلت إيطاليا لفرنسا عن منطقة تقدر مساحتها بـ ٥٥٠ كم مربع، وعدد سكانها ٥٥٠٠ نسمة وقت عمليةضم استناداً إلى حق تقرير المصير، حيث اجري

^١ - المصدر نفسه، ص ٧٩-٨٠.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٨٠.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٨١.

الاستفتاء بين سكان هذه المنطقة في تشرين الأول من العام ١٩٤٧، وكانت حصيلة الاستفتاء ٩١٪ لصالحة فرنسا.

● تنازلت إيطاليا إلى اليونان عن جزيرة رودس، وجزر الدودكانيز، أما بالنسبة للمستعمرات الإيطالية، فلم يتفق عليها، وإنما تقرر أن تعرض قضيتها على الأمم المتحدة بعد سنة من تاريخ تنفيذ معاهدة الصلح، وذلك باشتاء ألبانيا، والجبلة اللتان حصلتا على استقلالها فوراً، فضلاً عن سلخ بعض الأراضي عن إيطاليا، وحرمانها من مستعمراتها فقد تضمنت معاهدة الصلح مع إيطاليا بنود تتعلق بتجريد إيطاليا من السلاح، وتحديد جوشها البرية، والبحرية، والجوية. كما أنها تضمنت من جهة أخرى بنوداً تتعلق بالتعويضات المفروضة على إيطاليا لصالحة الحلفاء، ونشير في هذا المجال إلى أن إيطاليا لم تستمر في دفع التعويضات لمدة طويلة بل توقفت بسرعة، وذلك بسبب الحرب الباردة، وانضمام إيطاليا إلى المعسكر الغربي^١.

معاهدة الصلح مع رومانيا:

■ حرمت معاهدة الصلح رومانيا من بسارابيا، وشالي بوكوفينا، إلا أنها أعادت إليها كل ترانسلفانيا على حساب هنغاريا.
■ تنازلت رومانيا عن الدوبردجا الجنوبيّة لبلغاريا، وبذلك لم يبق لها سوى منفذ صغير على البحر.

■ أما من حيث البنود العسكرية، فقد تضمنت المعاهدة تحديد الجيش الروماني ١٢٠ ألف جندي، وأسطولها بخمسة آلاف جندي بما في ذلك سلاح المدفعية المضاد للطائرات، أما بالنسبة للتعويضات فقد نصت المعاهدة على دفع مبلغ ٣٠٠ مليون دولار إلى الاتحاد السوفيتي، كما نصت المعاهدة أيضاً على امتلاك الاتحاد السوفيتي لجميع رؤوس الأموال الألمانيّة في رومانيا، وإلى جانب ذلك فقد تضمنت المعاهدة بنداً يفرض على رومانيا تأمين الحريات السياسية، وصيانة حقوق الإنسان، وجميع الأشخاص. كما تضمنت المعاهدة بنداً آخر ينص على وجوب انسحاب القوات الخليفة من رومانيا خلال ٩٠ يوماً باستثناء الاتحاد السوفيتي الذي احتفظ لنفسه بحقبقاء بعض قواته العسكرية للحفاظ على خطوط مواصلاته مع قواته الموجودة في منطقة الاحتلال السوفيتي في النمسا^٢.

¹ - المصدر نفسه، ص ٨٢-٨٣.

² - المصدر نفسه، ص ٨٤.

معاهدة الصلح مع بلغاريا:

عندما بدأت بلغاريا الحرب كانت إلى جانب ألمانيا، إلا أنها بعد أن وقعت المذنة مع الاتحاد السوفيتي، وبريطانيا، والولايات المتحدة انقلبت على ألمانيا، وشاركت في الحرب إلى جانب الحلفاء، ومعاهدة الصلح مع بلغاريا إذا كانت قد خولتها الاحتفاظ بجنوب الدوبردجا على حساب رومانيا، إلا أنها حرمتها من تحقيق أطماعها في شواطئ بحر إيجا، وترacia الغربية. كما حددت بنود المعاهدة عدد الجيش البلغاري، ومنعت بلغاريا من القيام بأية تحصينات دائمة على حدودها الواقعة شمال اليونان، وقررت المعاهدة بأن تدفع بلغاريا تعويضات إلى اليونان، ويوغسلافيا^١.

معاهدة الصلح مع هنغاريا:

رغم أن حكومة موالية للسوفيت كانت قد شكلت في ٢٢ كانون الأول من العام ١٩٤٤، في الأراضي التي احتلتها الجيوش السوفيتية، إلا أن اتفاقية المذنة لم توقع بين الحلفاء وهنغاريا، إلا في ٢٠ كانون الثاني من العام ١٩٤٥، وكانت هذه المعاهدة مجحفة بحق هنغاريا أكثر من معاهدة الصلح التي وقعتها اثر الحرب العالمية الأولى، وتضمنت:-

١. التنازل عن روستينا الواقعة جنوب جبال الكاربات.
٢. التنازل عن القسم الجنوبي من سلوفاكيا إلى جيكوسلوفاكيا، وكذلك عن بعض القوى القرية من الحدود النمساوية.
٣. التنازل عن ترانسلفانيا لرومانيا.

وتم نزع سلاحها وتحديد عدد جيشهما. أما فيما يتعلق بالتعويضات فحددها المعاهدة بـ ٣٠٠ مليون دولار تدفع إلى الاتحاد السوفيتي، وجيكوسلوفاكيا، ويوغسلافيا^٢.

معاهدة الصلح مع فنلندا:

مع أن الاتحاد السوفيتي كان قد فرض على فنلندا اتفاقية موسكو لعام ١٩٤٠، إلا أنه وبسبب تغير الأوضاع الدولية من جهة، ودخول الاتحاد السوفيتي الحرب إلى جانب الحلفاء، ومساعدة فنلندا لألمانيا من جهة ثانية، عادت الدول الخليفة، وفرضت على فنلندا معاهدة صلح جديدة كانت شروطها أقسى بكثير من تلك التي

^١ - المصدر نفسه، ص ٨٥.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٨٦.

أدت عليها معاهدة موسكو المذكورة آنفا، فيما يتعلق بالتنازلات الأرضية أعطت المعاهدة الجديدة للاتحاد السوفيتي المناطق التالية:-

١. جزء كبير من شمال البلاد بحيث قطع اتصالها بالخيط المنجمد الشمالي، وجعل للاتحاد السوفيتي حدوداً مع النرويج.

٢. القسم الجنوبي الشرقي للأراضي الواقعة إلى شمال بحيرة لادوغة بما في ذلك فيبورغ.

٣. جزيرة يوركala، وشرطياً على خليج فنلندا حتى ١٣ كم من العاصمة هلسنكي مقابل إيجار حده الاتحاد السوفيتي بـ ٥ ملايين مارك فنلندي، فضلاً عن تحديد عدد جيشهما، ونصت المعاهدة على تحرير جزر الآند من السلاح. كما أنها من جهة ثانية فرضت على فنلندا دفع تعويضات للاتحاد السوفيتي^١.

معاهدة الصلح مع اليابان:

تم استسلام اليابان في ٢ أيلول من العام ١٩٤٥، بدون قيد أو شرط، وتم إنشاء لجنة الشرق الأقصى التي تضم ممثلي الحلفاء، وإنشاء مجلس اليابان، وتضم ممثلين عن السوفيت، والصين، وممثل مشترك عن بريطانيا، واستراليا، ونيوزيلندا، والهند، برئاسة المندوب الأميركي ماك آثر. وقد تم تنفيذ مقررات المؤتمرات السابقة، هي:-

مؤتمر القاهرة:

١. استرجاع الصين لمنطقة منشوريا، وجزر فرموزا.

٢. إعطاء كوريا استقلالها.

أما مؤتمر يالطا فقد أقر:

١. استرجاع الاتحاد السوفيتي للقسم الجنوبي من سخالين.

٢. استعادة القاعدة البحرية بور آثر.

٣. تدوين الميناء التجاري ديران.

٤. المحافظة على الوضع الراهن في منغوليا.

٥. ضم الاتحاد السوفيتي لجزر الكوريال.

٦. وضع الخطوط الحديدية لمنشور يا الجنوبية، والصين الشرقية بإدارة شركة سوفيتية- صينية، وذلك لتأمين منفذ للموانئ السوفيتية.

^١ - المصدر نفسه، ص ٥٧.

٧. أقر مؤتمر يالطا سلخ جميع المناطق التي احتلتها الجيوش اليابانية في الحرب العالمية الأولى، والتي انتدبت من قبل عصبة الأمم، وأهم هذه المناطق جزر ماريان، ومارشال وكارولين.^١.

القضايا الأوروبية غير المتعلقة بالدول الهزومة:

بولندا:

بموجب المعاهدة الموقعة بين الاتحاد السوفيتي، وبولندا في ١٧ آب من العام ١٩٤٥، فقد تم تحديد الحدود الشرقية لبولندا بخط كورزون، أي بمعنى تنازلت بولندا عن جميع أراضيها في أوكرانيا، وروسيا البيضاء، وقسمت بروسيا الشرقية بين الدولتين، حيث نال الاتحاد السوفيتي القسم الشمالي منها مع كونيكتicut التي أصبحت كالينغراد، في حين نالت بولندا القسم الجنوبي منها. أما بالنسبة للحدود الغربية لبولندا فقد حددت بخط الادورنيس، أي أنها ضمت جميع الأراضي الألمانية إلى شرقى هذا الخط، وبذلك حصلت بولندا نحو ٤٠٠ كم مربع من جهة البلطيق مع الأشراف على أفواه الادور والفيستول، ولكن على الرغم من ضم بولندا لهذه الأرضي الألمانية التي عدّها الانكلوسكون ضمناً مؤقتاً فإن مساحة بولندا لم تبلغ المساحة التي كانت لها مع بدء الحرب العالمية الثانية، إذ أن مساحتها تقلصت من ٣٨٨ ألف كم مربع إلى ٣٠١ ألف كم مربع.^٢.

جيكسلافاكيا:

عقدت جيكسلافاكيا بعد تحريرها من الألمان معاهدة مع الاتحاد السوفيتي تنازلت بموجبها عن المنطقة السوفيتية الواقعة جنوب جبال الكربات، وذلك في ٢٩ حزيران من العام ١٩٤٥.^٣.

^١ - المصدر نفسه، ص ١١٦-١١٩.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٨٩.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٩٢.

المبحث الرابع

المؤتمرات الدولية خلال

الحرب العالمية الثانية

أولاً: - ميثاق الأطلسي ١٩٤١ :

بعد الهجوم الألماني على الاتحاد السوفيتي شعرت الولايات المتحدة بأنه لابد من إعادة النظر في موقفها، و موقف بريطانيا من الاتحاد السوفيتي، فتم عقد اجتماع بين الرئيس الأمريكي روزفلت، ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل في ١٤ آب من العام ١٩٤١، على ظهر المدرعة الانكليزية أمير ويلز، ونتج عن هذا الاجتماع التوقيع على ميثاق الأطلسي الذي تضمن ثمان نقاط، أهمها تعهد الدولتين إهما لا تسعيان إلى التوسيع الإقليمي، وأهما لا يرغبان في حدوث تغييرات إقليمية لا تتفق مع الرغبات الحرة للشعوب، وأهما تختاران حق الشعوب في اختيار حوكمةها، ويرغبان في إنشاء نظام عالمي للتعاون الاقتصادي، ونظام عالمي للسلم يحقق الأمن لجميع الأمم داخل حدودها، وتتضمن الميثاق تقديم العون المادي للاتحاد السوفيتي لكي يتمكن من الصمود في وجه الزحف النازي، وكان من نتيجة ذلك أن أنسنم الاتحاد السوفيتي إلى هذا الميثاق مع بقية الدول الخليفة في ٢٤ أيلول من العام ١٩٤١^١.

ثانياً: - مؤتمر واشنطن، وتصريح الأمم المتحدة:

بعد أن أقدمت اليابان على تدمير الأسطول الأميركي في بيرل هاربر في ٧ كانون الأول من العام ١٩٤١، نشطت الدبلوماسية الأمريكية بهدف توحيد الخطوط مع الدول الخليفة، فكان اللقاء في واشنطن بين تشرشل، وروزفلت في ٢٢ كانون الأول من العام ١٩٤١، والذي استمر حتى ١٤ كانون الثاني من العام ١٩٤٢، وحضر بعض الاجتماعات السفير السوفيتي في واشنطن، وتركز البحث في هذا الاجتماع في إيجاد أساس للتعاون بين الطرفين، وتحديد الجبهة التي يترکز عليها القتال، وصدر عن الاجتماع بعض المقررات العسكرية، وأبرزها تقسيم العالم إلى مناطق عمليات تخضع كل منها إلى قيادة حليف، و تكون السلطة العليا (أركان مشتركة)، ويكون مركزها في واشنطن، وتقرر على أنه لا يمكن للحلفاء أن يفتحوا جبهة حربية في أوروبا الغربية أولاً بعد أن يمهدوا لذلك بعملية إنزال في إفريقيا الشمالية الفرنسية، واهم ما صدر عن اجتماعات واشنطن توقيع تصريح الأمم المتحدة في اليوم الأول من العام ١٩٤٢، من قبل ٢٦ أمة، وتضمن هذا التصريح فضلاً عن المبادئ التي نص عليها

^١ - د.رياض الصمد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٧.

ثالثة في البلقان، واتى هذا الرفض بعد أن عارضه روزفلت وندد به ستالين بشدة الذي أعلن بأن الهجوم يجب أن يذهب مباشرة، وعلى خط مستقيم إلى برلين، وأن السبب الحقيقي الذي دعا ستالين إلى رفض المشروع البريطاني هو رغبته بان تختل الجيوش السوفيتية لوحدها بلاد البلقان، وكذلك ناقش المؤتمر قضايا الحرب في الشرق الأقصى، وموافقة ستالين على أمداد الانكليوسكسون بالمعلومات العسكرية فيما يخص الحرب الدائرة في الشرق الأقصى دون أن يعلن الحرب على اليابان، وكذلك مناقشة الأوضاع التي ستؤول إليها ألمانيا بعد الحرب، ودرس الاقتراحات المتعددة حول أمكانية تحزتها، وكذلك مناقشة أمكانية إنشاء منظمة دولية جديدة، وتركيز روزفلت في ذلك^١.

إن هذا المؤتمر كان مهمًا، وأن كانت النتائج الملموسة التي أحرزها في الميدان العسكري أقل أهمية من الجو الجديد الذي كونه على ما يبدو^٢.

خامسًا: مؤتمر يالطا ١١ - ٤ شباط عام ١٩٤٥:

شارك في هذا المؤتمر الرؤساء روزفلت، وترشل، وستالين وكانت الحرب تتجه نحو النصر لمصلحة الحلفاء، وناقشت الزعماء القضايا الآتية:

١. قضية الأمم المتحدة، وكيفية التصويت في مجلس الأمن

٢. قضية تقسيم ألمانيا بين الحلفاء، ونصيب فرنسا منه.

٣. قضية الحدود البولندية مع الاتحاد السوفيتي، فالنسبة لحدود بولندا مع الاتحاد السوفيتي أيد روزفلت الزعيم السوفيتي ستالين في جعل خط كورزن الحد الفاصل بين الاتحاد السوفيتي، وبولندا على أن يعرض على بولندا بعض الأراضي التي كانت تابعة لألمانيا، وأقر ذلك رغم معارضة ترشل، ومحاولته جعل الحدود البولندية تقتد إلى أبعد من خط كورزن بكثير.

٤. قضية إعلان الاتحاد السوفيتي الحرب على اليابان. وقد فرض الاتحاد السوفيتي شرطان في ذلك هما: الأشراف على الخطوط الحديدية في منشوريا، واسترجاع قاعد بور آرثر، واسترجاع القسم الجنوبي من سخالين، وأرخبيل كوريل^٣.

ويعد البعض أن مؤتمر يالطا مقدمة لتقسيم العالم بين مصالح الدول الكبرى قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية، وكان مقدمة لوضع تصور خارطة للعالم لما بعد الحرب، وكان من أهم أهداف المؤتمر تدمير القوة العسكرية الألمانية بشكل يجعل الدول الكبرى

^١ - د.رياض الصمد، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤ ، وكذلك د.محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٩.

^٢ - ج.ب.دوروزيل،(التاريخ الدبلوماسي في القرن العشرين، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٨).

^٣ - د.رياض الصمد، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

الميثاق الأطلسي، إذ تعهدت الأمم المتحدة باستعمال كل طاقتها المادية والمعنوية، بعدم توقيع هدنة أو صلح منفرد مع دول الحور^١.

ثالثاً: مؤتمر وزراء الخارجية في موسكو العام ١٩٤٣:

في ١٩ تشرين الثاني من العام ١٩٤٣، أُنعقد هذا المؤتمر بعد الانتصار السوفيتي على الألمان في معركة ستالينغراد، وانتصار الحلفاء على قوات الحور في العلمين في مصر، وأدى ذلك إلى شعور الحلفاء بالثقة في تحقيق النصر، وشرعوا في رسم مستقبل السياسة الدولية بعد الحرب. فقد أجتمع وزراء خارجية الولايات المتحدة، وبريطانيا، والاتحاد السوفيتي في موسكو، وقرروا تأليف لجنة استشارية أوروبية تجتمع في لندن عند اقتراب أهليات النظام النازي بين الحلفاء، وجرى في جو ودي، ومع هذا فإنه لم يوضح نقطة أساسية، وهي معرفة الخل الذي يجب إيجاده بعد الحرب للمشكلات الأوروبية. ولقد عُدّ مؤتمر موسكو من أهم المؤتمرات التي عقدت خلال الحرب العالمية الثانية لكونه ضم لأول مرة مُمثلين عن حكومات الدول الخليفة الكبرى، وأسفر الاجتماع عن إصدار إعلان مشترك يتضمن المبادئ التي يجب أن تحكم السياسة الدولية بعد انتهاء الحرب، وأهمها إنشاء منظمة عالمية للمحافظة على السلم والأمن الدوليين، وتعهد الدول الموقعة بعدم استعمال قواها الموجودة في أقاليم الدول الأخرى بعد نهاية الحرب إلا بعد استشارة الدول الأخرى الموقعة على التصريح، وكان في ذلك إشارة ضمنية إلى توسيع القوات السوفيتية في أوروبا الشرقية بعد أن بدأت القوات الألمانية تتراجع، وتبعها القوات السوفيتية، وكان أهم مقررات المؤتمر ما يلي:

دعوة الرؤساء الثلاثة روزفلت، وترشيل، وستانلين إلى اجتماع قريب يعقد في طهران^٢.

رابعاً: مؤتمر طهران العام ١٩٤٣:

حضر المؤتمر الرؤساء روزفلت، وترشيل، وستانلين وانعقد في ٢٨ تشرين الثاني من العام ١٩٤٣، وامتدت المباحثات حتى بداية كانون الأول، وحضور وزراء خارجية الدول الثلاث، تداول فيه أعضاء المؤتمر أوضاع الحرب بالتفصيل، ويعد آخر مؤتمر اتضح فيه تعاون الحلفاء ضد الحور. فقد اجل الحلفاء في هذا المؤتمر النظر في كل القضايا الخلافية إلى ما بعد انتهاء الحرب نظراً حاجتهم إلى استمرار التعاون العسكري، وكانت أهم نتيجة لانعقاد المؤتمر هي فتح جبهة غربية ضد ألمانيا انطلاقاً من سواحل فرنسا عن طريق الإنزال في التورماندي، وكذلك رفض الاقتراح الانكليزي بفتح جبهة

^١ - د.رياض الصمد، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٤، وكذلك د. محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨.

^٢ - د.رياض الصمد، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٦، كذلك د.محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨.

متأكدة من أن ألمانيا لن تعود خلقاً لاضطراب، وقديد العالم، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر هيئة الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة لوضع ميثاق المنظمة على الأسس التي اعتمدت في مؤتمر دمبارتون أكس.^١

سادساً: مؤتمر بوتسدام توز العام ١٩٤٥:

عقد في ١٧ تموز من العام ١٩٤٥، ويعدّ من أهم المؤتمرات التي عقدت خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك يعود لعدة أسباب:

١. لأنّه انعقد بين تاريخي استسلام ألمانيا واليابان.

٢. لأنّه كان آخر مؤتمر جمع زعماء الدول الحليفة الثلاث، وذلك رغم التبدل في رئاسة الولايات المتحدة، وبريطانيا فتroman مثل الولايات المتحدة بعد وفاة روزفلت، واتلي مثل بريطانيا بعد خروج تشرشل.

٣. للنتائج المهمة التي نتجت عنه، وخاصة فيما يتعلق بأوروبا.^٢

إنّ غاية هذا المؤتمر هو تحقيق مقررات مؤتمر يالطا حول ألمانيا، والتي نصت على تحريرها عسكرياً، والقضاء على النازية نهائياً، وتقرر أن يتعاون الحلفاء من اليوم، وفي المستقبل لاتخاذ إجراءات فعالة لا تسمح لها أن تجدد ألمانيا جاراها أو تجدد السلام العالمي في المستقبل، واستناداً لاتفاق حول آلية الإشراف على ألمانيا، فإن السلطة العليا في هذه الدولة يمارسها، بالتنسيق مع دولهم قادة القوات المسلحة لاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، على أن يشرف كل واحد على المنطقة التي يمثلها، ثم التعاون فيما بينهم جيّعاً حل المشكلات العامة بكل ألمانيا على أنهم أعضاء في لجنة الأشراف.

أهداف الحلفاء:

هناك أهداف سعي الحلفاء لتحقيقها، وهي:

١. تحرير ألمانيا تحريراً تاماً من كل سلاح، وتسريح كل جيوشها، والأشراف على المصانع لمنعها من وضع أي أنتاج حربي، ولتحقيق هذه الأهداف يجب،

أ- تسريح كل قوات الجيش الألماني البرية، والجوية، والبحرية.

ب- حل الغواستابو مع كل فروعه، ومنظمه، وخلاياه.

ت- القضاء على النازية وقوائينها واعتقال مجرمي الحرب الذين شاركوا في تحقيق انتشار النازية أو في جرائم الحرب، ثم تقديمهم إلى المحاكمة.

^١ روبرت بيتنز، مقررات مؤتمرات طهران- يالطا- بوتسدام، ترجمة: عبد الرحمن دهيني، مراجعة محمد الحجري، منشورات الفاخرية ببارياض، بالاشتراك مع دار الكاتب العربي، بيروت، بلا تاريخ، ص ٦٣-٧٧، وص ١١٢، وكذلك ص ١١٤-١٥١.

^٢ درياض الصمد، الجزء الثاني، مصدر سابق ذكره، ص ٥٥-٥٦.

ثـ- يجب تشكيل حكومة محلية ذاتية لكل ألمانيا على المبادئ الديمقراطية، وعلى أساس انتخاب جان بالسرعة التي تتناسب، والأمن العسكري، وعلى ضوء أهداف الاحتلال.

جـ- يجب تشجيع كل الأحزاب الديمقراطية السياسية، وإعطائها حق الاجتماع، وحق النقاش، والسماح لها بالعمل في كل ألمانيا.

٢ـ قرر المؤتمر أن تحمل ألمانيا مسؤولية دفع التعويضات عن كل الخسائر، والإضرار التي لحقت بدول العالم الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة.^١

وفي المؤتمر، اقترح الوفد الأمريكي إنشاء مجلس لوزراء الخارجية يعقد جلسته الأولى في لندن في أيلول من العام ١٩٤٥، ويكون مؤلفاً من وزراء خارجية الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، والاتحاد السوفيتي، والصين، وتتلخص مهمته الأساسية بتحضير معاهدات السلام مع الدول التابعة لألمانيا وايطاليا، ورومانيا، وبلغاريا، وهنغاريا، وفنلندا، واقتراح التسوية الأساسية للقضايا المعلقة. أما معاهدة السلام مع ألمانيا، فسيتم تحضيرها لاحقاً وتقرر حل اللجنة الاستشارية الأوروبية.^٢

سابعاً: موقف فرنسا من المؤتمرات الدولية:

في الوقت الذي كانت تعقد فيه المؤتمرات دون فرنسا، ولاسيما بين الدول الثلاث الولايات المتحدة، وبريطانيا، والاتحاد السوفيتي، وكانت المساعي الانكلوسكسونية تبذل من أجل توحيد القوات الفرنسية المعارضه لحكومة فيشي الموالية للألمان، أي بين قوات الجنرال ديغول التي اتخذت مركزاً لها في لندن، وقوات الجنرال جيرو التي اتخذت من الجزائر مركزاً لها، وبضغوط من تشرشل، وروزفلت وافق ديغول على التفاوض مع جيرو، والتي أدت بالنتيجة إلى التوصل إلى اتفاق بين القائدين الفرنسيين على إنشاء جنة التحرير الوطني الفرنسية، حيث يكون مقرها في الجزائر، وكانت اللجنة بقيادة الجنرالين، ولكن بسبب استمرار الخلافات بينهما قدم الجنرال جيرو استقالته، وأصبح الجنرال ديغول على قيادة جنة التحرير الوطني الفرنسية التي تحولت إلى حكومة مؤقتة للجمهورية الفرنسية في ٣ حزيران من العام ١٩٤٢، وعلى اثر تحرير باريس أصبح ديغول رئيس الحكومة الفرنسية بعد التحرير، واعترفت بها الولايات المتحدة، وبريطانيا، والاتحاد السوفيتي، ولما عقد مؤتمر يالطا لم تدع إليه فرنسا، ولكن وجهت دعوة لديغول من روزفلت للاجتماع به في الجزائر مما دعا ديغول إلى رفض هذه الدعوة، وكان ذلك من بين الأسباب التي أدت إلى تدهور العلاقات الفرنسية- الأمريكية بعد قيام الجمهورية الخامسة بزعامة الجنرال ديغول^٣.

^١- روبرت بينتزل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٧-٢٦١.

^٢- ج.ب.دوروزيل، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠٨-٥٠٩.

^٣- د.رياض الصمد، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠-٤٩، وكذلك انظر الصفحتين ٥٥-٥٤.

الفصل التاسع:

تطورات الحرب الباردة

• المبحث الأول:

مفهوم وبداية الحرب الباردة وتطورها حتى العام ١٩٥٠.

• المبحث الثاني:

تطورات الحرب الباردة ١٩٥٠-١٩٦٢.

• المبحث الثالث:

تطور الحرب الباردة من العام ١٩٦٢ حتى الوفاق.

الفصل التاسع

تطورات الحرب الباردة

المبحث الأول

مفهوم الحرب الباردة وتطورها حتى العام ١٩٥٠

أولاً: المفهوم:

(الحرب الباردة) هي نزاع تتحاشى فيه الأطراف ذات العلاقة المجرؤة إلى استعمال السلاح الواحد ضد الآخر، وغالباً ما يستعمل هذا المصطلح للدلالة على المواجهة بين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي^١.

إن ما يمكن أن نلاحظه على الحرب الباردة هي إعادة توزيع القوة العالمية التي فرضتها الحرب العالمية الثانية. فقد نفت قوة كل من الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي بشكل ليس له مثيل، وترجمة قوة كل من الدولتين من قوة هائلة كامنة في العام ١٩٣٩، إلى قوة فعلية هائلة بعد الحرب، فعلم ما بعد الحرب لم يشهد مشاركتهما الفعالة في الشؤون العالمية فقط، إنما شهد احتكارهن المشترك لتقرير مصير العالم. لقد حل دور هاتين الدولتين العظيمتين في الشؤون العالمية محل دول وإمبراطوريات كبرى زالت أو ضعفت عما كان لحقبة ما قبل الحرب، فقد انهارت ألمانيا، واليابان كقوى كبيرة، وضعفوا واستترفت قدرات فرنسا، وبريطانيا، وأصبحتا دول من الدرجة الثانية.

إن أهم ما يمكن أن نلاحظه على النظام الدولي الجديد لحقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية الآتي:

١. التلاشي السريع للنظام الاستعماري، في الشرق الأوسط، وأفريقيا، وآسيا، ليحل محله عشرات من الدول الصغرى الجديدة، والتي امتازت بعدم الاستقرار، وأن هذه الدول الجديدة ثارت على النظام القديم الاستعماري، ورأت نفسها محرودة من أية قوة تحميها من تأثير القوى العظمى الجديدة.

٢. ظهور الثورة التكنولوجية والعلمية التي أخذ يرمز لها بظهور السلاح النووي الذي أصبح السلاح الأول الذي تمتلكه الدول العظمى.

^١ - د.أدونيس العكرة، من الدبلوماسية إلى الإستراتيجية: أمثلات من الحرب الباردة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١، ص ٤٥.

٣. ظهور الأمم المتحدة، وهي التنظيم الدولي الجديد الذي حل محل عصبة الأمم التي فشلت في تحقيق الأمن والسلام في العالم.

٤. قيام نظام توازن القوى ثنائي القطبية القائم على امتلاك الدولتين العظميين للسلاح النووي، في حين لا تمتلك القوى الصغرى الأخرى أي تأثير في ميزان القوى.

٥. ظهور سباق التسلح بين الدولتين العظميين، فالولايات المتحدة التي بدأت بالتفوق النووي على الاتحاد السوفيتي حتى العام ١٩٤٩، ومن ثم فإن امتلاك الاتحاد السوفيتي للسلاح النووي أدى إلى قيام التوازن بينهما.

٦. بروزت في حقبة الحرب الباردة ثلاثة من المفاهيم سادت السياسة الدولية، فالاتحاد السوفيتي طرح صورة مثالية لمجتمع شيوعي يخلو من الطبقات، ومن ثم فإن الناس يعيشون في الدولة عيشة متاخية، ويتحقق ذلك عن طريق الامتناع عن استخدام وسائل العنف، أما الولايات المتحدة، فإنها طرحت فكرة الديمocratية بهدف إقامة مجتمع دولي يقوم على الانسجام والسلام، يكون فيه الفرد والجماعة ملزمين قيادة المجتمع الإنساني بوضع حدود لحرية الدول. أما النظرية الثالثة فدعت إلى قيام عالم مناهض للاستعمار، عالم تتحى فيه الفوارق عن طريق إقامة تعاون كوني، وذلك من أجل القضاء على العوز المادي للجنس البشري، وهكذا يمكن وصف الحرب الباردة بأنها تصادم بين فلسوفات مختلفة^١.

٧. كان للدعائية دوراً مهماً يمكن الاستفادة منه في الحرب الباردة، إذ جأت كل دولة من الدول المتواجهة عن طريق وسائل الأعلام، إلى إثارة الرأي العام العالمي ضد الخصم من أجل تشويه صورته. وقد تستخدم إلى جانب ذلك بعض وسائل العنف والتخريب وإثارة المشكلات الداخلية، والقلائل، والخروب الأهلية بهدف إهاء الخصم، وإرغامه على التراجع في أمكنة أخرى أو تخفيض حدة بعض المواقف. كما أن الحرب الباردة لا تستثنى أمكانية اندلاع حروب محدودة محلية تتواجه عن طريقها الدول الكبرى، وذلك بأن تتحد كل واحدة مع حليف من الدول المتحاربة بالسلاح والدعم العسكري^٢.

¹ - تشارلس أو ليبرتش، الحرب الباردة وما بعدها، تعریب: د. فاضل زكي محمد، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٦، ص ٢٤-١٦.

² - ادونيس العكرة، مصدر سبق ذكره، ص ٦-٤.

٨. اقتضت الحرب الباردة تطبيق سياسة الاستقطاب، فكل طرف اخذ يكسب حلفاء وأتباع، ويضمها إلى معسكره، فالولايات المتحدة أقامت مجموعة من الأحلاف العسكرية لتطبيق الاتحاد السوفيتي، وبالمقابل أقام الأخير حلفه الخاص بمعسكره، والذي أطلق عليه المعسكر الشرقي لمواجهة تحدي المعسكر الغربي.

ثانياً: بداية الحرب الباردة وتطورها حتى العام ١٩٥٠

ليس هناك تاريخ محدد لقيام الحرب الباردة، إذ اختلف المعنيون في العلاقات الدولية في تحديد بداية الحرب الباردة، فالبعض من المختصين يرى بان الحرب الباردة قد بدأت فعلاً بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبالضبط اثر خطاب ونستون تشرشل في مدينة فيولتون في ولاية ميسوري في الولايات المتحدة في ٥ آذار من العام ١٩٤٦ ، قال فيه بأن السوفيت لا يحترمون إلا القوة، ويجب على الشعوب الناطقة باللغة الانكليزية أن تتحدى لمنع أية مغامرة توسعية يقدم عليها ستالين، وبعض المؤرخين ينسبون مسئولية تردي العلاقات إلى الرئيس ترومان الذي انتهج سياسة خلافاً لسلفه روزفلت، تقوم على معاداة الشيوعية بداعم الخوف، وعلى الثقة بقوة الولايات المتحدة المتفوقة على جميع القوى بسبب امتلاكها للسلاح الذري. كما يضع البعض مسئولية تردي العلاقات على كاهل ستالين الذي لم يتقييد باتفاقية يالطا، وخاصة فيما يخص مبدأ الشعوب المحررة من النازية في تقرير مصيرها، وبسبب تجدده المستمر للدول المجاورة بهدف إدخالها تحت سيطرته الفعلية^١.

ومنهم من يقول أن الحرب الباردة بدأت بعد نجاح الثورة البلشفية في العام ١٩١٧، وذلك عندما رأت كل من فرنسا، وبريطانيا، والولايات المتحدة أن مصالحها السياسية، والاقتصادية، والعسكرية أصبحت مهددة، وأن كل الأوضاع الاجتماعية في كل من هذه الدول الثلاث قد أصبحت مهددة أيضاً بخطر المد الشيوعي، فعمدت إلى التدخل لضرب الثورة الروسية، والقضاء على النظام الشيوعي الجديد، ولكن بالرغم من هذه ، فالواقع يشير انه إذا كانت جذور الحرب الباردة تعود إلى ذلك التاريخ، فإنما قد بدأت فعلاً، وبشكل سافر بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك عندما تفكك التحالف بين الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، والاتحاد السوفيتي بعد انهيار النظام النازي وزوال الخطر المشترك الذي كان سبباً في قيام هذا التحالف^٢.

^١ - المصدر نفسه، ص ٥١-٥٣.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٥.

وبعد أن أشرفت الحرب على نهايتها، وبعد أن بدأ الخطر النازي ينكشف على دول أوروبا، أخذت بوادر الشقاق تظهر في علاقات الدول الخليفة، وكان ذلك يعود إلى التباين الأيديولوجي من جهة، وإلى التباين في وجهات النظر حول استغلال نتائج الحرب العالمية الثانية، وتحقيق مكاسب من جهة أخرى، ففي شهر تشرين الأول من العام ١٩٤٤، وفي حين كان الاتحاد السوفيتي يركز موقعه في أوروبا الشرقية كان الرئيس روزفلت منهمكاً بالانتخابات الرئاسية التي أدت إلى فوزه للمرة الرابعة على التوالي، وعندما ذهب ترششل إلى موسكو لمقابلة ستالين، دون أن يحظى بموافقة روزفلت للتفاوض باسمه وقع اتفاقاً سرياً بينه وبين الاتحاد السوفيتي يتضمن تقسيماً لمناطق النفوذ للطرفين في البلقان فكانت اليونان من نصيب بريطانيا، ورومانيا من نصيب الاتحاد السوفيتي، أما هنغاريا، ويوغسلافيا فقد اتفق الطرفان على أن يكون إشرافهما عليها متتساوياً ولكن الولايات المتحدة كانت ضد سياسة مناطق النفوذ فما كان منها إلا أن بادرت إلى مساعدة حركات المعارضة ضد الانكليز في كل من اليونان، وبليجيكا، وايطاليا، وفضلاً عن ذلك، فإن الخلاف بين الأميركيين والسوفيت حول المسألة البولندية لم يكن من السهل تجاوزه، فasad جو من التوتر والتبعاد بين القوى الثلاث في الوقت الذي كانت فيه الحرب مع اليابان تهدد بتحول كبير في الجرى العام للحرب^١.

وما عقد مؤتمر بوتسدام لم يخرج أعضاءه بقرارات ايجابية إلا فيما يخص المسألة الألمانية، وبعد استسلام اليابان في ١٤ آب من العام ١٩٤٥، بدأت المفاوضات والاتفاقيات بين الحلفاء حول اقسام مناطق النفوذ في الشرق الأقصى في جو من عدم الثقة، والتنازع المبطن أحياناً، والعلي أحياناً أخرى، وخاصة فيما يتعلق بمنشور يا، وأثر الحرب الأهلية في الصين بين شان كاي شيك، وماو تسي تونغ، كل ذلك كان من شأنه أن يزيد شقة الخلاف بين الحلفاء، ويزيد من ثم من رغبة الرئيس ترومان في الخروج من الغزلة الأمريكية التقليدية التي كان قد رسّها الرئيس جيمس جونسون في القرن التاسع عشر، والتي تقضي بعدم تدخل الولايات المتحدة في الشؤون الأوروبية، هذا التحول في السياسة الأميركية كان له شأن كبير في مسيرة الحرب الباردة^٢.

إن أحد أسباب الحرب الباردة هي رفض ستالين إجراء انتخابات في دول أوروبا الشرقية، لأنه اعترف أن مثل هذه الانتخابات قد تنتهي إلى انتصارات معادية

¹ - تشارلس أو ليتش، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢.

² - د.دونيس العكرة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤.

للاتحاد السوفيتي، وصمم على أن المصالح القومية للاتحاد السوفيتي تتطلب إقامة أنظمة تقوم على الصداقة في الأقل في كل من بولندا، وبولغاريا، ورومانيا، وهنغاريا. وقد أدى هذا الانتهاك لاتفاقيات يالطا إلى خلق روح من التباعد بين المعسكرين، واتسعت الهوة في أيلول من العام ١٩٤٥، حينما اجتمع وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى في لندن، واستمر الاتحاد السوفيتي الذي كان يمثله مولوتوف في عدم التعاون مع الغرب بشان وضع أوربا الشرقية، وذلك لأنه كان يرغب بوضوح في خلق حلقة من الدول تدور في فلكه، وفي مقابل ذلك كانت الدول الكبرى الأربع الأخرى تردد تمسكاً واقتراباً لتفق موقف المعارضة من الاتحاد السوفيتي، وحين شاهد الاتحاد السوفيتي تطور هذا الانخیاز طلب استبعاد كل من فرنسا والصين في المباحثات السياسية الكبرى، نظراً لأهمما لا تصلان إلى مستوى قوة الدول الثلاث الأخرى، ولما أدرك الاتحاد السوفيتي أن بريطانيا، والولايات المتحدة لن توافقا على هذا الاتجاه أوقف المؤتمر فجأة، وبعد هذهلحظة ازداد موقف الولايات المتحدة صلابة من الاتحاد السوفيتي، وكان ستالين يتحرك دون أن يهتز تجاه تحقيق أهدافه في الدول التابعة له في أوربا الشرقية، ودون إعارة أي أهمية لنداءات الأميركيين المتكررة لأنتابع قواعد الأخلاق الدولية، ومن البطريق إلى الأدرياتيك وضع الستار الحديدي فوق القارة، وأصبحت جميع دول أوربا الشرقية خاضعة للنفوذ الشيوعي، وتحت الأشراف المباشر من جانب موسكو^١.

لقد تميزت سنة ١٩٤٦، بزيادة حدة التوتر بين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي بسبب قضية اليونان، ومحاولة الاتحاد السوفيتي استعمالتها بالقوة عن طريق دعمه للمعارضة اليسارية ضد الحكومة القائمة، والمدعومة من قبل بريطانيا، وكذلك قضية أذربيجان، حيث حاول الاتحاد السوفيتي التغلغل في الأراضي الإيرانية، وضم قسم منها إلى جمهورية أذربيجان السوفيتية بحججة الانتماء القومي، وبداية الحرب الهند الصينية، حيث حاول الاتحاد السوفيتي أن يدعم القوى الشيوعية ضد السيطرة العسكرية الفرنسية، وخاصة قضية الانسحابات العسكرية، إذ كان مقرراً أن تسحب جيوش الحلفاء من المناطق والبلدان التي كانت تحتلها أبان الحرب، وتقييد الأميركيون والبريطانيون بهذا القرار، وفي حين لم يتبعه تقييد مماثل من قبل الجانب السوفيتي. لقد توصل الحلفاء إلى توقيع معاهدات سلام مع الدول الحليف لألمانيا، ولكنهم لم يتوصلا

^١ - حمدي حافظ، "المشكلات العالمية المعاصرة" الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٦٩٣.

إلى اتفاق نهائي حول المسالة الألمانية، التي بقيت مسألة معلقة، ولم تتحسن الأحوال في العام ١٩٤٧، بل ازدادت تعقيداً مع تطور الأحداث في أوروبا وفي الشرق مما أدى إلى اتخاذ مواقف عدائية علنية، كل تجاه الآخر، وعد كل طرف الطرف الآخر خصماً له^١.

مبدأ ترومان:

في ٢١ شباط من العام ١٩٤٧، أعلنت الحكومة البريطانية الولايات المتحدة انه لم يعد لديها خيار في إنهاء معونتها ودعمها لليونان وتركيا، وقد كان هذا نقطة تحول في التاريخ المعاصر لأنها أدى إلى دخول الولايات المتحدة في تحمل التزامات تجاه الدول الأجنبية في حالة السلم، وفي ١٢ آذار من العام ١٩٤٧، أعلن الرئيس الأمريكي ترومان المبدأ المعروف باسم مبدأ ترومان الذي كرس فيه الدعم الأمريكي للعالم الحر، وطلب من الكونغرس منح مساعدة لليونان، وتركيا تبلغ ٢٥٠ مليون دولار لليونان، و١٥٠ مليون دولار لتركيا، ولبي الكونغرس الطلب، وعلى الأرجح، فإن هذا الإجراء الأمريكي أنقذ اليونان وتركيا رغم أن التمرد الشيوعي في اليونان لم ينته بصورة رسمية حتى سنة ١٩٤٩، وكان مبدأ ترومان رداً ليس على نشاط الشيوعية في شرق البحر المتوسط فقط، وإنما كذلك على النشاطات السوفيتية في كل مكان بما في ذلك أوروبا الوسطى والشرقية^٢.

مشروع مارشال:

في ٥ حزيران من العام ١٩٤٧، أعلن وزير خارجية الولايات المتحدة جورج مارشال عن مشروع تقدم بموجبه الولايات المتحدة مساعدات إلى كل دول أوروبا بغية دعمها اقتصادياً بسبب عجزها الاقتصادي نتيجة الحرب، وأخذت الولايات المتحدة تعطي أهمية كبيرة لأوروبا معتبرة إياها مركز الثقل في التوازن الدولي، عند ذلك قامت فرنسا، وبريطانيا، بالاتصال بالاتحاد السوفيتي من أجل دعوته للتعاون في هذا المشروع، إلا أنه رفض ذلك بحجة أن هذه المساعدات يجب أن تقتصر على الدول التي كانت ضحية للاعتداءات الألمانية، ومن ثم يجب إلا تشمل ألمانيا التي عليها أن تسد التعويضات المتوجبة عليها وفق معاهد بوتسلام، واللحجة الثانية التي قدمها السوفيت هي أن سياساتهم الاقتصادية ، وسياسة البلدان التي يهيمنون عليها أنها قد رسمت مسبقاً

^١ - د.دونيس العكرة، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

^٢ - كولن باون، وبيرموني، من الحرب الباردة حتى الوفاق ١٩٤٥-١٩٨٠، تعریب: صادق إبراهيم عودة، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٨٤، ص ٣٣.

وليس هناك مجال لإعادة النظر فيها، خاصة أن هذا يعدّ تدخلاً في شؤونهم الداخلية، عند ذلك قررت فرنسا وبريطانيا دعوة كل البلدان الأوروبية إلى مؤتمر يعقد في باريس للباحث في شأن مشروع مارشال، فلبت كل الدول الدعوة ما عدا تلك الدول الشيوعية. وقد هاجم الاتحاد السوفيتي المشروع متهمًا الولايات المتحدة بالإمبراطورية التي تهدف إلى السيطرة على دول أوروبا اقتصاديًّا، وسياسيًّا، وضرب حصار حول الاتحاد السوفيتي من أجل التغلب عليه في وقت لاحق.^١

إن من أسباب مشروع مارشال هو استيعاب الصادرات الأمريكية التي بلغت ١٦ مليار دولار في العام، في حين لم تتعذر وارداتها ٨ ملايين دولار، وكانت معظم الصادرات تتوجه إلى أوروبا، ولكي تتمكن أوروبا من سداد قيمة تلك الصادرات، كان لابد من حصولها على الدولارات التي لم تكن توفر إلا عن طريق إنتاج سلع يمكن تصديرها إلى الولايات المتحدة، وب بدون هذه الطاقة الإنتاجية كانت سوق الصادرات الأمريكية ستتضيق. أما الأسباب العسكرية، وهي أن تتمتع أوروبا باقتصاد قوي، وكانت الوسيلة الوحيدة لتمكينها من إعاقة القوات اللازم لصد الجيش السوفيتي. لقد أصبحت خطة مارشال عماد سياسة الاحتواء، ولذلك حاول ترومان في ٢ كانون الثاني من العام ١٩٤٨، أن يحصل على موافقة الكونغرس على المشروع، فلجأ إلى تحصيص ١٧ مليار دولار^٢.

لقد كان هذا المشروع، والذي تحول فيما بعد إلى قانون عرف باسم قانون المساعدات الخارجية لعام ١٩٤٨، ليس مجرد معونة طارئة، وإنما هدف إلى إنعاش أوروبا على الرغم من تقديم الولايات المتحدة مساعدات أخرى. وقد استمر وجہ الإنعاش الاقتصادي في السياسة الأمريكية إزاء أوروبا لمدة أربعة سنين، وقدر له أن يتحقق في الأغلب نجاحاً لا يوصف. وقد أعطى دخول الولايات المتحدة في هذا المشروع مركزاً اقتصاديًّا وسياسيًّا أساسياً في غرب أوروبا^٣.

تقسيم أوروبا وحصار برلين:

^١ - د.ادونيس العكرة، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦-٥٧.

^٢ - ستيفن أمبروز، الارتفاع إلى العالمية، السياسة الخارجية الأمريكية منذ العام ١٩٣٨، ترجمة:

نادية محمد الحسيني، مراجعة: أ.د. ودودة بدران ، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ١٢٦.

^٣ - تشارلس أو ليرتش، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩.

كان جميع الحلفاء مصممين على أن لا تصبح ألمانيا مرة أخرى مصدر هم، ولكن لم يكن ثمة اتفاق حقيقي يذكر على أية أهداف أخرى سواء حول مستقبل ألمانيا أو بالنسبة لتسوية سلمية في أوروبا، وتم تقسيم ألمانيا كما ذكرنا إلى أربع مناطق احتلال الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، وبريطانيا، وفرنسا، وتقسيم مشابه لبرلين، وكانت اتفاقية بوتسدام قد سمحت بان تقوم أحزاب سياسية حرة، وديمقراطية، ومعادية للفاشية في ألمانيا، ولكن الاتحاد السوفيتي كان قد بدأ حتى قبل بوتسدام بعملية حاول فيها أن يحوز على سيطرة شيوعية روسية على أية أحزاب ألمانية عن طريق المفاوضات فقد حاول الحصول على ذلك بطرق أخرى في العام ١٩٤٨، وذلك بمحاولة أخراج الحلفاء الغربيين بالقوة من قطاعهم في برلين وكان حصار برلين في نظر الروس بدليلاً عن الحرب، إذ كان هجوماً مدبراً على جميع الأوضاع الغربية في ألمانيا، وعلى الالتزام الأمريكي تجاه أوروبا الذي سببته السياسة السوفيتية خلال السنوات الثلاثة السابقة. وقد فرض الحصار في الظاهر على الخطط الغربية لإدخال إصلاحات نقدية إلى المناطق الغربية، وكان الحلفاء الغربيون قد قرروا أن يدخلوا الدتشمارك الجديد محل الرايخمارك القديم عديم القيمة على أمل أن يخفز هذا الإجراء على استعادة النشاط الاقتصادي في مناطقهم، ثم انسحب الروس من مجلس رقابة الحلفاء ثم انسحبوا من قيادة برلين، وبعد ذلك ادخل الإصلاح النقدي إلى المناطق الغربية، وهكذا لم تعد مظاهر الحكومة الرباعية في ألمانيا، وفي برلين موجودة، وسارع الروس إلى إدخال إصلاحهم النقدي إلى منطقتهم في ألمانيا، وقطاعهم في برلين، وفي اليوم التالي قطع الاتحاد السوفيتي جميع الاتصالات ببرلين التي تتم عن طريق السكك الحديدية، وطرق السيارات، والقنوات المائية، وكان حصاراً تاماً، وكانت برلين الغربية المتغلغلة مسافة ١٠٠ ميل داخل المنطقة التي يحتلها السوفيت تعتمد على المناطق الغربية في حصولها على الطعام، والكماء، والفحمة، وضرورات الحياة، وواجهت الحلفاء الغربيين ثلاثة خيارات: إذ كان بسعفهم إرسال قوافل عسكرية على الطرق الرئيسية إلى برلين الغربية، واحتراق الحصار، أو أن يستسلموا، ويخرجوا قواهم من المدينة، ويسلموا برلين كلها للإدارة السوفيتية، أو أن يتسلقوا من فوق الحصار بالمعنى الحرفي، وفك الأmericكيون بصورة حقيقة في الخيار الأول لكنهم تخلىوا عنه لأنه ربما أدى إلى درجة عالية جداً من المخاطرة بخوض حرب،

ولم يكن هناك سوى ٦ آلاف جندي غربي في برلين مقابل ١٨ ألف جندي سوفيتي داخل المدينة، وعدة فرق في مناطق مجاورة لها، ومع أن الولايات المتحدة كانت تتمتع باحتكار السلاح النووي في ذلك الوقت، إلا أن قواها التقليدية كانت ضعيفة كما كانت قوات حلفائها في أوروبا ولذلك لم يستطع الغرب المغامرة بإثارة حرب تقليدية كانوا سيخسرونها حتماً في المراحل الأولى في الأقل. أما الخيار الثاني، فلم يفكر فيه أحد بصورة حقيقة لأنه إذا انسحب الغرب من برلين فإن مصداقتهم سوف تضعف بشكل مروع، ولن يتوقع بعدها من الأنظمة الشيوعية في العالم أن تصدق تأكيدات الأميركيين بالمساعدة ضد العدوان الشيوعي، ولذلك تم اللجوء إلى الخيار الثالث، فتقرر أن يقوم الحلفاء الغربيون بتزويد برلين الغربية بالمؤونة من الجو.^١

وفي صيف العام ١٩٤٨، فرض الأميركيون والبريطانيون حصاراً معاكساً للسلع الذاهبة من المناطق الغربية إلى المناطق الشرقية في برلين، وكان هذا الحصار أكثر إيذاء للشرق مما هو للغرب، ذلك لأن السوفيت كانوا بحاجة إلى فحم الكوك، والفولاذ من المصدر الجاهز الوحيد في الغرب. فقد كانت ألمانيا الغربية قادرة على الوصول إلى اقتصاد غرب أوروبا المتanimi، وكان يساعدها مشروع مارشال في وقت لم تتمتع فيه ألمانيا الشرقية بمزايا من هذا القبيل، وبدا وأن الاقتصاد الألماني الشرقي قد توقف تقريراً، في بداية العام ١٩٤٩، في حين كانت الأعجوبة الاقتصادية الألمانية الغربية قد بدأت، وعند رفع الحصار ظهر أنه كان يوسع الغرب إدامة الجسر الجوي لأمد غير محدد، وأن استمرار الحصار كان يزيد من تضامن أهالي برلين الغربية، وألمانيا الغربية مع الحلفاء الغربيين. لقد أزال حصار برلين أيهـا أوهام من عقول الحكومات الغربية حول الاتفاق مع الروس في ألمانيا، ولكنه كان بارزاً من نواحي أخرى أيضاً. فقد أظهرت أزمة برلين للمرة الأولى أن الأسلحة النووية قد جرت دراستها بصورة حقيقة لأول مرة كإجراء أخير لإيقاف تقدم السوفيت. كما أدت بالولايات المتحدة إلى السير في اتجاه مضاد لخفض الميزانية الدفاعية بعد الحرب، ومن ناحية أخرى فقد أسرعت في العملية، التي ظهرت عن طريقها، دولتان ألمانيتان منفصلتان، ففي ١٢ أيار من العام ١٩٤٩، أقر مجلس رقابة الحلفاء، وخلال غياب المارشال سكولوفسكي القانون الأساسي الجمهورية ألمانيا الاتحادية الغربية، وفي ٢٣ أيار خرجت الجمهورية الاتحادية إلى حيز الوجود. لقد

^١ - كولن باون وبيرتر موني، مصدر سبق ذكره، ص ٥، وانظر كذلك: حمدي الحافظ، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٦.

فکر الغرب في أقامة دولة ألمانية غربية مستقلة في العام ١٩٤٨، وتوصل إلى استنتاج
بان الاتحاد السوفيتي جعل دولة ألمانيا مقسمة إلى قسمين أمراً لا محيد عنه، وفي ٧ تشرين
الأول من العام ١٩٤٩، ولدت جمهورية ألمانيا الديمقراتية في المنطقة السوفيتية، وكان
يسسيطر على جمهورية ألمانيا الديمقراتية حزب الوحدة الاشتراكي الذي كان يسيطر عليه
الشيوعيون، ورفض الاتحاد السوفيتي الاعتراف بوجود جمهورية ألمانيا الاتحادية كما
رفض الغرب الاعتراف بجمهورية ألمانيا الشرقية، وبظهور دولتين ألمانيتين في سنة
١٩٤٩، اكتمل تقسيم ألمانيا^١. لقد قام الاتحاد السوفيتي في ١٢ أيار برفع الحصار عن
برلين، حيث قرر أن الحصار المضاد يسبب لها أضراراً تفوق الأضرار التي تلحق بالغرب.
كما أن الاتحاد السوفيتي أدرك أنه لم يعد هناك أي أمل في وقف الاتجاه الذي أنشأ
حكومة ألمانيا الغربية التي ظهرت إلى الوجود في أيار من العام ١٩٤٩، كما ذكرنا^٢.

سياسة الاحتواء:

لقد ذهب كينان إلى أن الدافع وراء تصرفات السوفيت كانت عقيدتين هما العداء المتأصل بين الرأسمالية والاشتراكية، واعتقاد الروس بأن الكرملين معصوم من الخطأ، وكان الاستيلاء على العالم هو غرضهم، ولكنهم لم يكونوا في عجلة من أمرهم، ولم يحددوا جدولًا زمنياً بسبب النظرية السوفيتية التي تفترض أن سقوط الرأسمالية في نهاية الأمر واقع لا مفر منه^٤.

وفي أيار من العام ١٩٤٦، أجرت تشيكوسلوفاكيا أول انتخابات بعد انتهاء الحرب الباردة، إذ فاز الشيوعيون بنسبة ٣٨٪ من الأصوات، وأصبح غوتفالد رئيساً

^١ - كولن ياون وبيرتون، مصدر سبق ذكره، ص ٥١-٥٣.

² ستيفن امیروز، مصدر سبق ذکرہ، ص ۱۳۹.

³ - المصدر نفسه، ص ١١٦.

⁴ - المصدر نفسه، ص ١٣١.

للوزراء. أما رئيس الجمهورية ووزير الخارجية، فلم يكونا من الشيوعيين، وكان كلامهما مثار أعجاب شديد من الغرب، فقد حاولا المحافظة على التوازن بين الشرق والغرب، إلا أن عملية استقطاب أوروبا - خاصة بعد مؤتمر باريس - جعلت نجاح سياستيهما أمراً مشكوكاً فيه، وجاءت النهاية في شباط من العام ١٩٤٨، عندما رفض غوتفالد التعاون مع رئيس الجمهورية في تنفيذ خطة إعادة تنظيم قوات البوليس مما أدى إلى سقوط الوزارة، وفي ٢٥ شباط حدث انقلاب في تشيكوسلوفاكيا استولى فيه الشيوعيون على السلطة، لقد ترتب على هذا الانقلاب أمران ضروريان لتبني سياسة الاحتواء. فقد كان هذا الانقلاب، ومجيء الشيوعيون إلى السلطة في تشيكوسلوفاكيا صدمة للعالم، وبالنسبة لترومان، والأمر الآخر فإن الانقلاب أوضح بطريقة درامية القيود التي تحد من السياسة الأمريكية السائدة، حيث عجزت الولايات المتحدة عن القيام بأي دور للمساعدة في إنقاذ تشيكوسلوفاكيا بل الأكبر من ذلك أن الولايات المتحدة لم تحاول أن تفعل أي شيء لمنع وقوع أحداث مماثلة في باقي إخاء أوروبا، وهذا مما دفع كل من فرنسا وبريطانيا ودول البيبلوكس هولندا، وبلجيكا، ولوكمبورغ إلى عقد معاهدة بروكسل في ١٦ آذار من العام ١٩٤٨، لضمان ترتيبات الدفاع المتبادل، وفي ١٧ آذار من العام ١٩٤٨، أعلن ترومان في الكونغرس أن الاتحاد السوفيتي هو الدولة الوحيدة التي تقف في طريق كل الجهود التي تبذل لإقرار السلام، ثم قال يتعين على الولايات المتحدة أن تواجه ذلك الخطر المتزايد الذي يهدد بقاء الحرية نفسها، ورحب بمعاهدة بروكسل، ووعد بتقديم المساعدة إلى الدول الموقعة على المعاهدة لمساعدتها على حماية نفسها^١.

لقد ولدت اتفاقية بروكسل ميتة ليس بسبب ضعف القدرات العسكرية للدول الموقعة عليها إزاء القوة السوفيتية فحسب، بل لأنها ضمت دولًا يقع معظمها في شمال أوروبا مما يعطي السوفيت فرصة كبيرة للمناورة ومفاجأتها بشن هجوم واسع عليها من وسط أوروبا عبر ألمانيا التي لم تنتظم في ذلك الوقت إلى الاتفاقية، والوصول إلى القناة الانكليزية، ولذلك أصبحت تلك الدول مقتنة بأن مواجهة القوة السوفيتية تتطلب قوات حلية كبيرة، وذات عقيدة قتال موحدة، فاتجهت أنظارها إلى التحالف مع الولايات المتحدة التي كانت هي الأخرى تسعى إلى تثبيت وجودها السياسي والاقتصادي في أوروبا، بما يضمن مصالحها، ويسد الفراغ الأمني الناجم عن انكشاف

^١ - المصدر نفسه، ص ١٢٧-١٢٨.

دول أوربا الغربية قبالة القوة السوفيتية، وهذا ما شجع واشنطن، ودول اتفاقية بروكسل لتحويلها إلى حلف شمال الأطلسي الذي وقع في 4 نيسان من العام ١٩٤٩، من قبل كل من الولايات المتحدة، وكندا، وبريطانيا، وفرنسا، وبلجيكا، وهولندا، ولوكسembourg، وإيطاليا، والدانمارك، والنرويج، والبرتغال، وأيسلندا، وفي العام ١٩٥٢، تم ضم تركيا، والميونخ إلى الحلف.^١

الحرب الأهلية في الصين:

دخلت الصين العشرين في حالة مزمنة من الاضمحلال فقد أذلتها الدول الأجنبية، وأخفقت في توسيع رقعة الأرض الصالحة للزراعة لإعالة سكانها المتزايدين، كما فشلت في أن تدفع باقتصادها إلى ثورة تجارية وصناعية، وأهارت إمبراطورية مانشو اثر ثورة كان الدافع لها (صن يان صن) الوطني الجمهوري الاشتراكي في سنة ١٩١١، وفي العام ١٩٢٧، حاول وريث الجنرال شان كاي شيك استعادة السلطة وإعادة توحيد الصين المجزأة، وفي سنة ١٩٢١، أسست مجموعة من الصينيين بما فيهم ماو تسي تونغ الحزب الشيوعي الصيني، وكان نتيجة اهتمام النجاح الروسي في الثورة، وكذلك العقيدة الروسية، وبناء على نصيحة ستالين تعاون الحزب الشيوعي الصيني مع حزب الكوميتانغ إلى أن هاجم شان كاي شيك سنة ١٩٢٧، الحزب الشيوعي الصيني، وتلا ذلك حرب أهلية صينية استمرت من سنة ١٩٢٧، ولم يقطع استمرارها سوى وحدة مؤقتة في إثناء الهجوم الياباني على الصين منذ سنة ١٩٤٧، وحتى سنة ١٩٤٥.^٢ لقد استمر الصراع بين الحزبين الشيوعي الصيني، وشان كاي شيك الذي كان يتمتع بدعم الولايات المتحدة، وحاولت كل من بريطانيا، والولايات المتحدة إبداء درجة معينة من الحياديّة التي لابد ، وان تكون قد ندمتا عليها من بعد، بل وصلتا إلى حد حظر المساعدة العسكرية على شان كاي شيك من قوى من توز من العام ١٩٤٦، وأيار من العام ١٩٤٧ ، في محاولة لإرغامه على قبول حل سياسي وسط، وفي كانون الأول سنة ١٩٤٨ ، أوقفت الولايات المتحدة معونتها للصين، وكانت الحكومة الأمريكية لا ترغب في التورط في حرب أهلية في الصين تكون نتائجها خطيرة على العلاقات الدوليّة، واستطاعت القوات الشيوعية بزعامة ما تسي تونغ أن تحقق انتصارات كبيرة في الوقت

^١ - دنizar إسماعيل الحيالي، دور حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، أبو ظبي، مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٣، ص ٣١-٣٣.

^٢ - كولن باون وبيرتون، مصدر سابق ذكره، ص ٥٦.

الذي هرب فيه شك، وقواته إلى جزيرة فرموزا، وفي ١٩٤٩ تشنرين الأول من العام، أُعلن ماوتسى تونغ مولد جمهورية الصين الشعبية، والتي وقعت معاهدة مع الاتحاد السوفيتي مدتها ثلاثون عاماً^١.

إن وصول الحزب الشيوعي إلى الصين، ومولد جمهورية الصين الشعبية كان يعني امتداداً جديداً للنفوذ السوفيتي في آسيا، وتوسعاً للنفوذ الشيوعي في هذه القارة، وأصبح على الولايات المتحدة ألا تجاهه الاتحاد السوفيتي فقط، وإنما الصين أيضاً، وقد اعترفت الحكومة الأمريكية بحكومة الصين الوطنية التي يقودها شك في فرموزا، ولم تعرف بحكومة الصين الشعبية التي يقودها ماوتسى تونغ، لأن الولايات المتحدة كانت تعادي الشيوعية، وإذا ما تخلت عن حليفها شك، فإن الشيوعيين سيقبضون عليه، وسيعملون على ضم فرموزا إلى الصين الشعبية. أما الاتحاد السوفيتي فقد اقترح إبعاد مندوب الصين الوطنية، واعتمد مندوب الصين الشعبية كممثلاً شرعياً للصين في الأمم المتحدة، وأعلن مندوب الاتحاد السوفيتي في مجلس الأمن بأنه سيقاطع جلسات المنظمة الدولية مادام أن مثلاً الصين الوطنية هو الذي يمثل الصين^٢.

^١ - المصدر نفسه، ص ٥٦-٥٩.

^٢ - د.رياض الصمد، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤.

المبحث الثاني

تطورات الحرب الباردة ١٩٥٠ - ١٩٦٢

الحرب الكورية:

منذ العام ١٩٢٠، كانت كوريا خاضعة لاحتلال اليابان، ومنذ العام ١٩٤٣، أخذ الحلفاء يفكرون بالصيير الذي ستؤول إليه، وكان أول مؤتمر دولي درس مصير كوريا هو مؤتمر يالطا، إذ اتفق المؤتمرون على تقسيمها إلى منطقتين احتلال القسم الشمالي يحتل من قبل القوات السوفيتية، والقسم الجنوبي يحتل من قبل القوات الأمريكية، ثم جاء مؤتمر بوتسدام الذي عين الحد الفاصل بين المنطقتين الشمالية والجنوبية بخط العرض ٣٨، ولم يقصد المؤتمرون بهذا الخط المصطنع سوى الفصل بين القوات السوفيتية التي دخلت شمالي كوريا في ١٢ آب من العام ١٩٤٥، والقوات الأمريكية التي أحنت القسم الشمالي في أيلول من العام نفسه.

إن هذا الحل كان حلاً مؤقتاً بنظر أعضاء المؤتمر، وكانت رغبة الولايات المتحدة على وضع كوريا بأكملها تحت نظام الوصاية الأمر الذي أقره مؤتمر موسكو لوزراء خارجية الدول الأربع في أواخر العام ١٩٤٥، إلا أن واقع الحال الذي فرض نفسه على كوريا هو الذي استقر، حيث انقسمت كوريا إلى قسمين الشمالي دولة شيوعية موالية للاتحاد السوفيتي، والجنوبي دولة موالية للولايات المتحدة، وبجلاء القوات السوفيتية والأمريكية عن الكوريتين لم تنته المشكلة، إذ قامت على طرف خط العرض ٣٨ حكومتان متعدديتان، الأولى تعتمد على الدعم السوفيتي، في حين الأخرى تؤيدتها الولايات المتحدة، فحصلت الاشتباكات بين قوات الدولتين حتى خط العرض ٣٨ أصبح مسرحاً لمعارك عسكرية دائمة، إذ أخذ كل فريق يتهم الآخر بإذكائها.^١

وفي ٢٥ حزيران من العام ١٩٥٠، هاجمت كوريا الشمالية، كوريا الجنوبية، واجتازت خط ٣٨، وتقدمت حتى احتلت سيئول عاصمة كوريا الجنوبية في ٢٨ حزيران من العام ١٩٥٠، واتخذ مجلس الأمن قراراً بتقديم الدعم لكوريا الجنوبية، وصدر القرار بغياب المندوب السوفيتي الذي قاطع جلسات مجلس الأمن منذ كانون الثاني في العام ١٩٥٠، بسبب حرمان الصين الشعبية من مقعدها الدائم في مجلس الأمن، وإحلال الصين الوطنية بدلاً منها، واستطاعت القوات الأمريكية، وقوات الأمم المتحدة

^١ - المصدر نفسه، ص ١٩٤-١٩٨.

أن ترغمها على التراجع، وتم استعادة سيؤل، وتقدمت هذه القوات داخل كوريا الشمالية، وهنا تدخلت الصين الشعبية وحدث صدام رئيس مع القوات الأمريكية في ٢٥ تشرين الثاني من العام ١٩٥٠، وكان القائد الأمريكي الجنرال مكار ثر يعتقد بضرورة توسيع نطاق الحرب، وكان يخدوه الأمل في توحيد الكوريتين، وانتقد فكرة الحرب المحدودة، وطالب علناً بعمليات عسكرية ضد الصين الشعبية وسواحلها، ولكن الإدارة الأمريكية ارتأت عدم الأخذ بآرائه، وتم إعفاؤه من منصبه، وكان أي توسيع للحرب ضد الصين الشعبية سيؤدي إلى فقدان الولايات المتحدة بعضاً من حلفائها، أو التعرض لمخاطر إثارة حرب عالمية، ولاسيما أن الاتحاد السوفيتي قد فجر أول قنبلة ذرية في العام ١٩٤٩، وفي ٢٧ تموز من العام ١٩٥٣، تم عقد المدنة بين الطرفين^١.

وفي ٢٨ آب من العام ١٩٥٣، أصبح الاتحاد السوفيتي يمتلك القنبلة الهيدروجينية. لقد كان الاتحاد السوفيتي يبغي تحقيق هدفاً من وراء مساندته للصين، وهو أشغال الولايات المتحدة في أوروبا الغربية، فأصبحت الصين تعوض عنه في آسيا في القضية الكورية، وإن امتلاك السوفييت للقنبلة الذرية كان عاملاً في ردع الولايات المتحدة عن اللجوء إلى الخيار النووي^٢.

وفاة ستالين وسياسة التعايش السلمي:

في ٥ آذار من العام ١٩٥٣، توفي ستالين، وكان يتحمل قسطاً كبيراً من مسؤولية إثارة الحرب الباردة، وترك وراءه قيادة جماعية في الاتحاد السوفيتي، وكان ستالين قد جأ منذ انتهاء الحرب إلى أسلوب التطهير لتخلص الاتحاد السوفيتي من أي نفوذ غربي، ومن أي أعداء محتملين لنظام حكمه. وقد أوقف التطهير بعد وفاته، وكان لوفاة ستالين اثر كبير في خارج الاتحاد السوفيتي أيضاً، ففي نهاية أيار أنهى الاتحاد السوفيتي لجنة الرقابة في ألمانيا، واستمر يمارس السلطة في ألمانيا الشرقية عن طريق مندوب سامي، وجاءت هذه الخطوة في إحلال السيطرة السياسية محل السيطرة العسكرية بمثابة تغيير واضح في طراز السياسة السوفيتية تجاه أوروبا الشرقية، ولكنها لم تكن تبدلاً في جوهر تلك السياسة بالضرورة، وتم القضاء بسرعة، وبدون رحمة على

^١ - كولن باون، مصدر سابق ذكره، ص ٦١-٦٧ ، وللتفاصيل حول الحرب الكورية انظر: كميل داغر "الأمم المتحدة وموازين القوى المتحولة في الجمعية العامة" دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨ ، ص ٤٧-٤٩.

^٢ - د. كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ١٩٨٧ ، ص ٣٤.

الانتفاضة الألمانية الشرقية في حزيران، وكانت احتجاجاً على السيطرة السوفيتية، وخفض الأجور، وذلك على يد القوات السوفيتية، إلا أن تعامل الاتحاد السوفيتي مع الدول التابعة له أصبح أكثر ليّناً بعد الأحداث فقد توقف عن أخذ التعويضات من ألمانيا الشرقية بعد سنة ١٩٥٣، وأعطيت للدول الأخرى التابعة حرية أكبر في تحديد أولوياتها الاقتصادية^١.

وعلى اثر وفاة ستالين حلّت قيادة جماعية محل القيادة الفردية المتمثلة بشخص ستالين، فتركزت السلطة بيد الثالث (مالينكوف، وبيريا، ومولوتوف)، وعلى الرغم من أن مالينكوف كان قد تسلم بين يديه وظائف أمانة الحزب، ورئاسة الحكومة حتى ١٦ آب، إلا أنه ما لبث أن حل محله في أمانة الحزب خروشوف، ظهرت بوادر انفراج في الداخل حين صدر في ٢٧ آذار العفو العام، وجرت محاولات جادة لإزالة فكر عبادة الأشخاص من الأذهان^٢.

وكان من نتائج وفاة ستالين التحسن الذي طرأ على العلاقات السوفيتية-اليوغسلافية، حيث عاشت هذه العلاقات مرحلة من التوتر في العهد السابق، فقام بولغاري، وخروشوف بزيارة إلى يوغسلافيا في العام ١٩٥٥، لفتح صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين^٣.

ولكن التطور الأهم الذي حدث هو تبني السوفيت لسياسة التعايش السلمي، فقد كان ستالين متصلباً بشأن نظرته للأيديولوجية إلى الواقع السياسي العالمي، وكان متمسكاً بشدة في توقعاته بان الغرب والعالم الرأسمالي كان يعيش في محبة خانقة اقتصادية تنتهي به إلى التبعثر. لقد كانت نظرة ستالين غير منصفة لما كان يجري في العالم الثالث، فالتطورات السياسية في الهند، وفي الوطن العربي، وحتى في جنوب آسيا، كانت في كنهها تعبيراً عن روح قومية هضت من أجل التحرر السياسي، ورفض الأحلاف والتكتلات العسكرية، ولما جاء مؤتمر باندونغ الأفروآسيوي في ١٨ نيسان من العام ١٩٥٥، تلمس النهج الاستقلالي للدول النامية حيزاً له في العلاقات الدولية، تمثل في رفض الانحياز لواشنطن أو لموسكو، وأصبح السوفيت يعتقدون بأنه يجب الاعتراف بان طريقاً ثالثاً يمكن أن يحقق الأهداف السياسية والاقتصادية يأتي من منطلقات مختلفة،

^١ - كولن باون، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

^٢ - درياض الصمد، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٢٥.

واخذ الاتحاد السوفيتي يقتضي بضرورة تقديم الدعم إلى هذه البلدان الجديدة مادام أنها تكافح ضد الاستعمار من أجل التحرر، وأعلن السوفيت في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي في شباط من العام ١٩٥٦، سياسة التعايش السلمي الذي انطوت على القبول بالتعايش مع المعسكر الغربي (الخصم) حتى وأن كان هناك اختلاف في المطلقات الأيديولوجية..

صحيح إن الصراع لا يمكن الاستغناء عنه في الفكر الشيوعي، إلا أن المواجهة مع الخصم أصبحت نووية، ولابد من العدول عن الحرب، والعيش سلمياً مع الخصم حتى ينهار في المستقبل بفعل التناقضات، وقيام الثورات في النظام الرأسمالي، وكانت هناك عدة أسباب وراء تبني السوفيت للتعايش السلمي منها التطورات التقنية التي دفعت الدولتين العظميين إلى امتلاك القدرة النووية، وإن الحرب ستؤدي إلى دمار الطرفين، ولذا اقتنع السوفيت بأنه لابد من التعايش سلمياً مع الولايات المتحدة، ودول المعسكر الغربي، فضلاً عن ذلك أراد السوفيت التخلص من سياسة التطبيق، والاحتواء التي تبنتها الولايات المتحدة، وإيجاد لهم منفذ نحو العالم، حيث أن الولايات المتحدة أبدلت سياسة الاحتواء في العام ١٩٥٣، بسياسة الانتقام الشامل، وأخيراً، فإن السوفيت أرادوا التقرب من شعوب العالم الثالث، وهذا لا يتم إلا عبر الاعتراف ببعض طرق البناء، ولاسيما إن غالبية هذه البلدان قد تبنت أنفوذجاً غير شيوخياً في تحقيق البناء والتقدم الاقتصادي والاجتماعي^١.

الحرب في الهند - الصينية:

كانت الحرب في فيتنام قد أخذت مجراه لها في غير مصلحة فرنسا، ففي أوائل العام ١٩٥٤، وكان الشيوعيون الفيتناميون (فيت منه) مسيطرین على نصف البلاد. أما فرنسا الدولة الاستعمارية، فكانت قد وضعت أفضل قواها في حامية متعزلة شمال هانوي يطلق عليها ديان بيان فو وتحت أذنافه منة أن يقتربوا منها. لقد افترض الفرنسيون إن الآسيويين منهارون إذا واجهوا معركة مكشوفة، ولكن النتيجة جاءت عكس ذلك، فبحلول نيسان كانت الحامية الفرنسية في ديان بيان فو في مأزق، وفي ذلك الوقت أصبح الفرنسيون في حالة إرهاق تام، وشعرت الولايات المتحدة بقلق بالغ إزاء انتصار الشيوعية في فيتنام، ففي مؤتمر صحفي في نيسان من العام ١٩٥٤، قدم

^١ - د. كاظم هاشم نعمة، مصدر سق ذكره، ص ٣٠٠ - ٣٠٤.

إنشاء حلف وارشو:

في ٩ أيار من العام ١٩٥٥، أصبحت ألمانيا الغربية عضواً رسمياً في حلف شمال الأطلسي، وفي ١٤ أيار، أي بعد أسبوع قام الاتحاد السوفيتي مع دول شرق أوروبا بتوقيع اتفاق حلف وارشو، وهو الرد العسكري الشيوعي لمواجهة حلف الأطلسي، وفي

¹ - ستینن امیروز، مصدر سبق ذکر، ص ۱۸۴-۱۸۸.

اليوم التالي قامت الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي بحل إحدى مشكلات الحرب العالمية الثانية التي ظلت قائمة منذ وقت طويل، وذلك بالتوقيع على معاهدة مع النمسا، التي حصلت بوجبها على استقلالها مع حظر اتحادها مع ألمانيا على أن تصبح دولة محايدة بصفة دائمة. وقد كان كل من الجانبين مسئول عن هذا التأخير. لقد وقع الاتحاد السوفيتي على المعاهدة، لأنه أراد تخفيف حدة التوتر والتعجيل بعقد اجتماع القمة بينهما، وتقبلت الولايات المتحدة المعاهدة كحل معقول لحل مشكلة النمسا، وواقع الأمر إن المعاهدة النمساوية كانت خطوة أضفت على تقسيم ألمانيا صفة الاستمرار بها، ولم تكن على الإطلاق خطوة نحو وحدة ألمانيا وحيادها، إذ اتفق العمالقين على أن كلتا شطري ألمانيا لن يحصلان على النمسا^١.

وفي ١٨ حزيران من العام ١٩٥٥، بدأت قمة جنيف بين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي. لقد عبرت هذه القمة بأن دول الغرب اعترفت بأنها لن تستطيع أن تفوز بالحرب الباردة، وأنه ساد جمود في موقف الأسلحة النووية، وأنه يجب تقبل الوضع الراهن في أوروبا والصين. لقد انتقلت المعركة بين العمالقين إلى مجالات النفوذ الاقتصادي والسياسي في العالم الثالث، وهي ميدان يتمتع به الاتحاد السوفيتي بعيارات كثيرة^٢.

وفي العام ١٩٥٦، طفح كيل الشعب المغاربي مما أدى إلى اندلاع ثورة شعبية ضد الوجود السوفيتي، فاستخدم السوفيت القوة لسحق الثورة مما أدى إلى إثارة حفيظة الولايات المتحدة، فأعلنت على لسان وزير خارجيتها دالاس بأن أي بلد أوربي شرقي يثور بوجه الاتحاد السوفيتي سيرتكن إلى المعاضة الأمريكية، ولن يشترط هذا التعاون على تبني هذه الدول نظام اجتماعي خاص، وبعبارة أخرى لا تلزم هذه الدول لتحظى بمساعدة الولايات المتحدة انتهاج الديمقراطية، فيكتفي لها أن تقتدي بالطراز التيتوسي، ومحجر ميثاق وارشو، ولكن أيزخاور أكد بأنه بالرغم من تبني الولايات المتحدة الأمريكية نهاية للهيمنة السوفيتية على شرق أوروبا، فإنما لا تسعى إلى تنفيذ هذه السياسة

^١ - المصدر نفسه، ص ١٩٥.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٩٧.

بالقوة، فضلاً عن أن الولايات المتحدة لم تقدم الدعم فقد عجزت عن اتخاذ أي إجراء ملائمة ثوار الجرٌ.^١

العدوان الثلاثي على مصر ونتائجها:

لقد رفض الرئيس عبد الناصر التراجع عن صفقة الأسلحة الجوية، ورأى دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة أن الاتحاد السوفيتي لا يستطيع أن يحل محل الولايات المتحدة في مساندة مصر لبناء السد العالي، وهو افتراض اعتمد على اعتقاد غريب من أن الاتحاد السوفيتي لم يكن لديه المهارة التكنولوجية لبناء السد، وعندما سحب عبد الناصر اعترافه بالصين الوطنية، واعترف بالصين الشعبية في أيار من العام ١٩٥٦، قرر دالاس أن ينسحب من مشروع السد العالي، ولكنه لم يعلن قراره، وفي ١٩ تموز من العام ١٩٥٦، سحبت الولايات المتحدة مساندتها لمشروع السد العالي وكان رد عبد الناصر تأمين قناة السويس، وبذلك استعادت مصر هيبيتها وكرامتها المخروحة بضربة واحدة، وحصل أيضاً على ١٥ مليون دولار قيمة الأرباح السنوية لتشغيل قناة السويس، مما دفع ذلك إلى قيام بريطانيا، وفرنسا، وإسرائيل بالعدوان على مصر في ٣١ تشرين الأول من العام ١٩٥٦، وقد انزعج أيزنهاور من دعاوي فرنسا، وبريطانيا بان العدوان كان مبعثه حرص طرف ثالث ليس له مصلحة سوى الفصل بين الإسرائيлиين والمصريين، فتقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة يحث على التوصل إلى هدنة، وفي الوقت نفسه هدد خروشوف زعيم الاتحاد السوفيتي بضمهم بصورة يخنه، وأنذرهم في ٥ تشرين الثاني بالانسحاب قبل أن يدمّرهم، ورغم أنهم كانوا على بعد عدة ساعات فقط من الاستيلاء على قناة السويس وقد وافقت الحكومتان البريطانية، والفرنسية على وقف إطلاق النار، والانسحاب.^٢

لقد كان من نتائج العدوان الثلاثي على مصر توجه عبد الناصر للحصول على الدعم السوفيتي الذي قرر مساندة مصر في بناء السد العالي، واستمر عبد الناصر في نشر دعايته عن الوحدة العربية والاشتراكية، مع حصوله على مزيد من المساعدات من الاتحاد السوفيتي، وبدخول أعداد متزايدة من السوفيت إلى مصر مما أثار قلق أيزنهاور ودالاس خشية أن يتتحرك السوفييت لشغل الفراغ الموجود في الشرق الأوسط، وأدت

^١ - هنري كيسنجر، الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا، ترجمة: مالك فاضل البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٥، ص ١٥٦-١٥٧.

^٢ - ستيفن أمبروز، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٠.

الحركة المطالبة بالوحدة العربية إلى زيادة القلق الأمريكي، ولا سيما زيادة أنصار عبد الناصر في الشارع العربي، ولذلك طلب الرئيس أيزنهاور في ٥ كانون الثاني من العام ١٩٥٧، من الكونغرس التصريح له باستخدام القوات المسلحة الأمريكية في الشرق الأوسط، إذا ما قرر الرئيس أن هناك ضرورة لذلك لمساعدة أية إمة تطلب المساعدة ضد عدوان مسلح من أي دولة تسيطر عليها الشيوعية. وأطلق عليه مبدأً أيزنهاور وفي العام التالي استخدم أيزنهاور هذا المبدأ عندما أرسل في ١٥ توز من العام ١٩٥٨، مشاة الأسطول الأمريكي إلى لبنان لمساعدة الرئيس اللبناني كميل شمعون اثر ثورة ١٤ توز من العام ١٩٥٨، في العراق.^١

أزمة برلين العام ١٩٥٨

قرر خروشوف أن يتخد إجراء ضد ألمانيا الغربية في نهاية العام ١٩٥٨، خلال مدة اتسمت بالهدوء النسبي في الحرب الباردة، وربما كان منطقه أنه بما أن أيزنهاور رفض بناء قوات مسلحة تقليدية، وحيث أن الرئيس كان على استعداد لعمل أي شيء ممكن لتجنب شن حرب نووية، إذ كان الوقت مناسباً لاتخاذ حل دبلوماسي، ولكن كان هناك سبب مباشر أكثر من ذلك وهو أن خروشوف كان يخشى إعادة تسليح ألمانيا الغربية تسليح أخذ ينمو ويقوى، وكانت الولايات المتحدة قد أرسلت إلى ألمانيا سلاح مدفعية قادرة على إطلاق قذائف نووية، فضلاً عن طائرات يمكن أن تحمل قذائف نووية، وعكف كونراداديمناور مستشار ألمانيا الغربية على زيادة خطى التسليح، وأخيراً أصبحت حكومة ألمانيا الغربية على وشك إن تنظم إلى إيطاليا، وفرنسا، وهولندا، وبليجيكا، ولو كسمبورغ إلى السوق الأوروبية المشتركة، وهي الخطة التي كان سيترتب عليها ربط ألمانيا الغربية بالكتلة الغربية برباط متين، ومن ثم كان خروشوف في مواجهة ضغوط رهيبة لاتخاذ إجراء نحو الوضع في ألمانيا.^٢

وفي ١٠ تشرين الثاني من العام ١٩٥٨، أعلن خروشوف أن الاتحاد السوفيتي على استعداد للتنازل عن سيطرته على برلين إلى ألمانيا الشرقية، ومن ثم سيتعين على الغرب أن يتفاوض مع حكومة ألمانيا الشرقية حول حقوق العبور إلى ألمانيا الغربية، وهو

^١ - المصدر نفسه، ص ٢١١، وانظر كذلك، Georg Lenczowski, Soviet advances in the Middle East, American Enterprise Institute for Public Policy Research Washington, 1972, P93-94.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢١٧.

ما لم تعرف به أية حكومة غربية. لقد كان وجود الغرب في برلين يعتمد فقط على اتفاقيات الاحتلال سابقة للاستسلام، وإذا وقع خروشوف على معاهدة سلام مع ألمانيا الشرقية، فسوف يتبعه إباء الاحتلال. كما أن خروشوف حذر من أن أي هجوم على ألمانيا الشرقية سوف يعد هجوماً على الاتحاد السوفيتي، وحدد مدة أمدها ستة أشهر للتوصل إلى اتفاق، وفي حالة عدم الاتفاق سيكون على الغرب أن يتعامل مع ألمانيا الشرقية. لقد أعلن خروشوف في خطاب لاحق إن الحل الوحيد المرضي للوضع في برلين هو تحويل برلين الغربية إلى مدينة حرة مع انسحاب القوات الأميركية، والبريطانية، والفرنسية، كما أراد أن يدمج اقتصاد برلين مع اقتصاد ألمانيا الشرقية، والاتحاد السوفيتي^١.

ورفض أيزنهاور اقتراح المدينة الحرة، ولكنه رفض أيضاً زيادة القوات المسلحة بنسبة كبيرة كمقدمة لاتخاذ إجراء حاسم إزاء برلين، وفي آذار من العام ١٩٥٩، اقترب التاريخ الذي حدده خروشوف، فبدأ الديمقراطيون في حث أيزنهاور على تعيبة الجيش، ولكنه أبلغ الكونغرس أنه لم يكن بحاجة إلى مبالغ أضافية للقدائف، أو لقوات الحرب التقليدية لمواجهة الأزمة. لكن خروشوف بدأ يتراجع لأنَّه كان يريد تخفيض حجم قواته المسلحة، كما أنه مثل أيزنهاور لم يكن متلهفاً على الدخول في حرب نووية مع الولايات المتحدة، ولذلك أنكر أنه سبق أن وضع مدة محددة للاتفاق، ووافق على زيارة الولايات المتحدة في أيلول من العام ١٩٥٩، واتفق مع أيزنهاور على الاجتماع في باريس على أن يعقد في أيار من العام ١٩٦٠^٢، وفي الواقع كان أيزنهاور لا يرغب في المخاطرة بحرب نووية، ولاسيما أن السوفيت قد حققوا تقدماً كبيراً في الأسلحة النووية، وكان ذلك بمثابة اختبار لمصداقية إستراتيجية الانتقام الشامل، ولم تكن الولايات المتحدة راغبة في المخاطرة بحرب حول برلين، وهكذا انتهت الأزمة^٣، أما الاجتماع الذي كان من المزعزع العقادة في باريس فلم يتم بسبب إسقاط السوفيت لطائرة تجسس أمريكية من نوع U2 فوق أراضي الاتحاد السوفيتي مما أدى إلى تدهور العلاقات بين الدولتين.

إدارة كندي وسباق التسلح:

^١ - المصدر نفسه، ص ٢١٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢١٨.

^٣ - هنري كيسنجر، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٨ - ١٨٠.

إن وصول كندي إلى السلطة في كانون الثاني من العام ١٩٦١، رافقه سباق كبير في التسلح فقد ساد الاعتقاد بأن السوفيت يطورون أسلحتهم، ولذا سعت إدارة كندي إلى رفع ميزانية الدفاع، وزيادة تطوير في الأسلحة الإستراتيجية، فقد توصل كندي، وزعير دفاعه مكتمارا إلى زيادة مستوى القوة الأمريكية إلى خمسة أضعافها مما كانت عليه خلال مدة رئاسة أينشهاور. لقد انطلق فريق كندي - مكتمارا في أضخم سباق تسلح في تاريخ البشرية على الإطلاق امتدت أبعاده إلى ما بعد الأسلحة النووية بمراحل وتطوير إستراتيجية جديدة يطلق عليها (الرد المرن)^١.

وكان رد فعل الاتحاد السوفيتي على حشد القوة الأمريكية على هذا النحو الهائل أنه قام بزيادة القذائف العابرة للقارات وفقاً لما ذكره مكتمارا في العام ١٩٦٧، إن السوفيت لم يكونوا قد اعتزما البدء في سباق التسلح، وربما كانوا قد اقتنعوا بقبول الوضع الراهن في العام ١٩٦٠، والذي تمنت في ظله الولايات المتحدة بالتفوق، ولكن ليس بالقدر الذي يمكنها من توجيه الضربة الأولى، فلم يعد هناك مفرأً قبلة السوفيت إلا زيادة القاذفات مما دفع الولايات المتحدة إلى البدء في دورة جديدة للتسلح، ولكن الولايات المتحدة لم تكن مستعدة للمجازفة بالسماح للسوفيت بتحقيق التكافؤ في نظم أطلاق الأسلحة النووية. لقد كانت النتيجة إن الولايات المتحدة بنت قدرة عسكرية ضخمة حتى أكبر من الهدف المخطط له، وأكثر مما يتطلبه الأمر الواقع^٢.

وكانت الولايات المتحدة تسعى إلى تحقيق توازن عالمي لمصلحتها قبل التوصل إلى تسوية عالمية كانت ستتضمنها اتفاقية للحفاظ على مستوى القوات العسكرية على ما كان عليه آنذاك. لقد أصر كندي على أن دخول دول إضافية إلى المعسكر الاشتراكي أو فقدان فرموزا أو برلين سيغير التوازن مما سيجبر الولايات المتحدة على رد الفعل. كما أن حشد القوات الأمريكية أشار إلى أن الولايات المتحدة ستقاوم بالقوة، إذا استدعت الضرورة الحركات الثورية في العالم الثالث كما أشارت إلى أن الولايات المتحدة كانت على استعداد لاستخدام القوة للمحافظة على الوضع الراهن في أوروبا، ولكن خروشوف كان عاجزاً عن مصادرة حق الاتحاد السوفيتي في مساعدته الثورات، وكان عاجزاً أيضاً عن قبول الوضع الراهن في برلين على أنه وضع دائم^٣.

^١ - ستيفن أمبروز، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٦-٢٣٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

عندما أثار خروشوف أزمة أخرى في برلين طلب كيندي مشورة دين اتشسون من باب التأكيد على وجهة نظره، فأوصى اتشسون كعادته دائمًا بالتأكد من التحاذ موقف حاسم. لقد كان أساس موقفه هو عدم التفاوض، ووافق كيندي على ذلك طول صيف العام ١٩٦١، وأصر خروشوف على ضرورة التوصل إلى تسوية بخصوص برلين قبل انتهاء العام، وكان رد كيندي فاتراً وحاسماً، لا يمكن تغيير أي شيء. لقد أصر كيندي على أنه إذا لم نتکفل بالنزاماتنا في برلين سيؤدي ذلك إلى انهيار الناتو، وإلى وضع خطير على العالم أجمع، وأن مصير أوروبا كلها رهن بما يحدث في برلين الغربية.^١

وكان كيندي جريئاً في رده على تحدي خروشوف، إذ طالب الكونغرس بزيادة إضافية في ميزانية الدفاع قدرها ٣,٢ مليار دولار، وضاعف استدعاء الخدمة العسكرية ثلاثة مرات، ومدد مدة التطوع للخدمة العسكرية، وقام ببعثة ١٥٨ ألف من قوات الاحتياط، ورجال الحرس الوطني، وترتب على ذلك زيادة حجم القوات المسلحة قدرها ٣٠٠ ألف جندي^٢.

وهكذا أصبح الجانبان في طريق التصادم، إذ رفض خروشوف أن يسمح بأن تظل برلين الغربية باباً للهروب، في حين رفض كيندي أن يقبل أي تغيير في وضعها، ثم أعلن والتروا لبرشت الرئيس في ألمانيا الشرقية أنه وبعد توقيعه على معاهدة سلمية، فإن الاتحاد السوفيتي سيغلق مدخل برلين الغربية إلى العالم العربي، فلجأ الرئيس الأمريكي إلى هيئة الشعب الأمريكي لتوقع أسوء الاحتمالات. وقد أستمر سكان ألمانيا الشرقية في الهروب عبر برلين ، ووصلت الحال إلى المواجهة العسكرية، وفي ١٣ آب من العام ١٩٦١ ، تولى خروشوف حل المشكلة فجأة. لقد قرر بناء حائط برلين، وبذا وضع الولايات المتحدة، ودول الغرب قبالة الأمر الواقع، وقسم برلين بصفة دائمة. إن بناء السوفيت للحائط، وتقبل دول الغرب له – في نهاية الأمر – وضع نهاية مؤكدة لكل المحاولات الحقيقة لإعادة توحيد ألمانيا، وكان خروشوف على استعداد أن يتقبل برلين الغربية مادام ظلت منعزلة، وكفت عن استتراف ألمانيا الشرقية^٣.

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٤١.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٤١.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٢٤٢-٢٤١.

المبحث الثالث

تطور الحرب الباردة من العام ١٩٦٢

حتى الوفاق

أولاً: أزمة كوبا:

في العام ١٩٥٩، وصل الرئيس كاسترو إلى السلطة في كوبا، وأصبح النظام اشتراكياً ومعاد للولايات المتحدة التي أصبحت ياحباط كبير بسبب خسارتها لكونها، فالولايات المتحدة كانت تمتلك استثمارات كبيرة فيها، وكان الأميركيون يمتلكون ٨٠٪ من مرفاق كوبا، و٤٠٪ من السكر، و٩٠٪ من الثروة المعدنية، وعلى الرغم من استقلال كوبا، إلا أن الولايات المتحدة كانت وما زالت تمتلك قاعدة عسكرية في غوانتانامو في كوبا، ولما وصل كندي إلى السلطة لم يكن مستعداً لتقبل وجود نظام شيوعي على مقربة من بلاده، وكانت وكالة المخابرات المركزية - بموافقة أينهاور - قد بدأت بتدريب الكوبيين المعادين لكاстро في المنفى على حرب العصابات، واقتضيت الخطة الموضوعة إزالة أعضاء الثورة المضادة في منطقة نائية في كوبا لكي يتمكنوا بمساعدة مستترة من الولايات المتحدة إقامة قاعدة لإطاحة بكاстро، وفي منتصف نيسان من العام ١٩٦١، بدأ الغزو على يد الكوبيين المنفيين الذين جلتهم سفن أمريكية مؤمنة بطائرات أمريكية حتى أنزلتهم على مقربة من خليج الخنازير، فخاضوا في الماء حتى وصلوا إلى الشاطئ، إلا أن كاسترو سحقهم تماماً، وأثبت أنه أقوى مما تخيله الأميركيون، ولم يظهر الشعب الكوبي أي ميل للثورة عليه.^١

وفي آب من العام ١٩٦٢، بدأ الاتحاد السوفيتي في إقامة قواعد صواريخ متوسطة المدى في كوبا، وقد أثارت هذه القضية ذعرًا في الولايات المتحدة، إذ أصبح للاتحاد السوفيتي فرصة تسديد ضربة أولى للولايات المتحدة، إذ لا تبعد كوبا سوى ٩٠ ميلاً عن الولايات المتحدة، وهذا ما يؤدي إلى تغير في الميزان الإستراتيجي بين الطرفين، وفي ١٤ تشرين الأول من العام ١٩٦٢، قامت طائرات (U2) الأمريكية بتصوير منصة إطلاق الصواريخ تحت الإنشاء، وكانت ردود الفعل شديدة من قبل الكونغرس الأمريكي، والأوساط السياسية التي طالبت بالرد على السوفيت، واقتصر البعض شن هجوم نووي ضد قواعد الصواريخ أو شن هجوم تقليدي يتلوه غزو، إذ

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٣٥.

بدء حصار بحري هدف منع السوفيت من إرسال أي إمدادات أخرى إلى كوبا، ولكن الخوف من انتقام سوفيتي سرعان ما أدى إلى إلغاء فكرة الهجوم النووي، في حين زاد التأييد الذي نالته فكرة القيام بمجمع تقليدي، وغزو للتخلص من نظام كاسترو، وفي ٢٢ من العام ١٩٦٢، أعلن الرئيس الأمريكي كندي فرض حصار صارم على كل القدرات العسكرية الهجومية التي تشحن إلى كوبا، وأمر أن تخذل القوات المسلحة الأمريكية حالة الاستعداد القصوى، ثم انذر خروشوف بأن الولايات المتحدة ستعذّر أطلاق أي قذيفة نووية من كوبا على أي دولة تقع في النصف الغربي من الكره الأرضية كاعتداء على الولايات المتحدة من الاتحاد السوفيتي بما يتطلب الرد عليه بالانتقام من الاتحاد السوفيتي شر انتقام، ثم ناشد خروشوف أن يقل الأسلحة العدائية تحت أشراف الأمم المتحدة^١.

وفي يوم ٢٦ تشرين الأول من العام ١٩٦٢، أرسل خروشوف رسالة إلى كندي يتعهد فيه بعدم إرسال مزيد من الأسلحة إلى كوبا، وأنه سوف يسحب أو يدمّر الأسلحة الموجودة هناك بالفعل، إذا قام كندي بإنهاء الحصار، وتعهد بألا يغزو كوبا، وفي اليوم التالي أرسل خروشوف رسالة ثانية قال فيها أنه سوف يسحب الصواريخ من كوبا عندما ينقل كندي الصواريخ الأمريكية من تركيا، ولم تتوافق الولايات المتحدة على هذا الشرط، ولكن في اليوم التالي وافق الاتحاد السوفيتي على سحب الصواريخ من كوبا مقابل رفع الحصار عن كوبا^٢.

نتائج الأزمة:

لقد أبلغ الصينيون أن أزمة كوبا أثبتت بأنه لا يمكن الوثوق بالروس. أما أوروبا، وعلى رأسها ديغول فقد تعلم أنه في حالات الطوارئ سوف تصرف الولايات المتحدة بمفردها، دون استشارة دول الناتو في قضية ذات تأثير ليس على الأمن القومي الأمريكي فقط، بل على بقاء العالم، في حين تعلم السوفيت أنهم لم يتمكنوا من التوصل إلى التكافؤ العسكري مع الولايات المتحدة، أو حتى التكافؤ من حيث المظاهر. أما كندي الذي وصل إلى حافة الهاوية، والذي اقترب من إبادة العالم فقد تعلم أن يكون أكثر ليونة في بياناته الرسمية، واقل حدة في تأكيدها، في حين عمدت أدواته إلى استخدام لغة أكثر اعتدالاً في الأقل فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتي، وهكذا بدأ الحديث عن الحاجة الماسة

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٥١.

للسلام، وتخفيض التسلح ليحل محل التفاخر والتباكي بالقوة العسكرية. أما الصينيون فقد ثار غضبهم ونعتو خروشوف بالحمامة، لأنه وضع الصواريخ في كوبا، وبالطبع لأنه نقلها من هناك. كما زادت معارضته خروشوف داخل الكرملين، وبالرغم من كل مواقفه الدرامية، فقد فشل في إحراب انتصارات ذات مغزى في الحرب الباردة، في حين أدت سياسة الوقوف على حافة الهاوية إلى ألقاء الرعب في قلوب كل الناس تقريباً، وفي خلال عام واحد تقريباً خرج خروشوف من السلطة. أما في فرنسا بدأ ديفول بعد الأزمة في التفكير بصورة حقيقة، في مراجعة علاقاته بالولايات المتحدة، وكان ديفول يسعى إلى إعادة أوروبا إلى الوضع المتميز الذي كانت عليه، ولكنه أدرك أن تحقيق ذلك الهدف كان يتطلب الانفصال عن حلف شمال الأطلسي. بعد كوبا كان ديفول يعلم أن الولايات المتحدة لن تستشير شركائهما في الأطلسي قبل اتخاذ أي إجراء، وكان مقتنعاً بأن الولايات المتحدة لن تخاطر بوجودها لحماية أوروبا، كما كان يشك أن الجيش الأحمر سيتقدم عبر جبال الألب في أي وقت من الأوقات، وكان مؤمناً بأن الوقت قد حان لكي تخرج أوروبا من الحرب الباردة، وتبدأ في أن تفرض على الآخرين الاعتراف بمركزها وحقوقها، ولذلك أعدَّ معااهدة صداقية فرنسية- ألمانية، واتجه إلى تحسين علاقاته مع دول حلف وأرسو، وأسرع بخطى كبيرة لتطوير الأسلحة النووية الفرنسية، وقرر استبعاد بريطانيا من السوق الأوروبية المشتركة¹، ثم اتجه بعد ذلك إلى الانسحاب من الجناح العسكري لحلف الأطلسي في آذار من العام ١٩٦٦، ولم تلق دعوته الجريئة لاستقلال أوروبا نجاحاً فورياً، إذ قررت ألمانيا الغربية أن تحافظ على علاقتها الوثيقة بالولايات المتحدة، وكان أهم الدروس المستفادة من أزمة كوبا هي أدراك نتائج سياسة الوقف على حافة الهاوية، ومنذ ذلك التاريخ فصاعداً سعي الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة لوضع حد لتعاونهما، وتجنب التصرفات التي قد تؤدي إلى تصعيد الموقف، وتحديد حجم ارتباطهما لكي يكون رد فعل الطرف الآخر محدوداً، وان يكون الصراع على مستوى منخفض في العالم الثالث².

ثانياً: حرب فيتنام:

¹ - المصدر نفسه، ص ٢٥٢-٢٥٣.

² - المصدر نفسه، ص ٢٥٣، وانظر كذلك، Jean-Marie Le Breton, *Les Relations Internationales depuis 1968*, Nathan Université, Paris, 1983, P9-10.

بعد أن انقسمت فيتنام إلى قسمين فيتنام الشمالية، وفيتنام الجنوبية، وأصبحت فيتنام الشمالية دولة شيوعية، وفيتنام الجنوبية دولة موالية للغرب، ففي فيتنام الجنوبية وصل ديسمبر الرئيس الموالي للولايات المتحدة، وظهرت حرب عصابات مدروسة من قبل الشيوعيين ضد نظام حكمه، فأرسلت الولايات المتحدة بعثة عسكرية لتعزيز ودعم جيش فيتنام الجنوبية، ولل kB التوسيع الشيوعي، وتطورت الحرب في فيتنام إلى حرب بين جبهة التحرير الوطني الفيتنامي التي يطلق عليها بالفيكتكونغ، وبين القوات الموالية لديسمبر، وما ساعد على تطور الحرب هو طبيعة الأرض الفيتنامية التي كانت عبارة عن غابات كثيفة وأحراش^١.

ولما كان ديسمبر معزولاً، وظهرت معارضة قوية لنظام حكمه قام الجيش في تشرين الثاني من العام ١٩٦٣، بالإطاحة بحكمه، وقتلته، ثم تولت السلطة حكومة عسكرية. بعد الإطاحة بديسمبر اتصلت جبهة التحرير الوطني بقيادة الجيش في سابغون، وعرضت إجراء مفاوضات للتوصيل إلى وقف إطلاق النار، وحل المشكلات المهمة التي تعانيها الأمة، بقصد الاتفاق على إجراء انتخابات عامة وحرة، وتكون حكومة وطنية ائتلافية، تتكون من ممثلين لكل القوات، والأحزاب، والاتجاهات، والطبقات الموجودة في فيتنام الجنوبية، ولكن الأميركيين في سابغون رفضوا الفكرة من أساسها. كما رفض الرئيس جونسون الذي تولى الرئاسة بعد اغتيال كندي في العام ١٩٦٣، فكرة حياد فيتنام الجنوبية، لأن ذلك بالنسبة له مجرد اسم آخر لسيطرة الشيوعيون، وقرر دعم حكومة فيتنام الجنوبية، وفي قوز من العام ١٩٦٣، انضمت موسكو، وهانوي، وباريس في إصدار نداء إلى عقد مؤتمر دولي في جنيف للباحث حول اندلاع القتال في لاوس، وال Herb في فيتنام، ثم قامت الصين الشعبية، وجبهة التحرير الوطني الفيتنامي، وكمبوديا بمساندة الدعوة إلى عقد المؤتمر^٢.

ولكن الحرب تطورت إلى حالة خطيرة في فيتنام حينما هاجمت زوارق طوربيد تابعة لفيتنام الشمالية مدمرات أمريكية في خليج تونكين، وأغرقت اثنين منها، وعلى اثر ذلك اتخاذ الكونغرس قرار تونكين في أب من العام ١٩٦٤، والذي خول الرئيس الأميركي جونسون استخدام كل الوسائل الضرورية لصد أي هجوم مسلح على

¹ - هنري كيسنجر، "الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا" مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٦ - ٢٨٧

² - ستيفن أمبروز، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

القوات الأمريكية، واتخاذ الإجراءات لحماية أية دولة من دول حلف السيتو قد تطلب مساعدتها في الدفاع عن حريتها، وعلى اثر ذلك قامت الولايات المتحدة بإرسال عشرات الآلاف من قواها إلى فيتنام الجنوبية، وقررت بدأ حملة قصف بالقناص على فيتنام الشمالية، وأمرت إدارة جونسون الاستخدام الساحق للقوة الأمريكية كي تجبر جبهة التحرير الوطني، وفيتنام الشمالية على الخضوع، وفي العام ١٩٦٨، نجحت قوات جبهة التحرير الوطني في طرد القوات الأمريكية، وجيشه فيتنام الجنوبية من الريف إلى المدن، واستطاعوا دخول العاصمة سايغون، وفي ٣١ آذار من العام ١٩٦٨، أعلن جونسون قراره بإيقاف قصف فيتنام الشمالية، وأعلن انسحابه من انتخابات الرئاسة، ولما وصل نيكسون إلى الرئاسة كان الاختلاف الأساسي بين إدارته وإدارة جونسون هو أن جونسون كان مؤمناً بالانتصار العسكري، في حين كان نيكسون يعلم أن الولايات المتحدة ليس باستطاعتها الانتصار في الحرب على الأقل ليس بالشمن الذي كانت الأمة مستعدة لدفعه. لقد أدرك نيكسون أن مراعاة العوامل الاقتصادية والرغبة في تحقيق السلام والسكينة على الصعيد الداخلي تقتضي تحفيض الالتزامات الأمريكية في فيتنام، وسعى إلى تحقيق فتنمة الحرب، وكان هدفه هو الانسحاب التدريجي للولايات المتحدة على أن يكمله تطوير ضخم للكتفاءات القتالية لجيش فيتنام الجنوبية بحيث يمكن لفيتنام الجنوبية أن تحافظ على استقلالها، ربما مثل كوريا الجنوبية، أما على أسوأ الفروض كان سيترتب على ذلك وجود مرحلة ملائمة بين الانسحاب الأمريكي، وانتصار الشيوعيين، وكان كيسنجر وزير خارجية نيكسون قد شجع الأخير على ضرورة التقارب مع الاتحاد السوفيتي، والصين ل هما | على إيقاف مساعدتهما لفيتنام الشمالية، وذلك لـثـتـ الأـخـيرـةـ عـلـىـ ضـرـورـةـ الدـخـولـ فيـ مـفاـوضـاتـ معـ الإـدـارـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ بـغـيـةـ إـيجـادـ حلـ لـقضـيـةـ فيـتنـامـ،ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الجـهـودـ الـتـيـ بـذـلـكـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ فـيـ التـقـارـبـ مـعـ الـبـلـدـيـنـ،ـ إـلاـ أنـ ذـلـكـ لـمـ يـوـقـفـ مـسـاـعـدـهـمـاـ إـلـىـ فيـتنـامـ الـشـمـالـيـةـ،ـ وـبـدـأـ نـيـكـسـونـ بـتـطـبـيقـ سـيـاسـةـ فـتـنـمـةـ،ـ فـأـخـذـ يـسـحبـ الـقـوـاتـ الـأـمـرـيـكـيـةـ مـنـذـ الـعـامـ ١٩٦٩ـ،ـ وـبـدـأـ كـذـلـكـ بـمـفـاـوضـاتـ مـعـ فيـتنـامـ الـشـمـالـيـةـ بـمـدـفـ عـقـدـ هـدـنـةـ تـؤـديـ إـلـىـ إـعادـةـ أـسـرـيـ الحـربـ الـأـمـرـيـكـيـنـ،ـ وـبـقـاءـ الرـئـيـسـ ثـيوـ فيـ سـلـطـةـ فيـ سـايـغـونـ،ـ وـوقـفـ أـطـلاقـ النـارـ،ـ وـفـيـ المـقـابـلـ عـرـضـتـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ التـعـهدـ

بانسحاب كل قواها من فيتنام، والاعتراف بسيطرة الشيوعيين على مناطق كبيرة من الريف في فيتنام الجنوبية^١.

في حين كان كيسنجر يعدّ لتقسيم فيتنام الجنوبية بين الأطراف المتنافسة كانت الحرب مستمرة، فكان نيكسون مضطراً إلى تبريرها للكونغرس، والشعب الأمريكي اللذين تزايد ضجرهما، فاستخدم عدداً من المبررات المختلفة، فقال انه قد ورث الحرب، وأنه كان مستمراً في القتال لكي تنسحب القوات الأمريكية سلام، إذ كان يدفع بان هزيمة الولايات المتحدة في فيتنام ستؤثر في نحو خطر على المصالح الأمريكية في مكان آخر أو في أوقات أخرى، وفي العام ١٩٧٢، عندما اقتربت الانتخابات، ومن أجل أن يفوز نيكسون كان يتحتم عليه أن يتوصل إلى شكل ما للسلام في فيتنام وان يحافظ كذلك على بقاء ثيو في السلطة في سابعون قرر نيكسون أن يدعوا فيتنام الشمالية على قبول حل وسط سلمي بان يترك للشيوعيين السيطرة على معظم الريف في فيتنام الجنوبية لكن ليس على المدن خاصة سايغون، وذلك بتصعيد الحرب أكثر من ذي قبل، وتم خفض القوات الأمريكية في فيتنام الجنوبية إلى ٧٠ ألف جندي، وعلى الرغم من تواصل الإطراف الأربعة فيتنام الجنوبية، وفيتنام الشمالية، وجبهة التحرير الوطني، والولايات المتحدة إلى قرار لوقف أطلاق النار ذلك الاتفاق الذي انتهك، وكل ما اتفق عليه بالفعل هو سحب الولايات المتحدة جنودها من فيتنام، وإعادة هانوي لأسرى الحرب الأميركيين، ولكن انسحاب القوات الأمريكية من فيتنام، وتخفيف المساعدات العسكرية الأمريكية لحكومة فيتنام الجنوبية أضعف كثيراً من حكومة فيتنام الجنوبية التي انهارت في ٣٠ نيسان من العام ١٩٧٥، وأعلنت في ذلك اليوم استسلامها غير المشروع لجبهة التحرير الوطني، وأصبحت فيتنام دولة واحدة وانتهت الحرب^٢.

لقد كانت نتائج الحرب قاسية على الولايات المتحدة، إذ فقدت صورتها على أنها دولة لا تقهر عسكرياً، واستنزفت الحرب أموالها الأمر الذي دفع الأوساط السياسية فيها إلى إعادة تقييم للسياسة الخارجية الأمريكية نتيجة لاهتزاز ثقة دول كثيرة بقوة أمريكا، وإخلاصها لحلفائها^٣.

^١ - المصدر نفسه، ص ٣١٥-٣١٨.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٣١٨-٣٣١.

^٣ - كولن باون وبيترو موني، مصدر سابق ذكره، ص ١٥٠.

الفصل العاشر:
تطور العلاقات الدولية من الوفاق الدولي
حتى انهيار الاتحاد السوفيتي

• **المبحث الأول:**

الوفاق الدولي.

• **المبحث الثاني:**

انتكاسة الوفاق أو الحرب الباردة الجديدة.

• **المبحث الثالث:**

العلاقات الأمريكية - السوفيتية في عهد غورباتشوف.

• **المبحث الرابع:**

خطوات أوربا نحو الوحدة.

• **المبحث الخامس:**

انهيار الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي.

الفصل العاشر

تطور العلاقات الدولية من الوفاق الدولي

حتى انهيار الاتحاد السوفيتي

المبحث الأول

الوفاق الدولي

جاء الوفاق الدولي بوصفه سياسة اتبعتها الدولتين العظميين تحت ظل التعاون، ويقصد بالوفاق حدوث استرخاء محدود في التوتر بين الدولتين العظميين، ويقترب أيضاً بالتطبيع بين العسكريين، وينطوي أيضاً على إزالة العداء في العلاقات بين الطرفين^١، كما يقصد به "نقدة العلاقات بين الدولتين العظميين، والارتقاء بذلك العلاقات إلى مستوى أعلى من التفاهم"^٢، وحدث الوفاق في السبعينيات حينما دخل السوفييت في حالة من التعاون مع الولايات المتحدة، وأوروبا الغربية.^٣

وقبل الدخول في مظاهر الوفاق الدولي لابد من تحديد أهداف الدولتين العظميين من الوفاق:

أولاً: أهداف الاتحاد السوفيتي:

الرغبة في زيادة عوامل قوته في مواجهة التهديد الواضح لسياسة الصين الشعبية. وقد فكر السوفييت في تجنيد تعاون الولايات المتحدة معهم لمصلحة صراعهم مع الصين. الاحتياج الملح للاقتصاد السوفيتي للدعم الغربي، وخصوصاً ما يخص التكنولوجيا الغربية.

وضع ضوابط على التكلفة المتزايدة لسباق التسلح مع الولايات المتحدة.

ثانياً: أهداف الولايات المتحدة:

أ- تشجيع السوفييت على دعم أو في الأقل القبول السلي لجهود الولايات المتحدة لتخليص القوات الأمريكية في فيتنام، فالاتجاه الذي ساد السياسة الخارجية الأمريكية، وشغل تفكير كل من نيكسون، وكيسنجر في العام ١٩٦٩، هو العثور على مخرج

¹ - د. كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٣-٣١٥.

² - د. محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧٨.

³ - روبرت مكمارا، ما بعد الحرب الباردة، ترجمة: محمد حسين يونس ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩١، ص ٦٤.

مشرف من فيتنام، وان كان أيجاد هذا المخرج كان يتطلب حسب رؤية كيسنجر تعاوناً سوفيتياً لإنهاء الحرب.

بـ سعى الرئيس نيكسون، وكيسنجر، إلى إقامة شبكة علاقات يمكن أن تكبح عن طريقها تصرفات السوفيت، والتي أشار إليها على أساس أنها قتلت بيئة السلام.^١ مظاهر وأسباب الوفاق:

أولاً: تكاليف سباق التسلح:

في الشهور المبكرة للرئاسة الأولى نشر الرئيس نيكسون المبدأ المعروف باسمه (مبدأ نيكسون)، والذي يتضمن سعي الولايات المتحدة لتخفيض قواها في الخارج، ضمن نيكسون على وفق ذلك استمرار الردع لأي عدوان نووي يتعرض له حلفاء الولايات المتحدة في الدول الأخرى المهمة، ولكن في حالة حدوث أي نوع آخر من العدوان، فستطلب الولايات المتحدة من الدول الموجه إليها التهديد مباشرة بان تتحمل المسئولية الأولى في توفير القوى البشرية التي ستدافع عنها^٢، وبتقليص الالتزامات الأمريكية الخارجية بهذا الشكل سلم نيكسون بضرورة محاولة تامين ضمانات بخصوص التصرفات السوفيتية في العالم الثالث.^٣

وعلى الجانب الآخر كانت رؤية القيادة السوفيتية أن الوفاق لن يصبح ممكناً إلا نتيجة لتقديم القدرة العسكرية السوفيتية في السنوات الأخيرة، وبالتحديد ما تم إحرازه شيئاً فشيئاً منذ بداية الستينات للقدرة النووية، ولكن الأمر الأكثر أهمية في رأيهم أن التوازن العسكري هو الذي اجبر الولايات المتحدة على أن تعامل مع الاتحاد السوفيتي كندا لها، ومن المهم هنا أن نذكر أن المخلبين السوفيت لم يروا أن التوازن يتطلب تساوباً تماماً لترسانتي الأسلحة، بل كانوا يتصورون انه مرهون فقط بقدرة كل من القوتين على تدمير كل منهما الأخرى بضربات ثأرية^٤.

وفي ٢٥ توز من العام ١٩٦٩، وبمناسبة إعلان مبدأ نيكسون أعلن الرئيس نيكسون عن سياسة ذكر أن حالة العالم قد تغيرت إلى تغييرات كبيرة في ميزان القوى الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، إذ أن احتفاظ الولايات المتحدة

^١ - المصدر نفسه، ص ٦٦-٦٥.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٦٧.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٦٧.

^٤ - المصدر نفسه، ص ٦٧.

بالتفوق، والاحتكار للأسلحة النووية الإستراتيجية لم يعد قائماً منذ نهاية الخمسينيات بالنظر لامتلاك الاتحاد السوفيتي الإمكانيات، والطاقات لتطوير واستعمال الصواريخ العابرة للقارات التي يمكن أن تدمر جزءاً كبيراً من الطاقات الإستراتيجية الأمريكية على الأرض، وبعد العام ١٩٦٥، زاد السوفيت من استعمالهم للصواريخ النووية عابرة للقارات، وبدعوا يبنون قوئم من الغواصات المماثلة لغواصات بولاريس مما أدى إلى تعرض التفوق الإستراتيجي الأمريكي إلى التحدي، ورأى التقرير أن النظرية الإستراتيجية الأمريكية التي كانت تقوم على مبدأ الدمار المؤكد يجب أن يعاد النظر فيها في ضوء التحول المتزايد للقدرات الإستراتيجية السوفيتية، وعليه يرى التقرير بأنه في العصر النووي قد جرى التركيز في التفاوض أكثر من المواجهة^١.

وكذلك بدت الولايات المتحدة في أواخر السبعينيات، وأوائل السبعينيات، وهي تدخل عصر الوفاق، إن لم تكن في موقف ضعف، ففي الأقل، وهي تنوء تحت ضغوط دولية وداخلية، وقد تمثلت هذه الضغوط في انتقال الاتحاد السوفيتي - على المستوى الاستراتيجي - إلى وضع القوة الأعظم، وذلك عن طريق توصلهما إلى حالة التعادل في الأسلحة النووية، والإستراتيجية بتطوير الصواريخ العابرة للقارات ثم بناء أسطول بحري قادر على الوجود عالمياً، وينهي الوضع الآمن الذي يعطيه المحيط الأطلسي للاتحاد السوفيتي. كما بدت الولايات المتحدة تعاني ضغوط وتوترات أول هزيمة عسكرية في تاريخها في فيتنام، وما أحدها هذا من تفاعلات داخل المجتمع الأمريكي، كما تصاعدت هذه الضغوط الداخلية بظهور قضية ووترجيت، وتأثيرها في النسيج المعنوي للشعب الأمريكي، وثقته بذاته، وفي قياداته^٢.

لقد أنفقت الولايات المتحدة أيضاً على الدفاع أكثر بكثير مما كان ضرورياً، ورفضت أن تزيد من الضرائب لتعوض الأنفاق المتزايد، وهكذا تم تحويل العجز بالاستدانة من الخارج مما زاد من الاعتمادات المطلوبة لتغطية العجز، وفوائد القروض، مما يمثل عبئاً كبيراً على الأجيال القادمة، ولتقليل الاستدانة الخارجية تم تقليل

^١ - د. السيد أمين شلبي، الوفاق الأمريكي- السوفيتي ١٩٦٣- ١٩٧٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١، ص ١٥٧- ١٥٨.

^٢ - د. السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥، ص ٩٨.

المصاريف غير الدفاعية للحد الأدنى، ونتيجة لهذا اجتاحت المجتمع الأمريكي المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الحادة^١.

إن الاتحاد السوفيتي مهمًا كانت دوافعه أخذ يوظف موارد ضخمة ومتزايدة من أجل قواته المسلحة، وإن كان الاتحاد السوفيتي لا يرغب في خوض الحرب مع الغرب ذات أبعاد واسعة، وإن كان من المحتمل أن يحول جس نقاط الضعف، ويستغلها حيث استطاع أن يلقاها^٢.

ثانيًا: التفكك في إطار المعسكرين:

في المعسكر الغربي كان العامل الحاسم في سياسة الوفاق الدولي وصول الحزب الديمقراطي الاشتراكي إلى السلطة في ألمانيا الغربية في كانون الأول من العام ١٩٦٦، بزعامة ويلي برانت الذي اتبع سياسة عرفت بالسياسة الشرقية، والغاية من وراء ذلك هو العمل على تحسين العلاقات بين الشرق والغرب. فقد وقعت ألمانيا الغربية والاتحاد السوفيتي معاهدـة عدم اعتداء في موسكو في ٧ كانون الأول من العام ١٩٧٠، كما قام برانت بزيارة بولندا، ووقع معاـدة عدم اعتـداء اعترـفت فيها ألمانيا الغربية بحدود الاودريـس. وقد كسبـت بولنـدة من وراء ذلك ، لأن اعتمـاد بولنـدة على الـاتحاد السوفيـطي تقلـص بـسبب الـاعـتـراف بـحدودـها ، وفي ٣ آيلـول من العام ١٩٧١ ، تم التـوصـل إلى اتفـاق الدول الأربع الكـبرـى حول برـلين ، والـذـي اعـتـرـفـ فيه بالـحقـوقـ والـمسـئـولـياتـ الفـردـيةـ ، والـمـشـترـكـةـ لـكـلـ منـ الـولاـيـاتـ المـتحـدةـ ، والـاـتـحـادـ السـوـفـيـطيـ ، وـبـرـيطـانـياـ ، وـفـرـنسـاـ ، دونـ أنـ يـجـريـ أيـ تـغـيـيرـ فيـ هـذـهـ الـحـقـوقـ وـالـمـسـئـولـياتـ ، وـتـقرـرـ بـقاءـ الـرـوـابـطـ بـينـ برـلينـ الغـرـبيـةـ ، وـأـلـمـانـياـ الغـرـبيـةـ ، وـفيـ ٢١ـ كـانـونـ الـأـوـلـ منـ الـعـامـ ١٩٧٢ـ ، وـقـعـتـ الـأـلـانـيـتـينـ مـعـاهـدـةـ سـمـحتـ بـعـلـاقـاتـ حـسـنـ الـجـوـارـ بـيـنـ شـطـرـيـ أـلـمـانـياـ ، وـزـادـتـ مـنـ الـتـجـارـةـ ، وـالـاتـصـالـاتـ الـشـخـصـيـةـ ، وـالـثـقـافـيـةـ ، وـالـاحـتـرـامـ الـمـتـبـادـلـ لـلـحـدـودـ ، وـالـتـزـامـاتـ الـتـحـالـفـاتـ لـدـىـ كـلـ مـنـ الـطـرـفـينـ^٣.

أما فـرـنسـاـ فقدـ كانـ الجـنـرـالـ دـيـغـولـ قدـ طـالـبـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ استـبـدـالـ الـقـيـادـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ لـحـلـ شـمـالـ الـأـطـلـسـيـ بـقـيـادـةـ ثـلـاثـيـةـ تـضـمـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ وـبـرـيطـانـياـ وـفـرـنسـاـ ، غـيـرـ أـنـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ بـوـصـفـهـاـ صـاحـبـةـ الـقـوـةـ الـنوـوـيـةـ الـإـسـتـرـاتـيـجـيـةـ شـبـهـ الـكـامـلـةـ فيـ

^١ - روـبرـتـ ماـكـنـمارـاـ ، مـصـدرـ سـبـقـ ذـكـرـهـ ، صـ ٨٥ـ.

^٢ - الـمـصـدرـ نـفـسـهـ ، صـ ٨٦ـ.

^٣ - كـولـنـ باـونـ وـبـيـترـ موـنيـ ، مـصـدرـ سـبـقـ ذـكـرـهـ ، صـ ٢٠٣ـ - ٢١٠ـ.

الخلف كانت تعارض هذا الاقتراح، وهذا ما أبلغه الرئيس الأمريكي إلى الجنرال ديغول، ولم تكن بريطانيا تستطيع الوقوف غير الموقف الأمريكي خوفاً من فقدان دورها كحليف مميز للولايات المتحدة تربطه بها (علاقات خاصة)، وهذا أمر الجنرال ديغول بالاستمرار في البرنامج الذري الفرنسي، وفي ١٣ شباط من العام ١٩٦٠، فجرت فرنسا قبلتها النووية الأولى، وأعلن ديغول بأن فرنسا تريد أن يكون لها دفاعها المستقل، ومنذ ذلك الحين أخذ الجنرال ديغول يرسم لفرنسا سياسة خارجية مستقلة، وطائحة إلى محورة بعض الدول الأوروبية حولها ألمانيا، وإيطاليا، وكان يرمي من وراء ذلك تخفيف وطأة الهيمنة الأمريكية على أوروبا، فأعترف بالصين الشعبية في أوائل العام ١٩٦٤، وقطع علاقاته الرسمية مع فرنسا، وزار المكسيك، حيث لقي استقبالاً رائعاً مما آثار حفيظة الأمريكيين، إذ عدوا تلك الزيارة بمثابة غزو فرنسي لمناطق النفوذ الأمريكية، كما بدأ في تلك المدة أيضاً تنفيذ سياسة خارجية هدف إلى التقارب مع أوروبا الشرقية، وأعلن عن إمكانية قيام أوروبا من الأطلسي إلى الاورال، وذلك بالرغم من معارضته لنظام الشيوعي القائم فيها^١.

وكان ديغول يعتقد أن ميزان القوى القائم غير طبيعي، لأنه يتضمن استقطاب العالم، وخلق كيانات سياسية تابعة للأمر الذي يتناقض مع مصالح الأمم، كما أنه يخلق وضعًا خطيراً ومزعزاً، حيث تقف جميع الأمم الصغيرة والكبيرة باستمرار على حافة الحرب، وهو أيضاً وضع غير سليم، إذ يعطي كلًاً من الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة كل الحرية في التصرف والاستقلال في اتخاذ القرارات، وتقرير مصيرها، ومصير العالم، ولهذا فإن التصرفات الأمريكية والسوفيتية هي تعبر عن القوة القومية بشكل أو آخر، وإذا توصلنا إلى اتفاق مؤقت فإنه سيكون من أجل السيطرة المشتركة على العالم، وكلا الاحتمالين سيكون في غير مصلحة الدول الأخرى بما فيها طبعاً فرنسا، وغرب أوروبا ككل^٢، ويرى ديغول أن فرنسا يجب أن تكون قادرة على أن تملك السيطرة على مصيرها الخاص في حالة ما إذا تورطت الولايات المتحدة في حرب غير أوروبية يمكن أن تؤدي إلى حرب نووية، وكانت كوبا أمثوذجاً على ذلك، وهكذا عدّ ديغول أنه مادام إن القوات الأمريكية ظلت على أرض فرنسية، فإن فرنسا يمكن أن تصبح رهينة التورط الأمريكي مع الاتحاد السوفيتي خارج أوروبا، وبناءً على ذلك قرر الجنرال ديغول

¹ - د.دونيس العكرة، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠-٨٤.

² - د.السيد أمين الشلبي، الوفاق الأمريكي-ال Sovieti، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧.

انسحاب فرنسا من الجناح العسكري خلف شمال الأطلسي في آذار من العام ١٩٦٦، وفسرت وجهة النظر الفرنسية ذلك الانسحاب بالتغيير في طبيعة التهديدات التي تواجه العالم العربي، والتي أدت إلى عقد معايدة (خلف شمال الأطلسي) فلم تعد هذه التهديدات وشيكة أو خطيرة، كما كانت ، وزيادة على ذلك، فإن الدول الأوروبية قد استعادت قوتها الاقتصادية، وبذلك استعادت وسائل العمل بوجه خاص، فإن فرنسا تزود نفسها بأسلحة ذرية، وكذلك تغير ميزان القوى النووي بين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، والذي أنهى احتكار الولايات المتحدة في هذا المجال قد غير من الأوضاع العامة للدفاع الغربي، وأخيرا ، فشمة حقيقة هي أن أوروبا لم تعد مركز الأزمة العالمية، إذ أن هذا المركز قد انتقل إلى مكان آخر خاصة في آسيا. وقد بدأ ديفغول بإقامة جسور من الاتصالات مع الاتحاد السوفيتي ودول شرق أوروبا وبدأ يركز في الروابط الثقافية، والاقتصادية، وتبادل الزيارات بين عدد من قادة شرق أوروبا، وفرنسا، وقام ديفغول بزيارة إلى موسكو في صيف العام ١٩٦٤، وبال مقابل قام رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي كوسينجين بزيارة إلى باريس بعد ذلك بستة شهور^١.

أما التفكك في دول المعسكر الاشتراكي، فظهرت بعض التزعزعات الاستقلالية داخل المعسكر الاشتراكي. فقد توصل خروشوف منذ العام ١٩٦١، لفكرة التخصص في المهام بين مختلف الدول الاشتراكية، علمًا أن هدف هذا التخصص كان معاكساً لفكرة الاستقلال الوطني نفسها، فضلاً عن ذلك، فإن هذا التخصص كان يقوي من صلاحيات أكبر الشركاء، أي الاتحاد السوفيتي، ولا يتلاقى أبداً بالضرورة مع مصالح باقي الدول الاشتراكية، ولما كانت رومانيا هي أحدي الدول الأقل تطوراً، وكانت دولة زراعية، فإن ذلك كان يعني وفقاً لمبدأ التخصص أن تبقى رومانيا بلداً زراعياً إلى الأبد، ولذلك أعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروماني تأييدها للاستقلال الاقتصادي، ومن ثم للسيادة الوطنية، وعندما ازداد الصراع الصيني - السوفيتي أعلنت رومانيا حيادها بين الطرفين، وكفت علاقتها التجارية مع الصين، وفي نيسان من العام ١٩٦٤، أعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروماني عن حق السيادة لكل دولة اشتراكية بإقامة، و اختيار، وتغيير أشكال وطرق البناء الاشتراكي، وأبعد القادة الرومان عن الاتحاد السوفيتي، وعاد الرومان الكلام عن بسارابيا التي كان الاتحاد السوفيتي قد

^١ - المصدر نفسه، ص ٩٨-١٠٠.

ضمنها إليه، في العام ١٩٤٠، كما توقف تصويت رومانيا في الأمم المتحدة عن أن يكون التصويت وثيقاً بتصويت الاتحاد السوفيتي، وأدان الرومان غزو جيكوسلوفاكيا، واستقبلت رومانيا الجنرال ديجول في أيار من العام ١٩٦٨، والرئيس الأمريكي نيكسون في آب من العام ١٩٦٩^١.

وكذلك في إطار تفكك المعسكر الاشتراكي ظهر الصراع الصيني - السوفيتي الذي أضعف كثيراً المعسكر الاشتراكي، لقد كان وصول الحزب الشيوعي الصيني في الصين الشعبية في العام ١٩٤٩، دعماً عسكرياً وسياسياً لغزو الاتحاد السوفيتي، وبدون شك أن انتصارات ماوتسي تونغ كانت صينية، ولم تكن بمساعدة من الجيش الأحمر السوفيتي، وكان الاتحاد السوفيتي في البداية يقدم الدعم والمساعدة للصين من أجل البناء والمشاريع، ولما نادى الاتحاد السوفيتي بمبدأ التعايش السلمي مع الغرب انتقده الصينيون مبينين أن ذلك تجاوزاً على الماركسية - الليينية، كما خالف الصينيون الرأي القائل بإمكانية تحقيق الاشتراكية عن طريق الطرق البرلمانية، وساورهم الشكوك في أن هذا المنطق أملته رغبة خروشوف في تجنب صراعات عنيفة حول العالم قد تحول الوفاق الأمريكي - السوفيتي الذي كان في مرحلة مبكرة، واعتقد الصينيون بان الاتحاد السوفيتي قد تراجع عن الماركسية - الليينية، واقموا السوفيت بالتحريفية، وكذلك رفض الصينيون مطالب الحزب الشيوعي السوفيتي بالوصاية على الصين الشعبية واحتفاظ السوفيت بالإشراف على الرؤوس الحربية النووية، ورفضوا تزويد الصين الشعبية بالقنبلة الذرية، وفي أزمة كوبا اقروا السوفيت بالاستسلام للولايات المتحدة، فضلاً عن ذلك وجود المشكلات الحدودية التي تفاقمت بين الاثنين، وتوترت العلاقات في أواسط السبعينيات، واقهمت الصين السوفيت بمحاولة الحصول على قواعد عسكرية في الدول التي تقدم لها معونات، وبنهب مواردها الطبيعية، والتدخل في شؤونها الداخلية، وفي مشكلات الحدود الهندية - الصينية وقف السوفيت إلى جانب الهند^٢.

وفي جيكوسلوفاكيا ظهرت حركة تحريرية تدعوا إلى أطلاق الحرريات الفكرية، والسياسية، والاقتصادية، وبعد أن بدأت تنشر تأثيرها في بعض البلدان الاشتراكية، وعلى رأسها بولندا، حيث حصلت تظاهرات طلابية تدعوا إلى أطلاق الحرية الفردية،

^١ - ج.ب.دوروزيل، التاريخ الدبلوماسي في القرن العشرين، الجزء الثاني، ١٩٤٥-١٩٧٨،

ترجمة: د. خضر حضر، دار المنصور، بيروت ١٩٨٥، ص ٣٦٩-٣٧١.

^٢ - كولن باون وبيترون، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧-١٨٧.

وقد معمتها السلطة بالقوة، فقد اصدر الحزب الشيوعي الجيوكسلافاكي برنامجاً جديداً أطلق عليه الطريق الجيوكسلافاكي إلى الاشتراكية، وندد بالأخطاء التي كانت تسود العامة الجيوكسلافاكية السابقة، وهاجم الإدارة المركزية للاقتصاد، لأنها أدت إلى ركود. كما أن الحزب نفسه كان موضع انتقاد بسبب تركيز السلطة واحتكارها في أيدي أجهزة الحزب، وأعلن البرنامج أن الحزب ليس وصياً على المجتمع، وضمن السفر إلى الخارج، وحرية الكلام، وحرية الصحافة، ووعد بإصلاحات قضائية، والعمل على تحديد سلطة الشرطة السرية، وبالنظر لوصول قيادة جديدة في جيوكسلافاكيا مؤيدة للإصلاحات، والأفكار التحريرية فقد زاد ذلك من انتقادات السوفيت، وتوجه القادة السوفيت إلى انتقادات معادية مما دفع ذلك إلى التدخل العسكري لدول حلف وارشو في ٢١ آب من العام ١٩٦٨، إذ تم القضاء على الحركة التحريرية ، وبعد الغزو اصدر بريجنييف زعيم الحزب الشيوعي السوفيتي، إعلان يعرف بمبدأ بريجنييف بين فيه أن آية تطور في أي بلد اشتراكي باتجاه النظام الرأسمالي، فإن ذلك يهدد البلدان الاشتراكية برمته^١، وبعد الغزو أعلنت ألبانيا انسحابها رسميًا من حلف وارشو علمًا بأنها قد تخلى عن القيام بأي دور فعال في ذلك الحلف قبل انسحابها بسبعين سنوات، واتجهت نحو الصين تبحث عن دولة عظمى تحميها، وتقربت ألبانيا مع رومانيا، ويوغسلافيا اللتين اتخذتا مواقف مستقلة تجاه الاتحاد السوفيتي، ولو حاول الاتحاد السوفيتي أن يعيد سيطرته على ألبانيا لتصدع الوفاق السوفيتي - اليوغسلافي، كما أن ذلك سيزيد من تعقيد علاقات السوفيت مع بقية دول العالم، ولاسيما الصين، ومadam أرادت يوغسلافيا أبقاء علاقتها مع الاتحاد السوفيتي على قدر من التحديد، فإن ألبانيا ستظل في مأمن، ذلك أن استقلال يوغسلافيا يتوقف على علاقتها الودية مع الغرب التي ستصاب باضطراب إذا ما حاولت يوغسلافيا ابتلاء ألبانيا^٢.

ثالثاً: تطور العلاقات الصينية-الأمريكية:

منذ سنة ١٩٦٩، قام الرئيس نيكسون بتخفيض القيود على التجارة، وجوازات السفر بالنسبة للصين، وفي نيسان من العام ١٩٧١، دُعي فريق كرة الطاولة الأمريكي إلى الصين، وفي حزيران من العام ١٩٧١، أنهى الحظر التجاري على الصين بعد أن أستمر إحدى عشر سنة. لقد كانت هناك تفسيرات كثيرة حول التقارب في

^١ - المصدر نفسه، ص ١٩٦-١٩٩.

^٢ - المصدر نفسه ، ص ١٩١-١٩٢.

العلاقات، وان الولايات المتحدة أدركت عقم محاولتها احتواء الصين، وأن نيكسون كان يحاول عقد صفقة حول الحرب في فيتنام، ولعل الرئيس كان يحاول كسب شعبية انتخابية في الولايات المتحدة لترع فتيل من علاقة مشحونة باخطر، وربما كان يقصد من أعماله إقلاق السوفيت لكي يزيدوا من سرعة الوفاق مع الولايات المتحدة، ولم يعد بإمكان أمريكا إلا توصل مع الصين إلى مزيد من التفاهم، وإلى أيجاد اتصال على مستوى الخط الساخن مع صين نووية، وذات إمكانيات لصنع صواريخ عابرة للقارات، وكذلك فإنه بعد إعلان مبدأ نيكسون في العام ١٩٦٩، والذي أكد على الفتنة أصبح الأمريكيون متورطين بعملية فك الارتباط مع البر الآسيوي، وفي التحليل الأخير، فإنه بوسع أمريكا بعكس الاتحاد السوفيتي الذي هو دولة برية آسيوية، أن تقلص من دورها في البر الآسيوي. أن لم يكن في الخط الهادئ. لقد كان بيان شنغهاي المشترك في ٢٨ شباط من العام ١٩٧٢، أثر زيارة نيكسون إلى الصين الشعبية يحوي بنوداً مثل، (يجب ألا تحاول الولايات المتحدة ولا الصين الشعبية أن تسعى إلى الهيمنة على منطقة آسيا المحيط الهادئ، كما أن كلاً منها تعارض محاولات أية دولة أخرى أو مجموعة دول لإقامة هيمنة من هذا القبيل)، وكذلك أكد نيكسون بأن السياسة الأمريكية لا يمكن أن تكون مجده إذا بقيت الولايات المتحدة منقطعة عن ربع سكان العالم، ولا يمكن تخفيف حدة التوتر في آسيا دون التحدث مع بكين، وأكَدَ أن الزمن الذي تستطيع فيه دولة الرُّؤُم بأنها تنطق باسم كتلة من الدول قد انتهى وعلى الولايات المتحدة أن تعامل مع البلدان حسب أعمالها، وليس بناءً على صيغ عقائدية مجردة^١.

إن من أسباب تقارب الصين الشعبية مع الولايات المتحدة كان تقرير الصين بأن الخط الموجه إليها من السوفيت أشد من الخط الموجه إليها من أمريكا. وقد يزيد الوفاق من سرعة فك ارتباط الولايات المتحدة مع آسيا، وتقليل خطر اتفاق أمريكي - سوفيتي في الشرق الأقصى، وأتاحت المجال للصين كي تراقب آسيا من الشمال، وفي الأقل بوجود الصين الشعبية على علاقة ودية جديدة مع الغرب سيكون هناك مزيد من الاحتمال، لأن ينظر إليها على أنها الضحية في صدام صيني - سوفيتي في المستقبل، بل كان من الممكن أن الوفاق مع الولايات المتحدة قد يزيد من قلق الأمريكيين بسبب

¹ - المصدر نفسه، ص ١٥٨-١٦١.

إمكانية هذا الصدام، وربما كان من المهم بقدر مساو وجود أمكانية لأن يؤدي الوفاق في النهاية إلى تحرير تايوان بطريقة سلمية^١.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك اعتقاد واشنطن بأن حكام الصين الشعبية كانوا مستعدين ومهتمين لكي يبادلوا تصميم واشنطن على إنهاء الحرب الفيتنامية لكي يبادلوا هذه السياسة، حيث كانت الصين تسعى للتخلص من التوترات الداخلية التي خلفتها الثورة الثقافية، وكذلك توافقت السياسة الأمريكية الجديدة نحو الصين باهتمام بكين بإقامة حلقات أكثر مع العالم الخارجي بغية أن يساعد هذا في الإسراع بتنمية اقتصادهم، وبدخول الأمم المتحدة لكي يقدموا عن أنفسهم صورة جديدة إلى العالم، والحصول على فرصة جديدة لدعم مكانتهم ونفوذهم، وكذلك أن تطوير العلاقات مع الصين الشعبية سيسمح لهم في مساعدة الصين في الحصول على التكنولوجيا، والتجارة مع الولايات المتحدة وهذا ما تسعى إليه الصين الشعبية^٢.

رابعاً: المساهمة في تطويق الأزمات:

سعى العاملون إلى منع تحول الأزمات التي تتشب بينهما إلى حالة مواجهة فقد كانت حرب تشرين الأول من العام ١٩٧٣، بين العرب وإسرائيل بمثابة امتحان عسير لسياسة الوفاق، ففي المرحلة الأولى من الحرب كان هناك نوع من التنسيق والاتصال بين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي بهدف عدم توسيع نطاق العمليات العسكرية، وجعلها محدودة لا تجر لها أطراف دولية أخرى، وتأكيداً على هذا التنسيق فقد أعلن وزير الخارجية الأمريكي كيسنجر في ١٢ تشرين الأول من العام ١٩٧٣، عن ثقته بأن الاتحاد السوفيتي لن يهدد الانفراج في العلاقات الدولية، ولما استطاعت إسرائيل إحداث ثغرة في الجبهة المصرية عندما صدر قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، والشروع في المفاوضات، ولما كانت إسرائيل في موقع قوة عملت على تحسين مواقعها، واستمرت في عملياتها العسكرية حتى بعد موافقتها على قرار وقف إطلاق النار، وذلك بهدف فرض شروطها، وامتصاص الانتصار الذي حققه مصر في البداية في عبور قناة السويس ولا سيما بعد أن قتلت محاصرة الجيش الثالث المصري. أما بتدميره أو استسلامه، هذه التطورات الخطيرة أثارت المواجهة بين الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة. فقد رفعت موسكو من حدة انتقادها للتصرفات الإسرائيلية بتجاهل قرار مجلس الأمن، ونشرت

^١ - المصدر نفسه، ص ١٦٢-١٦٣.

^٢ - د. السيد أمين شلبي، الوفاق الأمريكي- السوفيتي، مصدر سبق ذكره ص ١٧٨-١٨٤.

بياناً رسمياً دعت فيه إسرائيل إلى تطبيق القرار مع التهديد باتخاذ إجراءات رادعة ضدها كما هاجم البيان الولايات المتحدة على عدم مصداقيتها في الضغط على إسرائيل لاحترام القرار، وقدر رافق هذا البيان رفع السوفيت درجة الاستعداد في القوات المسلحة السوفيتية، وجاء الرد الأمريكي عنيفاً وحاسماً، إذ أعلنت الولايات المتحدة في ٢٥ / ١٠ حالة الطوارئ في قواها المسلحة في جميع أنحاء العالم بما فيها القوة النووية، وبدا أن العمالقين قبلة مواجهة عسكرية شاملة^١، ولكن وجود قناة اتصالات رسمية يومية تقريباً مع الكرملين تحاشياً لاتخاذ قرارات تحت وطأة سخونة اللحظة أو بناءً على معلومات غير دقيقة استطاع العمالقين من ضبط النفس، وتطويق الأزمة التي انتهت بفعل تراجع السوفيت للعمل ضمن إطار مجلس الأمن الذي تقرر فيه إرسال قوات دولية إلى المنطقة^٢، وفي قضية فيتنام شدد العمالقين على عدم المواجهة، وأكثفوا الاتحاد السوفيتي بتقديم الدعم والمساندة إلى فيتنام الشمالية مع البحث والعمل إلى التوصل إلى حلول سلمية.

خامساً: الأمن الأوروبي:

بعد توقيع الألمانين في ٢١ كانون الأول من العام ١٩٧٢، على معاهدة ساحت بعلاقات حسن الجوار بين شطري ألمانيا، وزادت من التجارة، والاتصالات الشخصية، والثقافية، والاحترام المتبادل للحدود، والتزامات التحالف لدى كل من الطرفين تم افتتاح مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي في هلسنكي في العام ١٩٧٣، والذي حضرته جميع دول أوروبا الغربية والشرقية، فضلاً عن الولايات المتحدة، وكندا، ورافق ذلك موافقة الدولتين العظميين في صيف العام ١٩٧٢، على المبدأ القائل أن مفاوضات التخفيفات المتبادلة، والمتوازنة للقوات ومؤتمر الأمن الأوروبي وجهان لعملة واحدة، إذ عقد مؤتمر الأمن الأوروبي في هلسنكي في ٣٠ تشرين الثاني، ومؤتمر لخفض القوات التقليدية فيينا في ٣٠ تشرين الأول من العام ١٩٧٣، وكانت محادثات الموضوع الثاني حول التخفيفات معقدة جداً، ولم تكن تشمل القوات فقط، بل كانت تشمل أيضاً أعداد الأسلحة وأنواعها، وكذلك فإن أي نسبة مئوية من التخفيف كان يريدها

^١ - د.موسى محمد آل طويرش، تاريخ العلاقات الدولية من كندي حتى غورباتشوف ١٩٦١-١٩٩١، بغداد، شركة الحوراء للتجارة والطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٤٢-٤٥.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٤٥، ١، لتفاصيل انظر هنري كيسنجر، الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٣.

الإتحاد السوفيتي ستؤدي إلى أعطاء حلف وارشو تفوقاً عسكرياً كبيراً على الحلف الأطلسي أكبر مما أعطت في السابق. لقد رغب الطرفان في تحفيض قواهما، ولكنهما أرادا أيضاً تحسين وضعهما العسكري والأمني مقابل بعضهما البعض.¹

أما محادثات مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي فقد امتدت إلى عامين اتفق جميع المشتركين فيها أن تهدف المحادثات إلى مزيد من حرية الحركة للناس، والأفكار، والمعلومات في أوروبا، إلا أن هذه التعهدات بالنسبة للإتحاد السوفيتي لم يأت يرد ذكرها في الصحافة السوفيتية، وأراد الإتحاد السوفيتي في مؤتمر الأمن والتعاون تخفيف حدة التوتر في غرب أوروبا لـإتاحة توفر رأس المال، والتكنولوجيا الغربية للإتحاد السوفيتي، والاعتراف بتفوق المصالح السوفيتية في شرق أوروبا، وفي آب من العام ١٩٧٥، وقع ثلاثة وثلاثون بلداً باستثناء ألبانيا، كما وقعت الولايات المتحدة، وكندا، على اتفاقية هلسنكي التي اعترفت فيها بحدود أوروبا الشرقية كما اعترفت ضمناً بالسيطرة السوفيتية عليها، وتخلت ألمانيا الغربية عن ادعائها بأنما الدوله الألمانية الشرعية الوحيدة، واتفق الشرق والغرب على حضور مراقبين من كلا الجانبين التمارين العسكرية الكبرى التي يجريها الجانب الآخر، ووعد الجميع بزيادة الاتصال بين الشرق والغرب، وضمان حقوق الإنسان.²

سادساً: معااهدات نزع السلاح:

بدأت المحادثات الأولية بين الإتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة بخصوص المد من الأسلحة الإستراتيجية في ١٧ تشرين الثاني من العام ١٩٦٩، وهي المحادثات التي كانت إدارة جونسون قد اقترحتها في العام ١٩٦٧، ووقع معااهدة المد من الأسلحة الإستراتيجية (سالت) الأولى (ABM) في ٢٦ أيار من العام ١٩٧٢، في أثناء زيارة الرئيس الأمريكي نيكسون إلى موسكو، على اعتبار أن تحديد نظم الدفاع بالصواريخ المضادة سيكون عملاً أساسياً في كبح السباق بالأسلحة الإستراتيجية الهجومية، كما سيؤدي إلى تقليل أخطار اشتعال حرب تستخد المرصد فيها الأسلحة النووية، وان تطوير الصواريخ المضادة للصواريخ سيؤدي إلى زعزعة الردع خصوصاً، إذا ما أصبحت الصواريخ بدقة أكبر من ذي قبل، وان أمكانية قدرة إحدى الدولتين العظميين أو

¹ - كولن باون وبيتر موني، مصدر سابق ذكره، ص ٢١٣.

² - المصدر نفسه، ص ٢١٤-٢١٥، وكذلك انظر،

كليهما على تجريد الأخرى من سلاحها بضربة أولى ناجحة تصبح بالضرورة أحد العناصر التي تؤدي إلى اهتزاز ميزان الرعب وتقوم هذه المعاهدة على الاعتراف بالأمن المتكافئ في الجانبيين ولا تعطي ميزة عسكرية لأي منهما^١.

وكذلك وقعت معاهدة سالت ٢ الثانية في ١٨ حزيران من العام ١٩٧٩، في فيما، والتي وضعت حداً أقصى يمكن للجانبين الحد من تعزيزه بدلًا من تجميد الأسلحة النووية، ونظم أطلاقها، كما أهملت كلية مجرد ذكر صواريخ بيرشنج، أو قاذفات القنابل باكفيار، ومشكلة الرؤوس النووية المتعددة للصواريخ البرية العابرة للقارات، وكانت معاهدة سالت ٢ متخلفة عن التكنولوجيا الجارية، وبما أن كلا الجانبيين كان له مطلق الحرية في بناء رؤوس نووية بالعدد الذي كان يعيشه، وكذلك في تزويد كل مطلقات الصواريخ بالرؤوس النووية المتعددة فإن معاهدة سالت ٢ لم تضع أية قيود على الإطلاق من وجهة النظر الفعلية على سباق التسلح. وقد قوبلت هذه المعاهدة بانتقادات حادة في مجلس الشيوخ الأمريكي الذي هاجمها بأنها عبارة عن تنازلات كثيرة وسمحت باستمرار تفوق الاتحاد السوفيتي الاستراتيجي، ولما تدخل السوفيت في أواخر العام ١٩٧٩، في أفغانستان رفض مجلس الشيوخ الأمريكي المصادقة عليها^٢.

وفي العام ١٩٧٣، تم التوقيع على معاهدة منع الحرب النووية، وفي العام ١٩٧٤، تم التوقيع على معاهدة لاستكمال معاهدة سالت ١، إذ قلصت الشبكتين الدفاعيتين التي سمحت معاهدة (ABM)، أقامتها إلى شبكة واحدة^٣.

^١ - كولن باون وبيترو موني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٢.

^٢ - ستيفن أمروز، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٤.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٣٧٤.

البحث الثاني

انتكاسة الوفاق أو الحرب الباردة الجديدة

أُسْطَاع السوفييت تَحْقِيق بَعْض المَكَاسب في أَوَاسِط وَآخِر السَّبعينات في بَعْض بَلَدَان الْعَالَمِ الثَّالِث، وَمَجِيَّ الرَّئِيس رِيغَان إِلَى رَئَاسَةِ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدةِ مِنْذِ مَطْلَعِ الْعَامِ ١٩٨٠، وَتَبَيَّنَه لِسِيَاسَةِ التَّشَدُّدِ إِزَاءِ الْإِتَّحَادِ السُّوفِيِّيِّ، وَبِرُوزِ أَزْمَةِ نَرْعِ السَّلَاحِ، كُلُّ ذَلِكَ سَاهَمَ في انتكاسة الوفاق مَدَةً أَخَذَ يُطْلَقُ عَلَيْهَا بِالْحَرْبِ الْبَارِدَةِ الْجَدِيدَةِ.

لَقَدْ كَانَتْ مَوْجَةُ النَّشَاطِ السُّوفِيِّيِّيِّ الْمُتَزاِدَةِ فِي الْعَالَمِ الثَّالِثِ بَعْدِ الْعَامِ ١٩٧٥، أَحَدُ أَكْثَرِ مَلَامِحِ مَرْحَلَةِ الْوَفَاقِ الصَّعُوبَ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدةِ، فَبَعْدَ أَنْ دَعَمَ السُّوفِيِّيِّيِّنَ أَنْظَمَةً سِيَاسِيَّةً فِي الْعَالَمِ الثَّالِثِ، وَطَبَّقَهُمْ وَلِيُّسْ شِيُوعِيَّةً شَعُورًا بِجُنْحِيَّةِ أَمْلِ كَبِيرَةٍ بَعْدِ فَقَدَانَ لِلْعَدِيدِ مِنْ مَوَاقِعِهِمْ فِي هَذِهِ الْوَلَايَاتِ، وَكَانَ رَدُّ فَعْلِ السُّوفِيِّيِّيِّنَ عَلَى فَشَلِ الْخَمْسِينَاتِ وَالسَّتِينَاتِ كَانَ التَّخْلِيَّ عَنْ دَعَمِ الْمِعْقَرَاطِيَّةِ الْوَطَنِيَّةِ، وَالْبَدَءُ فِي مَسَاعِدَ الْأَحْزَابِ الْمَارِكَسِيَّةِ - الْلِّيَّنِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الثَّالِثِ، فَهُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَدَافِعُونَ عَنِ الْمَصَالِحِ السُّوفِيِّيَّةِ الْخَارِجِيَّةِ، فِي بَيْنِ الْأَعْوَامِ ١٩٧٥ - ١٩٧٩، قَبَضَتْ سَبْعَةِ أَحْزَابِ شِيُوعِيَّةٍ موَالِيَّةٍ لِلْسُّوفِيِّيِّيِّنَ عَلَى السُّلْطَةِ أَوْ اسْتَولَتْ عَلَى أَقَالِيمٍ فِي آسِياِ وَأَفْرِيْقِيَا:-

فِي رِبَّاعِ الْعَامِ ١٩٧٥، اسْتَولَتْ فِيَتَنَمُ الشَّمَالِيَّةُ عَلَى الْحُكْمِ فِي فِيَتَنَمِ الْجَنُوبِيَّةِ، وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ اسْتَوَى الْبَاثِيَّتُ لَاوُ عَمَلَاءُ فِيَتَنَمُ عَلَى السُّلْطَةِ فِي لَاوُسَ.

فِي حَرْبِ انْغُوْلَا مَا بَيْنِ الْعَامِ ١٩٧٥ - ١٩٧٦، هَزَّتْ حَرْكَةُ اوْغُسْطِينُو نِيَّتو الشَّعُوبِيَّةِ لِتَحرِيرِ انْغُوْلَا كُلِّ الْقَوَى الْمُتَصَارِعَةِ عَلَى السُّلْطَةِ.

فِي شَبَّاطِ الْعَامِ ١٩٧٧، سَيَطَرَ الشَّيُوعِيُّيِّنَ مِنْ جِسْتُو هِيلَامُرِيَّامُ عَلَى السُّلْطَةِ فِي أَثِيُوبِيَا. فِي نِيَّسَانِ الْعَامِ ١٩٧٨، قَبَضَ حَزْبُ مُحَمَّدِ نُورِ تَرَاقِي عَلَى السُّلْطَةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ عَلَى اثْرِ انْقَلَابِ مَسْلَحَ.

فِي حَزِيرَانِ الْعَامِ ١٩٧٨، قَامَ الشَّيُوعِيُّيِّنَ فِي التَّجَمُّعِ الْحَاكِمِ فِي الْيَمَنِ الْجَنُوبِيَّةِ بِانْقَلَابِ مَسْلَحٍ نَاجِحٍ عَلَى غَيْرِ الشَّيُوعِيِّيِّنَ.

فِي كَانُونِ الثَّانِي غَزَّتْ فِيَتَنَمُ كَمْبُودِيَا، وَأَحْلَتْ نَظَامًا موَالِيًّا لِلْسُّوفِيِّيِّيِّنَ فَكَانَتْ حُكْمَةُ بُولِ بوْت^١.

^١ - روبرت مكنمارا، مصدر سابق ذكره، ص ٧٣-٧٥.

ويمكن تفسير نشاط السوفيت في نهاية السبعينات في أفريقيا وآسيا ببساطة أنهم اعتقدوا أنهم قد توصلوا أخيراً إلى توازن سياسي وعسكري مع الولايات المتحدة، وهذا شعروا بأن من حقهم أن يقوموا بمثل هذه التحركات، فضلاً عن أنهم كانوا قادرين مادياً على التصرف كنتيجة للشلل الذي حدث في الولايات المتحدة الأمريكية في الأعوام التي أعقبت فضيحة ووترغيت، ورد الفعل السلبي نسبياً الذي واجهت به إدارة كارتر التحركات السوفيتية المبكرة.^١

والبعض يلقي اللوم على إدارة كارتر، وضعفها في مواجهة هذه التحديات، وعدم قدرتها على الاحتفاظ بالمبادرة، وإن فريق عمل أداته لم يضع سياسة واضحة تجاه الاتحاد السوفيتي، ولم يستطع الرد على التحديات السوفيتية، وأن هذا الغياب لأفاق إستراتيجية واضحة المعالم قد أضرت بالسياسة الخارجية الأمريكية في مناطق من العالم مثل أفريقيا، والشرق الأقصى، وإلى حد ما في الشرق الأوسط، وأمريكا اللاتينية، وأن القلق الأمريكي تثل في الانسحاب قبالة مجموعة من التأثيرات السوفيتية.

إن إدارة كارتر تعتقد أن الاتحاد السوفيتي قد قام بهجوم جيوسياسي، لأن حقيقة قوته العسكرية تثل المجال الوحيد الذي يمكن أن يؤكّد نفسه كقوة عظمى، ويرى هؤلاء أن حكومة كارتر قد تبنت أسلوباً خاطئاً، وعدم كفاءة في مواجهة السوفيت في العالم الثالث، واتبعت سياسة متارجحة في معالجة قضية الرهائن في إيران عندما اتفق كارتر مع الحلفاء على إيقاع عقوبات اقتصادية مع إيران، وبالامتناع عن استخدام أسلوب القوة، وكذلك ضعفه في معالجة انقلاب أفغانستان في العام ١٩٧٨، وكذلك عدم ممارسة ضغوط على رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن بشأن سياسة الاستيطان، وعدم اتخاذه إجراء خلال اكتشاف لواء سوفيتي في كوبا أو احتلال أفغانستان من قبل السوفيت.^٢

إن التطور السلبي الخامس تثل في التدخل العسكري السوفيتي في أفغانستان في ٢٧ كانون الأول من العام ١٩٧٩، أي بعد خمسة شهور فقط من توقيع معاهدة سالت ٢، وقد جاء هذا التدخل لكي يحدث تحولاً حاداً في فكر الرئيس الأمريكي كارتر، وفي اتجاه أداته، وجعل من العام الأخير لهذه الإدارة بداية سلسلة التراجع في العلاقات

^١ - المصدر نفسه، ص ٧٥.

Stanley Hoffman 'La Nouvelle Guerre Froide' Strategie- berger-^٢
-134. . p 133 . Levraudt, Paris, 1983, p 39-41.

الأمريكية- السوفيتية، فرأى كارتر أن الأجراء السوفيتي قد وضع القوات العسكرية السوفيتية على حدود (٣٠٠) ميل من الحيط الهندي، وعلى مقربة من مضيق هرمز، وهو البحر الذي يمر عن طريقه معظم نفط العالم، وفرض تدريجياً لحركة الملاحة الحرة لدول الشرق الأوسط^١.

إما الإجراءات التي أقدم عليها كارتر في الرد على هذا التدخل، فقد أجلت إدارة كارتر عرض معايدة سالت الثانية على مجلس الشيوخ لإقرارها، وجدت ٢ مليار دولار كانت ستستخدم لتمويل مبيعات القمح للاتحاد السوفيتي، ومنعت رياضيها من المشاركة في أولمبياد موسكو في العام ١٩٨٠، وأوقفت بيع التكنولوجيا المتقدمة للسوفيت، وزادت من مساعدتها لباكستان بعد أن سبق رفضها ، وعجلت من اتصالاتها مع الصين الشعبية، وكذلك بينت الولايات المتحدة عن خرق الاتحاد السوفيتي لإعلان المبادئ، فضلاً عن التدخل السوفيتي في أنغولا، والقرن الإفريقي، واليمن الجنوبي، والتذكير بالتطور الذي أضاف النفوذ السوفيتي في منطقة جنوب شرق آسيا عندما عانت الولايات المتحدة الهزيمة في فيتنام، وبالفوز الفيتامي لكمبوديا، والأكثر من ذلك سقوط الشاه، ومجيء الثورة الإيرانية التي أضعفـت من تأثير الولايات المتحدة في المنطقة^٢.

إن ضعف إدارة كارتر في مواجهة الأزمـات التي ظهرت في أواخر السبعينيات أدى إلى فوز الرئيس ريغان في الانتخابات ، وأصبح رئيساً في مطلع العام ١٩٨١، والذي جاء إلى الحكم بتوصيم على تبني مواقف أكثر قوة وجراة لكي يوقف ما رآه ضعفاً أمريكاً والذي رده إلى السياسات التي اتبـعـت خلال السبعينيات، وهي الحقبة التي رأـها حقبة تدهور لا تبعث على الراحة والاطمـنانـ داخـليـاً، ودولـياً، وـمعـنوـياً، وـاقـصـاديـاً، ورأـىـ أن مصدر المشـكلـةـ هيـ الـقـيـادـةـ الـضـعـيفـةـ خـاصـةـ فيـ أـدـارـةـ كـارـترـ،ـ وـلـيـسـ نـيـجيـةـ ضـعـفـ كـامـنـ فيـ الـولـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـتـيـ كـانـتـ وـمـاـ تـزـالـ تـحـفـظـ عـنـهـ بـالـقـدـرـةـ عـلـىـ أـنـ تـظـلـ الـأـلـمـةـ الـمـسـيـطـرـةـ عـلـىـ الـعـالـمـ،ـ وـاـنـهـ إـذـ أـرـيدـ وـقـفـ تـرـاجـعـ وـضـعـ أـمـريـكاـ الدـولـيـ وـمـوـاجـهـةـ الـقـوـةـ الـعـسـكـرـيـةـ السـوـفـيـتـيـةـ،ـ وـاتـجـاهـهـاـ الـمـوـسـعـ،ـ فـإـنـ الـقـوـةـ الـعـسـكـرـيـةـ،ـ وـالـبـنـاءـ الـعـسـكـرـيـ يـجـبـ أـنـ يـكـونـ لـهـ الـأـوـلـيـةـ الـمـطلـقـةـ،ـ وـهـذـاـ إـنـ وـمـكـانـهـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ لـاـ تـتـحـقـقـ إـلـاـ عـنـ طـرـيقـ التـفـوقـ الـعـسـكـرـيـ،ـ وـانـ اـتـفـاقـيـاتـ الـحـدـ منـ التـسـلـحـ لـمـ يـسـتـفـدـ مـنـهـاـ سـوـىـ الـاتـحادـ

^١ - د. السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، مصدر سبق ذكره، ص ١٤-١٦.

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٠.

السوفيفي، وانه حتى لو قبلت الولايات المتحدة التفاوض، فيجب ألا تقدم عليه إلا بعد بناء قوها العسكرية، وان هذا البناء سوف يتبع عدد من الحلول للتحديات الخارجية التي تواجهها الولايات المتحدة وهكذا ركز ريغان في الطابع الصراعي، والمواجهة مع الاتحاد السوفيتي، ويعد ذلك تحولاً أساسياً عن السياسات الخارجية للحقبة الماضية، فحيث أدار الرؤساء الأميركيين نيكسون، وفورد، وكarter حتى نهاية السنة الثالثة من أدارته السياسة الخارجية، والعلاقة مع الاتحاد السوفيتي بشكل حاولوا فيه التكيف مع ضرورات عالم متغير، وقد اتبع ثلاثتهم دبلوماسية نشطة للتعويض في تعدد القوى الدولية التي أصبحت واضحة بشكل كبير في نهاية الستينات، أما ريغان فقد جاء لكي يقلب هذا المنطق فعنده لم تكن الولايات المتحدة هي المطالبة أو المسئولة عن التكيف مع العالم، وان أمريكا القوية الواثقة من نفسها يمكن أن تجعل العالم يتکيف معها، وفي مجال بناء القوة العسكرية ، إذ شرعت إدارة ريغان في تقوية نظمها الدفاعية وأصرت على مستوى من الإنفاق العام يواجه متطلبات مستويات عالية من التقدم، على أساس ان هذا يخدم الموقف الأميركي والغرب في أي مفاوضات مع الاتحاد السوفيتي بمستوياته المختلفة، بل انه بدأت تردد في أرجاء الإدارة أفكارا حول الحرب النووية المحدودة، اعتقاداً بأنها أصبحت كثراً احتمالاً من صراع إقليمي محدود يتضمن استخدام القوى النووية والتقليدية^١.

غير أن إدارة ريغان ما لبثت ان تبيّنت ان هذه الممارسات المتشددة لم تحقق تقدماً يذكر في مسائل السياسة الخارجية، بل على العكس هددت عدد من الانجازات التي حققتها إدارة سابقة، مثل التقارب مع الصين، كما خلقت توترات في العلاقة مع الحلفاء الأطلسيين، وفي الشرق الأوسط الذي تصاعد فيه الصراع، والتوتر، واحتمالات التورط الأميركي فيه نتيجة للغزو الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢، ولذلك ظهرت الحاجة لا إلى التخلّي عن المرتكزات الرئيسة لتفكير وسياسة الإدارة، وإنما لإيجاد عنصر توازن في توجهاتها، ومارسها، وكان في مقدمة ذلك تعيين جورج شولتز وزيراً للخارجية في العام ١٩٨٢، بدلاً من الكسندر هيج، وب بدأت في الظهور التوجهات تغيير ملحوظ في الأسلوب، وإلى حد ما في المضمون. وقد بدأ المراقبون يرصدون محاولات إدخال عناصر جديدة في المرونة في سياسات الإدارة، والتي بدأت تظهر عن طريق أعطاء قدر من

^١ - المصدر نفسه، ص ٤٣٥.

الاهتمام في محادثات الحد من التسلح، ورفع الحظر عن الشركات الأوروبية والأمريكية التي تبيع التكنولوجيا لمشروع غاز سيبيريا، كما بدأت الإدارة الأمريكية تحضر من الربط الصارم الذي كانت تقيمه بين ما تطالب به السوفيت من تغيير في سلوكهم في المناطق الإقليمية، وبين التقدم على جبهات أخرى، وعد شولتز أن هذه الساسة لم تكن في مصلحة الولايات المتحدة، وضرب مثلاً على ذلك بقرار بيع القمح للاتحاد السوفيتي خلال إدارة كارتر غير أن عناصر التوازن التي كانت قد بدأت تدخل السياسة الأمريكية خلال إدارة ريجان ما لبست أن تراجعت بحيث لم يظهر أي تأثير إيجابي في مسار العلاقات الأمريكية-السوفيتية، وكان ذلك بفعل عدة تطورات رئيسية:

أولاً: الإعلان عن مبادرة الدفاع الاستراتيجي في ٢٣ آذار من العام ١٩٨٣، إذ دعا ريجان العلماء الأمريكيين ان يتوصلا إلى وسائل لجعل الأسلحة النووية عقيمة وبالية، وكان الهدف من هذه المبادرة هو تطوير طرق ووسائل تدمير الصواريخ المعادية بسلسلة من الهجمات عبر كل طرق طيرانها منذ لحظة إطلاقها حتى دخوها مجال الولايات المتحدة، والغاية من ذلك بناء درع في الفضاء ضد الصواريخ المهاجمة، بحيث يصبح الحد الأدنى لما يقدم هو المساعدة على حماية الصواريخ الأمريكية، وسد الثغرة التي تتعرض فيها للخطر المدن الأمريكية. وقد انتقد السوفيت مبادرة الدفاع الاستراتيجي بان هدفها الرئيس هو قلب وتغيير المعادلة الإستراتيجية مما يؤدي بالنتيجة إلى اختفاء الدرع النووي الذي هو حجر الزاوية للعلاقات الإستراتيجية بين الدولتين العظميين الأمر الذي يغير أساساً من الأساس الذي قامت عليها معاهدة سالت الأولى ، ومبداً التعاون الاستراتيجي بين الطرفين، إذ سيكون بمقدور الولايات المتحدة أن تشن هجوماً فجائياً بدون خوف من الانتقام.

ثانياً: إسقاط طائرة الخطوط الجوية الكورية، في ٢٨ أيلول من العام ١٩٨٣، اسقط الاتحاد السوفيتي طائرة تابعة للخطوط الجوية الكورية الجنوبية فوق الأرضي السوفيتي، وألقموها بالقيام بإعمال تخمينية حادث عده السوفيت مسألة تخص أمنه القومي، وراح ضحيته ٢٧٩ شخص من بينهم أمريكيين.

ثالثاً: فشل التوصل إلى اتفاق حول الصواريخ المتوسطة المدى في أوروبا. لقد كان القرار الذي اتخذه حلف الأطلسي في كانون الأول من العام ١٩٧٩، بنشر صواريخ من نوع بيرشنغ ٢، وكروز الأمريكية في الأرضي الأوروبية. قد قام على أساس أن نشر صواريخ

أمريكية إنما جاء ردًا على نشر السوفيت صواريخ متوسطة المدى من نوع ss20 وقد حدد موعداً للمفاوضات في كانون الأول من العام ١٩٨٣، ومع عدم التوصل إلى اتفاق في هذا التاريخ نفذت دول حلف الأطلسي قرارها، وبهذه بالفعل وصول الصواريخ الأمريكية إلى ألمانيا الغربية، وبريطانيا، الأمر الذي رد عليه السوفيت بالانسحاب من المفاوضات المتعلقة بالصواريخ المتوسطة المدى، وكذلك الانسحاب من محادثات خفض الأسلحة الإستراتيجية ستارتر، ومفاوضات الأسلحة التقليدية.^١

رابعاً: قيام الرئيس ريان بدعم المعارضة في نيكاراغوا ضد حكومة دانييل أورتيغا خشية من انتشار الشيوعية إلى باقي دول أمريكا اللاتينية. لقد عمل الرئيس ريان أيضاً على زيادة المساعدة لحكومة السلفادور بـ ٢٥ مليون دولار، وأرسل إليها خبراء عسكريين أمريكيين، وذلك من أجل دعمها ضد قوات الكونترا الذي أطلق عليهم بالمخاربين من أجل الحرية، وأقام ريان قاعدة عسكرية في هندوراس، أما الرئيس بوش الأب فقد قام بالتدخل في بينما عسكرياً، والإطاحة بالجنرال مانويل نوريغوا المناوئ للولايات المتحدة وإلقاء القبض عليه^٢. وفي نيكاراغوا شدد الرئيس بوش الحصار عليها مما أثر في اقتصادها، واضطر الرئيس دانييل أورتيغا إلى اتخاذ إجراءات تكشف استلزمت تخفيض الميزانية بنسبة ٤٤٪ وتسریع ٣٥ ألف موظف مما أضرت تلك الإجراءات بشعبية، ولما تم إجراء الانتخابات التي طالبت بها الولايات المتحدة خسرها أورتيغا، وقرر احترام نتائج الانتخابات، وتم تسليم السلطة إلى زعيم المعارضة^٣.

خامساً: في نيسان من العام ١٩٨٩، بدأت تظاهرات طلابية جماعية في الصين الشعبية في العاصمة بكين في ميدان تيان ان مين، حيث استخدمت فيها السلطات الصينية القوة المسلحة، وسقط عدد كبير من القتلى في أيار قامت على أثرها الحكومة الصينية بفرض الأحكام العرفية، وفي ٥ حزيران أمر الرئيس الأمريكي بوش الأب بإيقاف المبيعات العسكرية إلى الصين الشعبية، وتدحررت على أثرها العلاقات الأمريكية - الصينية^٤.

^١ - المصدر نفسه، ص ٤٤-٥٢.

^٢ - ستيفن أمبروز، مصدر سابق ذكره، ص ٩٠-٤٣، وكذلك ص ٦٠.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٩٥-٥٧.

^٤ - المصدر نفسه، ص ٦٥-٤٤.

العلاقات الأمريكية - السوفيتية في عهد غورباتشوف

إن وصول غورباتشوف إلى زعامة الاتحاد السوفيتي في آذار من العام ١٩٨٥، قد عبر عن تطور جديد في السياسة السوفيتية، ونرى وجود جيل جديد في القيادة السوفيتية نشأ وتطور في أوضاع تاريخية مختلفة عن الجيل الذي نشأ وشارك في أوضاع وأحداث الثورة البلشفية، وهي الأوضاع التي شكلت الإطار الفكري والعملي لأفعال وردود أفعال جيل القادة الذي نشأ من قبل هذه الأوضاع، وبحكم السن فقد ظهر انفصال لغورباتشوف عن هذه الأوضاع، وتفتحه على أوضاع موضوعية مختلفة اقترن فيها عناصر الثورة السوفيتية بعناصر الضعف، وتراكم مشكلات النظام، ومعضلاته الإيديولوجية، والاقتصادية، والتكنولوجية، وطبق غورباتشوف البريستوريكا (أعادة البناء)، والglasnost (العلنية) في الداخل لمعالجة مشكلات الاتحاد السوفيتي الداخلية. وقد انعكس ذلك على السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي، فامتازت بالمرونة، والاتجاه نحو التعاون مع الولايات المتحدة، وكان ذلك بفضل سياسة تقديم المتطلبات الاقتصادية على المتطلبات الخارجية، والتخلّي عن دعم الأنظمة السياسية الخليفية، والتي كانت مرتبطة أيديولوجياً بالاتحاد السوفيتي لمصلحة القضايا الداخلية^١، وأكد على مسألة إعادة تقييم متطلبات الأمن الذي يجب أن يتحقق بالوسائل الدبلوماسية لا بالوسائل العسكرية، وكذلك عن طريق التعاون بين العسكريين، وسعى غورباتشوف إلى بذل جهود كبيرة لحل المشكلات الإقليمية^٢.

إن أهم ما تمخض عن وصول غورباتشوف إلى قمة الهرم السوفيتي هو العودة إلى أحياء دبلوماسية القمة مع الولايات المتحدة، ففي ١٩ تشرين الثاني من العام ١٩٨٥، عقد في جنيف أول قمة بين الزعيمين ريفان، وغورباتشوف وتم مناقشة المفاوضات حول الأسلحة النووية، وأسلحة الفضاء، واستعدادهما للتفاوض لخفض أسلحتهما الهجومية بنسبة ٥٥٪، وكذلك تأيد مبدأ التعادل، والأمن المتبادل، وهي المبادئ التي يحرص عليها الجانب السوفيتي، وفي قمة ريكيفيك في ١٠ كانون الأول من العام ١٩٨٦، قدم السوفييت فيه نزول عن مواقفه السابقة، مثل قبوله لمبدأ التفتيش الموقعي، وقبل أن يشمل التخفيف في الأسلحة الإستراتيجية صواريخه من طراز SS

^١ - د. السيد أمين شلبي، "من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد" مصدر سبق ذكره، ص ٥٩.

^٢ - روبرت مكتمارا، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٠-١٠٦.

١٨، البعيدة المدى، والتي تتميز بالدقة، وتحمل عشرة رؤوس نووية، وتمثل جوهر القوة النووية السوفيتية، وتخلّى عن موقعه الذي ظل متمسّكاً به في مفاوضات الصواريخ المتوسطة المدى في أوروبا بضرورة احتساب الصواريخ النووية البريطانية والفرنسية في ميزان الصواريخ المتوسطة المدى في أوروبا، إلا أن قبول التفتيش الموقعي يعدّ أهم تنازل قدمه الاتحاد السوفيتي، وهو المبدأ الذي كان يرفض مناقشته خلال كل مراحل مفاوضات الحد من التسلح منذ أن بدأت في الخمسينيات، وكان يعده محاولة لاختراق الاتحاد السوفيتي من الداخل، والتتجسس على المنشآت العسكرية السوفيتية. وتوصّل الزعيمان إلى أساس لخفض ٥٥٪ من القوى النووية الإستراتيجية للقتلين العظميين على مدى خمس سنوات، الأمر الذي عدّه آخرون طموحاً وبشكل مستحيل، وكان الطرفين على وشك الاتفاق على خفض الصواريخ المتوسطة المدى لو لا إصرار السوفيت على ربط التوصل النهائي إلى اتفاق حول العناصر السابقة، وبين تخلّي الولايات المتحدة عن مبادرة الدفاع الاستراتيجي، إذ تمسّكت الولايات المتحدة بهذا البرنامج، وعدّته انه كان السبب الذي جاء بالاتحاد السوفيتي إلى مائدة التفاوض^١.

وفي قمة واشنطن في كانون الأول من العام ١٩٨٧، والقمة الثالثة، كان الاجتماع مختلفاً عن اجتماعات جنيف، وريكيافيک، ففي جنيف لم يتحقق شيء، وفي ريكافيک، كان الفشل رغم التفاهم العريض الذي تحقق خلالها حول قضايا خفض التسلح. وقد صدر عن قمة واشنطن اتفاقية إزالة الصواريخ المتوسطة، والقصيرة المدى في أوروبا، وهي الاتفاقية التي طلبت من الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي تصفية الصواريخ المتوسطة المدى خلال ثلاث سنوات، والقصيرة المدى خلال سنة ونصف وقد انطوت هذه الاتفاقية على قبول خيار الصفر (Zero- Option)، والذي اتفق على جوهره في القمة السابقة، والمقصود بذلك إزالة الصواريخ بشكل تام من كلا الجانبيين، ويعجب بهذه الاتفاقية لن يكون من حق أي طرف تحدي هذه الصواريخ بعد أزالتها وإنجها. وقد نظمت هذه الاتفاقية مذكرة تفاهم حول تقديم المعلومات عن موقع، وأعداد، وخصائص الصواريخ لكل جانب المتوسطة والقصيرة المدى، كما تضمنت بروتوكولات لتحديد إجراءات إزالة هذه الصواريخ، وقواعد الإطلاق، والمعدات، إذ أنها تمثل ١/٥ هذه الترسانة، وإنما في الحقيقة أنها أول اتفاقية لخفض التسلح توقعها القوتان منذ ١٥ عاماً، وإنما أول اتفاقية تصفي جيلاً كاماً من مستويات الأسلحة

^١ - د. السيد أمين شلبي، "من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد" مصدر سبق ذكره، ص ٧٣-٧٢

الإستراتيجية للقوتين، بما في ذلك عدة أشكال من الأخطار المبكر، والتفتيش الموقعي كما اعتبرها بعض المحللين ان قيمتها السياسية تفوق قيمتها العسكرية^١. كما حدث تطور مهم آخر حين زار وزير الخارجية السوفيتي ادوارد شفرد نادзе، واشنطن في ١٥-١٧ أيلول من العام ١٩٨٧، إذ وقع اتفاقية لإنشاء مركز لتقليل الأخطار النووية. وقد اعتبرت هذه الاتفاقية خطوة عملية أخرى للتقليل من أخطار الصراع الذي يمكن ان ينشأ من الحوادث ، أو سوء التقدير أو سوء الفهم. وقد جاءت هذه الاتفاقية لكي تؤسس القناة الأولى للاتصالات بين موسكو وواشنطن منذ إنشاء الخط الساخن في العام ١٩٦٣^٢.

ثم جاءت قمة موسكو في ٢٥-٢٩ أيار من العام ١٩٨٨، لتكون استمراراً للقمة السابقة ، إذ كان النجاحاها الرئيس هو التصديق على اتفاقية الصواريخ المتوسطة المدى بعد تصديق الكونغرس الأمريكي، والسوفيت الأعلى عليها، وتمكنت العلاقات ان تتطور بين العمالقين باستبعاد عناصر التوتر والصراع بين القوتين، وهي العناصر التي صاغت النظام الدولي على وفق أنموذجها على مدى الحقب الماضية ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية^٣.

ثم التقى ريجان وغورباتشوف في كانون الأول من العام ١٩٨٨، حينما توجه غورباتشوف إلى نيويورك لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، ويرتبط هذا اللقاء، فيما يتعلق بمضمون العلاقات السوفيتية- الأمريكية الجديدة، ويرتبط بالخطاب الذي ألقاه غورباتشوف في الجمعية العامة في ٨ كانون الأول من العام ١٩٨٨ ، الذي أعلن فيه عن خفض القوات المسلحة السوفيتية بشكل منفرد بمقدار ٥٠٠ ألف جندي بما فيها القوات السوفيتية في حلف وارشو، وإيشاراة واضحة إلى دول شرق أوروبا والأسس التي يجب ان تحكم علاقة الاتحاد السوفيتي، وتحدث غورباتشوف عن مبدأ حرية الاختيار الذي يجب ان يستند إلى احترام وجهات نظر الآخرين وموافقهم، والاستعداد لرؤية ظاهرة مختلفة على اهنا بالضرورة سيئة أو معادية، والقدرة على التعلم للعيش جنباً إلى جنب في الوقت الذي يكون فيه النظامين مختلفين^٤.

^١ - المصدر نفسه، ص ٧٤.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٧٦.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٧٧.

^٤ - المصدر نفسه، ص ٧٩.

خطوات أوروبا نحو الوحدة

لقد كان لكتلة الحروب بين الأوروبيين، وامتداد الصراعات لمدة طويلة من الزمن أثراً في ظهور فكرة الوحدة الأوروبية، وذلك للتخلص من هذه الحروب والولايات التي عانتها القارة، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتصاعد الحرب الباردة في القارة الأوروبية بروز وجهتا نظر حول الوحدة الأوروبية، وجهة النظر الأولى التي عبرت عن رأي الاتحاديين، ومن أبرز إعلامهم تشرشل، الذين دعوا إلى بناء نوع من الولايات المتحدة الأوروبية، وجعل تشرشل حجر الزاوية في هذا البناء الاتحادي المقترن مشاركة كل من فرنسا، وألمانيا فيه، في حين ركزت وجهة النظر الأخرى، موقف الفيدراليين الذين دعوا إلى إنشاء فوري لدولة فيدرالية أوروبية تقبل فيها كل الشعوب التي تقبل الانتساب إلى الدولة الجديدة، وفي حالة قبولها يتم تحويل جزء من سيادتها في الاقتصاد، والدفاع والسياسة إلى هذه الدولة التي تكون بعيدة عن الكتلتين، وقد اجتمع هؤلاء في سويسرا في العام ١٩٤٨، لبحث أمكانية البدء في عمل ملموس تجاه التوحيد الأوروبي، وكان هناك خلاف بين جهتي النظر، فالفيدراليون حاولوا أبقاء مشروعهم خارج الصراع الدائر بين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، أما تشرشل ومؤيديوه من المحافظين، فكأنوا يرون الاتحاد الأوروبي ضرورياً لتنمية الجبهة الغربية تجاه الاتحاد السوفيتي، وكذلك أراد الفيدراليون عملاً سريعاً يتضمن نقلًا للسيادة، أما منهج تشرشل، وأنصاره، فكان تدريجياً يهدف إلى التعاون الوثيق بين الدول المشتركة، بمعنى أن الهدف هو إقامة اتحاد بين الدول ذات السيادة أكثر منه وحدة فيدرالية^١.

وبعد أن تم إقامة مشروع مارشال في العام ١٩٤٧، تأسست المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي التي كان عليها أن تطبق مشروع مارشال، وفي الوقت نفسه أصبحت ساحة الخلاف بين بريطانيا، وفرنسا، بريطانيا كانت تريد البقاء خارج الساحة الأوروبية، والاكتفاء بالعلاقة الخاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم فلم تكن على استعداد لقبول منظمة تتجاوز السيادة القومية للدول الأعضاء. أما فرنسا، فكانت على النقيض تريد منظمة قوية تكفل وحدة أوروبا، وتعطي فرنسا وزناً عن طريق هذه

^١ - د. عبد المنعم سعيد، الجماعة الأوروبية : تجربة التكامل والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٩ - ٣٠.

الوحدة في السياسة العالمية من جديد، لقد كانت منظمة التعاون الاقتصادي اقتصادية محضاً تعنى بتطبيق مشروع مارشال، وليس بأي أمر آخر، ومن ثم كان مطلوباً خلق كيان آخر يكفل بالتعاون السياسي، والاهم من ذلك التعاون العسكري. فقد كانت مشكلة الأمن الأوروبي الغربي آخذة في الحدة بالنسبة لفرنسا، وبريطانيا ليس نتيجة توسيع الشيوعية إلى دول شرق أوروبا فقط، ولكن أيضاً بسبب أمكانية عودة ألمانيا مرة أخرى لتهديد فرنسا، حيث كانت الولايات المتحدة آخذة تدريجياً في الاقناع بان مواجهة الاتحاد السوفيتي، والمعسكر الاشتراكي يتطلب أحياً القوة العسكرية الألمانية، ولكن فرنسا رفضت بقبول مسألة تسليح ألمانيا بسبب عدم وجود ضمانات مطلقة تمنع أي تهديد ألماني لفرنسا، حتى ولو تضمن ذلك التخلّي عن مشروع مارشال كلياً^١.

وفي موازاة البحث عن طريق لمواجهة المشكلة الألمانية لغرب أوروبا كانت الحاجة ملحة لشكل من أشكال التعاون السياسي والاقتصادي بين هذه الدول نظراً لارتباط الأبعاد الاقتصادية والسياسية بقضية الأمن نفسها. لقد أفضت تجربة أنشاء مجلس في أوروبا في العام ١٩٤٩، إلى نتائج متواضعة للغاية، فالمجلس كان يتخذ قراراته بالإجماع، حتى قراراته كانت تمثل مجرد توصيات لحكومات الدول الأعضاء تأخذ بها أو ترفضها. كما أن احتواء المجلس على الدول الخايدة، مثل السويد، جعل من قدرة هذا المجلس على اتخاذ القرارات ذات شأن تتعلق بالسياسة الخارجية مسألة مستحيلة، فضلاً عن استبعاد الأمور الدفاعية كلياً من جدول أعمال المجلس^٢.

ومع بداية الخمسينات بات واضحاً أن ألمانيا الغربية آخذة في الانتعاش الاقتصادي نتيجة جهد الشعب الألماني، والمساعدة الأمريكية المكثفة ولم يعد مقبولاً أن تستمر الإدارة الدولية على إقليم الرور المهم إلى الأبد، وكان ذلك باعاً على قلق الدبلوماسية الفرنسية التي كان عليها أن تبحث عن طريق لمواجهة المعجزة الاقتصادية الألمانية، ومنعها من التحول إلى تهديد لفرنسا، والسلام في أوروبا^٣.

إذ سعى بعض الأوروبيين إلىبقاء ألمانيا ضعيفة بحيث لا تهدد من جديد اي من الدول الأوروبية، وكان أكثر هذه الإجابات تطرفاً، اقتراح ديفول بفصل إقليم الرور

^١ - المصدر نفسه، ص ٣٤.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٣٩.

^٣ - المصدر نفسه ، ص ٤٠.

مركز الفحم، والصلب، ومحور الصناعة الألمانية من ألمانيا، إلا أن بريطانيا، والولايات المتحدة رفضتا الاقتراح متحججين بأن هذا الإقليم لازم للانتعاش الاقتصادي الألماني ، إلا أن الإجابة التي كان عليها أن تؤثر في مستقبل التكامل الأوروبي، وضعها جان مونيه رئيس مكتب التخطيط الفرنسي، وتبناها روبرت شومان، وزير الخارجية الفرنسي أيضاً عرفت باسم مشروع روبرت شومان، وكان هذا المشروع ذا طبيعة سياسية فقد تضمن أنه يمكن إنهاء التنافس التاريخي بين ألمانيا وفرنسا، وجعل الحرب بينهما ليست غير معقوله فقط، ولكن مستحيلة مادياً أيضاً، وعن طريق يؤدي إلى اتحاد أوربي لا غنى للسلام عنه.^١

وفي ٩ أيار من العام ١٩٥٠، دعا روبرت شومان وزير الخارجية الفرنسي إلى إنشاء الجماعة الأوربية للفحم، والصلب، الواقع أن فكرة هذا المشروع كان ورائها جان مونيه، الذي يعدّ بحق الأب الروحي لعملية الاندماج الأوروبي. وقد أدرك مونيه بعد عمله خمس سنوات في مجال التخطيط للاقتصاد الفرنسي أن فرنسا لن تستطيع تحقيق نمو اقتصادي، ورفع مستوى المعيشة إلا من خلال تجاوز إطار الدولة القومية وتحقيق تعاون اقتصادي على مستوى أكبر، ورأى مونيه إيجاد إطار أوسع يقوم على إنشاء سوق مشتركة على مستوى القارة الأوربية كخطوة نحو قيام جماعة اقتصادية تبني سياسات اقتصادية مشتركة، ولكن مونيه كان من أنصار التدرج، وعدم تبني أحلام عريضة لا يمكن تحقيقها في الواقع، ثم كانت الفكرة هي إنشاء الجماعة الأوربية للفحم، والصلب في العام ١٩٥١، على أساس إفهاماً مادتان أساسيتان في صناعة أدوات الحرب، ومن ثم فإن وضعهما تحت إشراف مشترك سيحول دون استخدامهما من إحدى الدول الخاربة دولة أخرى، وكانت الفكرة الأساسية هي عضوية كل من ألمانيا، وفرنسا في هذه الجماعة لتطوير آلية التعاون السلمي بينهما، ومنع قيام حرب أخرى بينهما، ولكن ترك باب العضوية مفتوحاً للدول الأخرى، ورحب ألمانيا بزعامة اديناور بالفكرة، لأنها كانت تعني عودة ألمانيا للاندماج في القارة الأوربية.^٢

^١ - المصدر نفسه، ص ٤١.

^٢ - د. محمد مصطفى كمال، ود. فؤاد نهران، صنع القرار في الاتحاد الأوروبي والعلاقات العربية - الأوربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١، ص ٢٢-٢٣.

وتزامن ذلك مع ظهور فكرة أخرى، وهي إنشاء جماعة الدفاع الأوربي وهي فكرة اقترتها بليفن رئيس الوزراء الفرنسي، وتنطوي على ضم كل من الجيش الألماني مع بعض القوات من الدول الأوروبية الأخرى في إطار أوري قومي، ولكن الجمعية الوطنية الفرنسية رفضت التصديق عليها في آب من العام ١٩٥٤.^١

وبعد إخفاق جهود الاندماج في المجالين السياسي والعسكري كان لابد من إعطاء دفعة جديدة للاندماج في المجال الاقتصادي. وقد تم تكليف هنري سباك وزير خارجية بلجيكا، وذلك بتقديم دراسة واقتراحات عن هذا الموضوع. وقد كتب تقريراً أشار فيه إلى أنه من أجل أن تستعيد أوروبا مكانتها الدولية، وقدرتها على التأثير في الإحداث، فلابد من تحسين إمكاناتها الاقتصادية، ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق إنشاء سوق مشتركة كخطوة نحو أقامة سياسة اقتصادية مشتركة، وشكل تقرير سباك الأساس الذي قامت عليه المفاوضات التي أدت إلى توقيع معاهدة روما في العام ١٩٥٧، والتي تأسست بوجها السوق الأوروبية المشتركة في ١ كانون الثاني من العام ١٩٥٨، والتي جمعت جماعة الطاقة الذرية الأوروبية، والجماعة الاقتصادية الأوروبية، وجماعة الفحم والصلب الأوروبية بعد انضمام إيطاليا، أي أنها تكونت من ست دول هي: فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، وهولندا، وبليجيكا، ولوكمبورغ، وكان الربط بين موضوعي الطاقة الذرية، والسوق الأوروبية المشتركة مهما لقبوهما معاً، ونجاحه من قبل ألمانيا، وفرنسا، وبالنسبة لألمانيا، فإن الهدف الأساسي لإنشاء السوق المشتركة هو من أجل تصريف صادراتها بعد تعاظم قوتها الاقتصادية، ولم تكن مهتمة بالدرجة نفسها بموضوع الطاقة الذرية، ونظرت إليه على أنه محاولة فرنسية للحصول على دعم لتنمية برنامجها للطاقة الذرية. أما فرنسا، فكانت مدركاً لتفوق الصناعات الألمانية، ومن ثم أرادت حصولها على نصيب الأسد من فوائد السوق المشتركة، وأرادت توفير إطار أكبر للمشاركة في تكاليف هذا البرنامج، وسوق أوسع للمنتجات والأبحاث في هذا المجال.^٢

أهداف السوق الأوروبية المشتركة:

١. إزالة الرسوم الجمركية بين الدول الأعضاء، والخواجز الكمية كافة لتصدير واستيراد السلع وكل الإجراءات الأخرى التي لها التأثير نفسه.

^١ - المصدر نفسه، ص ٤٢.

^٢ - المصدر نفسه ، ص ٢٥.

٢. إنشاء تعريفة جمركية مشتركة وسياسة تجارية مشتركة تجاه الأطراف الأخرى.

٣. إزالة العقبات في مواجهة حركة الأفراد، والخدمات ورأس المال بين الدول الأعضاء.

٤. إقامة سياسة زراعية مشتركة.

فضلاً عن التوسيع، فإن العضوية في الجماعة قامت أيضاً بتدعم مجالات الاندماج، إذ شهدت حقبة السبعينيات إقامة آلية للتعاون في مجال السياسة الخارجية في العام ١٩٧٠، كما قمت إقامة النظام النقدي الأوروبي في العام ١٩٧٩، لتحقيق الاستقرار المالي بين الدول الأعضاء، وشهدت الثمانينيات الموافقة على استكمال السوق الموحدة في العام ١٩٨٧، وذلك نهاية العام ١٩٩٢، وعلى الرغم من أن الجماعة الاقتصادية الأوروبية قد نشأت أساساً بهدف إقامة سوق أوروبية مشتركة، بل أن الاسم المتداول لها كان السوق الأوروبية المشتركة، إلا أن الجماعة الاقتصادية رأت في منتصف الثمانينيات، وبعد نحو ثلاثة عقود من إنشائها أن هذا الهدف لم يتحقق بأكمله، فالجماعة لم تلق مشكلة في إزالة الرسوم الجمركية بين الدول الأعضاء، وتم تحقيق ذلك في العام ١٩٦٨، وقبل ثانية عشر شهراً من الموعد المحدد لها، ثم تم وضع تعريفة جمركية موحدة في مواجهة الدول غير الأعضاء، في الأول من توز من العام ١٩٦٨ وبذلك استكملت عناصر الاتحاد الجمركي التي يتيح حرية حركة السلع بين الدول الأعضاء، ولكن باقي عناصر السوق المشتركة من حرية حركة العمالة، والخدمات، ورأس المال ظلت تواجه عقبات كثيرة حتى بداية الثمانينيات، وحتى بدأت الدول الأعضاء تشعر بأهمية استكمال مشروع السوق المشتركة، وبخاصة مع انخفاض قدرة الدول الأوروبية على منافسة المنتجات الأمريكية واليابانية.^١

ونتيجة لذلك قامت المفوضية الأوروبية برئاسة جاك ديلور في آذار من العام ١٩٨٥، بتقديم مشروع لاستكمال السوق المشتركة بحلول نهاية العام ١٩٩٢، وأطلق عليه مشروع أوربا في العام ١٩٩٢، أو السوق الموحدة، وتضمن المشروع ٣٠٠ اقتراح لإزالة العقبات قبلة تحقيق السوق المشتركة، ووضع إطار زمني لتحقيق ذلك، وبنهاية العام ١٩٩٢، استطاعت دول الجماعة تطبيق غالبية الاقتراحات التي نص عليها

^١ - المصدر نفسه، ص ٣٢-٣٩.

مشروع أقامة السوق الموحدة، وفي مطلع العام ١٩٩٣، اخذ يطلق عليه بالاتحاد الأوروبي.

وقد توسيع السوق الأوربية المشتركة من ست دول إلى تسع دول في العام ١٩٧٣، بانضمام بريطانيا، وアイرلند، والدانمارك ثم إلى عشر دول بانضمام اليونان في العام ١٩٨١، ثم اثنتا عشر دولة في العام ١٩٨٦، بانضمام إسبانيا، والبرتغال ثم إلى خمس عشر دولة في العام ١٩٩٥، بانضمام السويد، والنمسا، وفنلندا. لقد أدت ديناميكية ومتطلبات السوق الاقتصادية الموحدة إلى ظهور حاجة ماسة إلى توحيد السياسات الأوربية في المجالات الاقتصادية والمالية. وقد أدت هذه بدورها إلى زيادة الاقتتال بأهمية التوصل إلى سياسات خارجية، وأمنية مشتركة في مرحلة أخرى من مراحل العملية التكاملية، ومن ثم إلى درجها في درجات الوحدة السياسية التي لابد أن تصل إلى عملية التكامل في نهاية المطاف، ويتألف الاتحاد الأوروبي من عدة هيئات: المجلس الأوروبي، مجلس الوزراء، والمفوضية الأوروبية، والبرلمان الأوروبي، ومحكمة العدل الأوروبية، والجهاز الأوروبي للمحاسبات، والبنك المركزي الأوروبي.^١

^١ - د.حسن نافعة، الاتحاد الأوروبي والدروس المستفادة عربياً، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٣٤، وص ٥٢، ص ٢٣٤.

انهيار الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي

مع حلول العام ١٩٧٠، كان الاقتصاد السوفيتي قد صعد إلى قمة جعلته يتجاوز نصف حجم اقتصاد الولايات المتحدة، وكان لا يزال ينمو بوتائراً على بعض الشيء، وكان الاقتصاد السوفيتي يشكل ١٥٪ من الدخل القومي العالمي، في حين كان الاقتصاد الأمريكي يساوي ٢٧٪، ولكن معدلات النمو السوفيتية فقدت زخمها خلال السبعينات، وضمراً الاقتصاد وفي العام ١٩٨٥، كانت النسبة السوفيتية من الدخل العالمي ١٤٪، في حين زادت النسبة الأمريكية إلى ٢٨٪، والأسوأ من ذلك هو أن الاتحاد السوفيتي لم يعُد مع حلول عقد الثمانينات، يحتل المرتبة الثانية المضمنة في الهرم الاقتصادي العالمي، وكذلك كانت الهوة التكنولوجية المتزايدة في اتساعها بصورة دراماتيكية امراً مؤكداً بالفعل، فأدركـت النخبة السوفيتية أن المزيد من التقدم الاقتصادي يتطلب تجديداً علمياً تكنولوجياً، وإن الاتحاد السوفيتي بات متخلفاً تخلفاً شديداً، وخصوصاً في ميدان التطبيق الاجتماعي - الاقتصادي للتكنولوجيا الحديثة، ولم يكن الاقتصاد السوفيتي يتخلّف في السباق التكنولوجي فقط، بل كان قد أصبح اقتصاداً مبدداً يكثـر من الهدر بشكل لا يصدق، فبدون الحافر الداخلي على المنافسة، والعقلنة، والترشيد بات ليس القطاع الصناعي السوفيتي متخلـفاً لأنعدام الكفاءة فقط، وللإسراف ذي النتائج العكـسية في هدر الموارد، وكان للهدر الاقتصادي المترتب على ذلك، فضلاً عن التخلف الصناعي والتكنولوجي المرتـبط به أيضاً تأثير سلبي وعكسي على القدرة السوفيتية على المشاركة في التجارة العالمية، ويوماً بعد آخر أصبح الاتحاد السوفيتي مصدراً للسلع الخام بالدرجة الأولى مثل العديد من البلدان النامية، ولكنه بقي عاجزاً عن التنافـس مع مصدري العالم الطبيعـيين للبضائع المصنـفة، فحسب التقرير السنوي للجـات تراجـع الاتحاد السوفيـتي عن المرتبـة الحـادية عشر في العام ١٩٧٣، إلى المرتبـة الخامـسة في العام ١٩٨٥، من حيث تصـدير البـضائع المصـنـعة بعد ان تجاوزـته خـلال تلك السنـوات كلـ من تـايوـان، وكـورـيا الجنـوبـية، وهـونـغ كـونـغ، وـسوـيسـرا، وـكانـ المجتمعـ السـوفـيـتي بعد نحو أربعـين سنـة من انتـهـاءـ الحـربـ العـالـمـيـةـ الثـانـيـةـ ما يـزالـ يـخـضـعـ لـتنـقـيـنـ جـزـئـيـ للـمـوـادـ الغـذـائـيـةـ وـيعـانـيـ نـقـصـ دـائـمـ وـمـسـتـمرـ فيـ السـلـعـ الـاسـتـهـلاـكـيـةـ، وـكـذـلـكـ كـانـتـ الرـعـاـيـةـ الطـبـيـةـ لـالـمـوـاـطـنـ السـوـفـيـتيـ المـتوـسـطـ تـنـهـورـ بـصـورـةـ عـامـةـ، وـمـنـ غـيرـ المـسـتـغـرـبـ

تقلص متوسط عمر الذكور خلال عهد بريجنيف من ٦٦ سنة إلى ٦٢ سنة بالمقارنة مع ٧١، في الولايات المتحدة، وان يكون معدل وفيات الأطفال قد ارتفع إلى مستوى ضعفين ونصف مما هو في الولايات المتحدة، وكان الاستياء عند الشعوب السوفيتية موجة ضد نظام الامتيازات الخاصة لكتاب الموظفين الأمر الذي زاد من الاستياء عند الجماهير السوفيتية التي كانت حياتها تزداد تدهوراً، وكان النظام السوفيتي قائم على البيروقراطية المركزية، إذ يقدم أنفوذجا للديناميكية الاقتصادية والاجتماعية، وأن أنتاج سلعة واحدة ذات نوعية جيدة تتطلب استصدار قرار سياسي على مستوى المكتب السياسي، وخلال السنوات السبعين من الحكم السوفيتي لم يتم أنتاج سلعة واحدة كهذه قادرة على التنافس في السوق العالمية، وتلك كانت تركيبة ستالين التي ورثها بريجنيف، ورسخها إلى الأبد، وفي ذلك النظام الاقتصادي كانت البيروقراطية الحكومية هي التي تضع المعايير، وتحدد الأسعار بالنسبة لملائين السلع فيما كان المديرون يشرفون على الإنتاج بدون أية حواجز تدعوهم لأن يكونوا مجددين. كما أن العمل كانوا يتتجرون بدون أي دافع يدعوهم لزيادة الإنتاجية أو لتحسين النوعية. لقد أصيَّب الاتحاد السوفيتي بالركود من الناحيتين الكمية والنوعية، فبدلًا من تجاوز الولايات المتحدة ظل الاتحاد السوفيتي في أحسن الحالات يراوح في مكانه بوصفه البلد الأكثر غلوًّا بين البلدان النامية، وحتى في تلك الجموعات بات وشيكًا على مواجهة خطر أمكانية تجاوزه في بعض القطاعات الحاسمة من قبل بعض الدول النامية^١.

إن حملة العلنية الغلاستونست لم تتضمن على أية حال انقضاضاً شاملًا على التركة المورثة عن تلك المدة القائمة، لأن مثل هذا الانقضاض كان من الممكن أن ينطوي على عواقب مثيرة للإضطراب بالنسبة لبيئة النظام السياسي. لقد أدرك غورباتشوف أن أي أصلاح ناجع وفعال في الاتحاد السوفيتي لا بد أيضًا من أن يتطلب تغييرات بعيدة المدى في النظرة العامة في الثقافة السياسية للمجتمع، بل في طابع النظام السياسي بالذات. وقد أصبح واضحًا أن الإصلاحات الاقتصادية لن تتکلَّل بالنجاح إلا بعد إدخال الإصلاحات السياسية، وأن الخوف الغريزي من الديمقراطية بين صفوف بيروقراطي الحزب كان قد اكتسب مزيدًا من الحدة بسبب الشكوك واسعة الانتشار بأن غورباتشوف كان في حملاته الرامية إلى حشد تأييد الرأي العام لعملية إعادة البناء

^١ - زبيغنيو بريجنيفسكي، الإخفاق الكبير: ميلاد الشيوعية وموتها، ترجمة: فاضل جتكر، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، ١٩٩٠، ص ٣٩-٤٣.

البيروفيسترويكا ويشير - بقصد أو بدون قصد - عواطف معادية للبيروفيسترويكا بين صفوف الجماهير^١.

وفي أواسط العام ١٩٨٨، اعترفت القيادة الحزبية في الاتحاد السوفيتي بأولوية الإصلاح السياسي على الإصلاح الاقتصادي، وأن الإصلاح الاقتصادي اخذ يتطلب تقليل دور الحزب الشيوعي، وهذه مسألة خطيرة في الاتحاد السوفيتي^٢.

لقد استغل الغرب غورباتشوف خيراً استغلالاً، فقد دعم إصلاحاته من أجل أن يبقى الاتحاد السوفيتي منفتحاً على الغرب الذي مارس شتى الضغوط على غورباتشوف من أجل استغلال الانتخابات في البلدان ذات الترعة المزمنة كأداة لإزاحة السوفيت، وجنى ثمار نجاح سياسة ريجان الداعية إلى اقتلاع الأنظمة الشيوعية في العالم الثالث. لقد أيد الغرب البيروفيسترويكا من أجل دعم الاستقرار الدولي، والتحفيف من خناق السوفيت على أوروبا الشرقية، إذ أن ذلك يخدم بالتأكيد المصالح الغربية، وفي حين كان السوفيت يعتقدون بأن البيروفيسترويكا يمكن أن تحول الاتحاد السوفيتي إلى شريك موثوق فيه للغرب، وكان الغرب، ولاسيما القادة الأميركيين يرون بأن كل شيء كان يمضي في مصلحة الولايات المتحدة نظراً لضعف السوفيت البالغ، وكان الغرب يتحين الفرصة لانتزاع التنازلات تلو التنازلات من غورباتشوف، ولكن القادة الأميركيين حرصوا على عدم إذلال السوفيت، وهم يلممون أطراف إمبراطوريتهم الكونية، وذلك من أجل عدم منح المتشددين السوفيت أي فرصة لعرقلة الإصلاحات^٣. ويرى كيسنجر أن الفضل في إسقاط الاتحاد السوفيتي يقع على عاتق الرئيس ريجان لما لعبه من أدوار فيما يتعلق بالتسليح، وإثارة ملف حقوق الإنسان، وتبنيه إستراتيجية توقف التوغل السوفيتي، وعزز دعم المقاومة الأفغانية ضد السوفيت، ووضع برنامجاً ناجحاً لمكافحة القوى الشيوعية في أمريكا الوسطى، ومد يد العون إلى كمبوديا بحيث لم تكدر تنقضي أكثر من خمس سنوات على الفشل في الهند - الصينية حتى استطاع أن يقف بوجه التوسع السوفيتي في العالم، وكذلك يرى كيسنجر أن أكثر المكتسبات السوفيتية قد أعيدت لأصحابها في عهد ريجان وعهد بوش الأب، فنهاية الاحتلال الفيتنامي لكمبوديا حلّت في

^١ - المصدر نفسه، ص ٤٧-٦٢.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٩٢.

^٣ - جيمس بيكر، "سياسة الدبلوماسية ١٩٨٨-١٩٩٢" مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٦٩.
وص ٩٧، وكذلك ص ١٠٢-١٠٥.

العام ١٩٩٠، وأجريت الانتخابات في العام ١٩٩٣، وانسحبت القوات الكوبية من انغولا في العام ١٩٩١، وسقطت الحكومة المدعومة من قبل الشيوعيين، كما أخطر السانديستيون في نيكاراغوا لقبول الانتخابات الحرة في العام ١٩٩٠، وأهم من كل هذه الأحداث انسحاب الجيوش السوفيتية من أفغانستان في العام ١٩٨٩، فطاعت كل هذه التطورات تأثيرها السلبي في الحماسة الأيديولوجية الشيوعية. لقد أحرزت إدارة ريانغان هذه النجاحات بفضل تطبيق ما عرف ببدأ ريانغان القاضي بمساعدة التمرد ضد الشيوعية لإخراج البلدان الشيوعية من طوق النفوذ السوفيتي، فأقتضى ذلك تسليح المجاهدين الأفغان في صراعهم مع الروس، وإسناد المتمردين في نيكاراغوا ودعم القوى المعادية للشيوعية في أثيوبيا، وانغولا. لقد دعم ريانغان أعداء السوفيت والشيوعية، إذ أنهما تقاسما عدواً مشتركةً، فجعل بالغيار الشيوعية^١.

وكذلك كانت الضغوط الأمريكية على الاتحاد السوفيتي امراً لم يكن السوفيت مستعدين لخسارته، واتجهوا إلى سياسة نزع السلاح، واقتصر غورباتشوف بادرات كبرى في ميدان نزع السلاح وصلت إلى خفض ٥٥٪ من القوات الإستراتيجية، وقبوله خيار الصفر بالنسبة للصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى، لقد استتر سباق التسلح موارد الاتحاد السوفيتي، وأجرى غورباتشوف تخفيضات وحيدة الجانب تبلغ ٥٠ ألف جندي، و ١٠ ألف دبابة، وأعلن هدنة للصين، وانسحاب القسم الأعظم للقوات السوفيتية في منغوليا، وكان يأمل من هذه الخطوات أن يقوم الغرب باتخاذ خطوات مماثلة، وبدون شك في الميدان الصيني لم يعقد غورباتشوف أية مفاوضات في مجال الخد من التسلح. وقد ربط الصينيون تخفييف التوترات بنوع من التسوية شلت إهاء الاحتلال الفيتنامي لكمبوديا، وانسحاب السوفيت من أفغانستان، وسحب القوات السوفيتية من الحدود الصينية- السوفيتية^٢.

لقد اقتنع غورباتشوف بان الإصلاحات الاقتصادية، والبروسترويكا ستكون صعبة بدون أقامة مجتمع مفتوح، لأن الضغوط الاجتماعية والسياسية يمكن أن تؤدي إلى التغيرات الأساسية التي يتطلع إلى تحقيقها، وهذا ما نقله لإعلان الغلاستونست (العلنية)، ولأول مرة في تاريخ الاتحاد السوفيتي، فإن القضايا الوطنيةأخذت تناقش بصرامة في

^١ - هنري كيسنجر، الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧٥ - ٤٧٨.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٦٥٠ - ٥٥٠.

الصحافة ، والإذاعة، والتلفزيون، ونقاشات عامة أخذت تجري في مراكز الحزب الشيوعي، ومراكز الحكومة، وفي المعامل والأرياف، وبسماحه إجراء انتخابات حرة في العام ١٩٨٨ ، مجلس الدوما السوفيتي، فإن غورباتشوف قد أعلن انفصاله عن المفهوم اللبناني للديمقراطية المركزية، ولذلك تأججت الطموحات الوطنية والانفصالية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وفي جمهوريات آسيا الوسطى، وجمهوريات البلطيق، وموالديا فيا، وأوكرانيا، ولكن غورباتشوف صمم على الثبات، ولكن نهاية العام ١٩٨٩ ، اخذ غورباتشوف يواجه خطر تفكك الاتحاد السوفيتي، حيث صوت برلمانات لتوانيا، ولاتفيا، في كانون الأول من العام ١٩٨٩ ، برفع من دساتيرهم احتكار الحزب الشيوعي للسلطة السياسية، وبازاحة علوية الحزب الشيوعي، فإن جمهوريات البلطيق قد اتبعت دول شرق أوربا التي سهلها غورباتشوف إن لم يكن قد شجعها على عملية التغيير، وأعلن الحزب الشيوعي اللتواني انفصاله عن الحزب الشيوعي السوفيتي. وقد كان هذا بداية استقلال دول البلطيق، ولم يكن بمقدور غورباتشوف استخدام القوة العسكرية لإجبارها على البقاء ضمن الاتحاد السوفيتي لثلا يؤدي إلى تفاقم الأوضاع في باقي جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وفي ٧ شباط من العام ١٩٩٠ ، صوتت اللجنة المركزية بإلغاء المادة ٦ من الدستور السوفيتي بأن الحزب الشيوعي هو القائد في المجتمع السوفيتي، وهكذا حكم على الماركسية-اللبنانية بالموت^١.

أما في أوربا الشرقية، ففي البداية على الرغم من أن الشيوعيين كانوا يتمتعون ببعض التأييد، فأفهم لم يكونوا يملكون الأكثريه في أي مكان. وقد استخدم القادة في هذه الدول أسلوب القمع والإرهاب لمنع تكرار انتفاضات جماهيرية ضد الأنظمة الشيوعية، حيث بدأت الإصلاحات في أوربا، وفي المجر منذ العام ١٩٨٩ ، وساعد مجئ غورباتشوف، وأفكاره على طرح تلك الإصلاحات التي أيدتها السوفيت، والتي لم يكن أحد يجرأ على طرحها من قبل. فقد استواعت بلدان أوربا الشرقية دروس سحق السوفيت لانتفاضة ألجيك في العام ١٩٦٨ ، كذلك شرعت بولندا في إجراء الإصلاحات، وكان المجريون والبولنديون يعولون على الولايات المتحدة لتقديم المساعدة من أجل تعزيز ومواصلة إصلاحاتهم^٢ ، وعندما تعاظمت المطالب بالديمقراطية في دول

TAD szui Then and now; How the world has changed since WWII; -¹
William Morrow and company In New York, 1990, p423-424.

²- جيمس بيكر، مصدر سابق ذكره، ص ٩٥-٩٦.

أوربا الشرقية لم يكن غورباتشوف على استعداد لقمعها، لأنَّه سيعمل على هدم السياسة الخارجية السوفيتية بأسوها، لأنَّ قمع أوربا الشرقية من شأنه أن يشد أواصر حلف الأطلسي، ويقوى علاقة الصين الشعبية بالولايات المتحدة كما يشير سباق التسلح، فأصبح عليه أن يواجه خياراً بين الانتماء السياسي، والتآكل البطئ للسلطة، وكان من نتائج تبني غورباتشوف لإصلاحاته تراجع تدريجي عن مبدأ بريجنيف، فاستولى الشيوعيون الليبراليون على السلطة في هنغاريا، وسمح لياروزلسكي بالتعامل مع التضامن في بولندا، وفي توز من العام ١٩٨٩، المح غورباتشوف في كلمة له قبلة مؤتمر أوربا بالتدخل ليس عن مبدأ بريجنيف وحده الذي يفرض حق السوفييت في التدخل في أوربا الشرقية، بل عن الفلك التابع للإتحاد السوفيتي نفسه بتنازله عن مناطق النفوذ^١.

وفي تشرين الأول من العام ١٩٨٩، زار غورباتشوف برلين، وحث هونيکو زعيم ألمانيا الشرقية على أتباع سياسة أكثر أصلاحاً، مع هذا ما كادت تنقضي أربعة أسابيع حتى انهار جدار برلين، وفي غضون عشرة أشهر وافق غورباتشوف على توحيد ألمانيا، وضمنها إلى الحلف الأطلسي، وحينها تهاوت كل الحكومات الشيوعية في الفلك السابق، وتلاشى حلف وارشو الذي حل في العام ١٩٩١، وهكذا اخذ الإتحاد السوفيتي يتهاوى. لقد خاطر غورباتشوف بكل شيء معلولاً على افتراضين: أن الليبرالية ستحدث الإتحاد السوفيتي، وحينئذ سيمكن من الاحتفاظ بمكانته الدولية قوة عظمى، ولما لم يتحقق كلا الافتراضين انهارت قاعدة غورباتشوف الداخلية بمثل فداحة الفلك التابع^٢. لقد آلت مقامرة غورباتشوف بالليبرالية إلى الفشل مما افقد الحزب الشيوعي وحدة صفة، وثبت عدم ملائمة الليبرالية للحكم الشيوعي لعجز الشيوعيين عن التحول إلى ديمقراطيين دون الانسلاخ عن شيوعيتهم، وهي معادلة لم يستوعبها غورباتشوف رغم دعم يلتسين لها^٣.

وفي ١٨ - ٢١ آب من العام ١٩٩١، حصل انقلاب مضاد للسلطة ضد غورباتشوف، ويلتسين، ولكن الانقلاب فشل فقد دعا يلتسين الجيش للتحالف مع الشعب لإفشال الانقلاب، ودعا إلى الإضراب العام، والعصيان المدني، ولكن الانقلاب فشل. فقد تضامن الغرب مع غورباتشوف، ويلتسين، ضد الانقلاب، وفي ٢٠ و ٢١

^١ - هنري كيسنجر، الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠٩.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٥١١ - ٥٠٩.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٥١٠.

آب أعلنت استونيا، ولتوانيا الاستقلال، وعدة جمهوريات أخرى اقتدت بهما ، مثل أوكرانيا، وروسيا البيضاء، ومولدا فيا، وأذربيجان، وفي ٢٣ آب من العام ١٩٩١، يعلن يلتسين إنتهاء نشاطات الحزب الشيوعي في روسيا، وفي ٢٤ آب استقال غورباتشوف من منصبه كسكرتير عام الحزب الشيوعي، ومنع الحزب الشيوعي في الجيش، وأجهزة الدولة، فلم يعد غورباتشوف يمارس وظيفة، وفي ١٧ أيلول من العام ١٩٩١، فإن ثلات من دول البلطيق أصبحت ذات سيادة، وانضمت إلى الأمم المتحدة، وفي ٨ كانون الأول اجتمع في منسك رؤساء روسيا، وأوكرانيا، وروسيا البيضاء، وأعلنوا بأنه لم يعد للاتحاد السوفيتي قائماً ويفقد غورباتشوف آخر منصب له، وفي ٢١ كانون الأول من العام ١٩٩١، يعقد في (الما اتا) اجتماعاً على مستوى القمة بحضور ١١ رئيس جمهورية سوفيتية عدا جورجيا، ويعلنون إنشاء رابطة الدول المستقلة، وفي ٢٥ كانون الأول يستقيل غورباتشوف من رئاسة الاتحاد السوفيتي^١.

الوحدة الألمانية:

إن زوال النظام الاشتراكي في ألمانيا الشرقية في ٩ تشرين الثاني وهو تاريخ هدم حائط برلين، وفتح باب براندبورك في ٢٣ تشرين الثاني فتح الأبواب قبالة عملية الوحدة الألمانية، ففي ٢٨ تشرين الثاني من العام ١٩٨٩ ، بادر المستشار الألماني كول إلى إعلان خطة من عشر نقاط لإتمام الوحدة في خطاب ألقاء قبالة البونستادغ، وانطلت الخطة على إطار عام لإعادة توحيد الألمانيين، وتضمنت إقامة اتحاد فيدرالي بعد مدة كونفدرالية، ثم بادرت ألمانيا الشرقية على طرح خطة أصلاح، وأكدت على أن وجود دولتين ألمانيتين يمثل عنصر استقرار لأوروبا، وكانت صيغة إتمام الوحدة تجري على مراحل، وفي مفاوضات بصيغة (٢+٤)، أي الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة، وفرنسا، وبريطانيا+ ألمانيا الغربية، وألمانيا الشرقية، وكان السوفييت يريدون إتمام الوحدة على مراحل لضمان الاستقرار، وكانوا يفضلون أن تتم بواسطة مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي الذي يضم ٣٣ دولة أوربية، فضلاً عن الولايات المتحدة، وكندا، في حين لم ترى الولايات المتحدة أي جدوى لإتمام الوحدة عن طريق مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي بسبب كثرة عدد الدول التي تحضره مما يعقد من الناقاشات، ومع تطور الوضع بالنسبة

Danial collard 'Les Relations Internationals de 1945, dnos jours -¹
 'Armand colin, paris, 1997, p237-238.

للقضية الألمانية كان هناك تطور مماثل في الاتحاد السوفيتي، وتجذير، وتعزيز للبيروفيسترويكا، فقد تخلى الاتحاد السوفيتي عن احتكار الحزب الشيوعي للسلطة، وإصلاح حقوق الملكية. لقد كان بقاء ألمانيا عضواً في حلف الأطلسي بعد الوحدة يثير قلق السوفييت، ولكن غورباتشوف أدرك وفهم بقاء القوات الأمريكية في ألمانيا من أجل عدم تكرار الماضي بإعادة تسليح ألمانيا، ولكن مستقبل ألمانيا تحدد بنتيجة الانتخابات التي جرت في ألمانيا الشرقية والتي صوت شعبها لمصلحة الوحدة بنسبة ٧٥٪.

لقد خشي السوفييت في البداية من وحدة ألمانيا، وانضمماها إلى الأطلسي، ولاسيما إذا ما انسحب السوفييت من ألمانيا الشرقية، وفي تطورات القضية الألمانية نفسها كانت دول البلطيق السوفيتية تعلن استقلالها، مما زاد من شدة الضغوط على الاتحاد السوفيتي، ولذلك قدمت الولايات المتحدة ضمانات إلى الاتحاد السوفيتي، تتمثل في:-

١. خفض القوات الألمانية.
٢. ضمان عدم امتلاك ألمانيا أو تطوير أسلحة نووية أو بيولوجية أو كيماوية.
٣. تحديد مدة انتقالية لانسحاب القوات السوفيتية من ألمانيا الشرقية.
٤. التوصل إلى اتفاق حول الحدود الألمانية- البولندية^١.

وقد طرحت مقترنات وضمانات وافق السوفييت عليها، ولكن أخذوا يشعرون بالقلق من بقاء ألمانيا بعد وحدتها في حلف الأطلسي، ولكن الأمريكيين أصرروا على حرية الاختيار، وان بوسع الدولة الألمانية أن تختار التحالف الذي تروم الانضمام إليه. لقد استند الأمريكيون إلى مبادئ مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي في مسألة حق الدول في اختيار الحلف الذي تريد الانضمام إليه، وفي ٣٠ أيار من العام ١٩٩٠، وافق السوفييت على ذلك ولكن هذه الموافقة تطلب موافقة الأمريكيان على الاتفاق التجاري مع الاتحاد السوفيتي، أما ألمانيا فقد وعدوا بتقديم مساعدة كبيرة من النقد لمساعدة موسكو في سد العجز المالي بخمسة مليارات دولار ثم عشرين مليار دولار لاحقاً وهكذا تمت وحدة ألمانيا في ٤ تشرين الأول من العام ١٩٩٠^٢.

^١ - جيمس بيكر، مصدر سابق ذكره، ص ٣٠٥-٣٦٢.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٣٦٢-٣٦٩.

الفصل الحادي عشر:

تطور العلاقات الدولية في العالم الثالث.

• المبحث الأول:

تطور العلاقات الدولية في أفريقيا.

• المبحث الثاني:

تطور العلاقات الدولية في آسيا.

• المبحث الثالث:

تطور العلاقات الدولية في الوطن العربي.

• المبحث الرابع:

تطور حركة عدم الانحياز.

V V

الفصل الحادي عشر

تطور العلاقات الدولية في العالم الثالث

المبحث الأول

تطور العلاقات الدولية في أفريقيا

ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية، وعاد العسكريون الأفارقة إلى بلادهم بعد انتهاء القتال، وعاد كذلك كثير من الأفارقة الذين كانوا يدرسون في أوروبا حتى بدأت على الأثر تيارات تحريرية جارفة اجتاحت القارة من أقصاها إلى أقصاها، وظهر بعض قادة النقابات الذين عاشوا في الغرب، ولما كانت دول الغرب قد خرجت من الحرب منهكة رغم انتصارها، ولما كانت الولايات المتحدة قد التزمت بعهود تحريرية منذ أيام الرئيس روزفلت سعي الساسة الغربيون إلى أن يطورو علاقاً فاهم بالمستعمرات من الحكم الذاتي إلى الاستقلال.^١

وكان بعض الثورات تأثير في حركة التحرر الأفريقية كثورة ٢٣ يوليو العام ١٩٥٢، في مصر، إذ سعى نظام الرئيس جمال عبد الناصر، إلى دعم ومساندة حركة التحرر الوطني الأفريقية، وفتحت مصر أبوابها لزعماء الحركة، كما سمح للأحزاب التقديمية التي كانت تعمل في أفريقيا أن تفتح لها مقرات في القاهرة، وقام الأعلام المصري بدور مهم في توعية الشعوب الأفريقية بواسطة الصحافة، والإذاعة، وكذلك أسهم تغيير السياسة السوفيتية بعد وفاة ستالين، وظهور التعايش السلمي على عهد خروشوف في تطور الحركة الوطنية، إذ مهد ذلك لتقارب الشعوب الأفريقية مع الاتحاد السوفيتي. كما أسهم عقد مؤتمر باندونغ الإفريسي في العام ١٩٥٥، وما انبثق منه من تقارب وتعاون بين شعوب آسيا وأفريقيا ضد الاستعمار في زيادة الوعي الأفريقي.^٢

ومنذ العام ١٩٥٨، وهو تاريخ الاستفتاء على الاستقلال في المستعمرات الفرنسية تحركت غالبية من الشعوب الأفريقية من الاستعمار، وحصلت على استقلالها السياسي، ولكن القارة تعرضت إلى تدخلات من قبل الدول الكبرى دفعت القارة إلى الدخول في صراعات إقليمية، وإثارة فتن انفصالية.^٣

^١ - محمد عبد العزيز إسحاق، نهضة إفريقيا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١، ص ٩٧.

^٢ - عبد الرزاق مطلقاً الفهد، حركة التحرر الوطنية الأفريقية من بداية دخول السيطرة الغربية حتى الاستقلال، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٥، ص ٦٣-٦٧.

^٣ - محمد عبد المولى، حركات التحرر الأفريقية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣، ص ٩.

إن ظهور دول إفريقية مستقلة، وحكومات جديدة ليس لديها التجربة وعلى الأغلب كانت غير مستقلة، دفعها إلى دخول مناخ الحرب الباردة، ففي جنوب الصحراء الإفريقية سعي الاتحاد السوفيتي على نشر صداقاته، ومن ثم تأثيره في عدد قليل من دولها، والتي زادتها مشاعر مفعمة بعدم الارتباط، ومن القومية العدائية، والحركات المعادية للاستعمار، وهي غانا، وغينيا، ومالي، وفي العام ١٩٦٠، جرت محاولات للاستفادة من توجيه الأزمة الحادة في الكونغو لمصلحتها، إلا أنه بدا واضحاً بعد عدد قليل من السنين عدم تمكناها من تحقيق أي نجاح، وبناءً على ذلك فقد تخلت الدول الإفريقية النائرة عن فكرة محاولتها في خلق أزمة جديدة مع جيرانها، وأمكن صد التحدي الشيوعي في الكونغو على أعقابه. على أن التوسع السوفيتي في إفريقيا كان قد ظل يشكل تحدياً كافياً بإجراءات مضادة، ولكن دونما أن يتمكن من تحقيق نتائج صلبة. لقد جاهدت الولايات المتحدة التحدي السوفيتي في إفريقيا بكثير من الخدر فقد كان منهاج واشنطن حالياً تماماً من أي محتوى عسكري - سياسي، ففي الكونغو عملت عن طريق مساعي الأمم المتحدة الجماعية، في حين ظل أسلوبها الكلي في إفريقيا متسمًا بالتصميم على أن يظل غير مباشر، وقدمت كميات معتدلة من المساعدات الفنية والاقتصادية بشيء من التحفظ، وقدمت كذلك دعماً لفرق السلام، ولم تمارس الضغط السياسي الأيديولوجي إلا بدرجة قليلة جداً على الرغم من أن السياسة الأمريكية وفي ظل مسلمات الحرب الباردة صممت إفريقيا على أن تظل حيادية ، وبذلك توصل الأمريكيون في النهاية إلى أن إفريقيا الحيادية هي أيضاً غير خاضعة للنفوذ السوفيتي^١.

لقد انتقل الصراع الدولي إلى إفريقيا بفعل متغيرات إقليمية ودولية جديدة، ففي الشرق الأوسط أعلنت بريطانيا عن انسحابها العسكري من شرق السويس في نهاية العام ١٩٧١، وأدت هذه الخطوة البريطانية إلى اشتعال السباق الدولي من أجل ملء الفراغ، إذ سعى طرف الصراع نحو إقامة قواعد ونقاط تمركز لها في المحيط الهندي، وبحر العرب، والخليج العربي لحماية أو تهديد مناطق أنتاج البترول الضخمة، وطرق نقله إلى الغرب الصناعي، ونقاط التحكم الاستراتيجي المسيطرة على هذه الطرق سواء كانت في القرن الأفريقي أو باب المدب، أو البحر الأحمر كلها شمالاً أو كانت في المحيط الهندي، عبر مضيق موزمبيق جنوباً^٢.

^١ - تشارلس أو ليرتش، مصدر سابق ذكره، ص ١٣٩-١٤١.

^٢ - صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، عالم المعرفة، الكويت، كانوا الثاني ١٩٨٢، ص ١٣٧.

وفي مصر أدت الأزمة مع السوفيت إلى إنهاء الحكومة المصرية الوجود السوفيتي هناك، وإنما نحو ١٧ ألف جندي وخبرير عسكري في العام ١٩٧٢، مما أدى إلى حرمان السوفيت من هذا التمركز العسكري الهائل في أهم دولة في أفريقيا وفي منطقة الشرق الأوسط كله، وإلى فقدان التسهيلات العسكرية التي كانوا قد حصلوا عليها خاصة في مرسى طروح والإسكندرية، وبورسعيد على ساحل البحر المتوسط، وفي الأديبة، والموانئ الأخرى على البحر الأحمر، وكان هذا الوجود السوفيتي في مصر يعد الثقل المقابل للتفوق الإسرائيلي المدعوم من قبل واشنطن، إلا أن قرار إنهاء هذا الوجود قد أحدث انقلاباً مضاداً على خارطة الصراع الدولي، وبدأت مرحلة تبادل الواقع، وتغيير التحالفات بين الدولتين العظميين. فخسارة السوفيت في مصر، وطريق منها، وحرمانهم من موانئها، وموقعها الإستراتيجية المهمة، أدى إلى تحقيق مكاسب للولايات المتحدة التي كسبت مرتين، الأولى بخروج السوفيت عسكرياً وسياسياً من هذه المنطقة المهمة، وحرمانهم من التمتع بمميزاتها الجيوстрاتيجية، والأخرى بتدعم علاقات واشنطن بالقاهرة نتيجة التوجه المصري الجديد تجاه الغرب الأوروبي والأمريكي، وفك الارتباط بالعسكر الاشتراكي^١.

و ضمن لعبة تبادل الواقع أعاد السوفيت تقويم سياستهم في الشرق الأوسط، والعالم الثالث كله في ضوء التجربة القاسية التي تعرضوا لها في مصر، وبدأوا في تطبيق سياسة جديدة في لعبة الصراع مع الولايات المتحدة، والعالم الثالث تقوم على سرعة الحركة، والجرأة في التدخل والمساندة في الأقدام على استخدام الوجود العسكري بشكل أكثر قدرة، وحركة من ذي قبل، وتطبيقاً لهذه السياسة دعم السوفيت موقعهم في الصومال لتعويض خسارتهم في مصر، واستعادوا عنها بقاعدة بحرية مهمة في ميناء بربه الصومالي، وفي العاصمة الساحلية مقديشو نفسها بدلاً من خسارتهم لموانئ البحر الأحمر المصرية شمالاً، وفي الوقت نفسه زادوا من نشاطهم العسكري في الدول الأفريقية التي ترتبط بهم بصداقات، وكثفوا لأول مرة وجود أسطولهم البحري في الخليج الهندي، وبحر العرب، وخليج عدن التي رأوا فيها دعماً وتسهيلات كثيرة من نظام الحكم في اليمن الجنوبي. وفي أثيوبيا وصل إلى السلطة العسكريون الشيوعيون، وشكل ذلك دعماً للموقع السوفيتي في أفريقيا، ولذلك سارع السوفيت إلى نجدة ومساندة النظام الجديد في أثيوبيا، وإلى تثبيت أقدامه على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر بعد أن فقد

^١ - المصدر نفسه، ص ١٣٨-١٣٩.

المدخل الشمالي بكل ما يعنيه المدخل الجنوبي من أهمية الاقتراب المباشر في حقول أنتاج النفط في الخليج العربي^١.

وقد تعرضت الإستراتيجية السوفيتية إلى هزات في القرن الأفريقي بعد النجاحات التي حققتها، فيما استقر للسوفيت وجود نظامين أفريقيين موالين لهم في إثيوبيا، والصومال ولكن سرعان ما أثيرت قضية الصراع في الاوغاديين، وكان الحل الأمثل بالنسبة للإستراتيجية السوفيتية هو إقامة تحالف تقدمي يربط بين أهم ثلاث دول تطل من الغرب والشرق على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وتخنق باب المندب من جانبيه، وهي، إثيوبيا، والصومال، واليمن الجنوبي، ولو تحقق هذا الحال لشكل ضربة إستراتيجية قاتلة للسياسة الأمريكية في المنطقة، إلا أن مبدأ الصراع القومي، وتضارب المصالح الأثيوبي مع الصومالية، فضلاً عن التحرك الأمريكي المضاد، أدى في إفشال المخطط السوفيتي، ومن ثم في أحداث الأزمة الصومالية - السوفيتية التي انتهت بفشل ما انتهت إليه العلاقات المصرية - السوفيتية من قبل، ففي ظل الدعم السوفيتي العسكري السياسي والاقتصادي الهائل لنظام مانجستو هيلا ماريام في أديس أبابا شعر النظام الصومالي إن السوفيت يخونونه، ويلقون بشقلهم خلف العدو التقليدي ومن ثم يشجعون الترعة العسكرية الأثيوبي للأعتقد على الصومال في ظل حالة التسلح العسكري الهائلة التي كان يقوم بها السوفيت لدعم النظام الأثيوبي، وهكذا سارع الصومال في طرد الخبراء السوفيت، والقوات السوفيتية خاصة من القاعدة البحرية في ميناء بربه ابتدأها من تشرين الثاني من العام ١٩٧٧، وتآزرت العلاقات بينهما إلى درجة خطيرة وصلت إلى حد القطيعة التامة بعد تبادل الاتهامات، فضلاً عن ذلك كانت إثيوبيا تعاني شدة ضغط الثوار الاريتريين الذين كانوا ي يريدون الحصول على استقلالهم من إثيوبيا. لقد فقد الطرفان الصومالي والاريتري المساعدات والمعونات التي كانوا يتلقاها من الاتحاد السوفيتي مقابل إضافة المزيد من هذه المعونات إلى جانب إثيوبيا، حيث تولت دول العسکر الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفيتي ومبادرات سريعة من كوبا، وألمانيا الغربية مهمة إعادة بناء الجيش الأثيوبي، وتحديثه، ومدده بالأسلحة الحديثة ابتدأها من الصواريخ، إلى الطائرات الميج ٢١، ٢٣ إلى الدبابات الثقيلة، وكان هدف إثيوبيا أن تتمكن من التخلص من متعابها في الاوغاديين، واريتريا، حيث تعرض الجيش الأثيوبي خلال السنوات السابقة لهانة وإذلال بالغين، وبالنظر لعدم تلقي الصومال تعويضاً عمما فقدته من الدعم السوفيتي، وبالشكل الذي يمكنها من مواجهة التحدى الأثيوبي، ففي

^١ - المصدر نفسه، ص ١٣٩ - ١٤٠.

تشرين الثاني من العام ١٩٧٧، سارع الرئيس الصومالي محمد سيد بري بتوجيه نداء للولايات المتحدة لمد بلاده بالأسلحة. في البداية لم تتوافق الولايات المتحدة على تقديم الدعم العسكري للصومال بعد أن امتنأءات بالترسانة السوفيتية، والكونية، ولكن الموقف قد تغير خلال العامي ١٩٨٠ و ١٩٨١، بعد أعطاء الصومال تسهيلات عسكرية لواشنطن في بعض مطاراتها وموانئها مثل، مقديسو، وببريه، التي كانت قواعد سوفيتية من قبل، إذ بدأت المراحل الأولى للحرب الثانية بين إثيوبيا، والصومال، في أيار من العام ١٩٧٧، عندما أعلن النظام الأثيوبي الحاكم إن حكومة الصومال تقف خلف كل المتلاعب التي تشار في وجه النظام الأثيوبي الجديد، وأهمت الصومال بقيام جيشها بدعم رجال العصابات ودفعهم إلى أوغادين، وكذلك تقديم مساعدات عسكرية كبيرة لجهات التحرير في أرتريا العاملة ضد الجيش الأثيوبي، وكذلك أهمت إثيوبيا الصومال بتقديمها المساعدة، والدعم السياسي والعسكري للحزب الشعبي الشوري في إثيوبيا، وهو التنظيم السياسي القومي الذي أعلن مناهضته لنظام الشيوعي في أديس أبابا، وكذلك كانت هناك مشكلات بين إثيوبيا، والسودان، حيث أهمت إثيوبيا جعفر غيري الرئيس السوداني الأسبق بدعم وتسلیح ثوار أرتريا، في حين حذر غيري إثيوبيا من القيام بالعدوان على حدود السودان وأهتم الاتحاد السوفيتي، وكوبا بمساعدة أديس أبابا بشن هذا العدوان، ولم تنج مصر من همة الاتهامات الأثيوبية بأنما تساعد(الصومال، وأرتريا)^١.

ووسط هذا التوتر الذي ساد القرن الأفريقي كانت إثيوبيا قد اتفقت مع الاتحاد السوفيتي، وكوبا على خطة وبعد مدى، فقد تدفقت على إثيوبيا موجة كثيفة من الجنود الكوبيين، والخبراء العسكريين السوفيت، وخبراء الأمن الألمان الشرقيين، وأثارت التقديرات المخايدة أن عدد الكوبيين وصل إلى ٢٥ ألف جندي، وبلغ عدد السوفيت (١٥٠٠ - ٢٠٠٠) خبير، وكذلك جاء العدد نفسه تقريباً من ألمانيا الديمقراطية، وبهذه الخطوة دخل القرن الأفريقي منحني جديد، إذ تورطت قوة عظمى هي الاتحاد السوفيتي سواء بشكل مباشر أو بالوكالة المخولة لكوبا وألمانيا الشرقية بالدخول طرفاً مباشراً في الصراع الدائر عن طريق الوجود العسكري الكثيف الذي لم يكتف بجسور الأسلحة الحديثة، وإنما تعدى ذلك إلى وجود الجنود المقاتلين أنفسهم^٢.

وقبل ذلك أي في العام ١٩٧٥، حقق السوفييت والكونيين انتصاراً في انغولا، وذلك خلال معركة الاستقلال، ففي انغولا دعمت الولايات المتحدة الجبهة الوطنية، أما الحركة الشعبية الشيوعية، وكانت مدعومة من قبل الاتحاد السوفيتي، وحقيقة الأمر، لم

^١ المصدر نفسه، ص ١٤٥ - ١٥٠.

^٢ المصدر نفسه، ص ١٥٠.

يخرج الموضوع عن تنافس القوى العظمى، لأن القوى الخارجية دخلت انغولا قبل أن يتمكن البرتغاليون من إفصاح الطريق، ولم يتوقف الأمر عند القوى العظمى فقط، إذ لم تقتصر المساعدات التي تلقها الجبهة الوطنية، والاتحاد الوطنى للاستقلال التام على المساعدات الأمريكية، والصينية فقط، بل حصلت على مساعدات من دول أخرى من بينها فرنسا، وإسرائيل، وألمانيا الغربية، والسنغال، وأوغندا، وزائير، وزامبيا، وتزانيا، وحكومة جنوب أفريقيا أيضاً. أما الجبهة الشعبية ، فحصلت على مساعدات من الاتحاد السوفيتى، وكوبا، وألمانيا الشرقية، والجزائر، وغينيا، وبولندا، وقدمنا الولىيات المتحدة مساعدات إلى انغولا سراً عن طريق موبوتو في زائير، ورد السوفيت على ذلك بجسر جوي للبضائع إلى الجبهة الشعبية التي بلغت في النهاية نحو ما يقارب عشرة أضعاف برنامج المساعدات الأمريكية، فضلاً عن إرسال المستشارين إلى انغولا ، حيث أقامت وكالة المخابرات المركزية تحالفًا واقعياً مع حكومة جنوب أفريقيا، والتي اشتركت في القتال بقوات عسكرية نظامية في أيلول من العام ١٩٧٥ ، وهكذا قاتلت جنوب أفريقيا، والولايات المتحدة والصين الشعبية جنباً إلى جنب ، وأخيراً توقف هجوم جنوب أفريقيا، إذ قام الاتحاد السوفيتى بإمداد الجبهة الشعبية بأسلحة شاملة، كما أرسلت كوبا ١٥ ألف جندي، إذ نجح الكوبيون في ترجيح كفة الجبهة الشعبية التي سرعان ما انتصرت في الحرب^١.

وفي الواقع كان للولايات المتحدة في أواخر السبعينيات، والنصف الأول من السبعينيات بعثتها العسكرية في أفريقيا مثل زائير، والمغرب، وليبيريا، وأثيوبيا، وفرنسا، وخلال مدة طويلة حافظ حلفاء الولايات المتحدة في حلف الأطلسي على قواعدهم العسكرية في أفريقيا، والتي كانت متعددة على طول الشاطئين الشرقي والغربي من القارة، وكانت الولايات المتحدة تسعى إلى تحويل المغرب إلى قاعدة عسكرية إستراتيجية رئيسة للولايات المتحدة في أفريقيا معتمدة في ذلك على أشراف المغرب على جبل طارق، وب نقاط الاتصال الموجودة فيها، والتابعة للقوى العسكرية الجوية الأمريكية على ساحل الأطلسي، والبحر المتوسط قد اكتسبت مغزى مهم بالنسبة للإستراتيجية الأمريكية، وكذلك كان للولايات المتحدة معاهدات مع ليبيريا خلال الحرب العالمية الثانية حول القواعد فيها، وبصفة خاصة حول استخدام ميناء منروفيا، وأقام الأمريكيون في هذه الدولة مطار روبرتس فيلد العسكري الضخم^٢.

^١ - ستيفن أمبروز، مصدر سابق ذكره، ص ٣٦١.

^٢ - اندرية آزدوفسكي، الولايات المتحدة وأفريقيا، ترجمة: عماد حاتم، مركز البحوث والدراسات لأفريقيا، ليبيا، ١٩٨١، ص ١١٦-١٢٣.

المبحث الثاني

تطور العلاقات الدولية في آسيا

لقد اجتاحت منطقة آسيا، ولاسيما منطقة الشرق الأقصى، موجة تحريرية كبيرة، وذلك اثر الحرب العالمية الثانية، فكان من نتيجتها أن استقلت عشر دول جديدة في خلال تسع سنوات، وأدت عوامل كثيرة في دفع شعوب هذه المنطقة للمطالبة بالاستقلال منها:-

١. انبعاث الروح القومية لدى الشعوب الآسيوية.
٢. انتشار الشعور المناوى للأوريين لدى هذه الشعوب.
٣. تشجيع القادة اليابانيين لشعوب هذه البلدان على المطالبة بالاستقلال وذلك بعد أن شعروا بهزيمتهم في الحرب العالمية الثانية.
٤. وعد الدول الخليفة لهذه الشعوب بالاستقلال، وذلك إذا ما حققت النصر على اليابان.

إن بلوغ هذه الدول لأهدافها في التحرر والاستقلال لم يتم دون صعوبات وتضحيات، فبورما حصلت على استقلالها بعد حرب أهلية، وكذلك ماليزيا، والهند- الصينية، والفلبين. أما اندونيسيا فقد اضطرت إلى خوض معاركها ضد الاستعمار الهولندي لتحصل على الاستقلال، وعندما أقدمت القوات اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية على احتلال الفلبين، كانت العلاقات بين هذه الأخيرة، والولايات المتحدة ينظمها قانون سنة ١٩٣٥، والذي تضمن تعهد الولايات المتحدة بإعطاء الفلبين استقلالها في العام ١٩٤٦، وبعد أن دخلت القوات اليابانية الفلبين جلت القوات الأمريكية عنها التي عادت في مطلع العام ١٩٤٥، بعد أن تكنت القوات الخليفة من طرد القوات اليابانية في الفلبين، وفي ٤ تموز من العام ١٩٤٦، أصبحت الفلبين دولة مستقلة أستنادا إلى قانون العام ١٩٣٥، إلا أن هذا الاستقلال ظل أسيماً بسبب القيود العسكرية والاقتصادية التي ارتبطت بها الفلبين بالولايات المتحدة. وقد احتفظت الولايات المتحدة بالقواعد البحرية والجوية الموجودة في الفلبين عن طريق التأجير لمدة تسع وعشرين عاماً^١.

^١ - د.رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٥ - ١٧٧

إن قضية استقلال الهند، والباكستان لم تتخذ طابع النضال ضد المستعمر فحسب، وإنما اتخذت طابع الحرب الأهلية، ويعود ذلك إلى الانقسامات العرقية والمذهبية بين الشعوب الهندية التي تتالف من أعراف وadiان ولغات، ولكن الذي سيطر على هذه التراعات الداخلية هو الصراع المذهبي بين الجماعة الهندوسية، والجماعة المسلمة^١، فضلاً عن تعقيدات الأوضاع الاجتماعية للهند، وكان هناك الوضع السياسي الذي زاد من تعقيد مشكلاتها، ويعود ذلك إلى أمررين إن الهند كانت مستعمرة بريطانية، والأخر هو الأمارات التي شكلت نوعاً من المحاكمات البريطانية. وقد ظهر نضال الهند وطالبتها بالاستقلال خلال حقبة الحرب العالمية الثانية، إلا أن بريطانيا رفضت أعطائها الاستقلال خلال حقبة الحرب، معلنة في العام ١٩٤٢، بأنها على استعداد للفاوض مع زعماء الهند عندما تنتهي الحرب، ويتم للحلفاء النصر على اليابان وتم الاتفاق على تقسيم الهند إلى الهند، والباكستان في العام ١٩٤٧، حيث تم إعلان استقلال الدولتين، ولكن إعلان الاستقلال لم يؤد إلى حل المشكلات بين الدولتين فقد ظهرت مشكلة حيدرآباد، وكشمير، حيدرآباد مدينة كانت تقع ضمن الهند، وغالبية سكانها من الهندوس، وتحكم من قبل أمير مسلم، فاحتلت من قبل الهند، دون أن تتمكن الباكستان من تقديم المساعدة إلى الأمير المسلم، والأقلية المسلمة، وبالنسبة لكشمير، فإن الوضع مختلف عن حيدرآباد، إذ أن هذه الأماراة تقع بين الهند والباكستان، وهذا حدود مشتركة مع الدولتين، فهي تقع إلى شمال الباكستان، وشمالي غربي الهند، وطرقها الرئيسية تتجه شطر الباكستان، وكذلك مجاري أنهارها الكبرى، وهذا يعني أن الباكستان لا يمكن أن تتخلى عن كشمير، وأن تتركها فريسة لاعتداء هندي كما حصل لحيدر آباد، واتخذت قضية كشمير إلى الأمم المتحدة في أواخر العام ١٩٤٧، واتخذ مجلس الأمن قراره بإجراء استفتاء في كشمير بعد انسحاب القوات الهندية، فرفضت الهند هذا القرار لأنها رأت في حال تطبيقه سيكون لغير مصلحتها، ونتيجة لمساعدة لجنة دولية تم إقرار الهندنة بين الطرفين في العام ١٩٤٩، وعد الخط الفاصل بين الطرفين مؤقتاً إلى حين حل القضية بشكل نهائي على اثر جراء استفتاء يجري بين الكشميريين، إلا أنه وبسبب موقف الهند، ودعم بريطانيا لموقف الهند

^١ - المصدر نفسه، ص ١٧٧.

القاضي بمنع إجراء الاستفتاء أصبح الخط المؤقت الفاصل بين الدولتين خطًا نهائياً خاصاً وان حكومة الهند أيدت هذا الواقع بتسمية أربعة ممثلين عن القسم الذي استولت عليه القوات الهندية في الجمعية الهندية، وهكذا تم التقسيم عملياً دون أن يعترف به رسمياً، فضمت الباكستان كشمير الأصلية، إذ غالبية سكانها من المسلمين، في حين ضمت الهند منطقة جامو ، إذ غالبية سكانها من الهندوس، وظللت قضية كشمير السبب الرئيس في توثر العلاقات بين الدولتين. أما الدول الكبرى، فكان الاتحاد السوفيتي يدعم موقف الهند، في حين تدعم كل من الولايات المتحدة، والصين الشعبية الباكستان.^١

وقد اندلعت ثلاثة حروب بين الدولتين في الأعوام ١٩٤٧، ١٩٦٥، ١٩٧١، وعلى اثر الحرب الأخيرة أي العام ١٩٧١، انفصلت الباكستان الشرقية عن الباكستان بعد أن احتلتها القوات الهندية، وتم تأسيس دولة بنغلادش، وفي ٢٨ حزيران من العام ١٩٧٢، اجتمع ذو الفقار علي بوتو رئيس وزراء الباكستان مع انديرا غاندي رئيسة وزراء الهند في مدينة سيملا الهندية، وتوصل الجانبان إلى اتفاق سيملا، والذي نص على استعادة الباكستان لكل الأقاليم التي فقدتها في حرب كانون الأول من العام ١٩٧١، باستثناء المناطق الواقعة على خط وقف أطلاق النار في كشمير، وان تعيد الباكستان إلى الهند الأرضي التي احتلتها في قطاع البنجاب، وصحراء راجستان، واتفقت الدولتان على حل المنازعات بينها بشكل ثانوي. بعد إعلان سيملا بادرت الهند والباكستان بتطبيق مجموعة من الإجراءات التي اصطلاح على تسميتها بإجراءات بناء الثقة بهدف تجنب نشوب حرب جديدة بينهما، إلا أن هذه الإجراءات وان نجحت في منع نشوب حرب رابعة بين الدولتين، ولكنها لم تؤد إلى حل المشكلات المطروحة بينهما، ولكن قضية كشمير تجددت سنة ١٩٨٩، مع انسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان، وصعود أفق المقاتلين الأفغان سنة ١٩٨٨، فقد اندلعت ثورة مسلحة في كشمير ضد الوجود الهندي مما أدى إلى تجدد عمليات القتال بين الدولتين^٢.

اليابان:

تم استسلام اليابان في ١٤ آب من العام ١٩٤٥، وعلى الرغم من تأليف الحلفاء للجنة استشارية لشرق آسيا، وإن اليابان قد خضعت من الناحية النظرية لمسؤولية جماعية لقوى الحلفاء، إلا أنه فعلياً كان احتلالاً أمريكياً ولم تسمح الولايات المتحدة

^١ - المصدر نفسه، ص ١٨٢-١٨٣.

^٢ - د. محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠٥-٦٠٨.

لأحد أن يكون له نفوذ في اليابان، ومن ثم كان احتلالاً أمريكياً تماماً. وقد عملت الولايات المتحدة على ضمان عدم عودة اليابان لتهديدها مرة ثانية، فعملت على تدمير الإمكانيات العسكرية اليابانية ونزع سلاح الجيش الياباني، والعمل على بناء حكومة ديمقراطية مسلمة، ومسئولة عن كبح طموحات اليابان التوسعية.^١

وعلى الرغم من إنشاء اللجنة الاستشارية في العام ١٩٤٥، بقي الأشرف النهائي على عملية الاحتلال بيد الولايات المتحدة، إلا أن وزراء خارجية الدول الكبرى الثلاث الولايات المتحدة، وبريطانيا، والاتحاد السوفيتي قرروا في ٢٧ كانون الأول من العام ١٩٤٥، إنشاء لجنة شرق آسيا، ومجلس اليابان الحليف، ولم يكن للأخير أية أهمية كما لم يكن للجنة شرق آسيا أية سلطة تنفيذية، واستمر الاحتلال الأمريكي حتى سنة ١٩٥١، إذ وقعت الولايات المتحدة مع اليابان على معاهدة امن تعهدت بموجبها السماح للقوات الأمريكية البقاء في البلاد حتى تتمكن اليابان من الدفاع عن نفسها بقواتها الخاصة، ولكن ما أن بدأت الحرب الباردة حتى غيرت الولايات المتحدة من سياستها من اليابان تغييراً جذرياً، وفي ٢٨ نيسان من العام ١٩٥٢، وقعت اتفاقية الصلح، وانتهى الاحتلال الأمريكي لليابان رسمياً، وتم الاعتراف بها كدولة مستقلة ذات سيادة، وهنا أصبحت اليابان تبني سياسة الغرب في علاقتها مع دول المعسكر الاشتراكي، والاتحاد السوفيتي والصين^٢.

الصراع الدولي في آسيا:

لقد انتقلت الحرب الباردة إلى آسيا بعد أن تحكمت الدولتين العظميين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي من تشيت مركزهما، وتنظيم برامج عملهما، وينظر إلى التزاع في آسيا بأنه لم يكن بالتزاع الإيديولوجي، ولا بالعسكري بقدر ما كان ينظر إليه بأنه محاولة من قبل الطرفين للاستفادة من ثروات وطنية، وأوضاع محلية تيزت بعدم الاستقرار، وبالنسبة للولايات المتحدة كان الانتصار السوفيتي الكبير في آسيا، حيث وصلت الشيوعية إلى السلطة في الصين، ولكن قبالة العلاقات بين بكين وموسكو بدأ الصين تبغي السير في فوج مستقل عن السوفيت في الوقت الذي كانت طلباها من موسكو كثيرة من أجل مساعدتها، وسرعان ما أدى التضامن الأيديولوجي بين بكين

^١ - د. ميلاد المقرافي، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر: شرق آسيا، الصين، اليابان، كوريا، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ١٩٩٧، ص ٢٣٢-٢٣٣.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢٣٦-٢٣٨.

وموسكو إلى حالة من العداء في بداية السبعينات بحيث لم يعد ممكناً القول بأن تحقيق الشيوعية في الصين كان نصراً للسوفيت^١.

وما عدا الصين، فإن نجاح السوفيت في آسيا، وفي الحرب الباردة، قلل في الاستفادة من الأوضاع غير المستقرة، ومن ثوراتها الخالية. لقد بذل السوفيت أقصى جهدهم في الشرق الأوسط فيما بين العامي ١٩٥٦-١٩٦٠، للتغلغل في الأقطار العربية الصعبة كالعراق، وسوريا، وفي جنوب آسيا بتقديمه صداقته، ومساعدته للهند ولاندونيسيا. أما في جنوب شرق آسيا، فإنه سعى من أجل الانتفاع من الحرب الأهلية في لاوس أولاً، ومن ثم فيتنام، وكانت حصيلة جهده في الشرق الأقصى أنه سيطر فعلياً على كوريا الشمالية^٢.

أما الولايات المتحدة، فإنها بالمقابل، قد ضمنت حافات أراضي آسيا في حلقة من الاحتواء، وحاولت في بداية الحرب الكورية في العام ١٩٥٠، ونهاية الموجة الحادة من الحرب الباردة في آسيا العام ١٩٥٥، في أن ترتبط دول المنطقة ضمن سلسلة من التحالفات العسكرية تحت القيادة الأمريكية، ومن هذه الاتفاقيات حلف الانزوس ما بين الولايات المتحدة وأستراليا، ونيوزيلندا في العام ١٩٥١، كما تم عقد اتفاق ثنائي مع كوريا الجنوبية في العام ١٩٥٣، وآخر مع تايوان في العام ١٩٥٤، وكذلك تم إقامة حلف السيتو، معايدة الدفاع المشترك لجنوب آسيا، في العام ١٩٥٤، والتي ضمت ثمان دول هي: الباكستان، الفلبين، تايلاند، وأستراليا، ونيوزيلندا، وفرنسا، وبريطانيا، والولايات المتحدة، وفي مطلع العام ١٩٥٥، تم تأسيس حلف بغداد، والذي تحول إلى حلف المعاهدة المركزية في العام ١٩٥٩، والذي تألف من العراق والباكستان وإيران وتركيا وبريطانيا وانضمت الولايات المتحدة بشكل غير مباشر إلى اللجان المرتبطة به، وكان هناك أزمات في المنطقة، الحرب الكورية في العام ١٩٥٠، والعدوان الثلاثي على مصر في العام ١٩٥٦، وال الحرب الأهلية في لاوس في العام ١٩٦٠، ١٩٦١، وبعدها حرب فيتنام^٣.

لقد اختار الاتحاد السوفيتي من التيارات المتشابكة في الحياة السياسية القائمة في آسيا، وبالاعتماد على الأحزاب الشيوعية الخالية، وظل يعمل في الوقت نفسه على

^١ - تشارلس أو ليرتش، مصدر سبق ذكره ص ١٣٤.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٣٤.

^٣ - تشارلس أو ليرتش، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥-١٣٦.

تحسين علاقاته مع النظم السياسية الوطنية، وسعت موسكو إلى إقامة شبكة من العلاقات مع دول كمصر، والعراق (بعد ثورة ١٩٥٨)، والهند، وبورما، واندونيسيا، ولكن النظم الخلية، مع أنها ترغب عادة بقبول الأموال السوفيتية، والمساندة الدبلوماسية السوفيتية كما لو كانت أموال أمريكية، إلا أنها مع ذلك رفضت أن تلعب اللعبة بالطريقة السوفيتية، فأغلب الحكومات الآسيوية رأت من الضروري والنافع منع أحرازها الوطنية الشيوعية، وبذلك حرمت موسكو من أحد أركان سياستها، وفي الوقت نفسه، تبنت سياسة عدم الانحياز^١.

لقد جاءه الاتحاد السوفيتي صعوبات في آسيا بعد العام ١٩٥٥، وذلك بازدياد دور الصين الشعبية، فبkin لم تكن تخدم في الحقيقة كحصان طروادة لموسكو في آية نقطة، ولكن بعد العام ١٩٥٤، بدأ الصينيون اتخاذ سياسة خاصة بهم في آسيا^٢.

لقد أكدت الولايات المتحدة الحماية والحفاظ على التزاماتها في آسيا، وتجسد ذلك في مبدأ نيكسون في العام ١٩٦٩، إذ أكد الرئيس نيكسون في تصريح له على ما يلي:-

١. حفاظ الولايات المتحدة على التزاماتها في آسيا بوجوب المعاهدات.
٢. تزويد الولايات المتحدة لحلفائها في آسيا أو الدولة التي تعتبرها ضرورية لأمنها بدرع واق حين تهدد حريتها دولة نووية.
٣. في الحالات التي تنطوي على أنماط أخرى من العداون، سوف تقدم الولايات المتحدة مساعدات عسكرية واقتصادية حين يتطلب منها وفقاً لالتزامات معاهداتها، وإن الولايات المتحدة سوف تعتبر الدولة التي يتوجه إليها التهديد مباشرة يقع عليها العبء الرئيس في حشد القوة البشرية اللازمة للدفاع عنها^٣.

لقد انطوى مبدأ نيكسون على أن تعمل الولايات المتحدة على تخفيف الأعباء عنها، وتتمثل ذلك في سحب عدد كبير من قواها في آسيا، وأنه ينبغي على الآسيويين أن يأخذوا على عاتقهم دوراً رئيساً في تحمل التزاماتهم ومسؤولياتهم^٤.

^١ - المصدر نفسه، ص ١٣٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٣٧.

^٣ - فرجينيا برودين، ومارك سلدن، السر المعروف: مبدأ نيكسون وكيسنجر في آسيا، نقله إلى العربية: د. أحمد طربين، ود. نصيري عاروري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص ٩١.

^٤ - المصدر نفسه، ص ٩٠.

إن مبدأ نيكسون ينطوي على سياسة تهدف للحفاظ على الدور الأساسي للولايات المتحدة في آسيا، وبأقل تكلفة من الأموال، والأرواح الأمريكية، وان تحقيق الأهداف الأمريكية في آسيا يعتمد على فعالية برنامج المعونة العسكرية الأمريكية الذي يشمل على الهبات العسكرية، والتدريب، والأسلحة، والمساعدة العسكرية المتخصصة، وهكذا في حين حاولت إدارة نيكسون الاقتصاد عن طريق تحفيض القوات البشرية، وما ستلزمه من نفقات في آسيا فإن المعونة السنوية، وتدفق السلاح قد فاق المعدل الذي بلغه إبان رئاسة جونسون، إذ أن المعونة العسكرية المعترف بها رسميًا كانت أقل من خمسة ملايين دولار في عهد جونسون، وتقىد الولايات المتحدة على ضرورة المشاركة اليابانية من أجل نجاح مبدأ نيكسون^١، ويجب على اليابان أن توحد جهودها مع دول العالم الحر، وتحتفظ بالقوة الكافية، وكانت الولايات المتحدة قد سعت منذ عهد دلاس إلى تسليح اليابان من أجل أن تعمل اليابان في إطار الإستراتيجية الأمريكية، والدفاع عن المصالح الغربية في آسيا، انطلاقاً من أن الولايات المتحدة لا تستطيع لوحدها أن تأخذ على عاتقها المسؤولية الكاملة وهذا طالب جميع الدول في العالم الحر أن تقف معها في صف واحد، ومنذ ذلك الوقت كانت هناك مقتربات امريكية تؤكد على ضرورة أشراك اليابان في قوة شرطة دولية في الهند- الصينية، أو أعداد أسطوتها لضمان الأمن في مضائق تايوان أو الارتباط بتخطيط للأمن مع كوريا الجنوبية، وتايوان على نحو أكثر تماساً^٢، وكذلك شجعت الولايات المتحدة ارتباط اليابان اقتصادياً مع جنوب شرق آسيا، وأسباب ذلك مزيج من عدة عوامل من الاقتصاد، والشيوعية، وسياسات الدومينو، إذ أدركت الولايات المتحدة أن اليابان هي التي ستصبح بمثابة مفتاح المصالح الأمريكية في آسيا، ومنذ ذلك الوقت تركز في تثبيت اليابان بقوة في العسكر الغربي وان القواعد الأمريكية في اليابان، وإعادة تسليح اليابان تمثل الوجه العسكري في هذه السياسة. إذ كانت السياسة الأمريكية تجاه اليابان تهدف إلى ما يلي^٣:-

١. حرمان الصين من منافع التجارة مع دولة صناعية ذات تقدم تكنولوجي كالإسكندرية.
٢. منع اليابان من أن تصبح وثيقة الصلة أو تابعة بأي شكل من الأشكال لغيرها الشيوعيون.
٣. تعزيز وضع الولايات المتحدة التجاري إزاء اليابان.

^١ - المصدر نفسه، ص ٩٤.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٤٠٦-١٠٦.

^٣ - المصدر نفسه، ص ١٠٧-١٠٨.

٤. توقع توفير الدعم الاقتصادي اللازم إلى الأنظمة الهزيلة المعادية للشيوعية في جنوب شرق آسيا بواسطة اليابان، ومن ثم:

٥. توثيق ارتباط منطقة جنوب شرق آسيا بالنظام الرأسمالي، ومنعها عملياً من التجارة مع الصين.

ويتميز الشرق الأقصى بوضع استراتيجي فريد يحكم كونه منطقة التماس الجغرافي والعسكري المباشر الوحيدة في العالم بين أربع قوى كبيرة، هي: الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، والصين، واليابان، ويمكن أن نتلمس التصاعد المستمر في دور اليابان كقوة اقتصادية في العالم في السبعينات، وصعوبة استبعاد تحوها إلى قوة مماثلة على الصعيدين العسكري والسياسي. وقد استمر التناقض الاستراتيجي التقليدي في المنطقة بين القوتين العظميين الذي يتمثل باحتفاظ كل منهما بوجود عسكري تاريخي كثيف فيها من جهة، وبمحاولتها الدائمة لاكتساب الحلفاء والأصدقاء في صفوف دوتها. لقد حافظت الولايات المتحدة طيلة حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية على وجود عسكري مباشر في الشرق الأقصى اتسم تقليدياً بالكثافة، ومن جهته فقد عمل الاتحاد السوفيتي على محاولة الوصول إلى موازاة الوجود العسكري الأمريكي المذكور، وربما إلى مساواته. وقد تغير عقد السبعينات بتصاعد ملحوظ في الجهد العسكري السوفيتي ذات العلاقة بالمنطقة. بحيث أن المصادر الغربية تقدر بان الاتحاد السوفيتي كان يركز ١٠٪ من أجمالي قوته العسكرية في منطقة الشرق الأقصى، والمناطق الخطرة بها، في حين يتركز معظم الجهد السوفيتي في المجال البري على الحدود مع الصين(وهي تمتد على مسافة تزيد على ٧٠٠٠ كم)، فإن الوجود البحري السوفيتي اتجه بصورة رئيسية نحو مواجهة القوة البحرية الأمريكية التي كانت تعتبر في موقع مسيطر بشكل شبه تام تقريباً على منطقة المحيط الهادئ، والمشارف الشرقية والجنوبية للقاربة الآسيوية، فإن بروز العامل البحري السوفيتي أعتبر أحد أكثر التحولات الإستراتيجية تأثيراً في موازين القوى السائدة في الشرق الأقصى خلال عقد السبعينات، ومنتصف الستينات. فقد نجح السوفييت إلى حد بعيد في جهودهم التي استهدفت تحويل قواهم البحرية من مجرد قوة دفاعية ساحلية الطابع في معظمها خلال الستينات، إلى أسطول أعلى البحار يتمتع بقدرات هجومية ودفاعية متكاملة، وأخذت البحرية السوفيتية تنتشر في كافة المياه الخطرة في المنطقة بدءاً من زاويتها الشمالية، وصولاً إلى الهند- الصينية، ومشارف قارة استراليا.

^١ حسين أغ، واحمد سامح الخالدي، وقاسم جعفر، الصين اليابان والشرق الأقصى، سلسلة الدراسات الاستراتيجية، العدد ١٤، مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، لندن، ١٩٨٢، ص ١١-٩.

وفي الشرق الأقصى ظهر استقطاب بين العملاقين، فمن جهة اتجاه تقاري محوري بين كل من الولايات المتحدة، والصين، واليابان مدعوماً من عدد من الدول الأخرى ذات الولاء التقليدي للغرب (استراليا، ونيوزيلندا، والفلبين، وتايلاند، وماليزيا، وسنغافورة، واندونيسيا)، وذلك تحت شعار مواجهة التوسيع السوفيتي والفيتنامي، وينبغي الإشارة هنا إلى أن هذا الخور لم يتخذ شكل تحالف ثابت ومحدد آخر بنظر الاعتبار المصالح الذاتية والكامنة لكل طرف من أطرافه، إذ إن كلاً من هذه الأطراف يملك أولويات قد تختلف، لا بل تتناقض مع أهداف وأولويات الأطراف الأخرى، دون أن يكون ذلك بالضرورة عائقاً قبلة قيام حالة التقاء استراتيجي بينها خدمةً لأهداف عليا محددة على الصعيدين الإقليمي المباشر والدولي، وبالمقابل هناك العلاقة التحالفية القائمة بين الاتحاد السوفيتي وفيتنام في مقابل الخور الأول. وقد أدى الانتصار الفيتنامي على الولايات المتحدة، وتوحيد البلاد في أواسط السبعينيات إلى بروز فيتنام كقوة سياسية وعسكرية في الزاوية الجنوبية الشرقية للقاربة الآسيوية، إذ تشكل فيتنام في تلك المرحلة الحليف الأبرز للاتحاد السوفيتي، إلا أنها واجهت من جهة أخرى عداء شديد من الصين، وخلافات مستعصية مع معظم الدول الأخرى في المنطقة . وقد أدت محاولة فيتنام إنشاء تحالف بينها وبين كل من لاوس وكمبوديا إلى انتلاف معظم دول جنوب شرق آسيا ضد ما تعتبره هذه الدول زيادة في النفوذ السوفيتي عن طريق التوسيع الفيتنامي. وقد كان من ابرز نتائج ذلك قيام تقارب بين رابطة دول جنوب شرق آسيا من جهة، والصين من جهة أخرى، وهو تقارب جاء متناقضاً إلى حد كبير من طبيعة التحفظات التاريخية التي كانت تعيق نظرة تلك الدول مع الصين بصفتها مصدر التوتر الرئيس في المنطقة خلال العقود الثلاثة الماضية¹.

أما الوضع في الكوريتين، فمن جهة احتفظت كوريا الشمالية بعلاقات تعاون وثيقة نسبياً مع كل من الاتحاد السوفيتي، والصين على حد سواء. وقد تمكن من تلافي انعكاسات التراث القائم بين الدولتين المذكورتين على تلك العلاقات.

أما كوريا الجنوبية، فقد تمسكت بتحالفها التقليدي مع الولايات المتحدة، إلا أنها تحرض في الوقت نفسه على تحسين اطار علاقتها السياسية والاقتصادية، ولو بشكل ضئلي وهادئ مع الاتحاد السوفيتي، ولا يمكن تفسير ذلك إلا عن طريق التحفظ الكوري الجنوبي التاريخي نحو الصين، وما يمكن أن يتبعه ذلك من قلق في نظر القيادة

¹ - المصدر نفسه، ص ١٧-١٨.

الكورية الجنوبية تجاه احتمالات ازدياد التقارب الأمريكي - الصيني، وانعكاسه على أمن بلادها ومصالحها¹.

وبالنسبة للصين الشعبية فالانفتاح على الغرب، ولاسيما الولايات المتحدة قد ساعدتها على القيام بعملية تحديث قواها المسلحة، والتي بدأت منذ منتصف السبعينيات بعد صفقة الصواريخ المضادة للدروع التي قمت مع فرنسا في العام ١٩٧٧، ولكن استبعاد الولايات المتحدة لإمكانية بيع الصين السلاح الفتاك، وفقدان الصين للمخزون الكافي من العمدة الصعبة أدى إلى التردد قبالة الاعتماد كلياً على المصادر الخارجية، وخوفها من العودة إلى الوضع الذي كان قائماً مع السوفيت قبل العام ١٩٦٠، وهذا انطلقت وجهة نظر أخرى من مبدأ التمسك بالاكتفاء الذائي التي ترکز في ضرورة نقل التكنولوجيا العسكرية والاقتصادية، وكانت الولايات المتحدة قد سمحت بتصدير التكنولوجيا العلمية المتطرفة في حقل التنقيب عن النفط، والدراسات الجيولوجية، وغيرها إلى الصين^٢.

وبالنظر إلى ما كانت تراه الصين من سياسة تطبيق يقوم بها السوفيت عن طريق دعم فيتنام في الهند - الصينية، والتدخل العسكري السوفيتي في أفغانستان، وتنمية العلاقات العسكرية السوفيتية - الهندية، فإن الصين عملت على تقوية الوجود العسكري الأميركي في المنطقة، والتخلص من معارضتها الشديدة التاريخية على إعادة التسلح الياباني ، ولاسيما بعد التوقيع مع اليابان على معاهدة الصداقة والسلام في العام ١٩٧٨ ، وكذلك عملت الصين على تقوية التعاون الاستراتيجي مع الغرب، وزيادة الدعم للقوى المناوئة للسوفيت في مناطق مختلفة من العالم ابتدأها من انغولا ، وعمان ، وانتهاءً بالمقاومة الأفغانية للوجود العسكري السوفيتي في أفغانستان ، وكذلك أبدت الصين استعدادها على زيادة دعمها العسكري للباكستان بعدما رفض الجنرال ضياء الحق العروض الأمريكية، كما أن الصين زادت من دعمها لتايلاند بعد دخول القوات الفيتنامية لكمبو ديا .^٣

أما اليابان فإن فرض قيد على الإنفاق العسكري، والامتناع عن تطوير قوات قادرة على مد يد القوة العسكرية اليابانية إلى خارج حدود الجزر اليابانية تعدّ بمثابة

١ - المصدر نفسه، ص ١٨-١٩.

² - المصدر نفسه، ص ٢٨-٢٩.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٣٠-٣٢.

اختياراً سياسياً واعياً عمدت إليه اليابان في الخمسينات، وبقيت كذلك في الثمانينات. وبالإضافة إلى مساعدة ضبط النفس العسكري في غم الاقتصاد الوطني الياباني، فإن قرار اليابان بالامتناع عن تطوير قوات هجومية أو حتى أكثر من قوات دفاعية متواضعة، عنصر رئيس في بروز استقرار إقليمي في المنطقة، إذ تؤكد اليابان بأنها لا تقدر أحداً عسكرياً، ويسمح هذا باستمرار علاقات يابانية أمريكية وثيقة وتطور روابط صينية- يابانية ودية، وفي الأقل تجنب صدام مكتشوف بين الاتحاد السوفيتي واليابان، والأكثر من ذلك أن ضبط النفس الياباني يسمح بالحفاظ على توازن للقوى العسكرية الأمريكية، والصيني، والsovietic، في الشرق الأقصى، بحيث لا يمكن لقوة بمفردها تحقيق ميزة حاسمة عبر استخدام القوة^١.

وكانت اليابان حتى مطلع السبعينيات تفتقر إلى إستراتيجية متكاملة الملائحة وقدرة عسكرية تذكر وسياسة خارجية مستقلة ومؤثرة، وذلك بالرغم من ضخامة قاعدتها الصناعية والبشرية، إذ تعتمد في سياستها الدفاعية على التفوق العسكري للولايات المتحدة في الشرق الأقصى، والغطاء النووي الأمريكي لها. كما أن هناك إجماع وطني على الامتناع عن التسلح ورثته اليابان عن تجربتها المريرة في الحرب العالمية الثانية. وقد ظهرت بوادر تحولات مهمة على الصعيدين الموضوعي والذاتي تشكل خلفية لاتخاذ اليابان في مطلع الثمانينيات ل موقف عسكرية جديدة وإمكانية قيامها دوراً إستراتيجياً أكبر في الشرق الأقصى، وهناك بعض العوامل التي ساعدت على تكوين صورة يابانية حديثة، منها الانسحاب الأمريكي الجزئي من كوريا الجنوبية، وإنهاء المعاهدة الأمريكية الأمريكية مع تايوان وإقامة علاقات أمريكا-صينية وثيقة، ونمو القدرات العسكرية السوفيética في الشرق الأقصى، والخط الهندي، ووجود قوات سوفيتية في جزر الكوريل المتنازع عليها مع اليابان ونمو القدرات العسكرية لكوريا الشمالية، وبروز فيتنام كقوة عسكرية ضخمة في جنوب شرق آسيا، وأزمة الطاقة، وتزايد الاعتماد الياباني على النفط المستورد من الشرق الأوسط الذي يبلغ نحو ٨٠٪ من احتياجاتها للنفط^٢.

^١ - المصدر نفسه، ص ٩١.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١١٠-١١١.

تطور العلاقات الدولية في الوطن العربي

أولاً: استقلال البلاد العربية:

إن إمارات انبعاث الفكرية العربية كان نتيجة إعلان الدستور العثماني في العام ١٩٠٨، وكرد فعل لحركة القومية التي اشتدت بعد هذا الإعلان، فإن بعض شباب الترك ومتذوريهم قد اعتنقوا الفكرية القومية قبل إعلان الدستور، وانشئوا جمعيتهم السرية التي كان اسمها جمعية تركيا الفتاة دلالة عليها، وأخذوا يسعون في بشها بين المترورين ، إذ مزجوها دعوتها إلى مقاومة استبداد السلاطين، والعمل على إقامة الحكم في الدولة العثمانية على أساس دستوري يضمن للأمة حريتها وحقوقها ، ويفتح قباهما الأفق، وسرعان ما توارت هذه الجمعية إلى حزب سياسي اسمه حزب الاتحاد والترقي، والذي أخذت دائنته تتسع، وأخذ يسعى للسيطرة على الحكم مما ساهم في بث فكرة القومية التركية، وأثارت عاطفتها في نفوس الأتراك مستهدفين كنتيجة لازمة لها استعلاء العنصر التركي في الدولة العثمانية . وقد كان مما عمد إليه حزب الاتحاد والترقي أنشاء فروع له في مختلف المدن العربية الشامية والعراقية، وكان لذلك تأثير في شباب وشيوخ العرب، إذ شعر متذوريهم إلى ما في ذلك من خطر على كيان العرب، ومساس بكرامتهم مما شجعهم في اعتناق فكرة القومية العربية، ثم جاء دور تأسيس الجمعيات السرية العربية التي أخذت تسعى لتحقيق حقوق العرب، ومنها جمعية الفتاة، والعهد^١ ، وكان من اثر سياسة التترنريك أن نبهت العرب بطبيعة الحال إلى الخطير المحدق بهم، ودفعتهم إلى المعارضة الفعالة جهراً وخفية، وظلت الامبراطورية مطلبهم الرئيس ليتمكنوا من متابعة تنايميهم الثقافي، وتطورهم السياسي.

إن فقد الثقة في مقدرة الحكومة المركزية العثمانية على صيانة كيان الأرضي العربية هو الكامن وراء حركة الامبراطورية وفكرة هذه الحركة إنما هي السبيل الأوحد للتغلب على الأخطار الخارجية التي كانت تهدد البلاد، وكانت الحركة القومية العربية تسعى إلى إنشاء موقع قوة محلية، وقد شهدت هذه المرحلة تأكيداً متزايداً على وجوب تمييز الكتلة العربية الإسلامية، عن غيرها من شعوب الإمبراطورية العثمانية، ثم جاءت

^١ - محمد عزة دروزة ، حول الحركة العربية الحديثة، المجلد الأول، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٤٩، ص ٢٩.

مرحلة جواب العرب على تحدي الحركة التركية القومية التي راحت تثبت وجودها تحت راية الجامعة الطورانية، ففي العام ١٩١٣ عقد المؤتمر العربي الأول في باريس، وحضره مندوبون عن مختلف أقطار الوطن العربي. وقد ظهر أن العرب كانوا يتطلعون إلى تنظيم حيالهم من جديد على قاعدة القومية^١.

وفي العام ١٩١٦، نشب الثورة العربية في الحجاز بقيادة الشريف حسين الذي سعى إلى إقامة مملكة عربية تشمل الجزيرة العربية، والعراق، وبلاد الشام، وهذا تم الاتفاق بين الانكليز والشريف حسين بموجب مراسلات الحسين - مكم惶ون على أن تعرف بريطانيا باستقلال البلاد العربية، وان توافق على إعلان خليفة عربي على المسلمين، وبالمقابل تعرف حكومة الشريف حسين بأفضلية بريطانيا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية. وقد ظل الشريف حسين يتمتع بلقب أمير مكة إلى ٣ كانون الأول من العام ١٩١٦، إذ بويع ملكاً على العرب، إلا أن بريطانيا، وفرنسا، وروسيا قد اتفقت في معاهدة سايكس بيكو في العام ١٩١٦، على تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ فيما بينها^٢.

وفي ٢٦ نيسان من العام ١٩٢٠، قرر الحلفاء في مؤتمر سان ريمو وضع الأقطار العربية تحت الانتداب، وأعطى لفرنسا الانتداب على سوريا ولبنان، ولبريطانيا على العراق وفلسطين والأردن، فكان ذلك تتوسعاً لغدر الحلفاء للعرب، والذي بدأ في أثناء الحرب، وقبل أن يجف مداد عهود بريطانيا للحسين^٣.

لقد كان وضع البلاد العربية تحت الانتداب مخالفًا للفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم التي توجب اخذ رأي السكان في تقرير مصيرهم، ولم يقف العرب مكتوفين الأيدي إزاء ما قامت به الدول الكبرى بمصيرهم. فقد اجتمع وجهاً سورياً وشخصياتها السياسية في مؤتمر انعقد في ١٨ آذار من العام ١٩٢٠، وأعلنوا سورياً دولة مستقلة تحت حكم الملك فيصل الأول، وقد رفض الحلفاء هذا العمل من جانب السوريين، وفي ٢٨ نيسان من العام ١٩٢٠، أخرج الفرنسيون

^١ - د. حازم زكي نسيبة، القومية العربية: فكرتها نشأتها تطورها، ترجمة: عبد اللطيف شرار، ط٢، بيروت، منشورات المكتبة الأهلية، ١٩٦٢، ص ٨٠-٨٢.

^٢ - محمد عزة دروزة، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩.

^٣ - المصدر نفسه، ص ١٣٦.

الملك فيصل الأول من سوريا بعد معركة دامية بين المجاهدين السوريين، وبين القوات الفرنسية تحت قيادة الجنرال غورو^١.

وفي العراق انتخب الملك فيصل الأول ملكاً على العراق في ٢٣ آب من العام ١٩٢١، بعد أن عاد إلى العراق، وتم انتخاب مجلس تأسيسي في العام ١٩٢٤، والذي صادق على معاهدة العام ١٩٢٢، وكانت المعاهدة تتضمن المبادئ التي تم بموجبها نظام الانتداب، ثم تم التصويت على أول دستور للعراق في العام ١٩٢٥، وقد استغلت بريطانيا مطالبة تركيا بالموصل لفرض معاهدة العام ١٩٢٢، على العراق، وقت الموافقة على تحديد المعاهدة لمدة ٢٥ سنة، وهكذا قبل العراق بمعاهدة العام ١٩٢٢، مع الحكومة البريطانية من أجل عدم التفريط بالموصل، وكان الشعب العراقي لا يرضي بهذه المعاهدة، ويطالب باستقلاله، ولهذا فقد تم إلغاء هذه المعاهدة، وإبدالها بمعاهدة أخرى مع بريطانيا في ٣٠ حزيران من العام ١٩٣٠، وبموجب هذه المعاهدة سلمت كل الصالحيات التي كانت تمارسها دولة الانتداب على العراق، وبموجب المعاهدة أيضاً دخل العراق عصبة الأمم في العام ١٩٣٢.^٢

أما مصر، فكانت خاضعة للاحتلال البريطاني، إذ قام سعد زغلول زعيم حزب الوفد بالتفاوض مع بريطانيا لتحقيق المطالب الوطنية، وخاصة الجلاء، ولكن بريطانيا كانت تريد فرض معاهدة غير متكافئة تضمن سلامة المواصلات الإمبراطورية، والدفاع المشترك، وحماية مصالح الأجانب، وبقاء الانكليز في السودان، وفي العام ١٩٣٦، أصبح الجو السياسي الدولي متوتراً على أثر احتلال إيطاليا للحبشة، وهذا مما دفع ببريطانيا إلى تغيير سياستها تجاه مصر، فتم التوقيع على معاهد مع مصر في ٢٦ آب من العام ١٩٣٦، إذ بموجبها تتغير صفة القوات البريطانية العسكرية في مصر من قوات احتلال إلى قوات حليف، وتمكنت بموجبها مصر في الدخول في عصبة الأمم في العام ١٩٣٧، ولما كانت المعاهدة غير مرغوبة من الشعب المصري فقد سعت حكومة الوفد إلى إلغاء المعاهدة بعد فوزه في انتخابات العام ١٩٥٠، وهذا ما تم في تشرين الأول من العام ١٩٥١، إلا أن الحكومة البريطانية لم تتوافق على هذا العمل الذي عدته انفرادياً،

¹ - د.حسن العطار، الوطن العربي: دراسة مركزية لتطوراته السياسية الحديثة، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٦، ص ٢١.

² - المصدر نفسه، ص ٣٠-٣٥.

وتحججت بان اجل المعاهدة لم ينته بعد، إذ أن وجود القوات البريطانية على الأرض المصرية خلافاً لرغبة الشعب المصري، فكانت المعاهدة انتقاصاً للسيادة المصرية، فضلاً عن ذلك وبالنظر لمشاركة الجيش المصري في حرب فلسطين بأسلحة فاسدة، واقحام الملك فاروق بالخيانة، ولسوء الأوضاع في مصر قام الجيش المصري في ٢٣ يوليو من العام ١٩٥٣ ، بالثورة، وبعد عام تم إعلان النظام الجمهوري في العام ١٩٥٣ ، وفي العام ١٩٥٤ ، تم الجلاء عن مصر^١.

أما سوريا ولبنان فقد استقلتا في العام ١٩٤٤ ، وفي العام ١٩٤٦ ، تم جلاء القوات الفرنسية عنهما^٢، أما بلدان المغرب العربي، والتي كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي فقد استقلت تونس في العام ١٩٥٦ ، وكذلك المغرب، والجزائر في العام ١٩٦٢ ، بعد حرب تحريرية دامية بدأت منذ العام ١٩٥٤ ، كما استقلت ليبيا في العام ١٩٥١^٣ ، أما في الأردن فقد تم تنصيب الأمير عبد الله بن الحسين أميراً على شرق الأردن في ٢٥ مايو من العام ١٩٢٣ ، وفي العام ١٩٤٦ ، عقدت بريطانيا معاهدة مع الأردن الغي بوجها نظام الانتداب، ومنذ ٢٥ آذار أصبح الأمير عبد الله يحمل لقب الملك، وثم وضع دستور جديد للبلاد في ١ نيسان من العام ١٩٤٧^٤.

ثانياً: جامعة الدول العربية

كثرت المشاريع التي تدعوا إلى الوحدة العربية، وفي العراق نتيجة لفشل حركة رشيد علي الكيلاني في أيار من العام ١٩٤١ ، فقد حذر سفراء بريطانيا في الأقطار العربية من الحالة السياسية العدائية للسياسة البريطانية، واقتراح تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في أثناء الحرب توسيع المملكة العربية السعودية بحيث تضم العراق والأردن، وجاء الاقتراح الآخر من انطوني إيدن وزير خارجية بريطانيا في ٢٧ أيار من العام ١٩٤٥ ، والذي قال فيه(إن بريطانيا لا تعارض اتحاد العرب، وعلى العرب أن يقرروا بأنفسهم ذلك)، وقد وافقت وزارة الحرب البريطانية على هذا الاقتراح، إذ قدم نوري السعيد رئيس وزراء العراق مذكرته المعروفة بالكتاب الأزرق الذي تضمن توحيد

^١ - نفسه، ص ٦٠-٥١.

^٢ - نفسه، ص ٧٨-٨٥.

^٣ - حول استقلال بلدان المغرب العربي، انظر: دبعمـة السعيد، المغرب العربي، كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩ ، و حول استقلال المغرب ، انظر الصفحات ٨٠-١٦٠ ، و حول استقلال الجزائر انظر: ص ١١٦-١٤٧ ، حول استقلال تونس انظر: ص ١٦٠-١٨٨ ، حول استقلال ليبيا انظر: ص ١٩٤-١٩٨.

^٤ - د.حسن العطار، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦-٨٧.

سورية، ولبنان، وفلسطين في دولة واحدة، وإنشاء جامعة عربية تضم العراق، وسوريا، وأي دولة عربية إذا شاءت ذلك، وهناك تصريح لوزير الخارجية البريطاني انطوني إيدن ألقاه بجلس العموم البريطاني في ٢٤ شباط من العام ١٩٤٣، قال فيه (إن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف على كل حركة بين العرب ترمي إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية، والثقافية، والسياسية)، وبعد اقتراحات متبادلة، ومشاورات عربية ظهرت ثلاثة اتجاهات رئيسة:-

الاتجاه الأول: يدعوا إلى وحدة سوريا الكبرى بزعامة الملك عبد الله بن الحسين، وبدعم نوري السعيد الذي كان يرى في هذه الخطوة نحو الوحدة (الهلال الخصيب).

الاتجاه الثاني: يدعوا إلى قيام دولة موحدة تشمل أقطار الهلال الخصيب بزعامة العراق.

الاتجاه الثالث: يدعوا إلى وحدة أو اتحاد أشمل وأكبر يضم مصر، وال سعودية، واليمن، فضلاً عن أقطار الهلال الخصيب.^١

وانتهت المشاورات العربية مع بدء العام ١٩٤٤، وكانت فكرة الخلفاء خلال الحرب العالمية الثانية العمل على إنشاء منظمات إقليمية تحت مظلة الأمم المتحدة، وتعاون معها في حفظ السلام والأمن في العالم، وكان الرأي العام العربي بأحزابه، ومنظمهاته، وجمعياته يضغط باتجاه قيام وحدة عربية حقيقة، وفي هذا المناخ الدولي وجه مصطفى النحاس باشا، رئيس وزراء مصر في ١٢ تموز من العام ١٩٤٤، الدعوة إلى الحكومات العربية التي شاركت في المشاورات التمهيدية لإرسال مندوبيها للاشتراك في اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام، واجتمعت اللجنة التحضيرية في ٢٥ أيلول من العام ١٩٤٤، في الإسكندرية بحضور مندوب مصر، وسوريا، ولبنان، والعراق، والأردن، وال سعودية، واليمن، وتم الاتفاق على بعض الخطوط العامة حول الصيغة التي يتضمنها ميثاق جامعة الدول العربية، وتم التوقيع على بروتوكول الإسكندرية في ٧ تشرين الأول من العام ١٩٤٤، وفي ٢٢ آذار من العام ١٩٤٥، تم التوقيع على ميثاق الجامعة العربية.^٢

ومنذ اجتماعات الإسكندرية كان الكلام واضحاً نحو تأكيد استقلال الدول العربية على اعتبار أن الدول العربية ترغب في زيادة التعاون والتضامن فيما بينها، ولكن

^١ - د. علي محافظة، النشأة التاريخية لجامعة الدول العربية، في جامعة الدول العربية بين الواقع والطموح، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣، ص ٤٧-٣٩.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٥٢-٤٧.

على أساس الاحتفاظ التام بسيادتها واستقلالها، وهذا ما يعني استبعاد فكرة الوحدة لمصلحة تكوين اتحاد بين الدول العربية عرف بالجامعة العربية لتعذر ذلك، ولمساهمة باستقلال البلدان العربية التي أصرت منذ البداية على السيادة رغم إن شعار الوحدة العربية الذي كانت تدور حول سقفه المشاورات والمداولات قد استخدم لاستبعاد الوحدة بأية صورة من الصور، ومن هنا جاء الميثاق ليردد التوكيد على الاستقلال والسيادة لكل دولة عربية كما أن قرارات الجامعة العربية لن يلزمها وللغير أن يرفضها^١.

وأجامعة العربية بالرغم مما يدعي البعض بأنها كانت مطلباً بريطانياً، إلا أنها كانت مطلباً جماهيرياً يسعى إليه العرب في مواجهة تحديات داخلية وخارجية متعددة، واستجابة لدعوات ومقومات طبيعية، وإنسانية، وتاريخية عدة، إذ شغلت مجموعات النخبة المثقفة والسياسية نفسها بهذا المطلب منذ أواخر القرن التاسع عشر، وبدأ بعضها بإقامة تجارب ومارسات واقعية جزئية لتحقيق هذا الهدف، مثل وحدة مصر وسوريا في العام ١٩٥٨^٢.

وفي ١٧ حزيران من العام ١٩٥٠، وقعت معااهدة الدفاع المشترك، والتعاون الاقتصادي بين الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية، وذلك اثر هزيمة الدول العربية في حرب فلسطين في العام ١٩٤٨، والتي لم تكن في الواقع إلا الامتحان الأول الذي كشف عن عجز الجامعة العربية، وكشف عن إمكاناتها المحدودة، وإنما سببها امتحان آخر سقطت فيه الجامعة، وهي لما تزل بعد حدثة النشأة، مما أكد المفارقة الواضحة بين الطموح والقدرة، بينما عجزت عن فعل شيء ذي فكر تجاه العدوان الفرنسي على سوريا في حزيران من العام ١٩٤٥، غير أن امتحان حرب فلسطين كان الأقسى، ولذا كان السبب المباشر في عقد هذه المعااهدة^٣.

وبمرور الزمن استحدثت أجهزة جديدة، وهيئات عاملة إلى أجهزة وهيئات قائمة، ومن الهيئات الرئيسة التي انشأتها معااهدة الدفاع العربي مجلس الدفاع المشترك ،

^١- احمد الشقيري، الجامعة العربية، كيف تكون جامعة، وكيف تصبح عربية، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩، ص ٨٩، وكذلك انظر: ص ١٣.

^٢- مجدي حماد، جامعة الدول العربية: مدخل إلى المستقبل، عالم المعرفة ٢٩٩، ديسمبر ٢٠٠٣، يناير ٢٠٠٤، الكويت، ص ١٥.

^٣- دخليل الحبيشي، النظام العربي، وإصلاح جامعة الدول العربية، بيت الحكم، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٢٥.

فضلاً عن اللجنة العسكرية الدائمة، والهيئة الاستشارية العسكرية، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، وهناك اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية لعام ١٩٥٧، والتي دخلت حيز التنفيذ في العام ١٩٦٤، وقد كونت اجتماعات الملوك والرؤساء العرب، مؤتمرات القمة التي عقدت بصفة متكررة في نطاق الجامعة العربية منذ العام ١٩٦٤، على الرغم انه لم يرد نص على إنشاء هذا الجهاز^١.

لقد أسهمت الجامعة العربية بفعالية في تسوية بعض التزاعات، والحد من تصعيدها ومثال ذلك التزاع الكويتي - العراقي في العام ١٩٦١، وال الحرب الأهلية في اليمن العام ١٩٦٣، وما بعدها من الحرب بين اليمن الشمالي واليمن الجنوبي، وال الحرب الأهلية اللبنانية سنة ١٩٧٥، وال الحرب المصرية - الليبية، وكذلك أسهمت دبلوماسية القمة في تسوية عدد من المنازعات العربية عن طريق صورتين: الأولى إذ تخلق اجتماعات القمة المناخ المناسب للتفاهم بين رؤساء دول الأطراف المتنازعة حق وان لم يكن الهدف من الاجتماع هو تسوية التزاع، وعلى سبيل المثال فقد مهد اجتماع القمة الأول في العام ١٩٦٤، إلى لقاء مصرى - سعودي لتسوية الأزمة اليمنية، ولقاء جزائري - مغربي لتسوية الأزمة بين البلدين ، وبعبارة أخرى، فإن جامعة الدول العربية تقوم بوظيفة اتصالية بين القيادات العربية تمهد وبالتالي لتسوية المنازعات، والصورة الأخرى هي اجتماع ملوك ورؤساء الدول العربية في إطار الجامعة العربية من أجل تسوية نزاع عربي، ومن أمثلة هذه الصورة اجتماع القمة العربية في تشرين الأول من العام ١٩٧٦ للنظر في الحرب الأهلية في لبنان، وهو الاجتماع الذي أسفى عن وضع التشكيل النهائي لقوات الردع العربية^٢، وتبقى المسألة المهمة في دور الجامعة العربية المساهمة ومساعدة الأقطار العربية على تحقيق استقلالها من الاستعمار، إذ تبنت منذ تأسيسها هذه القضية، وكذلك تبني قضية فلسطين، والدفاع عنها، وحققت المقاومة الفلسطينية انتصاراً سياسياً عندما اعترفت الدول العربية في قمة الرباط في العام ١٩٧٤، بمنظمة التحرير الفلسطينية مثلاً شرعاً وحيداً للشعب الفلسطيني، وفي العام ١٩٧٦، اعتبر أن منظمة

^١ - المصدر نفسه، ص ١٣١-١٣٥.

^٢ - د.احمد فارس عبد المنعم، جامعة الدول العربية ١٩٤٥-١٩٥٨، دراسة تاريخية سياسية، سلسلة الثقافة الجماهيرية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦، ص ٨٠-٨١..

التحرير الفلسطينية لها كامل العضوية في جامعة الدول العربية، وأصبح لها الحق في التصويت على القضايا المعروضة على أجهزة الجامعة العربية^١.

ثالثاً: التنافس الدولي:

كان الوطن العربي تحت سيطرة الدول الغربية من نهاية الحرب العالمية الثانية، وخارج أية سيطرة سوفيتية، وبسبب خشية الغرب من تغلغل الشيوعية فيه تبلورت فكرة مشروع قيادة الشرق الأوسط في مستهل العام ١٩٥٠، وجعلت الدول الغربية من تركيا خيراً وسيلة للتغلغل في دول الشرق الأوسط، وذلك لردع أطماع السوفيت، وفي العام ١٩٥١، قدمت الدول الأربع الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وتركيا، مقترنات تأسيس منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط، والتي عدّت الدفاع عن هذه المنطقة أمر حيوى للعالم الحر، وإن الدفاع عن العدوان الخارجي يكفل فقط عن طريق التعاون بين الدول التي يهمها الأمر^٢.

وفي تشرين الأول من العام ١٩٥١، دعت هذه الدول الأربع الدول العربية الانضمام إلى قيادة الشرق الأوسط^٣، وقد قوبل هذا المشروع بمقاومة عنيفة من قبل الرأي العام العربي، وذلك لسبعين الأول/ هو أن الدول العربية ستتصبح قواعد عسكرية للقوات الأمريكية، والفرنسية، والتركية، فضلاً عن القوات البريطانية الموجودة فيها، والآخر/ هو أن اشتراك إسرائيل في هذه القيادة معناه الاعتراف بواقع إسرائيل، وهو أمر لا يقره العرب^٤.

وفي العام ١٩٥٣، وصلت إدارة إيزهاور إلى الحكم في الولايات المتحدة وطرح وزير الخارجية الأمريكي دالاس موضوع الدفاع عن الشرق الأوسط، وكانت وجهة نظر الولايات المتحدة هي العمل على إدخال جميع الدول العربية في المشروع مادام أن هذه البلدان مناهضة للشيوعية ولكن الدول العربية امتنعت عن الدخول في المشروع. وقد لاحظ القادة الأتراك ضعف التأثير البريطاني في الدول العربية، وكذلك

^١- د.حسن نافعة، الدور السياسي للجامعة العربية في استقلال بعض الأقطار العربية والقضية الفلسطينية، أنظر "الجامعة العربية بين الواقع والطموح" مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦.

^٢- د.احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية، رسالة ماجستير منشور، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٥، ص ٢٢٨-٢٢٩.

^٣- للمزيد من التفاصيل عن مشروع قيادة الشرق الأوسط، راجع: د. احمد نوري النعيمي، تركيا وحلف شمال الأطلسي، المطبعة الوطنية، عمان، ١٩٨١، ص ١٨٣-١٨٥.

^٤- كولن باون، وبيتر موني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

خشيت الدول الغربية من وصول الشيوعيين إلى السلطة في سوريا، وكان الأتراك يخشون مما قد يتربّب من وجود فراغ إذا ما انسحبت بريطانيا من المنطقة¹.

لقد كانت سنة ١٩٥٥، تحولاً مهماً في السياسة السوفيتية في المنطقة، ففي هذا العام عقدت صفقة الأسلحة التشيكية- المصرية، وكان ذلك بمثابة تعديل لسياسة مصر نحو التعاون مع دول المعسكر الاشتراكي، وفي السنة نفسها عقد مؤتمر باندونغ الأفرواسيوي، وشهد تقاربًا بين عبد الناصر ونھرو وشوان لاي، وكان ذلك يمثل رفض الانحياز نحو الغرب، ورفضت هذه الدول أن يستخدمها الغرب كمحطة انطلاق في الصراع الغربي- الشرقي، ولمصلحة المعسكر الغربي، إلا أن المهم هو في صفقة الأسلحة التشيكية إلى مصر لأنها في نظر الغربيين أدت إلى نتائج خطيرة، وهي قلب التوازن في الشرق الأوسط لمصلحة مصر، حيث أصبحت مصر كما يرى الغربيون أسلحة تفوق كل الدول المجاورة لها ، فضلا عن إسرائيل، وإن صفقة السلاح هذه أعطت للسوفيتوطى قدم في المنطقة، وحفزت سباق التسلح. فقد اقتفت سوريا طريق عبد الناصر في التقارب مع السوفيت، إذ قام الرئيس السوري آنذاك شكري القوتلي بزيارة إلى موسكو وقامت اليمن بشراء سلاحاً سوفيتياً في العام ١٩٥٧ ، للحفاظ على استقلالها في الوقت الذي كانت بريطانيا تتحكر سوق السلاح في المنطقة، ولما عقد حلف بغداد في العام ١٩٥٥ ، رفضت الدول العربية الانضمام إليه سوى العراق. فقد وقعت سوريا ومصر اتفاقاً ثانياً ثم تم توقيع ميثاق الدفاع بين مصر وال سعودية واليمن في العام ١٩٥٦ ، وهو اتفاق أسمه في منع الأردن من الانضمام إلى حلف بغداد. أما لبنان فإنها قد تبنت حياداً تماماً، وهكذا تم عزل محور الشقل البريطاني في المنطقة، في حين حاول الأميركيون والإنكليز تقوية العراق، وأبعدوا السعودية واليمن عن الجذب السوفيتي ، لقد ازداد قلق الانكلوستكسون حينما أصبح الاتحاد السوفيتي حامي القضية العربية، وزاد قلق الأميركيان حول امن إسرائيل جراء تدفق السلاح السوفيتي إلى منطقة ، وهكذا تغير التوازن لمصلحة مصر، وتم أضعاف حلف بغداد².

¹ - Rene Kalisky,, Le Monde Arabe à l'époque actuelle,, Marabout Université, Belgique, 1986, p.202-204.

² - Hélène Carrère d'Encausse "La Politique Soviétique ou Moyen- Orient 1955-1975" Paris, Fondation National des sciences politiques, 1975, p28-35.

وبعد صفقة الأسلحة التشيكية اعترفت مصر بالصين الشعبية، وأعلنت بعد ذلك بوقت قصير أن باستطاعتها الحصول على أسلحة من بكين رغم حظر الأمم المتحدة، ورداً على ذلك سحبت الولايات المتحدة في ١٥ تموز من العام ١٩٥٦، وعدها بالمساعدة المالية لمشروع السد العالي، واقتدى بها البنك الدولي، وبريطانيا وهما المصدران الأساسيان للدعم.

وفي ٢٦ تموز من العام ١٩٥٦، أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس فوق العدوان الثلاثي البريطاني - الفرنسي - الإسرائيلي على مصر في ٢٩ تشرين الأول من العام ١٩٥٦، وأرغم الضغط الأمريكي، والتهديد السوفيتي على إيقاف العدوان وانسحاب المعتدين، وأدى ذلك إلى إنهاء النفوذين البريطاني والفرنسي في المنطقة مما دفع الولايات المتحدة لإصدار مبدأ أيزنهاور في العام ١٩٥٧، والذي وعد بتقديم المساعد العسكرية والاقتصادية للدول التي تواجه الشيوعية^١، واعتبرت مصر سورياً على ذلك، وازدادت قرباً من الاتحاد السوفيتي.

وفي ١٤ تموز من العام ١٩٥٨، وقعت الثورة في العراق، وأدت إلى قيام النظام الجمهوري مما دفع الولايات المتحدة إلى إزالة قواها البحرية في لبنان، وإنزال بريطانيا قواها في الأردن للحفاظ على التوازن في المنطقة^٢.

وفي السبعينات ازداد اعتماد الغرب على نفط الشرق الأوسط، ومن ثم أصبحت أهمية السلام في المنطقة ذات جذب كبير له، وكان للولايات المتحدة مصالح عسكرية، واقتصادية، وثقافية في المنطقة، وأرسلت الأسلحة إلى إيران، وال سعودية، والأردن، ولبنان، وإسرائيل، وكان الأسطول السادس موجود في شرق البحر المتوسط، ورغم ذلك كانت ميول الكونغرس، والأوساط السياسية الأمريكية منحازة لإسرائيل، ومع ازدياد مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، ازدادت مصالح الاتحاد السوفيتي أيضاً فقدمت موسكو المعونات لمصر، وسوريا، والعراق، في حين كانت السعودية والأردن تخشيان من توسيع النفوذ السوفيتي في المنطقة، وقبلت مصر المعونة من الاتحاد السوفيتي لأنها لم تستطع الحصول من قبل الغرب على الأسلحة الهجومية التي كانت بحاجة إليها، وفي ٥ حزيران من العام ١٩٦٧، قامت إسرائيل بالعدوان على مصر، وسوريا،

^١ - للمزيد من التفاصيل حول مبدأ أيزنهاور راجع: د. احمد النعيمي، تركيا وحلف شمال الأطلسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢.

^٢ - كولن باون وبيرتر موني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٢.

والأردن، واستطاعت أن تختل مساحة كبيرة من الأراضي العربية. كما أن حرب ١٩٦٧، أثبتت عدم قدرة الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي في السيطرة على الدول التابعة لهما، والتي هددت حروها المثلية بسبب استغلال الأسلحة، ونفوذ الدولتين الأعظم في المنطقة بتصعيد الموقف إلى حرب عالمية ثالثة، وفي تشرين الثاني من العام ١٩٦٧، تبنت الأمم المتحدة القرار ٢٤٢ الذي قدمته بريطانيا، والذي طالب بإنهاء حالة الحرب، والانسحاب من الأراضي الخالة، والاعتراف بالسلامة الإقليمية لكافة الدول، وحرية الملاحة في المياه الدولية، وتسوية مشكلة اللاجئين وإيجاد مناطق متزوعة من السلاح على الحدود، وإرسال بعثة من الأمم المتحدة للتفاوض على تسوية، ولم يقبل أي من الجانبين القرار برمته، واستمرت حوادث الحدود، وبدأ سباق التسلح، وبعد سنة ١٩٦٧، برزت الولايات المتحدة كمزود رئيس لإسرائيل بالسلاح، وضامن رئيس لأنها، لكن الحرب جاءت نكسة للاتحاد السوفيتي، إذ فقدت مصر وسوريا حلفاء الاتحاد السوفيتي جزءاً من أراضيها، والتي احتلت من قبل إسرائيل، وان الأسلحة التي زود بها السوفيت العرب لم تحقق لهم الانتصار، ولم تمنع صداقته من أخلاق خسائر مؤلمة بالعرب، وخسارة لأراضيهم ، واستمر القتال المتقطع على طول القناة سنوي ١٩٦٩ - ١٩٧٠، مما دفع الاتحاد السوفيتي لإرسال صواريخ سام، وعدد يتراوح بين ١٥ - ٢٠، ألف من الفنانين السوفيت إلى مصر، ومقابل ذلك أعطى السوفيت تسهيلات في قاعدة بحرية في الإسكندرية، وحق استخدام القواعد الجوية التي يستطيعون منها مراقبة وجود حلف الأطلسي في البحر المتوسط، وأقلق الوجود السوفيتي المتزايد الولايات المتحدة، وربما كان سبباً في قيام وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكي بمبادرة سلمية في العام ١٩٧٠، وفي ٦ تشرين الأول من العام ١٩٧٣، اندلعت حرب تشرين، وحطم العرب طوق الجمود مرة أخرى بمعاهدة إسرائيل، وعندما اندلعت الحرب حاول الاتحاد السوفيتي دون جدو الضغط على مصر لقبول وقف إطلاق النار، ولكن لم تكن الدولتان الأعظم قادرتين على فعل شيء في البداية لأن كلتيهما فوجئت بالحرب، وقامت كل منها بإيجاد جسر جوي من إمدادات الأسلحة لأنه رغم إن أيها منها لم ترد الحرب، إلا أنها لم تستطع قبول الهزيمة، وعندما عبرت القوات الإسرائيلية قناة السويس إلى الضفة الغربية يوم ٦ تشرين الأول بدأت التصرفات السوفيتية تعكس حاجة السوفيت الماسة لتحقيق وقف فوري لإطلاق النار كما بدأت تعكس قلق الروس على مصر

وسوريا، وتوصلت الدولتان الأعظم إلى وقف أطلاق النار، ولكن بالنظر لتجاهل المحتاربين له فقد اقررت موسكو إيفاد قوات مشتركة لغرض وقف إطلاق النار، وعندما رفضت الولايات المتحدة ذلك زاد التوتر بين الدولتين، وأعلن الرئيس الأمريكي نيكسون حالة الإنذار النووي بين القوات الأمريكية في العالم، أزمة كانت تؤدي إلى حرب عالمية، وكان من نتائج الحرب اتجاه مصر نحو الولايات المتحدة، وليس نحو الاتحاد السوفيتي للمساعدة في الحصول على السلام، ونظمت الولايات المتحدة انسحاب القوات الإسرائيلية في القناة، والمشروع في محادثات السلام في جنيف، وأخذت الولايات المتحدة دوراً مهماً في عملية السلام بعد ذلك^١.

وخلال حرب تشرين الأول في العام ١٩٧٣، استخدم العرب سلاح النفط بنجاح، فبمجرد تخفيض الإنتاج النفطي، ولو بنسبة ضئيلة، استطاع منتجو النفط العرب أن يدفعوا وتيرة أزمة الطاقة في الغرب، وأرغموا الغرب على تعديل سياساته، ولو باتجاه التلاؤم مع المصالح العربية، وبواسطة رفع أسعار النفط إلى حد الذي جعل ميزان مدفوعات البلدان الأوروبية والغربية، واليابان عرضة للخطر، فأفهم طرحاً على الحك التضامن الاقتصادي الغربي، وقدرة النظام الدولي على التكيف مع إمكانية توفر فوائض ضخمة في أيدي منتجي النفط. وقد أثبتت الزيادات التي طرأت على أسعار النفط أن منتجي النفط قادرون على التحكم في سوق النفط^٢.

لقد أصبحت المنطقة العربية من أهم المناطق للسياسة الأمريكية كونها نقطة التقاط القارات الثلاث أوروبا، وإفريقيا، وآسيا، وتعد الممر البحري، والجوي، والبري بين أوربا الغربية، والدول الصديقة خلف شمال الأطلسي، كونها محاذية للجناح الجنوبي من الحلف المذكور من جهةه، وقريبة من الاتحاد السوفيتي، وكون دولة المطلة على المحيط الهندي ذات موقع مهم في قوس الأزمات الذي اكتسب آنذاك أهمية خاصة للولايات المتحدة، ولكن الأهم من ذلك هو غنى المنطقة العربية بالنفط الذي يشكل نحو ٦٥٪ من احتياطي النفط العالمي، وإن ذلك أخذ يتطلب أيجاد تسهيلات وقواعد عسكرية في نقاط مختلفة من قوس الأزمات، بغية حماية الخطوط البحرية التي يمر عبرها النفط إلى

^١ - المصدر نفسه، ص ٤٤٢-٤٢٢.

^٢ - المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية، المسح الاستراتيجي ١٩٧٣، حرب تشرين وقضايا استراتيجية دولية، ترجمة: بيار عقل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧، ص ٥٣-٥٤.

حلفاء الولايات المتحدة، والمعنى تحديداً مضيق هرمز، والبحر الأحمر، والخطوط البحرية إلى اليابان^١.

لقد رأى الرئيس المصري الراحل أنور السادات أن مفتاح الحل لمشكلة الصراع العربي - الإسرائيلي هي بيد الولايات المتحدة، فقرر المضي في سياسة التسوية مع إسرائيل، ووقع معها معااهدة السلام في العام ١٩٧٩، بمساعي أمريكية مما أدى إلى عزل مصر من دائرة الصراع العربي - الإسرائيلي، وإضعاف الرادع العربي لإسرائيل، والتسوية كانت أمريكية خالصة ، إذ أبعدت الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتي عنها، وكانت الولايات المتحدة تعمل على أساس خيارين رئيسين هما أولاً: أبقاء إسرائيل متوفقة على أي احتمال تجميع قوى عربية، وثانياً ردع البلدان العربية من اللجوء إلى الخيار العسكري لإنهاك تغيير في ميزان القوى العربي - الإسرائيلي^٢ ، أما السوفيت فقد عملوا على تبني إستراتيجية تهدف إلى مقاومة محاولات الولايات المتحدة لإخراجهم من المنطقة من جهة، والوقوف إلى جانب دعم العرب في القضية الفلسطينية من جهة أخرى، وحاول السوفيت الاستفادة دائمًا من توتر العلاقات الأمريكية - العربية في مجال الصراع العربي - الإسرائيلي لتحقيق بعض المكاسب على الصعيد العربي^٣.

رابعاً: العلاقات الدولية في الخليج العربي:

حدثت تطورات سياسية مهمة في أواخر السبعينيات في منطقة الخليج العربي تتمثل في الثورة الإسلامية في إيران في العام ١٩٧٩ ، والتي كانت ضربة للسياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي بأسرها، ودمرت ضلعاً مهمَا في العديد من المخالفات العسكرية الأمريكية، وترتيبات الأمن التي أقامتها الولايات المتحدة في الشرق الأوسط منذ الخمسينيات، وكذلك حدث التدخل العسكري السوفيتي في أفغانستان في ٢٧ كانون الأول من العام ١٩٧٩ ، واندلعت الحرب العراقية - الإيرانية في العام ١٩٨٠ ، والتي أثبتت جريان الأحداث فيما بعد أنها واحدة من أطول حروب الاستنزاف الإقليمية، وأكثر كلفة ، وكذلك شهدت المنطقة إقامة مجلس التعاون الخليجي في مطلع العام ١٩٨١ ، والذي كان بمثابة رد على بعض التحديات المذكورة آنفاً والأزمة الحادة

^١ - د. ناصيف يوسف حتى، القوى الخمس الكبرى والوطن العربي، دراسة مستقبلية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧، ص ٢٨-٢٩.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٤٤.

^٣ - المصدر نفسه، ص ٦٧-٦٨.

التي تعرضت لها منظمة الأقطار المصدرة للنفط. وبعد انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج العربي قبل نهاية العام ١٩٧١، تولت الولايات المتحدة ملء الفراغ الناجم عن ذلك، وفي ٣٠ تشرين الثاني من العام ١٩٧١، أي قبل يوم واحد من إهانة بريطانيا لائزماها في الخليج قام شاه إيران باحتلال الجزر العربية الثلاث في الخليج العربي، طنب الكبرى، وطنب الصغرى، وأبو موسى وكانت الولايات المتحدة تخشى من النفوذ السوفييتي في منطقة الخليج العربي الذي نجم عن الثورة الإيرانية في العام ١٩٧٩، وكذلك من الدور المتزايد للسوفيت في العراق اثر توقيع معاهدة الصداقة والتعاون في ٩ نيسان من العام ١٩٧٢، وب بدأت إيران في استظهار قوتها اثر ذلك، وكان شاه إيران قد ألغى من طرف واحد في العام ١٩٦٩، اتفاقية العام ١٩٣٧، بين إيران والعراق، والتي تنظم حقوق الملاحة في شط العرب، وقد أنابت الولايات المتحدة بموجب مبدأ نيكسون لإيران دور أساسي في عملية الدفاع عن امن الخليج العربي، وذلك عن طريق تسليحها بحيث تصبح قوة عسكرية إقليمية كبرى، وقد أعفيت إيران من أي قيود تحد من حريتها في الحصول على السلاح الذي تريده من الولايات المتحدة، وتبع ذلك التوصل إلى اتفاق مع الولايات المتحدة في العام ١٩٧٢، والذي كان بمثابة حجر الزاوية في تطوير هذه المسئولية بين الدولتين فيما يخص بالدفاع عن امن الخليج العربي، وسعت الولايات المتحدة إلى عدم تعكين الاتحاد السوفييتي من تحقيق تفوق عسكري استراتيجي في المحيط الهندي نظراً لأن هذا التفوق في حالة حدوثه كان لابد، وأن يميل بالميزان الاستراتيجي العالمي في غير مصلحة الولايات المتحدة، والتحالف الغربي عموماً، ويعمل هذا التصميم على تعزيز القدرات الإستراتيجية المتاحة للولايات المتحدة في المحيط الهندي لعدم تعكين الاتحاد السوفييتي من خلق أوضاع مضادة للمصالح الغربية الحيوية في هذه المنطقة، وهو الذي يفسر السبب كما يقول بعض المحللين وراء حلول الولايات المتحدة محل بريطانيا في قاعدة ديفغو غارسيا التي تعتبر أهم جزر المحيط الهندي أطلاقاً^١.

لقد كان للاتحاد السوفييتي أدواته التي ساعدته للوصول إلى الخليج، وبخاصة مشترياته من الغاز الطبيعي من إيران، ومبادراته من الأسلحة إذ أراد السوفييت أن يظل عداء النظام السياسي في إيران منصباً بأكمله على الولايات المتحدة، لأن ذلك يسهل نسبياً من مهمة القوى اليسارية في إيران، وهي القوى التي دخلت مرحلة التحالف

^١ - د.إسماعيل صبري مقلد، امن الخليج وتحديات الصراع الدولي، شركة الريبعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٤، ص ١١-١٧، وص ٣٥-٣٧.

المرحلي في النظام الإيراني ضد خصومه، ولذلك فقد حرص السوفيت على تجنب استفزاز النظام الإيراني بدعم مفتوح يقدمونه للعراق، وأرادوا أن يثبتوا للإيرانيين عملياً انه رغم معاهدهم مع العراق فقد امتهوا عن تزويديه بالسلاح حتى لا يكون أداته في غزو إيران، واحتلال أراضيها، وتفكيك لكيانها. كما أراد السوفيت أن يثبتوا للنظام الإيراني انه لم يكن ثمة خوف منهم على إيران، وإنهم لا يشكلون تهدداً لأنها بوجودهم في أفغانستان كما حاولت الولايات المتحدة أن تصور الأمور لهم^١.

لقد كانت الحرب العراقية- الإيرانية توفر للولايات المتحدة مخاطر التدخل العسكري المباشر ضد إيران لإسقاط نظام الحكم فيها بسبب توجهاته العدائية ضدها، إذ خلق التدخل الأمريكي غير المباشر لإسقاط مصدق، وإعادة تنصيب الشاه في العام ١٩٥٣، شعوراً بالماراة لدى الإيرانيين، إذ كان البديل الأرخص كلفة، والأقل مخاطرة في أوضاع إقليمية ودولية بالغة الحساسية، والتشابك والتعقيد كان ترك الثورة الإيرانية تضعف وتختسر، إذ لم يكن من مصلحة الولايات المتحدة انتصار أحد الطرفين، وإنما كان هدفها إضعاف الاثنين معاً^٢، وبالنظر للخسائر البشرية والمادية التي سببتها الحرب فقد تم قبول وقف إطلاق النار في ٨ آب العام ١٩٨٨.

وفي توز من العام ١٩٩٠، أقام العراق الكويت بأنها قد انتهت فرصة انشغاله في الحرب العراقية- الإيرانية لضخ كميات من النفط من حقول تقع على الحدود بين الدولتين، وإنما تنتج كميات من النفط تتجاوز الحصة المحددة لها طبقاً لمنظمة الأوبك مما يؤدي إلى خفض أسعار النفط، ويضر بعوائد تصدير النفط العراقي. وقد قام العراق بتبعة قواته على الحدود مع الكويت، ومن أجل تلافي الموقف الحرج تدخلت مصر وال السعودية للوساطة بين الدولتين، وبالفعل تم عقد جلسة محادثات بين المسؤولين العراقيين وال سعوديين في جدة في آب من العام ١٩٩٠، ولكن تلك الجلسة انتهت دون التوصل إلى اتفاق سوى عقد جلسة محادثات أخرى في بغداد، وفي اليوم التالي المصادر ٢ آب من نفس العام، قام العراق بغزو شامل لل الكويت انتهت باحتلالها بالكامل . وقد اصدر مجلس الأمن قرار يدانة الغزو، ومطالبة إيران بالانسحاب الكامل، وإعادة الحكومة الشرعية، وفي قرار آخر تم فرض عقوبات اقتصادية، ولكن العراق بادر بالإعلان عن استعداده للانسحاب من الكويت إذا ما ضغطت الدول الغربية على

^١ - المصدر نفسه، ص ٢١٤-٢١٢.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٩٩-٢٠٠.

إسرائيل أيضاً للانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها في العام ١٩٦٧، وذلك في مبادرة أعلنها في ١٢ أب من العام ١٩٩٠، ولما لم ينسحب العراق من الكويت، بادر إلى إعلانها تابعة له اصدر مجلس الأمن القرار ٦٧٨، الذي يخول الدول الأعضاء استعمال كافة الوسائل الضرورية لـإجبار العراق على الخروج من الكويت، إذا بقيت القوات العراقية فيها بعد ١٥ كانون الثاني من العام ١٩٩١، وقد حشدت الولايات المتحدة قوة عسكرية ضخمة أمريكية، ومن عدد كبير من الدول أطلق عليها بقوات التحالف، ولما لم يطبق العراق هذا القرار تم استخدام القوة العسكرية في ١٧ كانون الثاني من العام ١٩٩١، وحيث تم إخراج العراق من الكويت بعد ٤٢ يوماً من القصف الجوي أعقابه قتال بري مما أدى إلى سحب القوات العراقية من الكويت، وفي ٢٦ شباط من العام ١٩٩١، أعلنت الولايات المتحدة، وقوات التحالف عن وقف إطلاق النار. كما اصدر مجلس الأمن القرار ٦٧٨ في ٢ نيسان من العام ١٩٩١، وحدد فيه شروطاً لرفع العقوبات عن العراق أهمها، قبول العراق دفع تعويضات للمتضررين من الحرب، وتدمير أسلحة الدمار الشامل، الكيماوية، والبيولوجية، والصواريخ التي يتجاوز مداها ١٥٠ كم والتخلص عن برامج التسلیح النووي، وقبول التفتيش الدولي للتأكد من الاستجابة لتلك المطالب. وقد قبل العراق بهذا القرار، وترجع أهمية حرب الخليج الثانية أنها أدخلت العالم عصر الصعود الأمريكي، والتراجع السوفيتي، والذي انتهى بسقوط الكتلة الشرقية، والاتحاد السوفيتي، وأوضحت الأزمة إن الاتحاد السوفيتي لم يعد عاملاً مؤثراً في تلك السياسة فقد فشل في إقناع الحكومة العراقية بالانسحاب من الكويت وفشل كذلك في منع نشوب الحرب، وفي التوسط لإنهائها حينما نشب^١.

^١ - د. محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤٧-٦٤٩.

تطور حركة عدم الانحياز

حركة عدم الانحياز هي السياسة التي اتبعتها الدول النامية خلال الحرب الباردة تعبيراً عن رفض الارتباط بعجلة المعمكرين الغربي والشرقي، وسرعان ما أصبحت ركناً أساسياً من أركان السياسة الخارجية للدول النامية، ويرى البعض بأن حركة عدم الانحياز هي رد فعل على الحرب الباردة، في حين ينكر آخرون ذلك، ويرون بأن جذور عدم الانحياز هي أكثر عمقاً لأنها تلي طموحات عدد كبير من الشعوب المتحررة من الاستعمار في نيل الحرية والاستقلال، ورفض التبعية للكتل المتصارعة.^١

وبالرغم من إن التأسيس الرسمي للحركة يتجسد في مؤتمرها الأول المنعقد في بلغراد في أيلول من العام ١٩٦١، إلا أن نشوئها كظاهرة يمتد إلى ما قبل ذلك ، وفي هذا الصدد يختلف المعنيون حول تاريخ نشوء الحركة، فمنهم من يرجع نشوئها إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، ومنهم من يرى أن جذورها تمتد إلى عشرينات هذا القرن، إذ نشطت الحركة المناهضة للاستعمار في الأقاليم المستعمرة، ومنهم من يرجع جذورها إلى مؤتمر باندونغ في العام ١٩٥٥.^٢

ومن الناحية الفعلية فعلى الرغم من كون مؤتمر باندونغ مؤتمراً افر وآسيوياً، فإنه قد أدى دوراً لا يمكن نكرانه في دفع حركة عدم الانحياز إلى الظهور، كما سترى لاحقاً، ولكننا في الوقت نفسه يجب إلا نحمل مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وما رافقتها من تطورات سياسية تزامنت مع ظهور الحرب الباردة، وظهور الدول المستقلة في مسرح السياسة الدولية، وما يؤكّد على ذلك هو قول د. بطرس بطرس غالى بان أول أشارة رسمية إلى سياسة عدم الانحياز تكمن في تصريح رئيس وزراء الهند الراحل جوهر لال هنرو حينما كان وزيراً خارجية بلاده، والذي قال فيه إن سياسة الهند هي الابتعاد عن سياسة القوى التي تتبعها الكتل المتصارعة ببعضها عن بعض.^٣

^١ - د. سعد حقي توفيق، مبادئ العلاقات الدولية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٠، ص ٣٥٥.

^٢ - د. سعد حقي توفيق، نشوء حركة عدم الانحياز، مجلة العلوم السياسية، العدد الأول، آذار ١٩٨٨، ص ١٦٤.

^٣ - د. بطرس بطرس غالى، سياسة عدم الانحياز بعد التصالح الأمريكي-sovieti، مجلة السياسة الدولية، العدد ٣١، يناير ١٩٧٣، ص ١٦.

وفي العام ١٩٤٦، وفي مصر كان أول تعبير رسمي عن الحياد المصري هو تصريح المندوب المصري في الأمم المتحدة د. محمد فوزي عندما امتنع عن التصويت عند أخذ الرأي في القرار الأمريكي الذي طلب من الأمم المتحدة التدخل لحماية كوريا الجنوبية في ٣٠ حزيران من العام ١٩٥٠^١، وكذلك ما أعلنه الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر في ٢٩ تموز من العام ١٩٥٤^٢..، بان اهدف الثاني بعد الجلاء هو عدم الارتباط بأي حلف أو بالدفاع المشترك^٣، المؤشرات السياسية الإقليمية:

لقد ساهم في نضج حركة عدم الانحياز عقد عدد من المؤتمرات التي عقدت على الصعيد الإقليمي الآسيوي، والتي كان لها أثراً فعالاً في ظهور عدم الانحياز:
مؤتمر نيودلهي الأول: مؤتمر العلاقات الآسيوية الأول في ٢٣ آذار - نيسان من العام ١٩٤٧: عقد في نيودلهي بدعوة من حزب المؤتمر الهندي، وذلك قبل عدة أشهر من استقلال الهند، وحضرته عدة حركات سياسية آسيوية، وعدد من المندوبين الذين يمثلون بعض دول العالم، ومنها الاتحاد السوفياتي، وأوروبا الغربية، وكان اهدف الأساسي من عقده هو الدعوة لتحقيق الاستقلال السياسي، والحصول على الحقوق، والمناداة بالحرية على الصعيد الدولي^٤ وكان من ابرز نتائجه هو تعزيز الشعور بالتضامن عند شعوب آسيا، إذ كون ركيزة جديدة وهي جمعية العلاقات الآسيوية، إذ يعد هذا المؤتمر الأساس في نشوء حركة عدم الانحياز^٥..

مؤتمر نيودلهي الثاني في ٢٠-٢٣ كانون الثاني العام ١٩٤٩: عقد في نيودلهي بعد استقلال الهند، وحضره عدد كبير من حكومات آسيا، وبعض حكومات أفريقيا فضلاً عن استراليا، واهتم بمناقشة قضايا الاستقلال، وابرز قضية استقلال إندونيسيا، وتخصّ عنه تأسيس المجموعة الأفراسيوية في الأمم المتحدة^٦.

^١ د. فؤاد المرسي، العلاقات المصرية - السوفيتية ١٩٤٣-١٩٥٦، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٠٢.

^٢ د. سامي منصور، المؤتمر الثلاثي لدول عدم الانحياز، السياسة الدولية، العدد ٦، أكتوبر ١٩٦٦، ص ٤٥.

^٣ - Pierre Queuille 'Histoire de Pafroasiatisme jusqua Bandoung' ed Payot, Paris, 1965, p.86

^٤ - I bid, p.87.

^٥ - I bid, p.89.

مؤتمر كولومبو ٥ نيسان العام ١٩٥٤ : عقد من قبل خمس دول آسيوية وهي بورما، وسريلانكا، الهند، واندونيسيا، والباكستان، في كولومبو عاصمة سريلانكا بدعوة من حكومتها، وتدارس المؤتمر المخاطر الناجمة عن توسيع الحرب في الهند الصينية، ومسألة انضمام الصين إلى الأمم المتحدة، وقد رأت الدول الخمس بان مثل هذه المواقف التي هي على درجة بالغة من الأهمية لا يمكن مناقشتها من قبل عدد محدود من الدول، وإنما يجب أن تناقش من قبل مؤتمر عام للدول الإفريقية والآسيوية المستقلة، وهكذا تقرر عقد المؤتمر في مدينة باندونغ في اندونيسيا.^١

الاتفاق الهندي - الصيني ٢٩ نيسان العام ١٩٥٤ : عقد بين رئيس وزراء الهند الراحل هرو، ورئيس وزراء الصين الراحل شوان لاي، وهو يتضمن المبادئ الخمسة، والتي أصبح لها أهمية بالنسبة لجواهر عدم الانحياز، كما استقى منها مؤتمر باندونغ مبادئه، وتسمى بالبانشاشلا وهي^٢ :-

١. الاحترام المتبادل للسيادة والسلامة الإقليمية.
٢. عدم الاعتداء المتبادل.
٣. عدم التدخل في الشؤون الداخلية.
٤. التكافؤ، والمنفعة المتبادلة.
٥. التعايش السلمي.

مؤتمر بوکور ٢٨-٢٩ كانون الأول العام ١٩٥٤ : ي يعد المؤتمر التحضيري لمؤتمر باندونغ وفيه تم تحديد الدول المراد دعوتها لحضور مؤتمر باندونغ، وإعداد جداول الأعمال^٣.

مؤتمر باندونغ ١٨-٢٤ نيسان العام ١٩٥٥ : عقد هذا المؤتمر في مدينة باندونغ في اندونيسيا، وهو مؤتمر افروآسيوي حضرته تسعة وعشرون دولة إفريقية وأسيوية. وقد قام المؤتمر على الأسس الآتية:-
قام المؤتمر على أساس الانتماء الجغرافي ، إذ شاركت فيه الدول الإفريقية والأسيوية فقط.

^١ - I bid, p.275.

^٢ - ديفطرس غالى، أبعاد الأيديولوجية الافروآسيوية، السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ابريل ١٩٦٨ ، ص ١٢-١٣.

^٣ - Pierre Queuille, op.cit p278.

من بين تسع وعشرين دولة مشاركة كانت هناك ثلاثة وعشرون دولة آسيوية، في حين شاركت فيه ست دول افريقية فقط، مما حدا بالبعض بان يطلق عليه بان مؤتمر آسيوي أكثر منه أفريقي.

إن عدداً كبيراً من الدول المشاركة فيه كان تستلم مساعدات من الدول الغربية، وخصوصاً مساعدات عسكرية واقتصادية.

عقد المؤتمر على مستوى عال، إذ شارك فيه رؤساء وزراء سبع عشرة دولة، ووزراء خارجية سبع دول وثلاثة أمراء.

وقد تدارس أعضاء المؤتمر قضايا الاستعمار، وحق تقرير المصير، والتعاون الاقتصادي والثقافي الافروآسيوي، ولم يكن هذا المؤتمر مؤثراً لعدم الانحياز، ولكن اللا انحيازية رأت روحها فيه، وذلك عن طريق الجدل الفقهي، والأخذ والرد، والمناقشات التي سادت أجواء المؤتمرين وبوز تيارين في المؤتمر، التيار الأول وتدعيمه الدول المرتبطة بالأحلاف، والمنحازة، والتيار الآخر وتدعيمه الدول غير المرتبطة بالأحلاف العسكرية.

إن المبررات التي طرحتها رؤساء الهند، ومصر، واندونيسيا، والتي بررت رفضهم الارتباط بالأحلاف العسكرية كانت تجسد جوهر عدم الانحياز¹، إذ أشار رئيس وزراء الهند الراحل هنرو إلى مدى الاهانة التي تتعرض لها أية دولة من دول العالم الثالث، وذلك حينما تقبل أن تدور في فلك أي من المعسكرين المتناهضين².

وقد اقر المؤتمر عشرة مبادئ كان لها أهمية في تجسيد حركة عدم الانحياز، إذ استلهمت نصوصها من مبادئه، وهي³:-

١. احترام حقوق الإنسان وفقاً لأهداف ومبادئ الأمم المتحدة.
٢. احترام سيادة جميع الأمم وسلامة أراضيها.
٣. الاعتراف بالمساواة بين جميع الأجناس والأمم.
٤. الامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية لبلد آخر.
٥. احترام حق كل امة في الدفاع عن نفسها انفرادياً وجماعياً وفقاً لميثاق الأمم المتحدة.

¹ - Odette Guitard 'Bandoung et le reveil des peuples colnises' ed P.U.f., Que-sais-je, Paris, 1969, p.30-37.

² - دبطرس غالى، مصدر سابق ذكره، ص ١٨.

³ - Odette Guitard, op-cit, p41-42.

٦. الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى، والكف عن استخدام وسائل الضغط على أي بلد.
٧. تجنب استخدام العنف ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لاي بلد أو التهديد بالعدوان.
٨. تسوية جميع المنازعات الدولية بالطرق السلمية، كالمفاوضة أو التوفيق أو التحكيم أو التسوية القضائية أو أية وسيلة أخرى يختارها أطراف النزاع طبقاً لميثاق الأمم المتحدة.
٩. تنمية المصالح المشتركة، والتعاون المتبادل.
١٠. احترام العدالة والالتزامات الدولية.

مؤتمر بريويني في ١٨ تموز العام ١٩٥٦ : عقد هذا المؤتمر بين الرؤساء تيتو، وهررو، وعبد الناصر في جزيرة بريويني التابعة ليوغسلافيا بعد مضي أكثر من عام على انعقاد مؤتمر باندونغ، ويعدّ بريويني حلقة وصل بين مؤتمر باندونغ، ومؤتمر قمة عدم الانحياز الأول في بلغراد، وأسهم في نقل حركة عدم الانحياز إلى خارج آسيا وأفريقيا نتيجة انضمام يوغسلافيا إليها، وأصبح عدم الانحياز سياسة يمكن أن يعتنقها أي نظام سياسي بغض النظر عن العقيدة التي يعتنقها، وأكد على أن سياسة عدم الانحياز لا تقتصر على الدول التي تخلصت من دائرة النفوذ الغربي، ولكنها تشمل أيضاً الدول التي تخلصت من دائرة النفوذ السوفيتي أيضاً.^١

مؤتمرات القمة: تعقد الحركة مؤتمر قمة مرة واحدة كل ثلاث سنوات، يحضره رؤساء الدول، وتكون الدولة المضيفة للمؤتمر رئيسة للحركة خلال هذه المدة، ومؤتمرات قمة الحركة:

١. مؤتمر بلغراد الأول أيلول ١٩٦١.
٢. مؤتمر القاهرة تشرين الأول ١٩٦٤.
٣. مؤتمر لوساكا أيلول ١٩٧٠.
٤. مؤتمر الجزائر أيلول ١٩٧٣.
٥. مؤتمر كولومبو آب ١٩٧٦.
٦. مؤتمر هافانا أيلول ١٩٧٩.

^١- د.بطرس غالى، سياسة عدم الانحياز بعد لتصالح الأمريكي- السوفيتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

٧. مؤتمر نيودلهي آذار ١٩٨٣.
٨. مؤتمر هراري أيلول ١٩٨٦.
٩. مؤتمر بلغراد أيلول ١٩٨٩.
١٠. مؤتمر جاكرتا أيلول ١٩٩٢.

ثانياً: موقف الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة من حركة عدم الانحياز
أ- موقف الاتحاد السوفيتي من الحركة:

لقد أنكر الاتحاد السوفيتي أمكانية قيام طريق ثالث خلال مدة حكم ستالين وعدت دول عدم الانحياز بمثابة شبه مستعمرات تحركها الدول الاستعمارية سابقاً. إن الانشقاقاليوغسلافي عن الاتحاد السوفيتي قد أسهم في زيادة الخوف من قيام عدد من الدول بقطع صلامها مع الاتحاد السوفيتي، ولكن تبني الاتحاد السوفيتي لمسألة التعايش السلمي ابتداءً من حزيران من العام ١٩٥٥، ومساعيه للتفويق مع يوغسلافيا عدل كثيراً من أفكاره^١.

وبدون شك كان للإدانة التي تعرض لها السوفيت في باندونغ اثر لا يمكن نكرانه في دفع عجلة تغيير سياساته، وتحت هذا الإطار قام كل من خروشوف، وبولكانيين بزيارة إلى بعض دول آسيا أواخر العام ١٩٥٥، ولكن كان للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي المنعقد في شباط من العام ١٩٥٦، تأثير مهم في سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية حينما تم الاعتراف بالدور الفعال الذي تؤديه دول آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وان التماثل في الأهداف بين هذه الدول، ودول المعسكر الاشتراكي في البحث المشترك عن السلام، ومعارضة الحروب بشكل احـد جوانب التقارب بين الاثنين^٢.

ومنذ ذلك الوقت أخذ السوفيت يؤيدون البرجوازيات الوطنية التي تمارس دوراً إيجابياً في حركة التحرر، وقام في تشرين الثاني من العام ١٩٦٠، وخلال مؤتمر الأحزاب الشيوعية المنعقد في موسكو بتقديم الدعم المبدئي إلى البلدان المناضلة ضد الاستعمار، وما شجع السوفيت على دعم بلدان عدم الانحياز هو الصراع الصهيوني-ال Soviétique، وقطع الطريق على الغرب لتحقيق أية مكاسب بشأن علاقتها مع دول عدم

¹ - Engene Berg 'Non- alignment et nouvel Ordre Mondial' P.U.F, Paris, 1980, p.146.

² - I bid, p146.

الانحياز التي تناهض الاستعمار، والامبرالية، والتمييز العنصري، وتصوت إلى جانب هذه القضايا في الأمم المتحدة. وبدون شك، فإن الدول غير المنحازة كانت تشعر بأنها أكثر قرباً من الاتحاد السوفيتي أيديولوجياً وسياسياً واقتصادياً عن الغرب، وكان السوفيت يعتقدون بان الاشتراكية العالمية كانت الخليفة الأكثر وثوقاً لدول عدم الانحياز. وقد أشرت السبعينات مرحلة جديدة في العلاقات بين الاتحاد السوفيتي، ودول الانحياز. وقد أشارت السبعينات مرحلة جديدة في العلاقات بين الاتحاد السوفيتي، ودول الانحياز بسبب العودة إلى سياسة إقامة الأحلاف، ولاسيما في آسيا وأفريقيا بعد زيادة حلفائه في هذه المناطق^١، والأكثر من ذلك اضعف التدخل السوفيتي في أفغانستان من مركز الاتحاد السوفيتي عند بلدان عدم الانحياز رغم محاولته مد جسور من الثقة، والتأثير والنفوذ إلى داخل الحركة عبر حلفائه، وأصدقائه^٢، فمن خلال كوبا سعى الاتحاد السوفيتي إلى الولوج إلى الحركة والتأثير فيها فقد دخلت إلى الحركة بلدان راديكالية موالية له مثل فيتنام، وكوريا الشمالية، وانغولا، وأثيوبيا^٣.

ب- موقف الولايات المتحدة من الحركة:

لم تكن الولايات المتحدة مستعدة خلال السنوات الخمسينية لقبول خط سياسي مستقل، والذي هو في نظرهم أسلوب في أضعاف المعسكر الغربي، وهذا، فهي عارضت في البداية حركة عدم الانحياز، إذ أدان جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق سياسة عدم الانحياز، وعددها لا أخلاقية وقصيرة النظر، وكان يعتقد من الوهم بان بلد ما قادر على ضمان أمنه عندما يكون غير مكترث بمصير الآخرين^٤، ولم تكن وجهة النظر هذه مقتصرة على دالاس وحده، بل شاركه في ذلك كل من الرئيس الأمريكي الأسبق أيزنهاور، ونائبه ريتشارد نيكسون^٥، وأصبح واضحاً بان الولايات المتحدة تعتبر عدم الانحياز، على المدى الطويل موقفاً يتأثر بشكل أساسى في قدرة الدول الحديثة على الاستمرار في الحرب الباردة^٦، وحينما جاء الرئيس كينيدي حدث تحول في سياسة الولايات المتحدة تجاه الحركة. فقد اعترفت بالعطاء الایجابي الذي يمكن أن تقدمه

^١ - Daniel collard ' Le Mouvement des pays non-alignes ' La documentation Francaise, Paris, 1981, p93.

^٢ - Eugene Berg, op-cit, p. 147.

^٣ - درية شفيق بسيوني، عدم الانحياز بين تجريد المبادئ، وديناميكية الحركة، السياسة الدولية، العدد ٩٦، ابريل ١٩٨٩ ، ص ٣٠.

^٤ - Eugene Berg, op-cit, p144.

^٥ - Daniel collard 'le mouvement des pays non-alignes' op- cit, p92.

^٦ - Ibid, p.92.

بلدان عدم الانحياز حل المشكلات العالمية وظهر هناك أحساس يشير بان عدم الانحياز لا يساوي، ويشكل تلقائي خطأً موالياً للشيوعية، ويرى البعض بان التغيير في الموقف الأمريكي ما هو إلا تغيير سطحي، لأن الولايات المتحدة مع ذلك لم تعرف لدى عدم الانحياز بحق التصرف كلاعب جماعي في السياسة الدولية^١.

وبدون شك كانت بلدان عدم الانحياز تشعر ببرية تجاه الولايات المتحدة بسبب مساعي واشنطن لإدخالها ضمن إطار أحلافها التي إقامتها من أجل مقاومة النفوذ السوفيتي، فالبلدان غير المتحازة، ولأسباب إيديولوجية، وسياسية، واقتصادية قد برهنت بعض التعاطف، ومودة أكبر تجاه الشرق من الغرب طبقاً لما كانت تقول واشنطن "من لم يكن معنا، فهو ضدنا" حينما كان القادة الأمريكيون يمارسون سياسة الاحتواء^٢.

لقد كان موقف الولايات المتحدة تجاه حركة عدم الانحياز يتميز بالازدواجية والتذبذب، لأنها من جهة كانت تمتلك علاقات تجارية واسعة مع عدد كبير من بلدان الحركة، فحجم تجاراتها الخارجية مع هذه البلدان كان يبلغ عشرة أمثال حجم تجارة الاتحاد السوفيتي معها. أما بالنسبة لمعوناتها، فكانت تبلغ أربعة أمثال المعونات السوفيتية، ولكن الولايات المتحدة كانت تفضل التعامل مع دول الحركة بأسلوب العلاقات الثنائية عكس الاتحاد السوفيتي الذي كان يفضل التعامل الجماعي مع الحركة^٣، وكان لهذا الفضل في تحقيق نجاحه مع دول الحركة ، ومن جهة أخرى، فإن الولايات المتحدة بقيت تعامل مع الحركة بحذر شديد، فكانت تتقارب معها وتوجه لها الانتقادات أحياناً أخرى، وفي خلال الحرب الباردة كانت البلدان غير المتحازة لا تكن مشاعر تتسم بالود حيال الولايات المتحدة بسبب رغبتها في إدخال هذه البلدان في أحلافها، وكانت الولايات المتحدة ترى بان هذه الحركة ذات تكوين هش وضعيف، وان دورها ذو تأثير محدود، وإنما مجرد إطار للتقاء زعماء العالم الثالث بقصد تبادل الآراء دون أن يترتب على هذه اللقاءات مسؤوليات ملزمة^٤.

إلا أن الأخطر من كل ذلك هو موقف دول الحركة الرافض للتدخل الأمريكي في فيتنام والداعي إلى سحب القوات الأمريكية منها كان يشكل عقبة قبلة السياسة

¹ - Eugene Berg, op- cit, p144.

² - Daniel collard ' ; le movement des pays non- alignes op- cit ,p.93.

³ - درية شفيق بسيوني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠ ، وكذلك انظر، Eugene Berg ,op- cit,

p.144.

⁴ - المصدر نفسه، ص ٣٠ .

الأمريكية مما أدى إلى سخط دول الحركة على الولايات المتحدة ساعدها في ذلك دورها في كوبا والدومينican، والكونغو، وما زاد من الحال سوءاً هو الحظر النفطي لعام ١٩٧٣، والذي بين مدى تضارب المصالح الأمريكية مع مصالح حلفائها الأوروبيين المؤيدin لقمة الجزائر في العام ١٩٧٣، وفي مطالبتها بإقامة نظام اقتصادي دولي جديد^١، ومع حلول مؤتمر كولومبو في العام ١٩٧٦، حدثت تطورات جديدة لمصلحة الولايات المتحدة حينما انتقلت رئاسة الحركة إلى سريلانكا، والتي كانت تعد دولة معتدلة في نظر الحكومة الأمريكية، فدخلت إدارة فورد في مباحثات مع دول لها ثقلها في الحركة قبيل انعقاد قمة كولومبو، وعندما جاءت إدارة كارتر كانت هناك مساع أمريكيّة حثيثة لتحسين العلاقات مع دول الحركة، وحاوت إدارة ريغان أن توظف الحركة التي كانت تطالب بانسحاب السوفيت من أفغانستان، والذي كان هو أيضاً مطلباً أمريكياً ملحاً^٢.

والحق، إن التطور في الموقف الأمريكي لم يظهر تجاه عدم الانحياز إلا بعد دخول العمالقين في سياسة الوفاق الدولي، لأن ديناميكية التنافس الأمريكي - السوفيتي قد منعت إعطاء حكم صائب على دبلوماسية عدم الانحياز، فقد استوجب انتظار حدوث الوفاق بين الشرق والغرب، وتفاقم التراّع الصيني - السوفيتي من أجل أن تعيد الولايات المتحدة النظر في موقفها.

إن التحول في الموقف الأمريكي تجاه الحركة جاء نتيجة سلسلة من العوامل، منها ازدياد الحجم التصوّبي للبلدان عدم الانحياز في إطار الجمعية العام للأمم المتحدة نتيجة للزيادة العددية لهذه البلدان، وكذلك بسبب توسيع مساحات الصراع الإقليمي، وتشابك المصالح الدولية الناجمة عن ذلك^٣.

^١ - المصدر نفسه، ص ٣٣.
^٢ - المصدر نفسه، ص ٣٣.

^٣ - Daniel coard ' Le movement des pays non-alignes ' op- cit, p93.

المصادر

أولاً: الكتب باللغة العربية:

١. القرآن الكريم
٢. أبو زهرة، الإمام محمد "العلاقات الدولية في الإسلام"، دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، بلا تاريخ.
٣. إسحاق، محمد عبد العزيز "نهاية أفريقيا" الهيئة المصرية العام للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١.
٤. أغاخين وآخالدي، أحمد سامح، وجعفر قاسم "الصين، اليابان والشرق الأقصى" سلسلة الدراسات الإستراتيجية، العدد (١٤)، مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، لندن، ١٩٨٢.
٥. آل طويرش، د. موسى "تاريخ العلاقات الدولية من كيندي حتى غورباتشوف ١٩٦١ - ١٩٩١" شركة الحوراء للتجارة والطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠٥.
٦. الأدغمي، د. محمد مظفر "تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر" كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٨.
٧. الأمام علي بن أبي طالب (ع) "فتح البلاغة" جمعه الشريف الرضي، تقديم وشرح محمد عبده، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦.
٨. البطاينة، محمد ظيف الله "بحث في التاريخ الإسلامي" دار مجذلاوي، عمان، ١٩٨٣.
٩. الجميلي، د. خالد رشيد "أحكام الأخلاق والمعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون - الجزء الأول - من التشريع السياسي الإسلامي المقارن" دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٧.
١٠. الحديشي، د. خليل "النظام العربي وإصلاح جامعة الدول العربية" بيت الحكم، بغداد، ٢٠٠١.
١١. الحيالي، د. نزار إسماعيل "دور حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة" مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٣.
١٢. الحيدر آبادي، د. محمد حميد الله "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة" مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦.

١٣. الراشد، عبد الجليل رضا "العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس في القرنين الثاني والثالث الهجري" مطبوعات مكتبة النهضة، الرياض، ١٩٦٩.
١٤. الرئيس، د. محمد ضياء الدين "النظريات السياسية الإسلامية" ط٦، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٦.
١٥. السعيد، د. نعمة "المغرب العربي" دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩.
١٦. الشقيري، احمد "جامعة العربية: كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية" دار بوسالمة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس ١٩٧٩.
١٧. الصلاي، د. علي محمد "الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار" المجلد الأول والثاني - ط٢، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ٢٠٠٥.
١٨. الصلاي، د. علي محمد "سيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (رض): شخصيته وعصره" ط٢، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ٢٠٠٥.
١٩. الصمد، د. رياض "العلاقات الدولية في القرن العشرين - الجزء الأول: تطور الأحداث ما بين الحربين ١٩١٤-١٩٤٥" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، بلا تاريخ.
٢٠. الصمد، د. رياض "العلاقات الدولية في القرن العشرين - الجزء الثاني، لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية" المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.
٢١. العطار، د. حسن "الوطن العربي: دراسة مركزة لنطوراته السياسية الحديثة" مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٦.
٢٢. العكرة، د. ادونيس "من الدبلوماسية إلى الإستراتيجية: امثولات من الحرب الباردة" دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١.
٢٣. الفلاوي، د. سهيل "دبلوماسية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر" دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٤.
٢٤. الفهد، عبد الرزاق مطلوك "حركة التحرر الوطنية الأفريقية من بداية دخول السيطرة الغربية حتى الاستقلال" جامعة الموصل، ١٩٨٥.
٢٥. القاضي، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم "كتاب الخراج" المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٥٢ هجرية.

٢٦. المرسي، د. فؤاد "العلاقات المصرية - السوفيتية ١٩٤٣-١٩٥٦" دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٧.
٢٧. المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية "المسح الاستراتيجي ١٩٧٣: حرب تشرين وقضايا إستراتيجية دولية" ترجمة بيار عقل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧.
٢٨. المقرافي، د. ميلاد "تاريخ آسيا الحديث والمعاصر: شرق آسيا، الصين، اليابان، كوريا" منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ١٩٩٧.
٢٩. المنذري، زكي الدين عبد العظيم "الترغيب والترهيب" الجزء الثالث، دار الحديث ، القاهرة، بلا تاريخ.
٣٠. النعيمي، د. احمد نوري "السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية" دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥.
٣١. النعيمي، د. احمد نوري "تركيا وحلف شمال الأطلسي" المطبعة الوطنية، عمان . ١٩٨١،
٣٢. الوكيل، حسن خطاب "المعاهدات والمخالفات على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)" المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٩٣٠.
٣٣. اليوزبكي، د. توفيق سلطان "دراسات في النظم العربية والإسلامية" جامعة الموصل، ١٩٧٧.
٣٤. بيضون، د. إبراهيم "من دولة عمر إلى دولة عبد الملك: دراسة في تكوين الاتجاهات السياسية في القرن الأول الهجري" الناشر شهاب الدين، قم، إيران، ٢٠٠١.
٣٥. توفيق، د. سعد حقي "مبادئ العلاقات الدولية" دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠.
٣٦. حاطوم، د. نور الدين "تاريخ الحركات القومية - يقطنة القوميات الأوروبية والقومية الوطنية" دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٧.
٣٧. حاطوم، د. نور الدين "تاريخ الحركات القومية - يقطنة القوميات الأوروبية - الجزء الثاني - الحرية والقومية" دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٩.
٣٨. حاطوم، د. نور الدين "تاريخ الحركات القومية - يقطنة القوميات الأوروبية - الجزء الثالث - الوحدات القومية" دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٩.

٣٩. حافظ، حمدي "المشكلات العالمية المعاصرة" الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.
٤٠. حافظ، صلاح الدين "صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي" عالم المعرفة، الكويت، كانون الثاني، ١٩٨٢.
٤١. حتى، د.ناصيف يوسف "قوى الخمس الكبرى والوطن العربي: دراسة مستقبلية" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧.
٤٢. حسن، محمد عبد الغني "المعاهدات والمهادنات في تاريخ العرب" الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦.
٤٣. حماد، مجدي "جامعة الدول العربية: مدخل إلى المستقبل" عالم المعرفة (٢٩٩)، الكويت، ديسمبر ٢٠٠٣ - يناير ٤٢٠٠٤.
٤٤. خالد، محمد خالد "خلفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم)" ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.
٤٥. خدورى، د.مجيد "الصلات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلماں" مطبعة التفاصيص الأهلية، بغداد، ١٩٣٩.
٤٦. خدورى، د.مجيد "الحرب والسلم في شرعة الإسلام" الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣.
٤٧. خطاب، محمود شيت "الرسول القائد" منشورات مكتبة الحياة والنهضة، بغداد، ١٩٦٠.
٤٨. خطاب، محمود شيت "السفارات البوبية" مطبوعات الجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٩.
٤٩. داغر، كميل "الأمم المتحدة وموازين القوى المتحولة في الجمعية العامة" دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨.
٥٠. دروزة، محمد عزة "حول الحركة العربية الحديثة" المجلد الأول، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٤٩.
٥١. سعيد، د.عبد المنعم "الجماعة الأوروبية: تجربة التكامل والوحدة" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦.
٥٢. سليم، د.محمد السيد "تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين" دار الفجر الجديد للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨.

٥٣. شلي، د.السيد أمين "الوفاق الأمريكي - السوفيتي ١٩٦٣-١٩٧٦" الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١.
٥٤. شلي، د. السيد أمين "من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد" الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥.
٥٥. صالح، د. محمد محمد "تاريخ أوروبا في عصر النهضة و حتى الشورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩" دار الماحظ للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٢.
٥٦. صالح، د. محمد محمد ، عبد الكرييم، د. ياسين السامرائي، د. نوري "تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر" جامعة بغداد، كلية الآداب ، ١٩٨٥.
٥٧. عبد المنعم، د.أحمد فارس "جامعة الدول العربية ١٩٤٥-١٩٨٥: دراسة تاريخية سياسية، سلسلة الثقافة الجماهيرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦.
٥٨. عمر، د.عمر عبد العزيز" دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث " دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٩.
٥٩. فتح الباب، حسن "مقومات السفراء في الإسلام" دراسات في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد (١١٤)، أكتوبر ، القاهرة، ١٩٧٠.
٦٠. فرج الله، د.سعان بطرس "العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين " الجزء الأول، ط١، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٧٤.
٦١. فوده، د. عزا الدين "نظم الدبلوماسية " ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٨٩.
٦٢. كمال، د.محمد مصطفى وهراء، د. فؤاد "صنع القرار في الاتحاد الأوروبي والعلاقات العربية-الأوروبية" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١.
٦٣. محافظة، د.علي وآخرون "جامعة الدول العربية بين الواقع والطموح " مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣.
٦٤. مراد، د. خليل علي وحسن، جاسم محمد غفور، د. عبد الجبار قادر " دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر" جامعة الموصل، كلية التربية، ١٩٨٨.
٦٥. مقلد، د. إسماعيل صبري "امن الخليج وتحديات الصراع الدولي" شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٤.

٦٦. نافعة، د. حسن "الاتحاد الأوروبي والدروس المستفادة عربياً" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤.
٦٧. نسيبة، د. حازم زكي "القومية العربية: فكرها، نشأتها، وتطورها" ط٢، ترجمة عبد اللطيف شرار، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٢.
٦٨. نعمة، د. كاظم هاشم "العلاقات الدولية" كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٨٧.
٦٩. نعوني، د. عبد الجيد "تاريخ الدولة الأموية في الأندلس: التاريخ السياسي" دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦.
٧٠. نوار، د. عبد العزيز سليمان، ونعوني، د. عبد الجيد "التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية" الجزء الأول والجزء الثاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣.
٧١. نوري، موفق سالم "العلاقات العباسية - البيزنطية" ١٢٣-٢٤٧ هجرية، ٧٥٠-٨٦١ ميلادية - دراسة سياسية حضارية" دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.
٧٢. هيكل، محمد حسين "حياة محمد" مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣.
٧٣. هيكل، محمد حسين "الفاروق عمر" الجزء الأول والجزء الثاني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣.
- ثانياً: الكتب المترجمة:
١. آزادوفسكي، اندريه، "الولايات المتحدة وأفريقيا" ترجمة: عماد حاتم، مركز البحوث والدراسات لأفريقيا، ليبيا، ١٩٨١.
 ٢. اميروز، ستيفن "الارتقاء إلى العالمية: السياسة الخارجية الأمريكية منذ عام ١٩٣٨" ترجمة: نادية محمد الحسيني، مراجعة أ.د. ودودة بدران، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٤.
 ٣. بالمر، روبرت "تاريخ العالم الحديث: الجزء الأول: أوروبا من القرون الأولى حتى سنة ١٧٤٠" ترجمة: محمود حسين الأمين، مكتبة الوفاء، الموصل، ١٩٦٤.
 ٤. بالمر، روبرت "تاريخ العالم الحديث: الجزء الثاني: أوروبا من ١٧٤٠ إلى ١٨١٥" ترجمة: د. حسن على الذنون، مراجعة: د. جعفر خصباك، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٤.

٥. باون، كولن وموي بيتر" من الحرب الباردة حتى الوفاق ١٩٤٥-١٩٨٠ ".
- تعريب: صادق إبراهيم عودة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤ .
٦. برود وين، فرجينيا وسلدن، مارك" السر المعروف: مبدأ نيكسون وكيسنجر في آسيا" نقله إلى العربية، د.أحمد طربين ونصير عاروري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤ .
٧. بريجنسكي، زبغيتو" الإخفاق الكبير: ميلاد الشيوعية وموتها" ترجمة: فاضل جتكر، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٠ .
٨. بيكر، جيمس "سياسة الدبلوماسية ١٩٨٨-١٩٩٢" مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩ .
٩. بيترز، روبرت" مقررات مؤتمرات طهران-يالطا-بوتسدام" ترجمة عبد الرحمن دهيني، مراجعة محمد الحجري، منشورات الفاخرية، الرياض، بلا تاريخ.
١٠. تايلور، أي، جي، بي "الصراع على السيادة في أوروبا ١٨٤٨-١٩١٨" ترجمة د.كااظم هاشم نعمة ود.يوئيل عزيز، جامعة الموصل، ١٩٨٠ .
١١. جرانت، أ.ج وغبريل هارولد" أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠ " ترجمة بهاء فهمي، مراجعة د.أحمد عزت عبد الكريم، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، بلا تاريخ.
١٢. دوروزيل، ج.ب "التاريخ الدبلوماسي في القرن العشرين ١٩١٩-١٩٤٥" الجزء الأول، ترجمة د. خضر الخضر، دار المنصور، بيروت، ١٩٨٥ .
١٣. دوروزيل، ج.ب "التاريخ الدبلوماسي في القرن العشرين ١٩٤٥-١٩٧٨" الجزء الثاني، ترجمة د. خضر الخضر، دار المنصور، بيروت، ١٩٨٥ .
١٤. دوللو، لويس "التاريخ الدبلوماسي" ط٢، ترجمة د. سوحي فوق العادة، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٢ .
١٥. فشر، هـ، أـ "تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠" ط٩، تعريب احمد نجيب ووديع الصبع، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣ .
١٦. كار، ادوارد" العلاقات الدولية في عشرين سنة ١٩١٩-١٩٣٩" تعريب سمير شيخاني، بلا تاريخ.

١٧. كيسنجر، هنري " الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا " ترجمة: مالك فاضل البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٥ .
١٨. كيسنجر، هنري " درب السلام الصعب " ترجمة: د. علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤ .
١٩. لنشوفسكي، جورج " الشرق الأوسط في الشؤون العالمية " الجزء الأول والثاني، ترجمة: د. جعفر الخياط، دار الكشاف في العراق، بلا تاريخ .
٢٠. ليتش، تشارلس. أو " الحرب الباردة وما بعدها " تعریف د. فاضل زكي محمد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦ .
٢١. ماكمارا، روبرت " ما بعد الحرب الباردة " ترجمة محمد حسين يونس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩١ .
٢٢. مكريديس،وري " مناهج السياسة الخارجية في دول العالم " ترجمة، د. حسن صعب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦ .
٢٣. هيوز، كارلتون " التاريخ الأوروبي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤ " ترجمة د. فاضل حسين، جامعة الموصل، ١٩٨٧ .

ثالثاً: الدوريات والمقالات:

١. بسيوني، درية شفيق " عدم الاخياز بين تحرير المبادئ وдинاميكية الحركة " السياسة الدولية، العدد (٩٦)، ابريل ١٩٨٩ .
٢. توفيق، د. سعد حقي " نشوء حركة عدم الاخياز " مجلة العلوم السياسية، العدد الأول، آذار ١٩٨٨ .
٣. زيدان، د. عبدالكربيم " الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام " مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الثالث، ١٩٧٠ .
٤. غالى، د. بطرس بطرس " أبعاد الأيديولوجية الأفروآسيوية " السياسة الدولية، القاهرة، ابريل ١٩٦٨ .
٥. غالى، د. بطرس بطرس " سياسة عدم الاخياز بعد التصالح الأمريكي - السوفيتي " السياسة الدولية، القاهرة، العدد (٣١)، يناير ١٩٧٣ .
٦. منصور، د. سامي " المؤتمر الثلاثي لدول عدم الاخياز " السياسة الدولية، القاهرة، العدد (٦)، أكتوبر ١٩٦٦ .

1. Berg, Eugene ' Non- alignement et nouvel Order Mondial ' P.U.F, Paris, 1980.
2. Colard, Daniel ' Le Mouvement des pays non- alignes ' La Documentation Francaise, Paris, 1981.
3. Colard, Daniel 'Les Relations Internationales de 1945 a nos jours ' Armand colin, Paris, 1997.
4. D'encausse, Helene Carrere " La Politique sovietique au Moyen- orient 1955-1975" Foundation National des sciences politiques, Paris, 1975.
5. Guitard, Odette " Bandoung et le reveil des peuples colonises " P.U.F, Paris, 1969.
6. Hoffmann Stanley " La Nouvelle Guerre Froide " Strategie, Berger- Levrault, Paris, 1983.
7. Kalisky Rene' " Le Monde Arabe a l'heure actuelle " Marabout Universite', Belgique, 1968.
8. Le Breton Jean- Marie " Les Relations Internationales depuis 1968 " Nathan Universite', Paris, 1983.
9. Lenczowski George " Soviet advances in the Middle East " American Enterprise Institute for public policy Research, Washington, 1972.
10. Queuille, Pierre " Histoire de l'Asiatisme Jusqu'au Bandoung " poyot, Paris, 1965.
11. Szuic Tad " Then and now: How the world has changed since WWII, Morrow and company, inc, Newyork, 1990.

